الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث

إعداد
إبراهيم عبود ياسين السامرائي

إشراف
الدكتور وليد سيف

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة العربية وآدابها من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

أيلول ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَوْزِعْنِي انْ اشْكُرَ نِعمتَكَ التي انْعَمتَ عليَّ وعلى والديَّ
وان اعملَ صالِحاً تَرْضاهُ وادْخِلني بِرَحمَتِكَ في عِبادِكَ الصَّالِحين

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٨/ ٩ /١٩٩٣ وأجيزت

اعضاء اللجنة	التوقيع
١. الدكتور وليد سيف	....
٢. الأستاذ الدكتور لويس مقطش	....
٣. الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة	....
٤. الدكتور محمد حسن عواد	....



إلى من قال فيهما رب العزة:

«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا»

وإلى زوجتي وطفلي (وسيم ومحمد)

وإلى روح أخي الشهيد خليل

شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل والإمتنان إلى كل من قدم لي العون في إتمام هذا البحث.

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل الدكتور وليد سيف الذي أعطاني من جهده ووقته الكثير، الذي ما فتئت استرشده وألح عليه بتساؤلاتي المتلاحقة، فأخذ بيدي، وأرشدني بروح متبصرة وعلم وافر.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور فاروق السامرائي والأخ علي «أبو جعفر» والأخ فوزي الخطيب «أبو ليلى» والأخ نضال قطناني والحاج محمود أحمد عقده (أبو عادل) والأخت فاطمة أبو النصر والأخت أماني القاهر، على ما قدموه من عون ومساعدة في إتمام هذا البحث.

كما أشكر الأخ محمد غانم على ما بذله من جهد في إتمام طباعة وإخراج هذا البحث رغم مشاغله الكثيرة.

الباحث

المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل الخامس

الملخص

المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث

إعداد

إبراهيم عبود ياسين السامرائي

إشراف

د. وليد سيف

قام القدماء بجهود عظيمة في الدراسات الصوتية، وإن كانت جهودهم مبثوثة في مقدمات المعاجم اللغوية وكتب النحو والصرف والقراءات القرآنية -أي أنها لم تكن تحت مؤلف خاص ينتظمها، إلى أن جاء ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فجمعها تحت مؤلف خاص أسماه (سر صناعة الإعراب).

وكان من الطبيعي أن يستخدم هؤلاء القدماء أثناء دراستهم مصطلحات صوتية عديدة، متشابهة ومتباينة، جلية وغامضة، واضحة وخفيّة.

ولبيان دراسة القدماء وضم مصطلحاتهم تحت مؤلف خاص ارتأيت أن أكتب بحثاً بعنوان [المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث]. أجمع فيه مصطلحات القدماء، وأبيّن متشابهها، وغامضها وغيرها من الأمور، كي يسهل على الباحث الرجوع إليها والإفادة منها.

وجاء البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

ففي المقدمة عرّفت بمصادر ومراجع الدراسة الصوتية قديمها وحديثها، كما عرّفت بأعضاء النطق عند القدماء والمحدثين، وبيّنت الصوت اللغوي، وأنهيت المقدمة بالإشارة إلى أصوات العربية، واختلاف العلماء قديماً وحديثاً في عددها.

وفي الفصل الأول، درست الفرق بين الصوت والحرف، وبيّنت الفرق بينهما، ثم درست اختلاف العلماء قديماً وحديثاً في مصطلح المخرج، كما درست المخارج، وبيّنت ترتيبها وعددها، ومصطلحاتها، واختلاف القدماء والمحدثين في مصطلحات بعضها.

وفي الفصل الثاني درست المصطلحات الخاصة بصفات الأصوات مثل (الجهر والهمس، والشدة والرخاوة والتوسّط، والاستعلاء والاستفال، والمد واللين، والصفير، والتفشي، والتكرير... الخ). وبيّنت مواطن الخلاف بين القدماء والمحدثين في مصطلحات هذه الصفات، كما بينت بعض الصفات التي اختلف العلماء قديماً في الأصوات التي توصف بها مثل (الهاوي والمهتوت، والجرسي... الخ). كما أوضحت صفات بعض الأصوات التي اشتقها بعض القدماء من مخارجها. مثل (الأصوات الحلقية، والشجرية، واللهوية، وغيرها). وأشرت إلى إنكار بعض المحدثين بعض هذه المصطلحات. كما أشرت إلى مصطلحات الصفات التي تتعلق بالدراسة الصرفية مثل (الأصوات الأصلية، والزوائد، وأصوات العلة، وأصوات البدل). وبيّنت أن القدماء من دارسي الأصوات العربية أهملوا الإشارة إلى هذه الصفات. وأن أوّل من أشار إليها مكي القيسي، في كتابه (الرعاية). وختمت الفصل ببيان الصفات الصوتية التي لم تشتهر عند القدماء، بل جاءت عند بعضهم بمفاهيم تختلف عن مفاهيم المحدثين مثل (البحة، والنبر، والنفث، والتنغيم).

وفي الفصل الثالث، درست مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوامت مثل (الإدغام والإبدال، والقلب المكاني، والإظهار وغير ذلك)، وبيّنت اختلاف القدماء والمحدثين في بعض هذه المصطلحات ودلالاتها، واستخدام بعض المحدثين مصطلح المماثلة الكلية بدل بعضها، ومصطلح المماثلة الجزئية بدل بعضها الآخر.

وفي الفصل الرابع درست مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوائت مثل (المد وأقسامه وأنواعه، والإمالة وأنواعها، والرَّوْم والإشمام والاختلاس وغير ذلك).

وختمت الفصل بمناقشة المحدثين للقدماء والرد عليهم، لوصفهم أصوات المد بالسكون وأنها مسبوقة بحركات تجانسها.

وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصلت إليها مثل:

١- نتائج القدماء في وصف الأصوات والتمييز بينها كانت أغلبها نتائج دقيقة، بالنسبة إلى معطيات العصر الذي كانوا يعيشون فيه. إذ اعتمدوا في وصفهم للأصوات على حواسهم، وملاحظتهم الذاتية.

٢- وصف القدماء للمصطلحات أحياناً كان وصفاً انطباعياً سماعياً.

٣- تعدد بعض المصطلحات عند القدماء للتعبير عن الفكرة الصوتية الواحدة.

٤- انفرد الخليل بمصطلحات لم يستخدمها أحد غيره، كما أن غيره استخدم مصطلحات لم يستخدمها الخليل.

٥- غموض بعض مصطلحات القدماء واضطراب تفسيراتها عندهم.

٦- أبرزت جهود علماء التجويد في الدراسة الصوتية، من خلال كتبهم التي تضمنت دراسة للأصوات اللغوية لا تقل في أهميتها عن جهود علماء العربية.

٧- استنتجت من دراستي لمصطلحات القدماء، أن بعضهم كان يخطىء في وصف بعض الظواهر دون تطبيقها.

٨- قمت بتحديد المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي، ودرست دلالتها الفنية دراسة وصفية تفسيرية نقدية في ضوء ما توصل إليه علم الأصوات الحديث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فقد اهتم العلماء القدماء بدراسة أصوات اللغة العربية في وقت مبكر، وتجلّت معالمه في عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٠هـ، الذي حدد مخارج الأصوات، الأمر الذي حدا به إلى ترتيب الأصوات في كتاب أسماه «العين» وفقاً لمخارجها، كما أنه بحث بعض الظواهر الصوتية في كتابه «الجمل» إن صحّت نسبته إليه، ثم تلاه تلميذه سيبويه، فدرس كذلك أصوات العربية والظواهر الصوتية، وألّف كتاباً أسماه «الكتاب» بيّن فيه مخارج الأصوات وصفاتها، وتبع سيبويه في هذا المضمار سائر اللغويين الذين جاءوا بعده، ومن أبرزهم «ابن جنّي» الذي أفرد مؤلفاً خاصاً بالأصوات أسماه «سر صناعة الإعراب» درس فيه الأصوات من جوانبها كلها وضمنه دراسات سابقيه.

كما أن علماء القراءات والتجويد والصرف تنبّهوا إلى الدراسات الصوتية، فحوت كتُبهم وأبحاثهم مصطلحات صوتية، ولكنها لا تكاد تخرج في مجملها عما ذكره سيبويه.

ثم جاء المحدثون من دارسي الأصوات العربية فكتبوا أبحاثاً وقدموا دراسات مستقلة في هذا المجال، إلا أن معظمهم أهمل مصطلحات القدماء، وأخذ بالمصطلحات الحديثة التي جاءت في أغلبها أثراً للترجمة عن كتب الغرب، إما من أبناء العربية الدراسين في الغرب، وإما عن طريق بعض المستشرقين الباحثين في أصوات العربية.

ومن هنا فقد عزمتُ على أن أكتب بحثاً بعنوان **المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث**، لأُأصِّلَ فيه مصطلحنا الصوتي من خلال تراثنا العربي، وأوضح مدلوله، وأشير إلى بعض الإشكالات التي ظهرت من خلال وصف العلماء القدماء بعض الظواهر الصوتية، مستعيناً على ذلك بمعطيات الدرس الصوتي الحديث، محاولة منّي لوصل الماضي بالحاضر، ومساهمة في إنبعاث المصطلح القديم الذي ظل شِبه مهمل من الدارسين.

مصادر البحث والدراسات السابقة:

لقد استفدت من المصادر التي اهتمت بالدراسات الصوتية، وخاصة تلك التي حُققَت مؤخراً محاولة مني لبناء البحث، وإثراء موضوعاته، ومن أهمها كتاب «الجُمل في النحو» للخليل بن أحمد إن صحّت نسبته إليه، و «تذكرة النحاة» لأبي حيّان، الذي ضمّنه مؤلفه ثروة صوتية وفيرة مروية عن الخليل بن أحمد، وكتاب «الرعاية» لمكي بن أبي طالب القيسي، و «التمهيد» لابن الجزري، و «رسالة في مخارج الحروف وصفاتها» لابن أبي الأصبغ الإشبيلي. ورسالة «أسباب حدوث الحروف» لابن سينا، وكتاب «التحديد» للداني، وكتاب «بيان العيوب» لابن البنّاء، وكتاب «التّبصرة» لمكي القيسي.

كما وقفت على معظم الدراسات الحديثة السابقة التي كان لها علاقة بدراستي، مثل كتاب «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم الحمد، وكتاب «دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة» لداود عبده.

وقُبيل انتهائي من كتابة البحث عثرت على ثلاث رسائل جامعية عانوينها قريبة من عنوان بحثي، وكادت أن تثنيني عن مواصلة البحث في هذا

الموضـوع، وعند اطلاعي عليـها وجـدت بوناً شـاسـعاً بـين بـحـثي وبـينـهـا، وهذه الرسائل هي:

١- رسالة دكتوراه كتبتها في جامعة الجزائر (آمنة بن مالك) عام (١٩٨٦) بعنوان «مصطلحات الدراسة الصوتية في كتب التراث العربي»، أغفلت صاحبتها العديد من المصطلحات الصوتية، كما اختارت من كتب اللغة والنحو والقراءات بعضها، وأهملت كتب التجويد قديمها وحديثها، ومن المعلوم أن كتب التجويد متخصصة في علم الأصوات، وفيها مادة غزيرة من المصطلحات الصوتية. فلذا كان هناك نقص كبير في دراستها المصطلحات الصوتية.

٢- رسالة دكتوراه أيضاً، كتبها في جامعة عين شمس عبد القادر مرعي عام (١٩٨٩) بعنوان «المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر» يؤكد صاحبها بأنه اختار من كتب التراث بعضها، وذلك لصعوبة تتبع كتب التراث، وبنى دراسته عليها، وقد أهمل كذلك كتب التجويد، وإن كان عنوان بحثه يبيح له ذلك، لأنه خصّه بالمصطلح عند علماء العربية، أي دون غيرهم.

٣- رسالة ماجستير كتبها في جامعة حلب المهدي بوروبه عام (١٩٨٩) بعنوان «المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب» يذكر فيها الباحث أنه قصر بحثه على القرون الثلاثة الأولى، كما أنه قصره على دراسة مصطلحات الأصوات المفردة دون المركبة، وذلك لطول موضوع المصطلحات الصوتية، كما أنه أهمل الإشارة إلى كتب التجويد.

فإهمالهم كتب التجويد التي لا تقل أهمية عن كتب اللغة والنحو جعل دراسة المصطلح في كتب التراث دراسة ناقصة.

لذا كان لزاماً عليّ الاستمرار في بحثي، لأنه شمل أغلب كتب التراث اللغوية والنحوية والصوتية والصرفية وكتب القراءات والتجويد بالإضافة إلى كتب المحدثين، وتوصلت إلى مصطلحات ونتائج حاولت من خلالها إتمام ما نقص من جهد السابقين واتبعت منهجاً علمياً رغبت من خلاله تحقيق الجدية والابتكار.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

مع اتساع دائرة التأليف في علوم اللغة العربية قديماً وحديثاً جعل الباحث يقف أمام هالة عظيمة أخذ نطاقها يتسع يوماً بعد يوم فكان من الصعب الإلمام بحدود مضامينها والغور في أعماق معانيها ومدلولاتها، وبخاصة كتب التراث الأصيلة التي أُلّفت بلغة مسبوكة وعميقة يصعب على الكثير الإلمام بمرادها.

وبسبب تشتت وتناثر مصادر ومراجع موضوعات الدراسة في مكتبات متنوعة وبلدان متعددة، مما جعل الأمر شاقاً على الباحث للوصول إلى هذا الشتات المتناثر، وجمع ما يمكن من خلاله الوصول إلى إتمام موضوعات الرسالة.

وبسبب طول وتشعب موضوعات البحث احتجت إلى بذل كلّ ما بوسعي لاستخراج المصطلحات من مضانها وجمعها وبيان الغامض منها، ودراستها، وربطها بما يماثلها من مصطلحات في الدراسة الصوتية الحديثة.

منهجية الباحث:

وتتمثل في خطوات، منها:

١- تحديد المصطلحات الصوتية في كتب علماء العربية، ثم كتب علماء التجويد، مع دراسة دلالاتها الفنية دراسة وصفية تفسيرية نقدية في ضوء ما توصل إليه علم الأصوات الحديث.

٢- ولمعرفة دقة بعض مصطلحات أعضاء النطق قام الباحث بأخذ محاضرات تطبيقية في كلية الطب جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية قسم التشريح، لدى الأستاذ الدكتور محمد البغدادي، أفاد منها عن قرب في معرفة وظائف بعض أعضاء النطق الدقيقة، وفي تفسير بعض مصطلحات القدماء حول أعضاء النطق.

٣- تأصيل البحث الصوتي العربي الحديث مفهوماً ومصطلحاً، ومنهجاً من خلال الربط بين جهود القدماء في هذا المجال والدراسة الصوتية الحديثة.

٤- رصد الباحث التطور التاريخي لدراسة الظواهر الصوتية ووصفها وتفسيرها في التراث العربي ابتداء من رائدها الخليل بن أحمد.

٥- أبرز الباحث جهود علماء التجويد في الدراسة الصوتية من كتبهم والتي ظلت شبه منسية من الدارسين، وظلت مادتها مجهولة مما حرم الدرس الصوتي العربي من مصدر غني وأصيل.

٦- أما فيما يتعلق بموضوعات البحث فقد جعلتها في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

ففي الفصل الأول، عرضت بإشارة مقتضبة لبعض مصادر ومراجع البحث، وأشرت إلى بعض الدراسات السابق، والصعوبات التي اكتنفت الباحث في إعداد موضوعات بحثه، كما عرّفت بأعضاء النطق عند القدماء والمحدثين، وبينت الصوت اللغوي. وانهيتُ الفصل بإشارة إلى أصوات العربية، واختلاف العلماء قديماً وحديثاً في عددها.

وفي الفصل الثاني، بحثت الفرق بين الصوت والحرف، ثم الاختلاف في مصطلح المخرج وبيّنت أصول المخارج وترتيبها وعددها، ودرست مصطلحات المخارج وأوضحت الخلاف بين القدماء والمحدثين في بعض مصطلحاتها.

وفي الفصل الثالث الذي خصصته لدراسة المصطلحات الخاصة بصفات الأصوات أشرت إلى تصنيف القدماء والمحدثين للأصوات العربية، والمصطلحات التي استخدموها أثناء تصنيفهم، ثم درست المصطلحات الخاصة بصفات الأصوات من جهر وهمس وشدة ورخاوة وتوسط واستعلاء واستفال ومد ولين وصفير وتفش واستطالة وتكرار وانحراف، وغير ذلك.

كما بينت مواطن الخلاف بين القدماء والمحدثين في بعض هذه الصفات، وذكرت الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها، ووضحت صفات الأصوات التي اشتقها بعض القدماء من مخارجها وبينت إنكار بعض المحدثين بعض هذه المصطلحات ثم بينت مصطلحات الصفات التي تتعلق بالدراسة الصرفية، وأشرت إلى أن القدماء من علماء العربية أهملوا الإشارة إلى هذه الصفات من الناحية الصوتية.

وختمت الفصل بدراسة الصفات الصوتية التي لم تشتهر عند القدماء.

وفي الفصل الرابع، درست مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوامت مثل: الإدغام والإبدال، والقلب المكاني، والإقلاب، والإظهار، والإخفاء، والتخفيف. وبينت اختلاف القدماء والمحدثين في بيان بعض دلالات هذه المصطلحات، واطلاق بعض المحدثين على بعضها مصطلح المماثلة الكلية وعلى بعضها الآخر مصطلح المماثلة الجزئية.

وفي الفصل الخامس، درست مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوائت، مثل: المد وأقسامه، وأنوعه والإمالة والروم والإشمام، والاختلاس، والإعلال، وغير ذلك.

وختمت الفصل، بذكر النقد الذي وجّهه المحدثون للقدماء لوصفهم أصوات المد بالسكون وكونها مسبوقة بحركات تجانسها.

وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصلت إليها.

وأخيراً فإني أتوجه بالشكر إلى الله العلي القدير سبحانه وتعالى أن منّ عليّ بإتمام هذا الموضوع بعد هذا العناء الطويل.

وإنه لمن باب الوفاء والتقدير أن أعترف بفضل كل من ساعدني في سبيل إخراج هذا البحث إلى حيّز الوجود، وأخص بالذكر أستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور وليد سيف، الذي منحني أغلى أوقاته، وما فتىء يحثني على الكمال حتى اللحظات الأخيرة، وأعمل فكره من أجل إخراج هذا البحث بهذه الصورة، له منّي ما عجز القلم عن وصفه، والفضل عن ذكره، جزاه الله خير الجزاء.

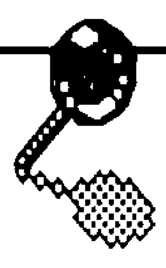
كما وأتقدم بالشكر الجزيل:

- للأستاذ الدكتور لويس مقطش.
- وللأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة.
- والدكتور محمد حسن عواد.

الذين تقبلوا مناقشة هذه الرسالة وتحملوا عبء قراءتها مع كثرة مشاغلهم وضحّوا بوقت راحتهم فجزاهم الله أفضل الجزاء.

وفي الختام إن هذه محاولة متواضعة أردت أن أشارك بها في ميدان البحث العلمي خدمة لتراثنا العربي الإسلامّي وما أبرىء نفسي من القصور أو التقصير، فتلك طبيعة الإنسان، فالكمال لله وحده، وحسبي أني حاولت.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.



الفصل الأول

ويشتمل على:

- تعريف بمصادر ومراجع الدراسة الصوتية السابقة
- تعريف بأعضاء النطق.
- الصوت اللغوي.
- أصوات العربية.

تعريف بمصادر ومراجع الدراسة الصوتية السابقة

لقد حظيت اللغة باهتمام بالغ من علماء الأمّة، ففي عصر التابعين، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ) ظهر الاهتمام بعلوم اللغة العربية، فوضعت قواعد النحو بسبب ظهور اللحن بين الموالي، وخوف المسلمين من امتداد هذا اللحن إلى القرآن الكريم، وأوّل من مثل هذا الاتجاه أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) الذي أخذ بدوره قواعد النحو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، [١] فكان أوّل من أسّس العربية. [٢] وأخذت علوم اللغة بعد ذلك بالاتساع والتشعّب فتنوعت فيها المصنفات والمؤلفات، وظهرت مدارس اللغة العربية، وخاصّة في الكوفة والبصرة.

والذي يخصّنا في هذا البحث هو الجانب الصوتي الذي خصّه علماؤنا الأوائل بالعناية والأهتمام ليميزوا أصوات هذه اللغة عن أصوات غيرها من اللغات التي سادت في المجتمع بسبب اتساع رقعة الإسلام ودخول أقوام فيه ينطقون غير العربية.

وفي مطلع القرن الثاني الهجري ظهر من بين علماء العربية من يصف أصواتها، وأشهرهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ولم يكن في وقته من الأدوات العلمية التي تعينه على الوصف، كما هو الحال في أيامنا هذه، فاعتمد على التجربة بالألسنة والآذان.

لقد وضع الخليل بن أحمد معجماً لألفاظ العربية أسماه " العين " ورتبه بحسب مخارج الحروف كالآتي:

---

(١) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨٣/٤.

(٢) انظر : الزبيدي : طبقات النحو يين ص٢١.

١- حروف الحلق.

٢- حروف أقصى الفم.

٣- حروف وسط الفم.

٤- حروف أدنى الفم.

٥- حروف الشفتين.[١]

وبذلك يُعد الخليل بن أحمد صاحب السبق في مجال الدراسات الصوتية، فكشف عن نظام العربية الصوتي، وأفاد منه. كما انه لم يضنّ بعلمه على تلاميذه، فقدّم لتلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ) ما عنده من معرفة، فلم يقصّر الأخير في خدمة هذه اللغة ودراسة قضاياها في كتابه " الكتاب "، الذي وصف فيه الحروف العربية كلّها في باب «الإدغام».[٢] فبعد أن ذكر عددها، بيّن مخارجها، ووصف المهموس والمجهور واحوالهما واختلافهما، وحدّد كلاً منهما، وقسّم الأصوات الى الشديد والرخو، كما تحدث عن ادغام الحروف وإبدالها، وعن تحقيق الهمزة وتسهيلها وهمزة بَيْن بَيْن. وتحدث كذلك عن الإمالة واحكامها واحوالها.[٣] وغيرها من الموضوعات الصوتية التي تهم الباحثين في هذا الموضوع. وقد تأثر بسيبويه تلاميذه ومن جاءوا بعده، فتراهم لا يتعدون عباراته، ومصطلحاته في البحث الصوتي، دونما زيادة تستحق الذكر، وكأنما كلامه أصبح عندهم هو الفصل. كما تأثروا أيضاً بما كتبه الخليل بن احمد عن مخارج الحروف وصفاتها في مقدمة كتابه «العين».[٤] وظل الأمر كذلك حتى

---

(١) انظر : الخليل : العين ١/٥٢ وما بعدها.

(٢) انظر : سيبويه : الكتاب ٤/٤٣١ وما بعدها.

(٣) انظر : سيبويه: الكتاب ٤/١١٧.

(٤) انظر : الخليل : العين ١/٥٢ – ٦٧.

نهاية القرن الرابع الهجري، ونذكر من هؤلاء العلماء المبّرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه المقتضب في أبواب الادغام[1]، وابن دريد (ت ٣٢١هـ) في مقدمة جمهرة اللغة[2]، والزجاجي (ت٣٣٧هـ) في

كتابه الجمل عند بحثه الإدغام[3]، والأزهري (ت ٣٧٠هـ) في مقدمة تهذيب اللغة[4]، كما تأثر ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه سر صناعة الأعراب أيضاً بسيبويه في وصف الحروف وتعداد مخارجها، فعباراته عبارات سيبويه، ولكنه لم يكن كذلك في كل الأحوال، ففي كتابه الآنف الذكر قدّم توضيحاً لحدوث الأصوات، لم يسبقه أحد إليه، وذلك عندما اتخذ الناي ووتر العود وسيلة لهذا التوضيح حيث يقول: "شبّه بعضُهم الحلْق والفم بالناي، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملسَ ساذَجا ....، فإذا وَضَع الزَّامرَ أناملَهُ على خُرُقِ الناي المنسوقة، وراَوحَ بين أنامله، اختلفتِ الأصْوَات، وسُمِع لكل خَرْق منها صوتٌ لا يُشبِهُ صاحبه"[5]، ويقول أيضاً: «ونظير ذلك أيضاً وَترُ العُود، فإنَّ الضاربَ إذا ضربه وهو مُرْسَل سمعتَ له صوتاً، فإن حصر آخرَ الوتر ببعض أصابعِ يُسراه أدّى صوتاً آخر، فإن أدناه قليلاً سمعتَ غيرَ الاثنَيْن».[6]

والّف ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) في بداية القرن الخامس الهجري، رسالته التي أسماها "أسباب حدوث الحروف "عرض فيها أصوات اللغة عرضاً جديداً، فقد

---

(١) انظر : المبرد : المقتضب ١/١٩٢ - ٢١٦.

(٢) انظر : ابن دريد : جمهرة اللغة ١/٤ -٨.

(٣) انظر : الزجاجي : الجمل ٣٧٥ - ٣٨٢.

(٤) انظر : الأزهري : تهذيب اللغة ١/٤١ - ٥٢.

(٥) ابن جني : سر صناعة الاعراب ١/٩.

(٦) المصدر السابق ١/٩ - ١٠.

جاء حديثه في رسالته حديث العالِم بأسرار الطبيعة، حين أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرّح حين وصف أجزاء الحنجرة واللسان، فعرض ابن سينا في الفصل الأول من رسالته "سبب حدوث الصوت" وفي الفصل الثاني "سبب حدوث الحروف"، وخصص الفصل الثالث لتشريح الحنجرة واللسان، وفي الفصل الرابع تحدث عن حروف العربية، وأوضح كيفية صدور كل حرف منها، وفي الفصل الخامس تحدث عن حروف سمعها في لغات أخرى غير العربية، وفي الفصل السادس يقول: "إن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقيظة تسمع.[1] فعرف كيف يفسر الصوت ويعلله، فهو لم يتأثر كغيره بسيبويه، فله مصطلحاته الخاصه به، لا نعرف أن غيره من علماء العربية يشاركه فيها.[2]

وظهر في القرن السادس الهجري الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وألف كتابه "المفصل" وضمّنه مصطلحات لم تعرف من قبل ومنها: "لثويةً، وأسلية، وصفيرية، ونطعيةُ، وشجرية، ولهوية... وغيرها من المصطلحات التي ظل اللغويون والقراء وعلماء التجويد يرددونها من بعده.[3]

وفي القرن السابع الهجري حاول السكاكي (يوسف بن ابي بكرت ٦٢٦ هـ) في مقدمة كتابه (مفتاح العلوم) عندما تحدث عن الحروف ومخارجها، أن يضع رسماً توضيحياً للمخارج[4]، لكن محاولته كانت محاولة بدائية.

(١) انظر : ابن سينا (رسالة اسباب حدوث الحروف ص ٩٣) وإبراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص ١٣٧ وما بعدها ، وابراهيم انيس : جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية ص ٤٤ - ٤٥ مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ، الجزء الخامس عشر سنة ١٩٦٢.

(٢) انظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٣٧.

(٣) المفصل : ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، وانظر : شرح المفصل : ١٢٨/١.

(٤) انظر: مفتاح العلوم : ص ٦.

وتلتها رسوم توضيحية أخرى لآلة النطق في كتب التجويد، منها صورة لآلة النطق عليها مخارج الحروف في كتاب تجويد القراءة ومخارج الحروف لابن وثيق الأندلسي (ت ٦٥٤ هـ)، وصورة لآلة النطق عليها مخارج الحروف في كتاب الطرازات المعلمة في شرح المقدمة لعبد الدائم بن علي الازهري (ت ٨٧٠ هـ) وصورة لآلة النطق عليها مخارج الحروف وردت في كتاب أرجوزة البيان في حكم تجويد القرآن لمحمد حسين الأصفهاني.[1]

علماء التجويد:

درس علماء التجويد أيضاً الأصوات اللغوية، واتسم درسهم بالشمول وذلك لاستيفائه الموضوعات المتصلة بعلم الأصوات جميعها كما يتضح من قول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) إذ يقول: " أول ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتازبه عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يُعْمِل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة. فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلاّ بالمخرج... فإذا أحكم القارىء النطق بكل حرف على حدته موفٍّ حقّه، فليُعْمِلْ نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف المفردة ولا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مُجانس ومُقارب، وقويّ وضعيف، ومفخّم ومرقّق، فيجذب القويُ الضعيف، ويغلب المفخّم المرقّق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن احكم صحة اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالاتقان والتدريب".[2]

---

(١) هذه الرسوم نقلها عن هذه الكتب غانم الحمد في كتابه "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص١١١.

(٢) النشر ٢١٤/١ - ٢١٥.

وكان علماء التجويد يعتمدون في دراستهم على التلقي بالمشافهة،[١] ويحضّون على تدريب اللسان وترويضه على نطق الحروف وإيفائها حقّها من المخارج والصفات وأحكامها الخاصة بها عند التركيب، فرياضة اللسان والتكرار على اللفظ يوصلان الى النطق السديد، يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): "ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الاتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الالسن والتكرار على اللفظ المُتَلَقَّى من فم المحسن ... ".[٢]

وقد كانت دراسة علماء التجويد ذات سمة شمولية كما قلنا فدرسوا آلة النطق، ومخارج الأصوات وصفاتها، كما درسوا الظواهر الصوتية التي تظهر عند تركيبها في الكلام المنطوق، كما أنهم عرضوا لعيوب النطق وعالجوها في دراساتهم.[٣]

ومن الآثار التي تركها لنا هؤلاء العلماء كتبهم التي تدل على جهدهم في البحث الصوتي، ونجتزيء من هذه الكتب التي ذكرها الدكتور غانم الحمد في كتابه "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"، الكتب التالية:

١- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة.[٤] لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ).

٢- التحديد في الاتقان والتجويد[٥] لأبي عمرو بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ).

---

(١) انظر : غانم الحمد : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٦٢.

(٢) ابن الجزري: النشر ٢١٣/١.

(٣) انظر : الرعاية ص ١٠٥ وما بعدها.

(٤) طبع في دار المعارف للطباعة بدمشق سنة ١٩٧٣م ، تحقيق احمد حسن فرحات.

(٥) حققه الدكتور غانم الحمد - في العراق - كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، وطبع في مكتبة دار الأنبار بالعراق سنة ١٩٨٨.

٣- الادغام الكبير[1] للداني ايضاً.

٤- كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرّاء، وايضاح الادوات التي بني عليها الإقراء لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالله المعروف بابن البناء البغدادي (ت ٤٧١ هـ).

٥- رسالة مخارج الحروف وصفاتها[2] لابي حميد (وابي الاصبغ) عبد العزيز بن علي ابن محمد الاندلسي المعروف بابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠ هـ).

٦- الدر الموصوف (أو المرصوف) في وصف مخارج الحروف.[3] لابي المعالي محمد بن ابي الفرج بن بركة فخر الدين الموصلي ثم البغدادي (ت ٦٢١ هـ).

٧- روح المريد في شرح العقد الفريد[4] لمحمد بن محمود بن محمد بن احمد السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ).

٨- التمهيد في علم التجويد[5] لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المشهور بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ).

---

(١) مخطوط: منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، فهرس المخطوطات المصورة رقم (١-٦).

(٢) نشرت بمكة المكرمة سنة ١٩٨٤ ، تحقيق ، الدكتور محمد يعقوب تركستاني.

(٣) مخطوط: مكتبة الاوقاف العامة في الموصل رقم (٢٠/٥) حققه، د. غانم الحمد ، ولم ينشر بعد.

(٤) مخطوط: مكتبة المتحف ببغداد رقم (٩١٨١ / ١).

(٥) حققه في العراق الدكتور غانم قدوري الحمد، وطبع في مؤسسة الرسالة.

٩- جهد المقل في علم التجويد، وبيان جهد المقل (شرح وحاشية على جهد المقل).[1] لمحمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده (ت ١١٥٠ هـ).

١٠- المقدمة الجزرية لابن الجزري (ت٨٣٣ هـ).

هذا بعض مما ألفه علماء التجويد القدماء من كتب وهناك مؤلفات تراثية غيرها كثيرة.[2]

وقد خاض المحدثون من علماء التجويد في هذا المضمار وألفوا فيه ومن هذه المؤلفات:

١- كتاب أصوات القرآن -كيف نتعلمها ونعلمها - (ليوسف الخليفة أبو بكر).

٢- كتاب البرهان في تجويد القرآن، لمحمد صادق قمحاوي.

٣- كتاب التجويد والأصوات، لابراهيم محمد نجا.

٤- كتاب حق التلاوة، لحسني شيخ عثمان.

٥- كتاب الرائد في تجويد القرآن لمحمد سالم محيسن.

٦- كتاب ملخص العقد الفريد في فن التجويد، لعلي أحمد صبرة.

٧- كتاب نهاية القول المفيد في علم التجويد، لمحمد مكي نصر.

٨- كتاب المرشد في التجويد، للشيخ محمود زيدان العقرباوي.

---

(١) مخطوط : مكتبة المتحف ببغداد رقم (١١٠٦٨).

(٢) انظر: كتاب (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ٢٦ وما بعدها.

وجملة القول فإن علماء التجويد قد أغنوا ببحوثهم الدراسات الصوتية قديماً، ولا غرابة في ذلك، فعلم التجويد مختص بهذا النوع من الدراسة، يقول احد الباحثين المحدثين في هذا المقام: " كانت دراسة الأصوات في الثقافة العربية القديمة من خصائص رجال التجويد وعلماء الاداء القرآني ".[1] ويقول المستشرق ج - برجشتراسر: (وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من اجزاء النحو، ثم استعاره اهل الاداء والمقرئون، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة، ماخوذة من القرآن الكريم).[2]

المحدثون:

وقد اهتم المحدثون العرب أيضا بدراسة الأصوات، ولكن حظّهم كان أوفر من العلماء القدامى، إذ توفرت لدى المحدثين الوسائل العلمية والآلية التي تعينهم في دراساتهم، ونذكر من هؤلاء الباحثين:

١- الدكتور إبراهيم أنيس، وهو من أوائل الباحثين الذين اهتموا بالدراسة الصوتية، فقد وضع كتاباً أسماه " الأصوات اللغوية" درس فيه الصوت الأنساني، وأعضاء النطق، وصفة الصوت، وقسم فيه الأصوات الى أصوات ساكنة وأصوات لين، كما درس فيه مخارج الأصوات وصفاتها، والمقطع الصوتي، والنبر، والمماثلة، والتطور التاريخي للأصوات، وعوامل تطور الأصوات اللغوية، ولم يغفل أنيس في كتابه العلماء القدامى إذ وضع في كتابه ملاحظات حول دراستهم للأصوات.

---

(١) قسطندي شوملي : مدخل الى علم اللغة الحديث : ص ٤٧-٤٨.

(٢) التطور النحوي للغة العربية : ص١١.

٢- الدكتور كمال بشر في كتابه " علم اللغة العام - الأصوات "، وقد اشار في الباب الأول الى الدرس الصوتي بنظرة عامة، ودرس في الباب الثاني الأصوات العربية، وذكر الجهاز النطقي، وصنف الأصوات وعرّف الأصوات الانفجارية، والأصوات الاحتكاكية، وأشار الى الحركات عامة، ودرس الحركات العربية، وختم كتابه بأهمية علم الأصوات في دراسة اللغة.

٣- الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابيه «المنهج الصوتي للبنية العربية» و«في علم اللغة العام» تحدث في الأول عن الصفات الصوتية وفي الثاني تحدث عن علم الأصوات العام وعن المصطلحات الحديثة.

٤- الدكتور محمود السعران وضع كتاباً في علم اللغة تحت عنوان " مقدمة للقارىء العربي" تناول في الباب الثاني علم الأصوات اللغوية، فذكر فيه تصنيف الأصوات إلى مهموسة ومجهورة، وإلى صامتة وصائتة، ثم صنف الأصوات حسب موضع النطق وطريقة النطق، وذكر فيه جهاز النطق والدراسة الصوتية الآلية، وأعضاء النطق الرئيسية ؛ الحنك واقسامه، والفراغ الحلقي، والحنجرة والغلصمة، والوتران الصوتيان، واللسان واقسامه، والشفتين، والأسنان، ثم تحدث عن الأصوات في الكلام، وأخيراً ختم الباب بالحديث عن التنغيم . ولم يحو كتابه غير هذا الباب في الدراسة الصوتية مع أنه مكون من خمسة أبواب.

٥- الدكتور أحمد مختار عمر واسم كتابه " دراسة الصوت اللغوي"، درس فيه علم الأصوات السمعي والتجريبي، وطرق الكتابة الصوتية، وعلم الأصوات النطقي، وخصص المؤلف الباب الرابع لأصوات اللغة العربية ذكر فيه توزيع الأصوات مخرجياً فوزعها بحسب نوع التحكم، ودرس

كذلك الجهر والهمس، والأصوات المفخمة، والنبر، والمماثلة، والمخالفة، والقلب، ثم بين أهمية علم الأصوات، وفي الختام وضع معجم المصطلحات الانجليزية.

٦- الدكتور سلمان العاني في كتابة " التشكيل الصوتي " اعتمد المؤلف في دراسته على جهاز الاسبكتروجراف[1]، فحلل الأصوات التي سجلها بصوته وأصوات آخرين اختارهم لدراسته على هذا الجهاز تحليلاً مخبرياً، فحول الكلام إلى صور مرئية ذات بعدين احدهما عمودي ويمثل ذبذبة الكلام والآخر أفقي يمثل الزمن. " وقد استخدم في إعداد هذا الكتاب ثلاثة أنواع من التحليل الاسبكتروجرافي هي:[2]

١- الحزمة الواسعة (Broad Band).

تقوم طريقة الحزمة الواسعة أساساً بتحليل أصوات الكلام بذبذبة مقدارها (٣٠٠ دائرة في الثانية) حيث تظهر في الصورة على شكل معالم . وتمثل هذه المعالم « مناطق تمركز ضغط طاقة ».

وتبدأ هذه المعالم في الظهور أفقياً من أسفل صورة الاسبكتروجراف وتسمى المَعْلَم الأول (م١) المَعْلَم الثاني (م٢) المَعْلَم الثالث (م٣) ...الخ وهذه الطريقة استخدمها في دراسة الفونيمات المنفردة.

---

(١) جهاز الاسبكتروجراف : هو جهاز يعطي تسجيلات بصرية ثابتة لتتابع أصوات الحدث الكلامي في شكل خطوط متعرجة مختلفة التركيز تبعاً لقوة الذبذبات الصوتية الموجهة، ويسجل كذلك على ورقة بيانية. - أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٣٤.

(٢) انظر : سلمان العاني / التشكيل الصوتي ص ٢٠ - ٢١.

٢- الحزمة الضيقة (Narrow Band).

تقوم هذه الطريقة بتحليل الأصوات بذبذبة مقدارها ٤٥ (دائرة في الثانية) حيث تظهر في الصورة على شكل أبنية نغمية، وهذه الطريقة استخدمها في بحث درجة الصوت والتنغيم.

٣- مجسم الاتساع المستمر Continuous Amplitude Display .

يتم اعداد هذا المجسم بدائرة خاصة تلحق بجهاز الاسبكتروجراف، وهذه الطريقة تفيد في دراسة شدة صوت الكلام ودراسة النبر. فدرس وحلل في هذا الكتاب الحركات ووضع الصور والرسوم التوضيحية لها، كما درس وحلل السواكن وقسمها الى الانفيابت، والوقفيات، والمكرر، والاحتكاكيات، والجهورات، كما درس الأصوات المفخمة ووضع الرسوم البيانية لتوضيحها. ودرس الحلقيات والحنجريات، والمقطع والنبر، والتنغيم، معتمداً في دراسته على جهاز الاسبكتروجراف.

٧- الدكتور تمام حسان في كتابيه " مناهج البحث في اللغة " و " اللغة العربية معناها ومبناها " درس في الأول، أعضاء النطق، والأصوات العربية الشديدة والرخوة، والصوت المعطّش، والأصوات المستمرة، وأصوات العلة، ودرس ايضاً منهج التشكيل الصوتي من جهر وهمس، وقوة وضعف، وتفخيم وترقيق، ونبر وتنغيم،، ودرس في الثاني في الفصل الثاني منه «الأصوات» وفي الفصل الثالث «النظام الصوتي»، وتعرّض في هذا الكتاب أيضاً إلى التنغيم.

٨- الدكتور رمضان عبد التواب أخرج كتاب «التطور اللغوي» الذي تحدث فيه مؤلفه عن القوانين الصوتية، والتغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات.

٩- الدكتور محي الدين رمضان في كتابه «في صوتيات العربية». درس فيه حدوث الأصوات وصفاتها ومخارجها، ودرس الوحدة الصوتية في الصيغة، والموصوتات.

١٠- الدكتور صبحي الصالح «دراسات في فقه اللغة». درس في الفصل الثالث مناسبة حروف العربية لمعانيها.

١١- محمد الأنطاكي في كتابيه «المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها» و «في فقه اللغة» درس في الأول منهما، في الباب الأول منه صوتيات عامة، إذ درس الجهاز الصوتي، والصوت اللغوي، والجهر والهمس، والحبيس والطليق، والشدة والرخاوة والتراخي، والتأنيف، والتكرار، والصفير، والحافي، وشبه الطليق، والاطباق والانفتاح، والمحبس، والطليق الأمامي، والطليق الخلفي، والحاد والمنفرج، والطويل والقصير، والطليق المركب، والنبر، والتماثل، والتخالف، والإنتقال.

وفي الباب الثاني، درس الأصوات العربية، مخارجها، وصفاتها، وأحكامها. وفي الباب الثالث، أشار إلى التبدلات الصوتية.، وفي كتابه الثاني، درس في الباب الثالث منه، الأصوات اللغوية، والجهاز الصوتي، وصفات الأصوات، والتبدلات الصوتية.

١٢- الدكتور محمد الخولي في كتابه «الأصوات اللغوية» درس في الفصل الأول منه جهاز النطق البشري، وصنّف أعضاء النطق، وفي الفصل الثاني، وصف الصوت اللغوي، وفي الفصل الثالث، الفونيم والألفون،

وفي الفصل الرابع درس الصوامت الاحتكاكية والأنفيات والجانبيات والصوائت، والصوائت المركبة، وفي الفصل الخامس درس شيوع الأصوات اللغوية، وفي الفصل السادس درس النبر من كل جوانبه، والنغمات كما درس في باقي الكتاب توزيع الأصوات، وبعض الظواهر الصوتية، وقدم ملخصاً بأقسام الدراسة الصوتية.

١٣- الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه «الكلام إنتاجه وتحليله» درس فيه جهاز النطق وإنتاج الصوت وانتقاله، وحلل الصوت اللغوي ووصفه. كما درس في كتابه " أصوات اللغة " الأعضاء الصوتية، وطرق انتاج الاصوات ومخارجها.

١٤- الدكتور سعد مصلوح في كتابه «دراسة السمع والكلام» درس فيه جهاز النطق دراسة تشريحية، والتحليل النطقي للصوامت والصوائت، والمقطع والنبر، كما درس السمع والإدراك ووضع صوراً تشريحية لأعضاء السمع.

١٥- . الدكتور داود عبده في كتابه «دراسات في علم أصوات العربية» درس فيه، الصحيح المشدد صحيحان قصيران أم صحيح واحد طويل؟، العلة الطويلة علة واحدة أم علتان متواليتان ؟ كما درس النبر وبين قواعده في العربية الفصحى.

المستشرقون:

وقد كتب المستشرقون في أصوات العربية، وفي علم اللغة العام نذكر منهم.

١- جان كانتينو " دروس في علم أصوات العربية " قسم في كتابه الحروف العربية، والحركات أيضاً، ودرس الجهاز الصوتي، كما درس بعض الصفات الصوتية في الألسن الدارجة.

٢- برجشتراسر " التطور النحوي للغة العربية" درس فيه الصوامت، ومخارج الأصوات، وصفاتها والحركات.

٣- ف. دي سوسير (فصول في علم اللغة العام) درس في الفصل السابع منه الأصوات اللغوية، والجهاز الصوتي، والأصوات في السلسلة الكلامية.

٤- فندريس في كتابه " اللغة " درس في الجزء الأول منه، الأصوات، ترتيب الأصوات التي يحدثها الجهاز البشري، والتغيرات الأساسية التي تقبلها الأصوات، كما درس أيضا، النظام الصوتي وتغيراته، كما أشار الى الكلمة الصوتية والصورة اللفظية، ودرس العوارض التي تنتج في تحقيق الصورة اللفظية.

هذه أهم الكتب وأشهرها التي تعرضت للدراسات الصوتية، حاول فيها مؤلفوها تصنيف الأصوات ووصفها وتفصيل القول فيها.

مصطلحات أعضاء النطق

عرف علماؤنا السابقون أعضاء النطق وأدركوا دورها في تكوين الأصوات ودعوا دارس الأصوات إلى ضرورة معرفة هذه الأعضاء عن طريق دراسة علم التشريح لمعرفة سبب حدوث الصوت ومخارجه ومحابسه. يقول الفخر الرازي (ت٦٠٦ هـ): «فلا شك أنَّ هذه الحروف تتولد عند تقطيع الصوت، وهي مخصوصة في الحلق واللسان والأسنان والشفتين، فيجب البحث عن أحوال تلك المحابس..... وهذه المباحث لا تتم دلالتها إلاّ عند الوقوف على علم التشريح»[١] ويقول أحد المحدثين:" من يقوم بدراسة الأصوات اللغوية عليه أن يكون على معرفة بأعضاء النطق، لأنَّ هذه المعرفة هي الأساس لوصف الأصوات وتصنيفها[٢]

---

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير ١/١١.

(٢) انظر : محمود السعران : علم اللغة ص ١٤٠.

وقد استخدم العلماء في السابق واللاحق مصطلحات كثيرة للتعبير عن آلة الصوت، فذهب عالم التجويد مكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧ هـ) الى استخدام مصطلح (عضو)، ويظهر ذلك في قوله: «ولا يَعْتَمِدُ اللِّسانُ عند خروجها على عضو من أعضاء الفم" [١]، واستخدم القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) وهو من علماء التجويد ايضاً مصطلح (آلة النطق) . قال:" فأما وجوب إظهار النون عند حروف الحلق فلأن حروف الحلق تباعدت عن مخرج النون، وهي محتاجة الى تمكن آلة النطق بها »[٢]، وذهب الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) وهو من علماء العربية الى استخدام مصطلح (آلة الحرف) و (آلة الصوت)[٣]

أمّا المحدثون فبعضهم استخدم مصطلح (الجهاز النطقي)[٤] أو (جهاز النطق)[٥] أو (جهاز التصويت)[٦]، أو (الجهاز الصَوْتي)[٧].

وبعضهم استخدم مصطلح (أعضاء النطق)[٨]، أو (الأعضاء الصوتية)[٩]. وبعضهم استخدم مصطلح (أعضاء الكلام)[١٠]. وكلها مصطلحات تعبّر عن اعضاء النطق.

---

(١) الرعاية ص ١٢٧.

(٢) كتاب القرطبي هو "الموضح" انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند العلماء التجويد ص ٩٤.

(٣) انظر : الاستراباذي : شرح الشافية ٢/ ٢٥١و٢٧٢.

(٤) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٦٧ و أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٧٩.

(٥) كمال بشر : الاصوات ص ٨١.

(٦) جان كانتينو : دروس في علم اصوات العربية ص ١٧.

(٧) محمد الانطاكي : المحيط ١/١١.

(٨) إبراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص ١٦ و محمود السعران : علم اللغة ص ١٤٠ و احمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ٧٩.

(٩) عبد الرحمن ايوب : أصوات اللغة ص ٤٠.

(١٠) محمود السعران: علم اللغة ص ٦٤ و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٧٩.

واعضاء النطق هي...

الرئة، والقصبة الهوائية، والحنجرة، والحلق، والخيشوم، والفم، واللسان، وسقف الفم، والأسنان، والشفتان.

وتتفاوت هذه الأعضاء في الدور الذي تقوم به في عملية التصويت، وقد ذكر علماء العربية منذ الخليل وسيبويه اثناء حديثهم عن مخارج الأصوات معظم مصطلحات أعضاء النطق. [١] دون أن يصفوها أو يخصصوا فصلا مستقلاً لهـا، أو يضعوا رسماً توضيحيا لها.

أمّا علماء التجويد وعلماء الأصوات المحدثون، فقد وصفوا أعضاء النطق، واستعانوا بعلم التشريح في وصفها، وخصصوا فصلا مستقلا لها، واستعانوا بالرسم التوضيحي في دراستها. [٢]

وصف أعضاء النطق:

يحرص دارسو الأصوات من المحدثين على كتابة فصل في صدر أبحاثهم الصوتية لوصف أعضاء النطق، ولذا سأوجز الكلام على أعضاء النطق بالقدر الذي يحتاج إليه هذا البحث، والشرح المفصل مبثوث في كتب اللغة والدراسات الصوتية الحديثة. [٣]

(١) انظر : العين ١/ ٥١ - ٥٢ - ٥٧- ٥٨ و الكتاب ٤ / ٤٣٢ الى ٤٣٦ والمقتضب ١/١٩٢ - ١٩٤ و جمهرة اللغة ٤/١.

(٢) انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١١١-١١٢-١١٣ فقد نقل صوراً توضيحية لأعضاء النطق نقلها عن كتب التجويد، وبخصوص علماء الأصوات انظر : إبراهيم انيس : الأصوات اللغوية ص ١٦، وعبد الرحمن ايوب : الكلام انتاجه وتحليله ص ٢٢ و محمد الأنطاكي: المحيط ١/١١ فقد وضعوا رسوماً توضيحية لاعضاء النطق.

(٣) انظر : ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص ١٦ وما بعدها؛ واحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ٧٩ وما بعدها وعبد الرحمن ايوب : الكلام انتاجه وتحليلة ص ٢٢ وما بعدها.

الرئة:

يقول الدَرْكَزْلي[١] (ت ١٣٢٧ هـ) في وصفها، بأنها " لحم رخو متخلخل كالزبد الى بياض اسفنجي ... خلقت محيطة بالقلب كالفراش للترويح عليه بالهواء المستنشق من القصبة " [٢] ويقول أحمد مختار عمر: " أما الرئة فهي جسم مطاط قابل للتمدد والانكماش، ولكنه لا يستطيع الحركة بذاته، ومن ثم فهو في حاجة إلى محرك يدفعه للتمدد أو الانكماش. وهذا المحرك هو الحجاب الحاجز من ناحية، والقفص الصدري من ناحية أخرى.[٣] وينحصر عمل الرئة في امداد الجهاز الصوتي بالهواء اللازم لاحداث الصوت[٤]، ويقول إخوان الصفا: «واعلم أن الحروف اللفظية إنما هي تحدث في الحلقوم

والحنك، وبين اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة»[٥] لم يختلف أحد من الدارسين في هذا المصطلح.

القصبة الهوائية:

هي قناة غضروفية[٦] تتشعب من الأسفل إلى شعبتين كل شعبة ترتبط برئة، وتنتهي من الأعلى بالحنجرة. وفيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه الى

(١) الدركزلي : هو حسن بن اسماعيل بن عبد الله الدَرْكزْلي الموصلي - انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٣.

(٢) انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٩٧، وكتاب الدركزلي هو " خلاصة العجالة ".

(٣) أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠.

(٤) محمد الانطاكي : المحيط ١٢/١.

(٥) رسائل إخوان الصفا ٣٩٣/١.

(٦) محمد الانطاكي : المحيط ١٢/١.

الحنجرة . وقد كان يظن قديماً أن لا أثر لها في الصوت اللغوي، بل هي مجرد طريق للتنفس، ولكن البحوث الحديثة. برهنت على أنها تستغل في بعض الأحيان كفراغ رنان ذي أثر بين في درجة الصوت، ولا سيما إذا كان الصوت عميقاً[1] وقد اختلف في هذا المصطلح قديما وحديثا، فقد سماها ابن البناء (ت ٤٧١ هـ) " قصبة الحلق"[2] وسماها الدركزلي (ت ١٣٢٧هـ) " قصبة الرئة ".[3] وسماها بعض المحدثين " الرغامي " و " القصبة الهوائية "[4]، كما سماها بعضهم «القصبة الهوائية» .[5] وهذا المصطلح أكثرها شيوعاً، وسماها بعضهم " الفراغ الرنّان".[6]

الحنجرة،

أما الحنجرة فهي عبارة عن صندوق غضروفي متصل بالطرف الأعلى للقصبة الهوائية، وهي تتكون من ثلاثة غضاريف: الاول منها ناقص الاستدارة من خلف وعريض بارز من الامام ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم.

---

(١) إبراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص ١٧.

(٢) انظر: ابن البنّاء: بيان العيوب ص٣٢، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الحادي والثلاثون، الجزء الأول ١٩٨٧م.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية، ص٩٧ (نقلاً عن كتاب خلاصة العجالة للدركزلي و١٣٢) والكتاب مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة المتحف العراقي ببغداد رقم (٢٣٥١٣).

(٤) محمد الانطاكي : المحيط ١/١٢.

(٥) انظر : إبراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص ١٧، ومحمود السعران : علم اللغة ص ١٤٤. واحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠.

(٦) انظر : محي الدين رمضان: في صوتيات العربية ص ٥٨.

والثاني كامل الأستدارة؛ والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من خلف.

ويلتصق بأعلى الغضاريف الوتران الصوتيان اللذان يمتدان أفقياً من خلف الى الأمام، ويلتقيان في داخل ذلك النتوء الذي نسميه تفاحة آدم.[١]

والحنجرة أداة الصوت وآلته الأساسية، لأنها تضم الوترين الصوتيين اللّذين لهما القدرة على انتاج النغمة الصوتية التي تسمى بالجهر. ومصطلح (الحنجرة) لم يكن معروفا عند علمائنا الأوائل ولم يرد في كتبهم أنّها من مخارج الأصوات، أو كونها آلة الصوت وأداته، وذلك على الرغم من إشارتهم إلى ما سموه أقصى الحلق، وهو الجزء الذي تخرج منه الأصوات الحنجرية، كما هو معروف في الدراسات الصوتية الحديثة، وأول من ذكر الحنجرة ودرسها بدقة وتفصيل من الأوائل ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) في رسالته (أسباب حدوث الحروف) وخصص الفصل الثالث (لتشريح الحنجرة واللسان)[٢] وهذا المصطلح صار معروفا منذ عهد ابن سينا لكن علماء العربيـة الذّين جاءوا بعده لم يستخدموه، حتى جاء المحدثون واستخدموا هذا المصطلح في دراساتهم الصوتية.

الوتران الصوتيان:

هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين، يمتدان أُفقيا من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك النتوء الذي نسميه بتفاحة آدم.[٣]

---

(١) انظر : ابراهيم انيس: الاصوات اللغوية ص ١٧.

(٢) انظر: ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٦٤.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٧.

وأما الفراغ الذي بين الوترين فيسمى بالمزمار . وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات، ويترتب على هذا الاختلاف نسبة شد الوترين، واستعدادهما للاهتزاز؛ فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية، فتختلف تبعا لهذا درجة الصوت .[1] وكان علماء العربية وعلماء التجويد قد أحسوا بأثر الوترين في نطق الأصوات وإعطائها صفة الجهر، لكنّهم لم يتمكنوا من وصفهما بشكل محدد لأنهما يقعان في نقطة لا يدركها النظر. وكانوا ينسبون الأصوات التي تخرج من الحنجرة الى الجوف أو الصدر أو أقصى الحلق [2] لأنهم كما ذكرنا لم يكونوا يعرفون الحنجرة ولو عرفوها لنسبوا اليها.

الحلق:

هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم[3] أو هو الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان[4]

ومفهوم (مصطلح الحلق) عند القدماء يختلف عمًا هو عليه عند المحدثين، وأول ما نجد ذلك عند سيبويه (ت.١٨٠ هـ)، فقد ذكر الحلق ضمن مخارج الأصوات، وقسمه الى ثلاثة أقسام." فللحَلْق منها ثلاثةٌ . فأقصاها مخْرَجاً، الهمزةُ والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مُخْرَجُ العين والحاء . وأدناها مُخْرَجا من الفَم: الغين

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٧.

(٢) انظر: العين ١/٥٨ و ٦٤، والكتاب: ٣ /٥٤٨، والمقتضب ١/٢٩٢.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٨، ومحمد الأنطاكي: المحيط ١/١٢.

(٤) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٩٨.

والخـــاء" [١] وصنف ما سماه بالحروف الحلقية على هذه الأقسام كما رأينا، وقد تبعه في هذا التقسيم، والتصنيف علماء العربية الّذين جاءوا بعده.[٢]

أما المحدثون فقد اختلف موضع الحلق عندهم على ما هو عليه عند القدماء، ونستدل عليه، بتقسيم الأصوات - التي تسمى عند القدماء بالحروف الحلقية - على مخارجها عند المحدثين، فنجد أن مخرج الهمزة والهاء. عندهم هو الحنجرة، وهي تقابل ما سماه سيبويه بأقصى الحلق، في حين أن مخرج الغين والخاء هو أقصى الحنك، الذي يقابل أدنى الحلق عند سيبويه، وقصر المحدثون مصطلح «الحلق» على مخرج العين والحاء، وهذا الجزء الذي يقابل ما سمّاه سيبويه بوسط الحق، وعلى هذا نفهم من كلمة "الحلق" عند القدامى. المنطقة المشتملة على أقصى الحنك، والحَنْجرة، والفراغ الذي بينهما، وذلك الفراغ الذي اصطلح على تسميته وحده عند المحدثين بالحلق.[٣]

اللّهاةُ:

هي زائدة متحركة صغيرة متدلية إلى أسفل من الطرف الخلفي للحنك الليـــن.[٤] قال السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ): " واللهاة اللحمة المسترخية بين الفم والحق تكتنفها النغنغة، وهي لحمة في أصل الأذن من داخل "[٥] وقال الدركزلي (ت

(١) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٢.

(٢) انظر: المبرد: المقضب ١/١٩٢، وابن جني: الخصائص ٣/٢٧٥- ٢٧٦ والزمخشري: المفصل وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/٢٤، والأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٥٠، والسكاكي: مفتاح العلوم ص ١١.

(٣) انظر: كمال بشر: الأصوات ص ١٢٣.

(٤) احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٥.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٩٩ (نقلا عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥)، والكتاب مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد رقم ١/٩١٨١).

١٣٢٧ هـ): " اللهاة لحم مستدير رخو، يشكل الصوت ويعدّل الهواء "[١]، وقد قسّم السمرقندي " اللهاة " الى: الغَلْصَمَة والعُكْدَة. عندما قال: «ومن اللهاة حرفان القاف والكاف، فالقاف غلصمية، والغلصمة أول اللّهاة من جانب الحلق. والكاف عكدية، والعكدة آخر اللهاة من جانب الفم».[٢]

وتقسيم اللهاة عند السمرقندي على هذا النحو شيء انفرد به.[٣] ومصطلح "اللهاة" أوّل من استخدمه الخليل بن أحمد إذ قال:" والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة"،[٤] اما سيبويه ومن جاء بعده من علماء العربية فلم يستخدموا هذا المصطلح لتحديد مخرج القاف والكاف قال سيبويه:" ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف . ومن أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مُخْرَجُ الكاف »[٥] وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): " ثم أوُل مخارج الفم ممّا يلي الحلق مخرج القاف. ويتلو ذلك مخرج الكاف».[٦] وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ):" ومما فوق ذلك من أقصى اللسان، مخرج القاف، ومن أسفل من ذلك وأدنى الى مُقَدّم الفم مخرج الكاف ".[٧]

أمّا علماء التجويد فأول من استخدم هذا المصطلح فيما وصل الينا من كتبهم هو مكي بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) قال: «الحروف اللهويّةُ: وهما

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠٠ (نقلا عن كتاب خلاصة العجالة للدركزلي و ١٤٢).

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٩٩ (نقلا عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥)

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٩٩.

(٤) الخليل بن احمد: العين ٥٨/١.

(٥) سيبويه: الكتاب ٤٣٢/٤.

(٦) المبرد: المقتضب ١٩٢/١.

(٧) ابن جني: سر صناعة الاعراب ٥٢/١.

حرفان: "القاف والكاف، سمَّاهما الخليلُ بذلك، لأنَّه نسَبَهمُا الى الموضع الذي يخرجان منه وهو اللَّهاة، واللَّهاة: ما بين الفم والحلق».[1]

ومن جاء بعد مكي من علماء التجويد استخدم مصطلح " اللَّهاة " فهذا ابو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩ هـ) يقول في كتابه التمهيد: " اللّهاة: وهي اللحمة المسترخية كالزّنَمَة في أقصى الحلق »[2] ويقول السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) في كتابه روح المريد: " واللهاة اللحمة المسترخية بين الفم والحلق ».[3]

أمَّا المحدثون فقد استخدموا هذا المصطلح اثناء دراستهم لاعضاء النطق ومخارج الأصوات، فقالوا "اللهاة" و" صوت لهوي».[4]

الغَلْصَمَة:

جاء في لسان العرب في مادة غلصم: " الغلصمة: رأس الحلقوم.. وهو الموضع الناتيء في الحلق »[5] والغلصمة نوع من اللسان واقع فوق الحنجرة بصورة خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع، وأول من استخدم مصطلح " الغلصمة من القدماء السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) في كتابه روح المريد عندما قال: « فالقاف غلصمية، والغلصمة أول اللهاة من جانب الحلق »[6]، وقد رد غانم الحمد

---

(١) الرعاية ص ١٣٩.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٩٩ (نقلا عن كتاب التمهيد للعطار و ١٤٤.)

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٩٩ (نقلا عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥).

(٤) انظر: ابراهيم انيس: الاصوات اللغوية ص ١٨ وص ١٠٨ واحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٩ وكمال بشر: الاصوات ص ٦٧ ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٤٤ ومحمد الانطاكي: المحيط ١٣/١ وبرتيل مالبرج: علم الاصوات ص ٥٤ وجان كانتينو: دروس في علم اصوات العربية ص ١٨ وقسطندي شوملي: مدخل الى علم اللغة الحديث ص ٥٧.

(٥) اللسان ٣٣٧/١٥.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٩٩ (نقلا عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥).

قول السمرقندي في وصف القاف بأنها " غلصمية " باعتبار أن " الغلصمة " تدل على شيء يقع في اصل اللسان، وهو لسان المزمار، وليس على أول اللهاة من جهة الحلق، كما ذهب السمرقندي.(١) اما المحدثون فبعضهم استخدم مصطلح «الغلصمة"(٢) وبعضهم الاخر مصطلح «لسان المزمار"(٣) بدل مصطلح «الغلصمة " واستخدم آخرون مصطلح «طبق رأس القصبة".(٤)

الحنك:

وهو العضوالذي يتصل به اللسان في اوضاعه المختلفة.

ويشار إليه أحيانا بالأسماء التالية: الحنك الأعلى. او سقف الحنك، أو سقف الفم. وهذا العضو يتصل به اللسان في أوضاع مختلفة، ومع كل وضع من هذه الاوضاع بالنسبة لأي جزء منه تخرج أصوات مختلفة.

ويقسم الحنك عادة في الدراسات الصوتية إلى ثلاثة أقسام هي:

١- مقدم الحنك أو اللثة.

٢- وسط الحنك أو الحنك الصلب.

٣- أقصى الحنك أو الحنك اللين.(٥)

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٢) برتيل مالبرج: علم الاصوات ص ٥٥.

(٣) انظر: ابراهيم انيس: الاصوات اللغوية ص ١٧، وكمال بشر: الاصوات ص ٦٧.

(٤) انظر: جان كانتينو: دروس في علم اصوات العربية ص ١٧.

(٥) انظر: كمال بشر: الأصوات، ص٦٩.

فمقدم الحنك «هو ذلك القسم من سقف الحنك الواقع خلف الأسنان العليا مباشرة وهو محدّب ومحزز. أمّا الحد الفاصل بين اللثة وبين ما يليها من الحنك الصلب فهو ذلك الموضع من سقف الحنك الذي ينتهي فيه التحدّب ويبدأ التقعر. واللثة من أعضاء النطق الثابتة.

أما بقية الحنك فهو يقسم إلى وسط الحنك أو الحنك الصلب وأقصى الحنك أو الحنك اللين.[1] وفي نهاية القسم الثالث من الحنك تقع اللهاة[2] وكان علماء العربية قد استخدموا مصطلح " الحنك " منذ سيبويه قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مُخْرَجُ الجيم والشين والياء»[3] وقال ابو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «ثم من طرف اللسان وأصول الثنايا مُصْعداً الى الحنك مخرج الطاء، والتاء، والدال»[4] وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ):«ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الاعلى، مخرج الجيم والشين والياء»[5] وقال ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ): «وللجيم والشين والياء وسط اللسان وما يحاذيه من وسط الحنك»[6] أمّا الخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ) فقد سمى «الحنك الأعلى» «نطع الغار الأعلى» وسمى الأصوات التي تخرج منه (الطاء، والتّاء، والدّال الحروف النطعية)[7] وقد اتّبع علماء التجويد الخليل في استخدام هذا المصطلح

---

(١) أنظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٢ - ١٤٣ وكمال بشر: الاصوات ص ٧٠

(٢) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٢٩٧.

(٣) الكتاب ٤٣٢/٤.

(٤) المبرد: المقتضب: ١٩٢/١.

(٥) ابن جني: سر صناعة الاعراب /٥٢.

(٦) ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٤/١٠.

(٧) انظر: العين ٥٨/١.

ووضحوه، قال مكي (ت ٤٣٧ هـ): «نطع الغار الاعلى، وهو سقفه»،[1] وقال السمرقندي (ت.٧٨ هـ): «نطع الفم، وهو الغار الاعلى، أي سقف الفم»[2] وهذه المصطلحات لا خلاف بينها في تحديد الحنك إلا ما ذهب إليه بعض المحدثين

من أن الحنك الأعلى يشمل: اللثة، والجزء الصلب من سقف الفم، ثم الجزء اللين بما في ذلك اللهاة [3]، ولكن بعض علماء التجويد نصّ على أن اللثة ليست من الحنك. قال أبو الفتوح الوفاتي (ت ١٠٢٠ هـ) في كتابه الجواهر المضية " اللثّة ليست من الحنك الأعلى، بل أسفل منه حول الأسنان"[4] وقال مكي بن أبي طالب في تحديد اللثة: «واللثةُ: اللحم المركبُ فيه الأسنان»[5] وقال السمرقندي في كتابة روح المريد: «اللثة: اللّحم الذي فيه منبت الأسنان».[6]

أمّا بعض المحدثين فيقسّمون الحنك الأعلى أقساماً أخرى، ويطلقون على كل قسم مصطلحاً معينا، بدلا من تقسيمه إلى مقدم الحنك، ووسطه، وأقصاه، ويسمون الجزء الصلب الذي يلي اللثة بإسم «الغار» ويسمون الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم باسم «الطبق»[7] هذا الاختلاف يبين لنا أن المحدثين لم يتفقوا على مصطلح معين للتعبير عن هذا العضو. وهذا لا يغضُّ من قيمة الدراسة الحديثة.

---

(١) الرعاية ص ١٤٠.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠٠ (نقلا عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥).

(٣) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٢ - ١٤٣ وكمال بشر: الأصوات ص.٧، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٤.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠١ (نقلا عن كتاب الجواهر المضية للوفائي و ٢١) وكتاب الوفائي مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد رقمها (٢/٢٤٠٢).

(٥) الرعاية ص ١٤٠.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠١ (نقلا عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥).

(٧) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١١١.

اللسان:

وهو قطعة عضلية شديدة المرونة، وقد عرّفه الدركزلي (ت ١٣٢٧ هـ) في كتابه خلاصة العجالة بأنه: «اللحم المتخلخل بين بياض وحمرة حال الصحة». وقال ايضا: «وهو مؤلف من لحم رخو أبيض وأوردة وشريانات صغار وأعصاب كثيرة».[١]

ويعد اللسان أهمّ عضو في أعضاء النطق كلها، فبأوضاعه المختلفة التي يتخذها أثناء التكلم تتباين الأصوات اللغوية وتتمايز. وقد قسمه علماء العربية إلى أربعة أقسام هي:[٢] اقصاه، ووسطه، وطرفه، وحافته.

وقد اتبَّع علماءُ التجويد علماءَ العربية في هذا التقسيم، قال الداني (ت ٤٤٤هـ) في كتابه « الإدغام الكبير »: " اعلم أنّ حروف اللسان ثمانية عشر حرفا، ولها عشرة مخارج، وينقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وحافته" [٣] كما أن ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) في كتابه النشر قد ذكر هذا التقسيم.[٤]

ويقسّم المحدثون من علماء الأصوات اللسان إلى ثلاثة أقسام، هي أقصاه، ووسطه، وطرفه، ولم يضيفوا (حافة اللسان) إلى تقسيمهم بل يجعلون نهاية اللسان أو ذلقه داخلاً في طرفه.[٥]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠١ (نقلا عن كتاب خلاصة العجالة للدركزلي و ١٣٤ – ١٣٥) وخلاصة العجالة مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة المتحف ببغداد رقم (٢٣٥١٣).

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤ / ٤٣٣، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/ ٥٢-٥٣ وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٣/١٠-١٢٤.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠١ (نقلا عن كتاب الادغام الكبير للداني و ١١) وكتاب الادغام الكبير مخطوط توجد نسخة منه مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (فهرس المخطوطات المصورة ٦/١).

(٤) انظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٢٢٠ – ٢٠١.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٨ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٧، وكمال بشر: الأصوات ص ٦٩.

وقد يستخدم مصطلح «الفم» ويراد به «اللسان» قال ابو شامه (ت ٦٦٥هـ) في كتابه «ابراز المعاني» «باب مخارج الحروف»: «ان مخارج الحروف ستة عشر مخرجا. وهي دائرة على ثلاثة: الحلق والفم والشفة، ويقال: الحلق واللسان والشفتان، والمعنى واحد»[1] إذن لاخلاف بين القدماء والمحدثين في هذا المصطلح.

الخياشيم:

مفردها «خيشوم» وهو العضو الذي يندفع خلاله النفس اثناء انغلاق طريق الفم. وقد عرّفه الداني (ت ٤٤٤ هـ) في كتابه «التحديد» بقوله: «والخيشوم الخرق المنجذب الى داخل الفم».[2]

وأول من استخدم مصطلح «الخياشيم» من علماء العربية سيبويه قال: «ومن الخياشيم مُخْرَجُ النون الخفيفة»[3] وتبعه المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه "المقتضب "[4] وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه «سر صناعة الاعراب»[5] وابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) في شرح المفصل.[6]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٠٢ - ١٠٣ (نقلا عن كتاب ابراز المعاني لابي شامه و ٣) والكتاب مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الاوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٧).

(٢) التحديد، ص١١١.

(٣) سيبويه: الكتاب ٤٣٤/٤ وانظر ٤٥٢/٤و٤٥٦.

(٤) انظر: المبرد: المقتضب ١٩٤/١ و ١٩٦.

(٥) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ٥٢/١.

(٦) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٥/١٠.

وتابع علماء التجويد سيبويه في استخدام مصطلح " الخياشيم " قال مكي (ت ٤٣٧هـ): " حرفا الغنَّة: وهما: النُّون والميمُ الساكنتان، سُمِّيتَا بذلك، لأنَّ فيهما غُنَّةً تخرجُ من الخياشيم عند النُّطْقِ بهما "[١] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): "المخرج السابع عشر الخيشوم، وهو للغنة "[٢] أمَّا المحدثون فقد استخدم عدد منهم مصطلح " الفراغ الانفي"[٣]، واستخدم آخرون مصطلح "التجويف الأنفي".[٤]

الأسنان:

وهي قسمان: علوية، وسفلية.

وقد اشار علماء العربية الى الأسنان وبينوا دورها البارز في انتاج عدد من الأصوات، وكان سيبويه قد ذكر أقسامها دون أن يعددها، فذكر منها الاضراس، والثَّنايا، والضاحك، والناب، والرباعية[٥] وأول من احصى الاسنان ممن درسوا الأصوات قديما. هو الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) عندما قال: " اعلم ان الاسنان اثنتان وثلاثون سناً: ست عشرة في الفك الاعلى، ومثلها في الفك الاسفل؛ فمنها الثنايا؛ وهي أربع من قُدَّام اثنتان من فوق، ومثلهما من اسفل، ثم الرَّبَاعِيَات، وهي اربع ايضا: رباعيتان من فوق يمنة ويسرة، ومثلهما من

---

(١) الرعاية: ص ١٣١.

(٢) النشر ٢٠١/١.

(٣) انظر: ابراهيم انيس: الاصوات اللغوية ص ١٨، وقسطندي شوملي: مدخل الى علم اللغة الحديث ص ٥٦، ومحمد الانطاكي: المحيط ١٣/١، وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية ص ٢٩٧.

(٤) انظر: كمال بشر: الاصوات ص ٧١، وبريتل مالمبرج: علم الاصوات ص ٥٦.

(٥) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٢/٤ سقط في الطباعة ذكر الضاحك والناب والرباعية. انظر: طبعة بولاق ٤٠٥/٢).

أسفل، وخلفهما الأنياب الأربع: نابان من فوق، يمنة ويسرة، ومثلهما من أسفل، وخلف الانياب الضواحك، وهي أربع: ضاحكتان من فوق يمنة ويسرة، ومثلهما من أسفل، وخلف الضواحك الاضراس، وهي ست عشرة: ثمان من فوق: أربع يمنة وأربع يسرة، ومثلها من أسفل.

ومن الناس من ينبت له خلف الاضراس النواجذُ، وهي أربع من كل جانب: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل؛ فيصير ستاً وثلاثين سنا"[١] ومن جاء بعد الاستراباذي سلك مسلكه في ذكر انواع الأسنان وأعدادها.[٢]

أما علماء الأصوات المحدثون فمنهم من أشار اليها إشارة عامة،[٣] ومنهم من فصَّل فيها القول تفصيلاً.[٤]

الشفتان:

وهما عضلتان مستديرتان ينتهي بهما الفم.

---

(١) الأستراباذي: شرح الشافية ٢٥٢/٣.

(٢) انظر: خالد الازهري: الحواشي الأزهرية ص ٩، وانظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٠٥ حيث ذكر غانم الحمد عدد من العلماء وكتبهم التي ذكروا فيها عدد الاسنان وانواعها.

(٣) انظر: ابراهيم انيس: الاصوات اللغوية ص ١٧، واحمد مختار: دراسة الصوات اللغوي ص ٨٨، ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٤٩ - ١٥٠، وكمال بشر: الأصوات ص ٧١.

(٤) انظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٨٢.

ولم يختلف أحد من العلماء قديما وحديثا في هذا المصطلح[١] واكتفى العلماء، ببيان دور الشفتين في انتاج الأصوات اللغوية[٢] فهما تنفرجان حينا وتستديران أو تنطبقان حينا آخر، وهذا التغير يؤثر في نوع الأصوات وصفاتها.[٣]

أعضاء النطق عند القدماء:

وأعضاء النطق عند سيبويه على ما جاء في كتابه[٤] هي: - الحلق، واللسان، والحنك الاعلى، والخياشيم، والشفتان، والاسنان.[٥]

أعضاء النطق عند المحدثين:[٦]

هي: الرئتان، والقصبة الهوائية، والحنجرة والوتران، والحلق، واللسان (طرفه، وسطه، مؤخره)، والحنك الأعلى (مقدمه، وسطه، أقصاه) واللهاة، والفراغ

---

(١) انظر: الخليل: العين ٥٨/١، وسيبويه: الكتاب ٤٣٣/٤، والمبرد: المقتضب ١٩٤/١، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٤/١٠، ومكي: الرعاية ص ١٤١ - ١٤٢، وابن الطّحان: مخارج الحروف وصفاتها ص ٧٩ و ٨٣ وابن الجزري: النشر ٢٠١/١، وابراهيم انيس: الاصوات اللغوية ص ١٧، وكمال بشر: الاصوات ٦٧ - ٧١، ومحمد الانطاكي: المحيط ١٣/١، وقسطندي شوملي: مدخل الى علم اللغة الحديث ص ٥٥.

(٢) انظر: المصادر والمراجع السابقة، وانظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٩.

(٣) انظر: كمال بشر: الاصوات ص ٧١

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٣/٤ - ٤٣٤.

(٥) اعتمدت على كتاب سيبويه في ذكر اعضاء النطق، ولم اعتمد على كتاب العين، للشكوك من قبل الدارسين القدماء حول نسبة الكتاب للخليل بن احمد، ولأن أعضاء النطق الواردة عند سيبويه هي نفسها وردت عن مَن تلاه من الدارسين.

(٦) ابراهيم انيس: " الأصوات اللغوية ص ١٦ - ١٩ وكمال بشر: الاصوات: ص ٦٧، ومحمد الانطاكي: المحيط ١٢/١-١٣.

الأنفي، والأسنان، والشفتان، تلك هي أعضاء النطق التي يشار إليها دائماً في دراسة الأصوات وعملية النطق. وكلام العلماء القدامى من دارسي الأصوات في وصف اعضاء النطق صحيح وتام بالنسبة لأكثر الاعضاء، وكانت " الحنجرة" هي العضو الوحيد الذي لم يتمكن العلماء من وصفه وصفاً كاملا، لأنها لا تقع تحت النظر. الى ان جاء ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) فوضع شرحاً كاملا للحنجرة في كتابه: (اسباب حدوث الحروف) في الفصل الثالث.(١)

أمّا دارسوا الأصوات من المحدثين فقد درسوا اعضاء النطق دراسة تشريحية مفصلة، وانتهوا الى تحديدها، وبيان الأصوات التي يصدرها الانسان عن طريق هذه الاعضاء، والمواضع التي تبدأبها تلك الأصوات، أو تحتك، أو تحصر عندها.

وقد استفاد المحدثون في ذلك من أجهزة الصوت الحديثة الحساسة الدقيقة، ومن علم تشريح الأعضاء، مما لم يكن ميسراً لعلمائنا القدامى.

على دارسي الأصوات ان يستعينوا بعلماء التشريح في وصف أعضاء النطق، حتى تكون دراستهم في هذا الموضوع دراسة صحيحة، وان يضعوا بعض الرسوم التوضيحية لأعضاء النطق، أو لبيان الحالة التي تتخذها تلك الاعضاء عند نطق صوت معين.

---

(١) ابن سينا: أسباب حدوث الحرروف ص٦٤.

الصوت اللغوي:

هوعبارة عن «تموجات هوائية مصدرها في الغالب الحنجرة تشكلها أعضاء الصوت». [1] أو هو الأثر السمعي الحاصل من احتكاك الهواء بنقطة ما من نقاط أعضاء النطق عندما يحدث في هذه النقطة انسداد كامل او ناقص ليمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية المرور. يقول أ. شادة: " إن الأصوات اللغوية هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النّفس الخارج من الرئة يعرض له في الحنجرة أو في الفم أو بين الشفتين عارض يضيق طريقه أو يقطعه.

فلا يحدث صوت الا بعاملين، احدهما النّفس، وثانيهما العارض"[2] وقال جان كانتينو معلقاً على حدوث الصوت: " فهناك اذن في عملية التصويت عنصران لازمان وكافيان لاحداث الأصوات أو لاحداث اي دويّ آخر وهما:

١- إخراج النّفس من الرئتين.

٢- تفصيل النطق في الفم.

ومن المفروغ منه أن المدوّي الفموي يمكن أن تتغير هيئته وحجمه حسب إرادة الناطق. وهناك عنصران آخران قد يضافان إلى العنصرين الأولين أولا يضافان اليهما وهما:

١- نزيز الأوتار الصوتية.

٢- الغنّة الخيشومية (التي تحدث إذا تنزّل غشاء الحنك وتنعدم إذا ارتفع).

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ١٠ (١٩٥٨) ص ٢٥٥.

(٢) انظر: جون كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، ص١٩-٢٠.

وقد عَرَف علماء العربية القدماء[1] عملية الصوت اللغوي، فعرفوا "النَّفس" ودرسوا دراسة تفصيلية "النطق الفموي" بجميع صفاته. كما وصفوه وصفاً دقيقاً جداً.

ولم يغب عنهم دور "المدوّي الخيشومي" في إحداث بعض الأصوات.[2]

هذه اشارة كافية لأعضاء النطق، وطريقة إحداث الصوت اللغوي.

أصوات العربية

لقد درس علماء العربية القدماء أصوات العربية فصنّفوها الى:

١- حروف (صوامت).

٢- وحركات (صوائت).

وقسموا الحروف (الصوامت) الى أصول وفروع.[3] وعدّدوا الأصول وبيّنوا الفروع.

فعدد الأصول عند الخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ) تسعة وعشرون صوتاً، وقد رتبّها حسب مخارجها من الحلق حتى الشفتين، وهي: - " ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة ".[4]

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٤/٤، وابن جني: سر صناعة الاعراب ٦/١، والاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٩/٣، وبخصوص علماء التجويد: انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٢٠ -١٢١.

(٢) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص ١٩ - ٢٠.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣١/٤، والمبرد: المقتضب ١٩٢/١ - ١٩٤، وابن جني: سر صناعة الاعراب ٤٦/١ - ٥١، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ١٢٥ - ١٢٨. وابن عصفور: الممتع ٦٦٣/٢.

(٤) الخليل: العين ٤٨/١.

وعددها عند سيبويه (ت ١٨٠ هـ) تسعة وعشرون أيضاً. قال: " فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو.

وتكون خمسةً وثلاثين حرفاً بحروف هنَّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي:

النون الخفيفة.

والهمزة التي بَيْنَ بَيْن.

والألف التي تمال إمالة شديدة.

والشين التي كالجيم.

والصاد التي كالزاي.

وألف التفخيم، يعني بلغة اهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة.

وتكون اثنين واربعين حرفاً[1] بحروف غيرمستحسنه ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي:

الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف.[2]

والجيم التي كالشين.

---

(١) وجعلها ابن جني (ثلاثة واربعين حرفاً) انظر سر صناعة الاعراب ١/٥١ وتبعه ابن عصفور انظر الممتع ٢/٦٦٥.

(٢) عدّ سيبويه هذا حرفاً واحداً، وعدّ ابن جني ومن تبعه ذلك حرفين.

والضاد الضعيفة.

والصاد التي كالسين.

والطاء التي كالتاء.

والظاء التي كالثاء

والباء التي كالفاء.

وهذه الحروف التي تممتها اثنين واربعين جيّدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لاتتبين إلا بالمشافهة..."[1] وقد اقتفى معظم دارسي الأصوات العربية من المتقدمين خطى سيبويه في هذا التقسيم[2] ويتفق الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جني في عدد الأصوات الأصول، إلا أنهم يخالف بعضهم الآخر في الترتيب، فابن جني يخالف الخليل في ترتيب كثير منها، ويخالف سيبويه في ترتيب أصوات: القاف، والكاف والجيم، والضاد، رغم أنه يقول باتفاقه مع سيبويه في هذا الترتيب: "فهذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح. فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفا، مما رتبه سيبويه وتلاه اصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته".[3]

ويزعم ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) أنّ ابا العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) أخرج (الهمزة) من جملة الأصوات الاصول، واحتجاجه في ذلك - اي المبرد - بأنها لا تثبت صورتها.[4]

---

(١) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣١ - ٤٣٢.

(٢) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥١، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٥-١٢٦، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٦٥.

(٣) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/ ٥٠ - ٥١.

(٤) المصدر السابق ١/٤٨.

يبدو أنّ ابن جنى قد التبس عليه كلام المبرد فتوهم أنه أخرج الهمزة من جملة الأصوات الأصول، وتبعه عدد من اللغويين العرب القدامى فادّعَوا أنّ عدد الحروف عند المبرد ثمانية وعشرون، وأنه اخرج الهمزة من جملة الأصوات الأصول لأنها " لا تثبت على صورة واحدة "[1] ويشايعهم في هذا الرأي من اللغويين المعاصرين خليل العطية.[2]

هذا توهم، فالمبرد لم يخرج الهمزة من الأصوات الاصول. فقد قال: " اعلم إنّ الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا منها ثمانية وعشرون لها صور"[3] عبارة المبّرد لا تعنى أكثر من أنّ الهمزة لا صورة ثابتة لها في الخط. هذا دليل، والدليل الآخر على عدم إخراجه للهمزة قوله: " فمنها - أي الحروف - للحلق ثلاثة مخارج: فمن اقصى الحلق مخرج الهمزة وهي ابعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهـــــاء... " [4] ويَعُد الهمزة من الأصوات الشديدة بقوله: " والشديدة نحو ذلك الهمزة، والقاف..."[5] تبيّن لنا -مما سبق ذكره - أنّ عدد أصوات اللغة العربية الاصول عند اللغويين القدماء، ومنهم المبرد، تسعة وعشرون صوتاً. وأنهم ذكروا للألف اسمين ورمزين:

- الألف الممدودة، في مثل قالَ.
- والألف الصامتة (أي الهمزة) في مثل سَأَلَ.

---

(١) انظر: ابن عصفور: الممتع ٢/٦٦٣، والسيوطي: همع الهوامع ٢/٢٢٧.

(٢) انظر: خليل العطية: في البحث الصوتي عند العرب ص ٣١.

(٣) المبرد: المقتضب ١/١٩٢.

(٤) المصدر السابق ١/١٩٢.

(٥) المصدر السابق ١/١٩٥.

ولم يذكروا للواو والياء إلا رمزاً واحداً واسماً واحداً، وهو المدواللين أو اللين فقط.

أمّا علماء التجويد فكانوا يقولون إن عدد أصوات العربية الأصول واحد وثلاثون صوتاً، ويتمثل ذلك بحديثهم عن الطبيعة المزدوجة لكل من " الواو والياء " حين يكونان صوتي " مد " مرة، وحين يكونان صوتي " لين" مرة أخرى، يقول عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح)[١] : «الواو والياء تكون تارة من حروف المد واللين بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيّز، مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة الحروف الجوامد»[٢] وقال محمد المرعشي، (ت ١١٥٠ هـ) في كتابه (بيان جهد المقل): [٣] «ولو جعلوا الواو والياء المديين غير الواو والياء الخاليين من المد كما هو مقتضى قياس الألف المدية غير الهمزة، تصير الحروف الأصلية واحداً وثلاثين». [٤] يبدو لنا من هذا القول أن علماء التجويد اعتمدوا في حديثهم عن عدد أصوات العربية الأصول على الصوت المنطوق لا الرمز المكتوب.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فيرون ان (الالف، والواو، والياء) اصوات صائتة، فهي تدخل ضمن النظام الحركي للاصوات اللغوية، وأنّ

---

(١) الموضح في التجويد مخطوط/ توجد منه نسخة في مكتبة الاوقاف في الموصل/ العراق (الرقم ٢/٢٢) ويقوم بتحقيقة حاليا غانم الحمد / بالعراق.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٧١ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٤).

(٣) بيان جهد المقل مخطوط / توجد منه نسخة في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٨/٥) وطبع في الاستانة سنة ١٢٨٨ هـ

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٧١ (نقلاعن كتاب بيان جهد المقل للمرعشي و ٦).

(الواو والياء) إذا تحركتا مثل: (وَجد، يَجد) او وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة مثل: (قَول، بَيع) تُعدان من الأصوات الصامتة، أو شبه الصائتة (Semi Vowels) أو انصاف الحركات.[١]

وعلى هذا الاساس فالأصوات الصامتة في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة (أي كما ينطقها مجيدو القراءات القرآنية في الوقت الحاضر، او المتقنون لاصوات اللغة العربية) ثمانية وعشرون صوتاً، وهي: الهمزة (همزة القطع)، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، المتحركة بأية حركة مثل (وُعد) والساكنة المفتوح ما قبلها مثل (قَوْم)، والياء المتحركة مثل (يَقوم، يُسافر) والساكنة المفتوح ما قبلها، مثل (بَيْت).[٢]

ويوضح كمال بشر، اعتبار اللغويين الواو والياء (غير المدِّيتيَّن) من الأصوات الصامتة، قائلاً: " الواو والياء في اللغة العربية من الأصوات الصامتة في سياقين صوتيين معيَّنين هما:

١- إذا أُتبِعت الواو والياء بحركة من أي نوع (مثل وعَد، الفتحة تبعت الواو).

٢- إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة (مثل قَوْم، بَيت).

ولكن يجب ألاّ ننسى انهما في هاتين الحالتين لهما شبه نطقي بالحركات، كما ان لهما شبها وظيفيا بالأصوات الصامتة من جهة اخرى. ولهذا يطلق عليهما

---

(١) انظر: فندريس: اللغة ص ٥١، وكمال بشر: الاصوات ص ٨٦.

(٢) انظر: تمام حسان: اللغة العربية، معناها ومبناها ص ٦٨ - ٧٢، وكمال بشر: الاصوات ص ٨٣ ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٥٠.

العلماء في هاتين الحالتين " انصاف الحركات (Semi Vowels) وليس هناك ابداً ما يمنع من تسميتهما انصاف صوامت"[١]، وسماهما آخرون (انصاف العلل)[٢]، وسماهما الانطاكي (شبه طليقة)[٣] فعندما تحدث عن الياء وضّح خصائصها الصوتية ومخرجها، فاللسان معها اكثر ارتفاعا منه مع الصائتة، وهذا الارتفاع الزائد يضيّق الفرجة في الفم ويؤدي الى احتكاك الهواء، وحدوث حفيف خفيف يجعل هذه الياء تسلك في زمرة الحبيسات لا الطليقات، ويضيف الانطاكي ان النحاة ميّزوا بين الياء الطليقة وشبه الطليقة، فَسَمّوْا الطليقة حرف مد، وضابطها أن تكون ساكنة مسبوقة بكسرة كما في (عِيْد) بكسر العين، وسمّوْا الشبيهة بالطليقة حرف لين مرة مثل (بَيْت) وحرف علة اخرى مثل (يَعِد).[٤]

وعندما تحدث عن الواو بيّن الفرق بينها وبين الصائتة (اي بين الواو التي هي ضمة طويلة وبين الواو التي هي شبه طليق تُعد في الصوامت). وذلك عندما قال: "إن الفرجة التي بين الشفتين أوسع مع الأولى منها مع الثانية، وهذا ما جعل الثانية تسلك في الحبيسات، لأن ضيق الفرجة يؤدي الى احتكاك الهواء بباطن الشفتين فينتج عنه الحفيف الذي هو الحد الفاصل بين الحبيسات والطليقات. وقد ميز النحاة بين نوعي الواو، فسموا الطليقة منهاحرف مد، وضابطها عندهم ان تكون ساكنة بعد ضمة كما في " دُوْر" بضم الدال، وسموا الشبيهة بالطليق حرف لين مرة، وذلك اذا كانت ساكنة لم تسبق بضم مثل " لَوْ" بفتح اللام، وحرف علة مرة أخرى، وذلك اذا تحركت كما في " وَجَد" بفتح الواو ".[١]

---

(١) كمال بشر: الاصوات ص ٨٥ – ٨٦.

(٢) انظر: احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٨٣.

(٣) انظر: محمد الانطاكي: المحيط ١/٣٦ (الحاشية).

(٤) انظر: محمد الانطاكي: المحيط ١/٣٧ (الحاشية).

ويرى بعض المحدثين أن عدد أصوات العربية الأصول واحدٌ وثلاثون صوتاً بإضافة أصوات العلة (الألف والواو والياء) إلى الأصوات الصحيحة، لأن أصوات العلة لكل منها كميتان إحداهما قصيرة أو حركة، والثانية طويلة أولين.[1]

والصوت الصامت - كما يرى المحدثون - هو « الصوت المجهور أو المهموس، الذي يحدث في أثناء النطق به اعتراضٌ أو عائقٌ في مجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كاملا، أو كان الاعتراض اعتراضاً جزئياً، من شأنه أنْ يسمح بمرور الهواء، ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع ».[2]

والصوت الصائت: هو «الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرّاً طليقاً خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ».[3]

وقد ميّز القدماء منذ الخليل بن أحمد بين نوعين من الأصوات، يقول الخليل: «في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة » [4]وتمييز الخليل بن أحمد في نصه هذا بين نوعين من الأصوات، دليل على ادراكه خصائص كل نوع منها.

وتابعه في التمييز الكند ي (ت بعد ٢٥٦ هـ) لكنّه اطلق مصطلح (الخرس) بدل مصطلح الأصوات الصحاح، ومصطلح (مُصوتة) بدل مصطلح الجوف

---

(١) انظر تمام حسان: مناهج البحث ص١١٦.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٤٨، وكمال بشر: الأصوات ص٧٤.

(٣) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٤٨، وكمال بشر: الأصوات ص٧٤.

(٤) الخليل: العين ١/٥٧.

والمُصـوتة عنده هي (الالف والواو والياء)[1] أي اصوات المد واللين أو الحركات. قال: "... فلذلك توجد بعض الحروف الخرس - أعني التي ليست بمصوتة - في اللسان العربيّ اكثر من بعض المصوتة".[2]

وكذلك ميّز ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) بين النوعين من الأصوات واستخدم مصطلح (الصامتة) للحروف، ومصطلح (المصوتة) للحركات وذلك عندما قال: «وأمّا الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يُمانِعَهُ في انضِغاطِهِ سطح الشفةِ».

وأمّا الياء الصامتة فإنّها تحدث حيث تحدث السين والزاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يُحدث صفيَراً.

وأمّا الألف المصوتة واختها الفتحة فاظنُّ أن مخرجهما مع إطلاق الهواءِ سلساً غير مزاحم.

وأمّا الواو المصوِّتةُ وأختها الضمة فأظنُّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق.

وأمّا الياء المصوِّتة وأختها الكسرة فأظنُّ أنّ مخرجهما مع اطلاق الهواء مع ادنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل ".[3]

في هذا النص ميز ابن سينا بين صوتي الواو والياء، المديتين، وأشار إلى الخصائص، الاساسية للاصوات الصامتة والصائتة، فالأصوات الصامتة لها مخرج محدد وتنتج عن (ضغط وحفز للهواء)، والأصوات الصائتة لا مخرج محدداً

(١) انظر: علم التعمية واستخراج المُعمّى عند العرب ص٢١٥.

(٢) علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب ص٢٣٧.

(٣) ابن سينا: رسالة اسباب حدوث الحروف ص ٨٣ - ٨٤.

لها، ولا تحدث نتيجة ضغط وحفز كما أن الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) قسم الأصوات الى مصوتة وصوامت.(١)

كما أن القدماء قسموا الأصوات الأصول الى:

- صحيح
- ومعتل

يقول ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : " وللحروف قسمة اخرى الى الصحة والاعتلال، فجميع الحروف صحيح، إلا الالف والواو والياء، اللواتي هن حروف المد والاستطالة" (٢) ويَعُد الخليل بن احمد في أحد اقواله الهمزة من حروف العلة يقول: "والعويص في الحروف المعتلة، وهي أربعة: الهمزة والالف اللينة والياء والواو.."(٣)

ولم يقتصر اعتبار الهمزة صوتُ علة على الخليل بن احمد، فمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) عدّ الهمزة من أصوات العلة.(٤)

ويعلل الميداني عدّ الهمزة من حروف الاعتلال لانها تلين فتلحق بحروف العلة نحو سال وقرا في تخفيف سأل وقرأ.(٥)

---

(١) انظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير ١/٢٩-٣٠.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٧١.

(٣) الازهري: تهذيب اللغة ١/٥١.

(٤) انظر: مكي: الرعاية ص ١٢٨.

(٥) انظر: الميداني: نزهة الطرف ص ١٢.

الأصوات الفرعية:

لا تدرك الا بالمشافهة، لانها لا صورة لها في الكتابة. والصوت الفرعي: هو الصوت الأصلي الذي تتغيّر صفة من صفاته الصوتية او ينتقل مخرجه الى مخرج صوت مجاور له. وذلك التغير ناتج عن واحد من ثلاثة اسباب:

١- المجاورة، مثل الصاد التي كالزاي في نحو (مَصْدر) والشين التي كالجيم في نحو (أشْدَق) فقد لحق الجهر كُلاً من الصاد والشين المهموستين لمجاورة الدال المجهورة.

٢- لغات القبائل، مثل همزة بين بين، والف الامالة، وألِف التفخيم.

٣- اللكنة الاعجمية، مثل الطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء.[١]

وقد نصّ سيبويه على أنّ هذه الأصوات لا صورة لها في الكتابة وانها لا تتبين الا بالمشافهة.[٢]

وقد أدرك علماء التجويد حقيقة الأصوات الفرعية، فقال المرادي (ت ٧٤٩ هـ)[٣] "المراد بالفروع حروف ترددت بين مخرجين، وتولدت من حرفين "[٤] وقال المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) [٥]: "ووجهه تفرع هذه الحروف أنها متولدة من امتزاج الحرفين الاصليين ".[٦]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٧٢.

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٢/٤.

(٣) المرادي: كتابه المفيد، مخطوط - توجد منه نسخة في الخزانة التيمورية رقم (٤٦٢).

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٧٢ (نقلا عن كتاب المفيد للمرادي و ١٠١).

(٥) المرعشي: كتابه جهد المقل مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة المتحف ببغداد برقم (١١٠٦٨) طبع طبعة قديمة في الاستانة سنة ١٢٨٨هـ.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٧٢ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و٥).

وكان سيبويه قد عد من الحروف المستحسنة ستة، ومن الأصوات غير المستحسنة سبعة باعتبار الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف صوتاً واحداً، فتكون عدّة الأصوات العربية أصيّلها وفرعيّها، جيدها ورديئها اثنين وأربعين صوتاً.

ولما كان الأساس الذي استند اليه سيبويه في بيان عدد الأصوات العربية هو السماع من قرّاء القرآن والعرب، فمن المتوقع اذن ان يروي غيره أصواتاً أخرى، إما لأنه لم يسمعها أو أنه عدّها صوتاً واحدا، وعدّها غيره أكثر من صوت. ولذا نرى عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) قد زاد عدد أصوات العربية الى اثنين وخمسين صوتاً، في كتابه "الموضح في التجويد"[١] اي بزيادة عشرة أصوات على ما ذكره سيبويه، والأصوات الفرعية التي زادها القرطبي هي:

"اللام المفخمة التي هي فرع على المرققة، والراء المرققة التي هي فرع على المغلظة، والواو التي يُنْحى بالضمة التي قبلها نحو الكسرة، والياء التي يُنْحى بالكسرة التي قبلها نحو الضمة، وعد الهمزة المسهلة بين بين ثلاثة أحرف، وكان سيبويه قد عدها حرفاً واحداً، فتلك ستة أحرف"[٢]، والأصوات الفرعية غير المستحسنة التي ذكرها القرطبي زيادة على ما ذكره سيبويه هي:

«السين التي كالزاي، والجيم التي كالزاي، والقاف التي بين القاف والكاف وهي تأتي مثل لفظ الكاف التي بين الجيم والكاف، واعتبر القرطبي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، حرفين، بينما عدّهما سيبويه حرفاً

---

(١) الموضح في التجويد - مخطوط- توجد منه نسخة في مكتبة الاوقاف في الموصل (الرقم ٢/٢٢).

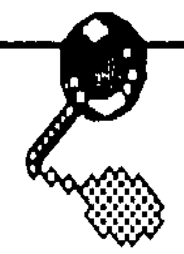
(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ١٧٣ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٣ -١٥٤).

واحـداً » [١] واعتبارهما صوتين هو مذهب ابن جني وابن عصفور وابن مالك [٢] فذلك أربعة أصوات. ونكتفي هنا بما ذكرناه عنها، وسوف نستوفي الكلام عنها عند حديثنا على الحروف الأصول، حين نحدد مخارجها ونبين صفاتها وأحوالها، ليكون الكلام مترابطاً متكاملاً على صعيد واحد.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٧٤ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٥).

(٢) انظر: ابو حيان: ارتشاف الضرب ص ٤.



الفصل الثاني

دراسة المصطلحات الخاصة بمخارج الأصوات

ويشتمل هذا الفصل على

- الفرق بين الصوت والحرف.
- الاختلاف في مصطلح المخرج.
- معرفة مخرج الصوت.
- أصول المخارج وترتيبها وعددها.
- مصطلحات المخارج.

عملية تشكيل الصوت تمر بمراحل، وأول هذه المراحل هي: الأعضاء التي تتدخل معترضة الهواء الخارج من الرئتين، وقد اطلق العلماء على هذه الأعضاء اسم مخارج الأصوات، ولم يكتف العلماء بذكر هذه المخارج؛ بل قدموا وصفاً دقيقاً لها، وبينوا الأصوات التي تخرج منها، والمصطلحات التي تنتظمها، وسنبين ذلك في هذا الفصل إن شاء الله.

الفرق بين الصوت والحرف

فرّق العلماء قديما وحديثاً بين الصوت والحرف. حرفُ الشيء –لغة– حدُّه وطرفه وشَفيرُه.[1] والحرف –كما يُفهم من كلامَ اللغويين القدامى– هو حدُّ الصوت وانقطاعه ونهايتُه. يقول ابنُ جني (ت٣٩٢هـ): «سُمّيت حروف المُعجم حروفاً، وذلك أن الحرف حدُّ مُنْقَطَعِ الصَّوْتِ وغايته وطرَفُه، كحرف الجَبْل ونحوه، ويجوز أن تكون سُمّيت حروفاً لأنها جهات للكَلِم ونواحٍ، كحروف الشيء وجهاته المُحْدِقة بــه».[2] فالحرف –كما يُفهم من كلام ابن جني السابق –هو اصطلاح لتحديد الصوت وتمييزه من غيره من الأصوات، فالحروف تختلف أجراسُها حسب اختلاف مقاطعها أي حروفها.[3] وقد حاول محيي الدين رمضان توضيح قول ابن جني السابق إذ قال: «فقد سُمي الموضع الذي قطع عنده الصوت حرفاً، ولهذا اختلفت أنغام المقاطع أي الحروف».[4] وقد فرّق إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري)[5] بين الصوت والحرف، عندما قالوا: «فالحروف الخطية إنما وضعت

(١) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، باب الفاء، فصل الحاء.

(٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/١٦.

(٣) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٦.

(٤) محيي الدين رمضان: في صوتيات العربية ص٦٤.

(٥) اخوان الصفا: رسائل اخوان الصفا ١/٣٩٣.

سمات ليُستدلّ بها على الحروف اللفظية... والحروف اللفظية إنما هي أصوات تحدثُ في الحلقوم والحَنَك، وبين اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة». وهذا تمييز واضح بين رمز الصوت وصورته الكتابية، وبين حرف الصوت الذي يُراد به الصوت المنطوق. كما أن ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)(١)، والخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)(٢)، والفخر الرازي (ت٦٠٦ هـ)(٣)، وابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)(٤) قد فرّقوا بين الصوت والحرف. ومن المتأخرين الذين وضّحوا مدلول (مصطلح الحرف والصوت) محمد بن عبدالسلام (ت ١١٨٨ هـ)، فهو يقول في شرح منظومة (مخارج الحروف) لأبي القاسم الشاطبي: «والحروف جمع حرف طرف الشيء ومنتهاه، ويراد بالشيء هنا الصوت، فالحرف إذن منتهى الصوت وغايته».(٥)

وقد ميّز سيبويه من قبل بين الرّمز الكتابي للحرف وبين الصوت المنطوق المسموع، فقد ذكر أنّ صور الحروف الأصلية تسع وعشرون، وأنّ أصوات هذه الرموز تبلغ اثنين وأربعين صوتاً.(٦) «وهذه الحروف التي تمّمتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها، أصلُها التسعة والعشرون، لا تتبيَّن إلا بالمشافهة».(٧) لكنه استخدم مصطلح «الحرف» للتعبير عن الرمز المكتوب والصوت المسموع، وقد أخذ عليه الأستاذ أ. شادة ذلك.(٨)

---

(١) انظر: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٦٠.

(٢) انظر: سر الفصاحة ص٢٣.

(٣) انظر: التفسير الكبير ٣٠/١.

(٤) انظر: النشر ٢٣/١.

(٥) انظر: مجلة الفكر العربي، العددان: ٨/٩، ص١٧٤-١٧٥ الكاتبة أوديت بتي.

(٦) انظر: الكتاب ٤٣١/٤-٤٣٢.

(٧) المصدر السابق ٤٣٢/٤.

(٨) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٢.

أما المحدثون، فقد فرّق تمام حسان بصورة حادة بين الصوت والحرف، إذ قال: «والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت، وبين الإدراك الذهني الذي للحرف، أي بين ما هو مادي محسوس، وبين ما هو معنوي مفهوم»[١]، ومصطلح (الحرف) كما يفهمه تمام حسان، هو رمز الصوت وصورته (أي رسمه الكتابي) وقد بيّن أن وضع الرموز اصطلاح لا أكثر ولا أقل، أي أنّ العلاقة بين الرمز ومدلوله علاقة اعتباطية، لا منطقية ولا طبيعية.[٢] ويقول داود عبده «الصوت اللغوي شيء، والحرف الذي هو مجرد رمز كتابي لهذا الصوت شيء آخر».[٣] وهذا التفريق بين الصوت والحرف عند القدماء والمحدثين صحيح، والعلاقة بينهما قوية، فالحرف لغة -كما اتضح لنا- هو الحدُّ والطرف، والحرف اصطلاحاً هو حرف الصوت، أي حده وطرفه ومقطعه؛ فالعلاقة قوية بين مصطلح الحرف ومصطلح الصوت. وسأستخدم مصطلح «الصوت» أثناء البحث بدل مصطلح «الحرف»، لأن الحرف -كما هو معروف- ليس سوى الرمز المكتوب للصوت اللغوي. ولهذا فإن كلمة «حرف» ساستعملها فقط عندما يتعلق الحديث بالكتابة.

POINT OF ARTICULATION المخرج

توصف النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها بمصطلح «المخرج»، فالمخرج إذن هو المكان الذي يخرج منه الصوت ويتميز عن غيره. ويعرّفه محمد تركستاني بأنه: «محلّ الخروج وموضع ظهور الصوت وتمييزه من غيره من الأصوات؛ إذ المخرج نقطة يحدث فيها حَبْسُ الهواء، أو تضييق مَخرجَه؛ بحيث يحدث الصّوت الذي نسمعه.[٤] وقد سمّى سيبويه

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص٧٣.

(٢) انظر: تمام حسان: مناهج البحث ص١٦.

(٣) داود عبده: أبحاث في اللغة العربية ص٧، وانظر: دراسات في علم أصوات العربية ص٨.

(٤) محمد تركستاني: مخارج الحروف وصفاتها، ص٧٧ الحاشية.

مكان التقاء العضوين بالمخرج. يقول: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُوَيْقَ الثّنايا مُخْرجُ النــــون». [١] وقال الداني (ت ٤٤٤ هـ) معرّفاً المخرج في كتابه «التحديد»: «ومعنى المخرج أنه الموضع الذي ينشأ منه الحرف». [٢] وقال ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) في شرح المفصل في تعريف المخرج:

«والمخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده». [٣] وقال أحمد بن الجزري توفي بعد سنة (٨٢٩ هـ) في كتابه الحواشي المفهمة[٤]: «وهو عبارة عن الحيز المولد للحرف». [٥]

ويقول: برجستراسر في تعريف المخرج: «والمَخرج أو المُخرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يَخرج أو يُخرج منه الحرف». [٦]، ويقول إبراهيم أنيس «المخرج» في رأي الأستاذ أ. شادة: «الطريق الذي يتسرب منه النفس إلى الخارج» [٧]، ويسمي الأستاذ أ. شادة «مكان اتصال العضوين بالموضع». [٨] وقد وضع إبراهيم أنيس مصطلحاً جديداً للمخرج سماه «المجرى»[٩]، وهذه التعريفات للمخرج لا تناقض بينها وهي متفقة في أن المخرج هو النقطة المعينة من أعضاء

---

(١) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) التحديد، ص١٠٤.

(٣) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٤.

(٤) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩ هـ وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٤).

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٢٢ (نقلاً عن كتاب الحواشي المفهمة لابن الجزري و١١).

(٦) برجستراسر: التطور النحوي ص٥-٦.

(٧) الأصوات اللغوية ص١١٣.

(٨) المرجع السابق: ص١١٢.

(٩) انظر: الأصوات اللغوية ص١١٣.

النطق التي ينشأ منها الصوت أويظهر فيها ويتميز، نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثم إطلاقه. هناك اختلاف في المصطلح (في تسمية المخارج) إذ استخدم معظم العلماء القدامى مصطلح «مخارج» ودعاها بعضهم «مدارج، ومواضع، وأحياز» في حين أطلق عليها آخرون: مخارج، ومجاري، وأجناس، ومدارج. كما سماها آخرون «مقاطع»، وأطلق عليها فريق آخر «مخارج ومحابس». وسنبين ذلك فيما يلي:

١- المخرج:

هو المكان الذي يتكون عنده الصوت خلال النطق به. وقد استخدم هذا المصطلح بعض العلماء قديماً وحديثاً. قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ): «وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللّيِّنة والهمزة»، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف» [١]، وقال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): «والحروف العربية ستة عشر مُخرجاً» [٢] وقال أيضاً: «ومما بين الشَّفتين مُخْرَجَ الباء، والميم، والواو». [٣]

وقال المبرد: (ت ٢٨٥ هـ): «فمن أقصى الحلْق مخرج الهمزة»، [٤] وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): «ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء». [٥] وذكر أخوان الصفا المخرج أثناء حديثهم عن الفرق بين الصوت والكلام إذ قالوا: «وأبعدُ مخارج الحروف أقصى الحلق». [٦] وقال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ): «الهاء تخرج من

---

(١) العين ١/٥١ - ٥٢ - وانظر: ٥٧.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المقتضب ١/١٩٢.

(٥) سر صناعة الاعراب ص٥٢.

(٦) رسائل إخوان الصفا ٣/١١٤.

مخـــرج الهمـــزة» [(١)]، وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «فللحلق ثلاثة مخــارج لسبعة أحرف» [(٢)]، وقال القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ): «المخارج جمع مخرج، اسم للموضع الذي ينشأ منه الحرف، وهو عبارة عن الحيز المولد له».[(٣)] وقال إبراهيم أنيس وهو يتحدث عن مخرج «الذال»: «ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا»[(٤)] وقال تمام حسان: «المخرج مكان النطق» وقال أيضاً: «المخرج الأسناني: مبني على اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا»[(٥)]، وقال المطلبي: «المخرج من وجهة النظر الصوتية الحديثة، هو منطقة الاحتكاك التي يصدر عنها الصوت اللغوي».[(٦)] وقال أيضاً: «لقد اصطلح في علم الصوتيات الحديث علـى تسميــة موضع الإعــاقــة في جـهــاز النطق بمصطلح المخـرج [(٧)] Place of Articulaion. وقــال السعران: إن ما يسميه العرب (مخرج الحرف) سماه المحدثون في الغرب موضع النطق».[(٨)]

٢- الموضع:

هو نقطة التقاء عضو بآخر. وقد استخدم سيبويه هذا المصطلح إذ قال في «باب الوقف في الواو والياء والألف»: «فإذا وقَفتَ عندها لم تضّمها بشفة ولا لسان ولا حَلْقٍ كضم غيرها، فيهوي الصوتُ إذا وجد مُتَّسعاً حتى ينقطع آخره في

(١) الرعاية ص١٥٥، وانظر: ابن الجزري: النشر ١/١٩٨-١٩٩.

(٢) التمهيد ص١١٣، وانظر: السيوطي: همع الهوامع ٢/٢٢٧.

(٣) لطائف الاشارات ١/١٨٢.

(٤) الأصوات اللغوية ص٤٧، وانظر: كمال بشر: الأصوات ص٩٢.

(٥) مناهج البحث في اللغة ص.١١.

(٦) في الأصوات اللغوية ص.٧.

(٧) المطلبي: في الأصوات اللغوية ص٢٦.

(٨) علم اللغة ص١٩٩.

موضع الهمزة، وإذا تَفَطّنت وجدت مَسَّ ذلك».[1] وقال برجستراسر: «والمَخرج أو المُخرج هو الموضع من الفم ونواحيه»[2]، وقال إبراهيم أنيس الأستاذ أ. شادة يسمي مكان اتصال العضوين بالموضع.[3] وهو بهذا التعريف يرد على سيبويه الذي سمى مكان التقاء العضوين بالمخرج كما مرّ معنا.

٢- الحيز:

أوّل من استخدم هذا المصطلح الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) قال: «في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صِحاحاً لها أحياز ومدارج» [4] وتبعه تلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في استخدام هذا المصطلح إذ قال: «والحروف المرتفعة حَيِّز على حدة».[5] كما استخدم هذا المصطلح المبرد (ت ٢٨٥هـ) فقال أثناء حديثه عن أصوات المد واللين: «وهي حروف بائنة من جميع الحروف... فحروف المد حَيِّزٌ على حدة»[6] ويقول الفاسي (ت ١١٨٨ هـ)[7] في كتابه «شرح مخارج الحروف لمنظومة أبي القاسم الشاطبي» [8]: «الحرف إذن كيفية تعرض للهواء المتموج للقرع العنيف بمقاومٍ عند اعتماده في حيّز خاص فهو إذاً منتهى الصوت»[9]، وقال أيضاً: «فالحروف على هذا أصوات متحيزة في أحياز

---

(١) الكتاب ١٧٦/٤، وانظر ص٤٥٣-٤٦١-٤٧٧.

(٢) التطور النحوي ص٥.

(٣) انظر: الأصوات اللغوية ص١١٢.

(٤) العين ٥٧/١.

(٥) الكتاب ١٠١/٤ وانظر ٤٦٤/٤.

(٦) المقتضب ٢١١/١ وانظر ٢٠٩/١.

(٧) الفاسي: هو أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام بن محمد بن عبدالسلام بن أبي حميد. انظر: الأعلام ٢٦/٦.

(٨) حقق الكتاب إدريس السغروشني -راجع الفكر العربي العدد ٨-٩ ص١٩١.

(٩) انظر: الفكر العربي، العدد ٨-٩ ص١٧٦.

خاصة».[1] ذكروا هذا دون أن يميِّزوا بين المخرج والحيِّز.

والفرق بين المخرج والحيز:

- المخرج: هو النقطة التي يحدث فيها الصوت داخل القناة الصوتية.

- والحيز: يعني منطقة أوسع من المخرج حيث أن الأول يضم مجموعة من المخارج المتقاربة، وبالتالي فالمخرج جزء من الحيز.[2] والحيز كما نفهم من النصوص هنا مصطلح على مساحات من المخارج المتقاربة.

٤- المدرج:

يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) عن أصوات الجوف: «أربعة أحرف جوف، وهي: الواو، والياء، والألف، اللينة (والهَمْزَة)، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللسان، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف».[3]

٥- المقطع:

يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) المخرج: المقطع الذي ينتهي الصوت عنده[4] وقال المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) في كتابه «جهد المقل»[5]، وهو يوضح قول علي القاري (ت ١٠١٤هـ) في كتابه «المنح الفكرية»[6]: «ومراده من المقطع هو المخرج، لأن الصوت ينقطع في المخرج».[7] إذن المخرج والمقطع واحد وإن اختلفت التسمية.

---

(١) انظر: الفكر العربي العدد ٨-٩ ص١٧٦.

(٢) انظر: جعفر ميرغني: جرس اللسان العربي ٧٢/١-٧٤.

(٣) العين ٥٧/١، وانظر: الأزهري: تهذيب اللغة ٥٠/١-٥١.

(٤) شرح المفصل ١٢٤/١٠.

(٥) جهد المقل: مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٦٨/٤).

(٦) المنح الفكرية على متن الجزرية، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٢هـ

(٧) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٢٣.

٦- المجرى:

هو طريق النفس من الرئتين حتى الخارج، استخدم ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) هذا المصطلح إذ قال: «إن هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى» أي مخرجاً. [١] أما المحدثون فقد استخدم إبراهيم أنيس هذا المصطلح عندما قال: «فهو ما جرينا عليه في هذا الكتاب في استعمال مصطلح جديد لطريق النفس سميناه «المجرى» أي طريق النفس من الرئتين حتى الخارج، ويكون مخرج الصوت حينئذ هو نقطة معينة في هذا المجرى».[٢] في هذا التعريف حاول إبراهيم أنيس الإبقاء على المعنى الذي أراده سيبويه في تعريفه للمخرج، وعليه فالمخرج جزء من المجرى.

٧- المحبس:

هو موضع معين أو نقطة معينة في طريق الهواء.[٣] يقول ابن سينا (ت٤٢٨ هـ): «وأمّا المتموِّج من جهة الهيئة التي يستفيدها من المخارج والمحابس في طريقه فمنه تظهر الحروف».[٤] وقال الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) وهو يتحدث عن الحروف: «تتولد عن تقطيع الصوت، وهي مخارج مخصوصة في الحلق واللسان والأسنان والشفتين، فيجب البحث عن أحوال تلك المحابس»[٥]، وقال الأنطاكي موضحاً المحبس: «المحبس، ويسمى المخرج أيضاً، وهو النقطة التي يجري عندها الانسداد لإحداث صوت ما».[٦]

---

(١) الجمهرة ٨/١.

(٢) الأصوات اللغوية ص١١٣. وانظر: في اللهجات العربية ص١٩٠.

(٣) الأصوات اللغوية ص١٤٢.

(٤) رسالة أسباب حدوث الحروف ص١٠٥.

(٥) التفسير الكبير ١٥/١.

(٦) المحيط ١٨/١.

إذن قد استخدم العلماء قديماً وحديثاً إلى جانب مصطلح «المخرج» عدداً من المصطلحات للتعبير عن مكان تكون الحرف من أعضاء النطق، فكان الخليل بن أحمد كما رأينا قد استخدم مصطلح «حيِّز»[١] ومصطلح «مدرجة ومدارج»[٢] كما أنه استخدم على نحو أقل مصطلح «المخرج»[٣]، كما أن سيبويه استخدم مصطلح «حيّز»[٤] ومصطلح «موضع»[٥] إلى جانب مصطلح «المخرج» المستخدم لديه أكثر من غيره. ومن جاء بعدهم من القدماء استخدم نفس المصطلحات للتعبير عن «المخرج» [٦]. إلا أن الحيّز كما ذكرنا يعني منطقة أوسع من المخرج، إذ يضم مجموعة من المخارج المتقاربة. وقد استخدمها المحدثون ولم يجدوا لها بديلاً ولا مزيداً[٧]، وقد قال السعران بهذا المعنى: «إن ما يسميه العرب (مخرج الحرف) سماه المحدثون في الغرب (موضع النطق)[٨]، وقال المطلبي: «لقد اصطلح في علم الصوتيات الحديث على تسمية موضع الإعاقة في جهاز النطق بمصطلح «المخرج».[٩] إذن مهما اختلفت التسميات فالمعنى واحد، إلا أن مصطلح الحيّز أشمل.

---

(١) انظر: العين ١/٤٨ و ٥٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/٥١ و ٥٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/٥١ و ٥٢.

(٤) انظر: الكتاب ٤/٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٨.

(٥) انظر: المصدر السابق ٤/٤٥٣ و ٤٦١ و ٤٧٩.

(٦) انظر: المصدر السابق ٤/٤٣٣.

(٧) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٣، ومحمد تركستاني: مخارج الحروف وصفاتها ص٧٧، والفاسي: شرح مخاج الحروف - مجلة الفكر العربي العدد ٨-٩ ص١٧٦، وكمال بشر: الأصوات ص٨٩، والسعران: علم اللغة ص١٩٩.

(٨) محمود السعران: علم اللغة ص١٩٩.

(٩) المطلبي: في الأصوات اللغوية ص٢٦.

معرفة مخرج الصوت:

اتبع العلماء قديماً طريقة في تعيين مخرج الصوت، وذلك أن يسكن الحرف وتدخل همزة الوصل عليه، ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه.(١) وقد اتبع هذه الطريقة بعض علماء التجويد من المحدثين. يقول علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) في كتابه «المنح الفكرية»: «وإذا أردت أن تعرف مخرج حرف صريحاً بعد تلفظك به صحيحاً، فسكّنْه، أو شدِّدْه، وهو الأظهر، وادخل عليه همزة الوصل بأي حركة، وأصغ إليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه».(٢)

أمّا المحدثون فقد حذّروا من الإتيان بهمزة الوصل قبل الحروف لمعرفة مخرج الصوت، لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة. (٣) ولمعرفة مخرج الصوت عندهم لا بد من الإتيان به مشكلاً بالسكون مجرداً من الهمزة هكذا «بْ».(٤) هذا مجمل ما قيل حول معرفة مخرج الصوت قديماً وحديثاً.

أصول المخارج:

تتراوح أقسام المخارج التي ذكرها العلماء بين ثلاثة وستة، ويمكن أن تكون ثمانية، فهي عند مكي ثلاثة، قال: «أعلم أن المخارج على الاختصار ثلاثة: الحلق والفم والشفتان»(٥)، قسم أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) المخارج إلى ستة

(١) انظر: الخليل: العين ١/٤٧، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٧، وابن الجزري: النشر ١/ ١٩٩.

(٢) علي القاري: المنح الفكرية ص٨، وانظر: الشيخ محمد الحسيني: فتح المجيد ص٦.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٠.

(٥) الكشف ١/١٣٩.

أقسام حيث قال: «ومخارج حروف العربية ستة عشر، وهي على ستة أقسام حروف الحلق، وحروف أقصى اللسان، وحروف وسط اللسان، وحروف حافة اللسان، وحروف طرف اللسان، وحروف الشفتين»[١] وقد ذكر علماء التجويد ثمانية أقسام لمخارج الحروف، هي: الحلق، وأقصى اللسان، ووسط اللسان، وحافة اللسان، وطرف اللسان، والشفتان، والخياشيم، والجوف.[٢] وكأن الخليل قد جعلها تسعة أقسام هي: حَلْقية، ولَهَوية، وشَجْرية، وأسَلَيـــة، ونطعية، ولثوية، وذَلَقية، وشفوية، وهوائية (جوفية).[٣]

ترتيب المخارج وعددها:

رتّب الخليل (ت ١٧٠ هـ) مخارج الأصوات مبتدئاً من الحلق حتى الشفتين، كما يلي:

- العين والحاء والخاء والغين حَلْقية؛ لأن مبتدأها من الحلق.
- القاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة.
- الجيم والشين والضاد شجْرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم، (أي مخرج الفم).
- الصاد والسين والراء أسَلية؛ لأن مبدأهما من أسَلة اللسان، وهي مُستدق طرف اللسان.
- والطاء والتاء والدال نِطْعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.
- والظاء والذال والثاء لِثْوية؛ لأن مبدأها من اللثة.

---

(١) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٨٧.

(٢) المرجع السابق ص١٨٧.

(٣) انظر: العين ١/٥٨ وانظر الأزهري: تهذيب اللغة ١/٤٨.

- والراء واللام والنون ذَلَقِيّة؛ لأن مبدأها من ذَلَق اللسان، وهو تحديد طرفي ذَلَق اللسان.

- والفاء والباء والميم شَفَوية؛ لأن مبدأها من الشفة... فنُسِبَ كلُّ حرفٍ إلى مدرجته (كذا) وموضِعِه الذي يبدأ منه».[1]

فعدد مخارج الأصوات عنده ثمانية. أما الياء والواو والألف والهمزة، فهي عنده هوائية في حيز واحد؛ لأنها لا يتعلق بها شيء.[2] إذن الخليل لا يحدد مخرجاً لهذه الأصوات فهي عنده مدة طليقة أثناء النطق بها. وقال بعض المحدثين «الهمزة صوت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالمجهور».[3]

أما سيبويه (ت.١٨٠ هـ) فقد خالفَ الخليل في نظرته لمخارج الأصوات وعددِها، وهي عنده ستةَ عشرَ مُخرجاً.[4]

- فأقصاها مُخْرجاً: الهمزة والهاء والألف.

- ومن أوسط الحلق مُخرَجُ العين والحاء.

- وأدناها مُخْرجاً من الفم: الغين والخاء.

- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلي مخرج الكاف.

---

(١) العين ٥٨/١.

(٢) انظر: العين ٥٨/١.

(٣) كمال بشر: الأصوات ص١١٢.

(٤) انظر: الكتاب ٤٣٣/٤.

- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
- ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.
- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى (مما فويق الضاحك والناب والرَّباعية والثَّنيَّة مَخْرج اللام».[1]
- (ومن طرف اللسان بينه وبين)[2] ما فُوَيْق الثنايا، مخرج النون.
- ومن مُخْرَجُ النون غير أنّه أدخلُ في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مُخْرَجُ الراء.
- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخرج الطاء والدال والتاء.
- ومما بين طرف اللسان وفُويق الثنايا مُخْرَجُ الزاي، والسين والصاد.
- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخْرجُ الظاء، والذال، والثاء.
- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلى مُخْرَج الفاء.
- ومما بين الشفتين مُخرَجُ الباء، والميم، والواو.
- ومن الخياشيم مُخْرجُ النون الخفيفة.[3]

---

(١) عبارة الكتاب مضطربة وعند الرجوع لطبعة بولاق تبين أن ما بين القوسين سقط في الطباعة، انظر: طبعة بولاق ٤٠٥/٢.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الكتاب في الطباعة. انظر طبعة بولاق ٤٠٥/٢.

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤-٤٣٤.

وقد تبع سيبويه في وصف مخارج الأصوات وترتيبها عددٌ من علماء العربية قديماً، نذكر منهم: المبرد (ت ٢٨٥ هـ)[١]، وابن السراج (ت ٣١٦ هـ)[٢]، وابن جني(ت ٣٩٢ هـ) [٣]، والسكاكي (ت ٦٢٦ هـ)[٤] وابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)[٥]، والسيوطي (ت ٩١١ هـ)[٦].

والذي نلحظه عندهم أنهم يرتبون المخارج ترتيباً تصاعدياً يبدأ بأقصى الحلق وينتهي بالشفتين. أمّا المحدثون فيخالفون القدامى في عدد مخارج الأصوات العربية، فعدد مخارج أصوات العربية عندهم كما يقول كمال بشر وغيره أحد عشر مخرجاً [٧]، ويرتبونها الترتيب المعاكس، أي يبدأ بالشفتين وينتهي بأقصى الحلق، وهم يقلدون في ذلك علماء الأصوات الغربيين الذين اتبعوا الترتيب الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بأقصى الحلق (الحنجرة) كما يلي:

- شفوية: الباء، والميم.
- أسنانية - شفوية: الفاء.
- أسنانية (خالصة): الثاء، الذال، والظاء.
- أسنانية - لثوية: التاء، والدال، والضاد، والطاء، واللام، والنون.
- لثوية: الراء، والزاي، والسين، والصاد.

---

(١) انظر: المقتضب ١/١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر: الأصول في النحو ٣/٤٠٠.

(٣) انظر: سر صناعة الاعراب ١/٥٢.

(٤) انظر: مفتاح العلوم ص٥.

(٥) انظر: شرح المفصل ١٠/١٢٣.

(٦) انظر: همع الهوامع ٢/٢٢٧.

(٧) كمال بشر: الأصوات ص٨٩-٩٠، وانظر : أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

نلحظ أن المَخْرَجيْن الرابع والخامس متقاربان جداً.

- لثوية - حنكية: الجيم (الفصيحة)، والشين.
- وسط الحنك: الياء (الصامتة).

نلحظ أنّ المخرجين: السادس والسابع متقاربان جداً، وقد سماهما القدماء (الشَّجْرية).[1]

- أقصى الحنك: الخاء، والغين، والكاف، والواو (الصامتة).
- لهوية: القاف.
- حَلْقية: العين، والحاء.
- حنجرية: الهمزة، والهاء.[2]

وبمقابلة تصنيف القدامى بتصنيف المحدثين لمخارج هذه الأصوات نلحظ ما يلي:

- الاختلاف في عدد مخارج الأصوات، فعددها عند جمهور العلماء القدامى ستة عشر مخرجاً (سيبويه، والمبرد، وابن جني، وابن يعيش، والسيوطي)[3] وعددها عند آخرين سبعة عشر مخرجاً.[4] وعدّها الجَرْمي أربعة عشر مخرجاً.[5]

---

(١) انظر: العين ١/٥٨، ومكي: الرعاية ص١٣٩.

(٢) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٨٩-٩٠، وعدد مخارج الأصوات عند تمام حسان وخليل العطية عشرة فقط. انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص٧٩، والبحث الصوتي عند العرب ص١٩-٢٠، وترتيبها عند خليل العطية (من الحنجرة إلى الشفتين).

(٣) انظر: الكتاب ٤/٤٣٣، والمبرد: المقتضب ١/١٩٢-١٩٣-١٩٤. وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٥٢، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٣/١٠، والسيوطي: همع الهوامع ٢٢٨/٢.

(٤) انظر: ابن الجزري: النشر ١٩٨/١.

(٥) انظر: مكي: الرعاية ص٢٤٣.

وعدد مخارج الأصوات عند المحدثين -كما رأينا- أحدَ عشرَ مخرجاً ومنهم من عدّها عشرة فقط.[1] ومنهم من عدّها تسعة فقط.[2] وهذا الاختلاف في عدد المخارج يكون ناتجاً عن دقة الأجهزة في العصر الحاضر التي استخدمها المحدثون في دراستهم الصوتية، بينما اعتمد القُدامى على الملاحظة الذاتية، والتذوق فقط، أو يكونَ ناتجاً عن تحوّل النطق في بعض الأصوات العربية بسبب تقادُم العهد، واختلاف الظروف.[3]

- الاختلاف في موضع بدء ترتيب المخارج؛ رتَّب القُدامى مخارج الأصوات بدءاً من أقصى الحلق حتى الشفتين، أما المحدثون فترتيبهم يبتدئ بالشفتين راجعاً إلى الخلف حتى الحنجرة.
- الاختلاف في المصطلح (في تسمية المخارج) كما سنرى.
- الاختلاف في تحديد مخارج عدد من الأصوات:

أ- الاختلاف في تحديد مخرج (الصّاد، والزاي، والسين)؛ إذ يرى القدماء أنها من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، ويرى المحدثون أنها لثوية.

ب- الاختلاف في تحديد مخرج «الضاد»؛ إذ يعدّها القدماء «من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس» ويعدّها المحدثون أسنانية لثوية.

---

(١) انظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ص٧٩، وخليل العطية: البحث الصوتي عند العرب ص١٩-٢٠.

(٢) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢٢-٢٣.

(٣) انظر: عبدالمعطي نمر: الأصوات العربية المتحولة ص٤١.

جـ- الاختلاف في مخرج «القاف»؛ إذ يعدّهُ القدماء حنكيّاً[١]، ويعدُّه المحدثون لهوياً.[٢]

د- الاختلاف في مخرج الواو (الصامتة)، لا «الواو» الصائتة[٣]؛ إذ عدّها القدماء شفوية، ويعُدها المحدثون من أقصى الحنك.[٤]

هـ- الاختلاف في مخرج الألف؛ فقد عدّ القدماء مخرجه من أقصى الحنك [٥] والمحدثون يرون أنّ الألف من الصوائت. أي لا مخرج محدد له. بهذا نلحظ أن الاختلاف بين القدماء والمحدثين كان في بعض مصطلحات المخارج، وطرق التعبير عنها، وهو اختلاف لفظي ليس له تعلق باختلاف المعنى أو الفكرة التي يراد التعبير عنها، لأن الصوت يشترك في إخراجه غالباً ناطقان ثابت ومتحرك، فنسب المحدثون الصوت إلى الناطق الثابت، لأن الناطق المتحرك يقع تحت الثابت في حالة إغلاق الفم والصمت، ونسبته إلى الثابت كنسبته إلى المتحرك، فإذا قلنا مثلاً (لثوي) فهم من ذلك أن الناطق الثابت هو اللثة، وأن الناطق المتحرك هو طرف اللسان وهكذا.

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٢.

(٣) ومعنى (الصامت) كما يرى المحدثون: هو الصوت المجهور أو المهموس، الذي يحدث في أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كاملاً... أو كان اعتراضاً جزئياً – انظر: كمال بشر: الأصوات ص٤٧ والأنطاكي: المحيط ١/١٣-٢٥ ومعنى (الصائت) هو الصوت المجهور الذي يمر الهواء أثناء النطق به حراً طليقاً خلال الفم والحلق دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل يسمح بوجود احتكاك/ أحمد مختار: دراسات الصوت ص١١٤-١١٥.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨١.

(٥) هكذا قال سيبويه وابن جني ومن تابعهما، وأمّا الخليل فقد ذكر (أنها هوائية لا يتعلق بها شيء) العين ١/٥٨.

بيان مصطلحات المخارج:

سأعرض المصطلح عند القدماء ومن تبعهم أولاً ثم عند المحدثين.

اختلف المصطلح عند القدماء والمحدثين في التعبير عن مخارج الأصوات، وسنبين هذا الاختلاف فيما يلي:

مصطلح الأصوات الحلقية:

والأصوات الحلقية عند علماء العربية القدماء هي: الهمزة، والهاء والعين، والحاء، والغين، والخاء. قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): «ولحروف العربية ستة عشرَ مُخْرجاً. فللحلق منها ثلاثة»[١] وتبعه من جاءَ بعده من العلماء في استخدام هذا المصطلح[٢].

والحلق عند القدماء ثلاثة أقسام: «أقصى، ووسط، وأدنى».[٣] يقول سيبويه: «فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها الهمزة، والهاء، والألف. ومن أوسط الحلق مُخْرَجُ العين والحاء. وأدناها مُخْرجاً من الفم: الغين والخاء».[٤] صنّف سيبويه ما سماه بالحروف الحلقية على هذه الأقسام الثلاثة، فجعل لأقصى الحلق الهمزة، والهاء، والألف، ولوسطه العين، والحاء، ولأدناه الغين والخاء، وتبعه في هذا التصنيف من جاء بعده من العلماء.

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) انظر: المبرد: المقتضب ١/١٩٢، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٢، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٦٨-٦٦٩.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣، والمبرد: المقتضب ١/١٩٢، وابن جني: الخصائص ٣/٢٧٥-٢٧٦، وسر صناعة الاعراب ١/٥٢، وابن الطحان: مخارج الحروف ص٧٩، والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٠، وابن الجزري: النشر ١/١٩٩.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣.

ومفهوم مصطلح «الحلق» عند المحدثين يختلف عمّا هو عليه عند القدماء، ونستدل عليه، بتقسيم الأصوات -التي تسمى عند القدماء بالحروف الحلقية- على مخارجها عند المحدثين، فنجد أن مخرج «الهمزة والهاء» عندهم هو «الحنجرة»، وهي تقابل ما سماه سيبويه بأقصى الحلق، في حين أن مخرج «الغين والخاء» هو أقصى الحنك، الذي يقابل أدنى الحلق عند سيبويه. وقصر المحدثون مصطلح «الحلق»، على مخرج «العين والحاء»، وهذا الجزء الذي يقابل ما سماه سيبويه بوسط الحلق. وعلى هذا نفهم من كلمة «الحلق» عند القدامى، المنطقة المشتملة على أقصى الحنك، والحَنجرة والفراغ الذي بينهما، ذلك الفراغ الذي اصطلح على تسميته وحده عند المحدثين «بالحلق» وإن اختلفت عباراتهم في ذلك.[١]

مصطلح الأصوات الحنجرية:

والأصوات الحنجرية عند دارسي الأصوات العربية من المحدثين هي: «الهمزة والهاء». وليس في الكتب التي وصلت إلينا عن علماء العربية القدامى ذكر للحنجرة في كونها من مخارج الحروف، أو كونها آلة الصوت وأداته، وذلك على الرغم من إشارتهم إلى ما سمّوْه أقصى الحلق، وهو الجزء الذي تخرج منه الأصوات الحنجرية «الهمزة والهاء»، كما هو معروف في الدراسات الصوتية الحديثة. [٢] وأوّل من ذكر «مصطلح الحنجرة»، وتعرض لها بالدرس والتشريح العالم الطبيب ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) في الفصل الثالث من رسالته.[٣] أما المحدّثون فقد استخدموا هذا المصطلح في دراساتهم الصوتية، ودراستهم للأصوات الحنجرية، وقالوا جاء إغفال القدماء لذكر الحنجرة، لأن مصطلح

(١) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٩٠، وص١٢٣، وتمام حسان: مناهج البحث، ص١٣٠-١٣١.
(٢) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٩٠، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٣.
(٣) انظر: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٦٤.

«الحنجرة» لم يكن معروفاً بينهم، بل كان مجهولاً لكثير من متقدميهم».[١]

ويتم إنتاج الأصوات الحنجرية: الهمزة، والهاء»:

أ- الهمزة، عن طريق غلق فتحة المزمار، ثم فتحها فتحاً فجائياً (انفجاري).

ب- الهاء، عن طريق تضييق المجرى بصورة تسمح بمرور الهواء مع احتكاك (استمراري). [٢] وهذا الوصف للصوتين لا يختلف عن وصف القدامى، وذلك لدخول الحنجرة في لفظ الحلق عندهم.

مصطلح الأصوات اللهوية:

والأصوات اللهوية عند بعض القدماء،هي: «القاف والكاف». قال الخليل (ت ١٧٠ هـ): «والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة»[٣]. وقد سماهما سيبويه ومن تبعه من علماء العربية وعلماء التجويد «حروف أقصى اللسان»[٤]، قال سيبويه: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»[٥]، وقد سماهما بعضهم «الحرفان اللهويان».[٦]

أما المحدثون فقد ذهب بعضهم إلى جعل «الكاف» من أقصى الحنك مع

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧-٨٨-٨٩، وكمال بشر: الأصوات ص٦٩ و ٩٠-١١٤.، والسعران: علم اللغة ص١٤٤، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٨٠.

(٢) السعران: علم اللغة ص٢٧٣. وانظر: كمال بشر: الأصوات ص١١٢.

(٣) العين ١/٥٨.

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣، وابن جني: سر صناعة الاعراب ص٥٢. والزمخشري: المفصل ص٣٩٣، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٦٩، وابن الجزري: النشر ١/١٩٩-٢٠٠.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٦) انظر: مكي: الرعاية ص١٣٩؛ وابن الجزري: النشر ١/٢٠٠.

«الغين، والخاء» وتكون «القاف» من اللهاة أعمق من الحروف الثلاثة.[1] وذهب آخرون إلى اعتبار «الغين، والخاء، والقاف» من اللهاة، بضم ظهر اللسان إلى غشاء الحنك واللهاة. مع إبقاء «الكاف» من أقصى الحنك.[2] وذهب بعضهم مذهب القدماء، فجعل «الغين والخاء» من حروف أدنى الحلق إلى الفم، وجعل «القاف» من حروف اللهاة أو أقصى اللسان، والكاف أدنى من ذلك إلى مقدم الفم.[3] وهذا الاختلاف بين العلماء قديماً وحديثاً هو اختلاف في المصطلح، وليس في تحديد المخرج، لأن أقسام المخارج الكبرى عندهم تتراوح بين ثلاثة وثمانية.[4] فكلٌّ استخدم المصطلح حسب الطريقة التي استخدمها في تقسيم المخارج.

مصطلح أصوات وسط اللسان.

وأصوات وسط اللسان عند القدماء هي: «الجيم، والشين، والياء»، سماها الخليل ابن أحمد (ت ١٧٠ هـ) -بعد أن ذكر «الضاد» بدل «الياء»- الحروف الشجرية قال: «والجيم، والشين، والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي: مفرج الفم». [5] وقال سيبويه: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مُخْرَجُ الجيم والشين، والياء».[6] وتبعه ابن جني في تحديد مخرج هذه الأصوات. [7] وسماها ابن الجزري «الحروف الشجرية» [8]، وقد أطلق بعض

---

(١) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٠٨-١٠٩، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٢.

(٢) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢٣.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٤-٨٩.

(٤) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٨٧-١٨٨.

(٥) العين ١/٥٨.

(٦) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٧) انظر: سر صناعة الاعراب ١/٥٢.

(٨) انظر: النشر ١/٢٠٠، والتمهيد ص١١٤.

المحدثين على الثلاثة: الحروف الأدنى حنكيـــة.[١] وفسر الأدنى حنكية بأنها التي تكون من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى.[٢] وسـمـاها بعـهـضـم «الأصـوات الغـارية» [٣]، وفـصّل بـعـضـهـم فـوصف «الجـيـم» بأنه لثـوي حنكي[٤]، وكـذلـــك «الشين» [٥]، أما «الياء» فذكر أنه مـن وســط اللسـان ووســط الحنــك فـهـو حنكــي - وسـيـط.[٦] ووصف بعضهم «الشين» بأنه صوت لثوي حنكي، ثم ذكر أن علمـاء العربيــة أطلقوا لفظ أصوات وسط الحنك على «الشين، والجيم، والياء» وقال: (وهو تقدير جيد سليم).[٧] ووصفه «للشين» بأنه لثوي حنكي جاء نتيجة النظر إلى موضع اللسان في نطق الشين إذ أن طرف اللسان يرتفع نحو مؤخر اللثة والجزء الأساس منه يكون في الوقت نفسه مرتفعاً نحو الحنك الأعلى[٨]، الذي هو وسط الحنك أو الغـار. ومـصطلح «الأصـوات الأدنى حنكيـة» مـصطلح استخدمه المحدثون للأصوات الثلاثة كما رأينا. ويبدو أن الخليل وحده الذي أدخل (الضاد) في هذا المخرج وخالفه سائر القدماء إضافة إلى المحدثين. والضاد فعلاً لا تدخل في معنى هذا المصطلح.

مصطلح أصوات حافة اللسان:

هذا المصطلح أطلقه القدماء على صوتين من أصوات العربية هما (الضاد واللام). قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من

(١) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٠-٨٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٩٨.

(٣) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧١.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٩٤.

(٥) انظر: المرجع السابق ص٢٠٠.

(٦) انظر: المرجع السابق ص١٩٨.

(٧) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٢١.

(٨) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٩٢.

الأضراس مُخْرَجِ الضاد».[١] وقال في وصف مخرج اللام: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، (مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام)».[٢]

ولو وصف السابق لصوت (الضاد) إنما ينطبقُ على (الضاد) العربية القديمة، وقد وصف سيبويه (الضاد الضعيفة) بأنها صوت جانبي وذلك عندما قال: «الضاد الضعيفة تُتكلّف من الجانب الأيمن وإن شِئتَ تكلفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف؛ لأنها من حافة اللسان مطبَقةٌ، لأنك جمعت في الضاد تكلف الاطباق مع إزالته عن موضعه».[٣] ومقتضى كلام سيبويه أن هذه الضاد تُوَجه من الجانب الأيمن كما يمكن أن توجه من الجانب الأيسر.

ووصف اللام بالانحراف أثناء حديثه عن صفات الأصوات، إذ قال: «ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام».[٤]

بهذا الوصف سيبويه يفرق بين اللام والأصوات الوقفية، من حيث إن الأصوات الوقفية يلتقي العضوان الناطقان عند نطقها، التقاءً تاماً يسد الطريق على تيار الهواء ويوقفه، وليست كذلك اللام التي لا يكون اعتراض الهواء فيها «كاعتراض الحروف الشديدة».[٥]

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٢) المصدر السابق ٤/٤٣٣، ما بين المعقوفين سقط من طبعة عبدالسلام هارون وأثبته من طبعة بولاق ٢/٤٠٥.

(٣) المصدر السابق ٤/٤٣٢.

(٤) المصدر السابق ٤/٤٣٥.

(٥) انظر: سمير ستيتية: هيئات النطق ووظائفها اللغوية ص٢٦، بحث غير منشور.

ومن جاء بعد سيبويه من علماء العربية القدماء، وعلماء التجويد تابع سيبويه في تحديد مخرجي (اللام والضاد)، واستخدم نفس المصطلح دون أي زيادة تذكر. [١] بل إن بعضهم اختصر عبارة سيبويه عندما قال: «اللام من طرف اللسان وأصول الثنايا» [٢] فحذف مصطلح حافة اللسان.

ووضح المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) مخرج اللام بقوله: «ما بين حافتي اللسان معاً، بعد مخرج الضاد وما يحاذيها من اللثة العليا، وهي لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين، والثنيتين يخرج منه اللام، ورأس اللسان داخل في مخرجه». [٣]

والذي جعل سيبويه ومن تابعه أن يصفوا اللام بالانحراف، وهو خاصية اللام، لأن الصوت معه لا يخرج من الموضع الذي يلتقي فيه العضوان، بل يخرج من حافتي اللسان (أي جانبيه). ومصطلح الانحراف يدل على هيئة النطق لا المخرج، ومصطلح حافة اللسان دالّ على مخرج اللام.

وكان الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) قد وصف (الضاد) بأنها شجرية إذ قال: «الجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، (أي مفرج الفم)». [٤]

---

(١) انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٥٢، والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٣، وابن الجزري: النشر ١/٢٠٠، والتمهيد ص١١٤.

(٢) مكي القيسي: الكشف ١/١٣٩، وانظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٠.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٠٢-٢٠٣ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٨).

(٤) الخليل: العين ١/٥٨.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فبعضهم تابع القدماء في تحديد مخرجي (الضاد واللام) ووصفها بالضاد الانحرافية واللام الانحرافية، قال في تحديد مخرج اللام الانحرافية: «ومخرجه هو جميع حافة اللسان بينه وبين ما يليه من مقدم الحنك الأعلى فويق الضواحك والأنياب والثنايا».[1] وقال: «لهذا الحرف نطق خاص يسمى «الانحراف» ذلك أن اللسان ينحرف عند النطق به بأن يعتمد طرف اللسان على المخرج المذكور... فيجري الهواء من جانبيه: ولذلك سماه علماء الأصوات الأوربيون حرفاً جانبياً».[2] وقال أثناء حديثه عن الضاد الانحرافية: «وقد وصف النحاة العرب النطق بالضاد وصفاً حسناً كافياً نوعاً ما. فمخرجها هو «أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس... ويجوز نطقها من الجانب الأيمن أو من الجانب الأيسر إلا أن نطقها من الجانب الأيمن أصح. وهذا يثبت إذن أن الضاد حرف انحرافي».[3]

وبعضهم أطلق مصطلح «أسنانية لثوية» على صوت (الضاد)، ومصطلح «لثوية» على صوت اللام الجانبية المرققة واللام الجانبية المفخمة، وقال في تحديد مخرجيهما: «يتم نطقهما عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواء من الأمام، ولكن يسمح بمروره إما من أحد جانبي اللسان، أو من كلا الجانبين».[4]

ويتم نطق (الضاد) عن طريق اتصال طرف اللسان ومقدمه بالأسنان واللثة.[5]

---

(١) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٨.

(٢) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٨.

(٣) المرجع السابق ص٨٥.

(٤) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٠ وانظر: كمال بشر: الأصوات ص١٢٩.

(٥) المرجع السابق ص٢٦٩.

من أطلق مصطلح (أسنانية لثوية) ومصطلح (لثوية) نظر إلى الناطق الثابت. وأطلق آخرون مصطلح (الجانبية) على صوت اللام عندما قالوا: «واللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، ومجهور أيضاً. ويتكون هذا الصوت بأن يمرّ الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعاً ضعيفاً من الحفيف. وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه». [1] ووصف جانبيّة خاصٌ باللام في النطق الحديث، وفي القديم يشمل الضاد. وهناك فرق بين مصطلح (لثوية وجانبية) فمصطلح (لثوية) دال على المخرج، ومصطلح (جانبية) دالّ على هيئة النطق (أي نوع التضييق وطريق خروج الهواء الرئوي).

ويرى آخرون أنّ «الضاد» أدنى حنكي[2]، أو أنه سني مطبق انفجاري.[3] وهذا الوصف مبني على نطق بعض العرب اليوم لا جميعهم، وهو لا يوافق نطق العرب يوم وصفت الحروف. [4] أمّا «اللام» فذهب بعض المحدثين بقوله: «ومخرجه هو جميع حافة اللسان بينه وبين ما يليه من مقدم الحنك الأعلى فويق الضواحك والأنياب والثنايا». [5] وهو بهذا الوصف عند أغلب المحدثين، وإن اختلفوا في التسمية؛ فجعله بعضهم من حروف أدنى الحنك[6]، وعبّر عنه بعضهم بأنه

---

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٦٥ وانظر: كمال بشر: الأصوات ص١٢٩.

(٢) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٨٧.

(٣) المرجع السابق ص٣٠.

(٤) انظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٣٠٨.

(٥) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٨، وانظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٥، وانظر: برجشتراسر: التطور النحوي ص١٢.

(٦) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٠.

سني-جانبي. [١] أي منحرف، وقد أطلق بعضهم كما رأينا على «الضاد واللام» مصطلح «الضاد الانحرافية، واللام الانحرافية»[٢]، وكان بعض القدماء قد سمى «اللام» الصوت المنحرف، قال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما».[٣] والمخرج عند المحدثين واحد وهو «اعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا».[٤]

عندما يلتقي العضوان الناطقان يخرج الصوت من مخرجه ويخرج الهواء من الجانبين لا الصوت. ويبدو مما تقدم أنّ الاختلاف بين القدماء والمحدثين في التسمية فقط، والوصف واحد.

مصطلح أصوات طرف اللسان:

وأصوات طرف اللسان عند القدماء هي: «الراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء». يقول إبراهيم أنيس: «ووجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أوّل اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها)».[٥] وسمّي حروف طرف اللسان (المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج).[٦]

---

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٦.

(٢) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٨-٨٤، وكمال بشر: الأصوات ص١٢٩.

(٣) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٠٣ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٧).

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٦٥، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٨٥، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٠.

(٥) الأصوات اللغوية ص٤٦.

(٦) انظر: المرجع السابق ص٤٦.

ذهب سيبويه ومن تبعه من علماء العربية والتجويد إلى وصف مخارج أصوات طرف اللسان[1]، قال سيبويه:

- (ومن طرف اللسان بينه وبين)[2] ما فويق الثنايا مخرج النون.
- ومن مُخْرجِ النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مُخرَجُ الراء.
- وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء.
- وممّا بين طرف اللسان وفُوَيْقَ الثنايا مُخرَجُ الزاي، والسين، والصاد.
- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرجُ الظاء، والذال، والثاء.[3]

ومن جاء بعد سيبويه حذا حذوه في ذكر مصطلحات أصوات طرف اللسان وتحديد مخارجها دون أي زيادة تستحق الذكر.

وكان الخليل بن أحمد قد وصف «الطاء، والتاء، والدال» بأنها نطعية[4]، إذ قال: «والطاء والتاء والدال نِطعية، لأن مبدأها من نِطع الغار الأعلى».[5] وقد حمل علي القاري (ت ١٠١٤هـ) هذه التسمية على المجاورة لا على أنّ النطع موضع خروجها، فقال: «ويقال لهذه الحروف الثلاثة نِطعية، لخروجها من نِطع الغار

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣، والمبرد: المقتضب ١/١٩٣، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٢-٥٣، والزمخشري: المفصل ص٣٩٤، والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٣، وابن الجزري: النشر ١/٢٠٠-٢٠١.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من طبعة عبدالسلام هارون، وأثبته من طبعة بولاق ٢/٤٠٥.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣، وانظر: ابن عصفور: الممتع ٢/٦٧٠.

(٤) نطعية - والنِّطع «ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخُلَيْقاء، فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في الحنك». ابن منظور: لسان العرب ١٠/٢٣٥ (نطع).

(٥) العين ١/٥٨، وانظر: ابن الجزري: النشر ١/٢٠٠.

الأعلى، أي سقفه، والغار داخل الحنك. والتحقيق أنها إنما سمِّيت نطعية لمجاورة مخرجها نطع الغار الأعلى، وهو سقفه، لا لخروجها منه، فتأمل يظهر لك وجه الخلل». [١] ويرى إبراهيم أنيس أن تسميتها أصواتاً أسنانية لثوية، أدق من تسميتها نطعية لأن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا؛ بل ومعظم الثنايا من الداخل.[٢] وأصول الثنايا بعيدة من نطع الغار الأعلى. وقد ذهب بعض المحدثين إلى المحافظة على عبارة سيبويه في تحديد مخارج هذه الأصوات الثلاثة وهي «التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا».[٣] والقول بأنها تخرج «عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة»[٤]، ويطلق عليها مصطلح «الأصوات الأسنانية اللثوية»[٥]، ومؤدّى ما ذهب إليه المحدثون لا يختلف عما أخذ به القدماء، ولا أرى أهمية لهذا الاختلاف في التسمية ما دام الوصف واحد. وكان الخليل بن أحمد قد سمّى «الصاد، والزاي، والسين،» أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان.[٦] يقول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ): «سمّاهن الخليل بذلك، لأنه نسبَهُن إلى الموضع الذي يخرُجن منه، فلمّا كنَّ يخرجْن من طرف اللسان، وطرف اللسان: أسلتُهُ، نسبهن إلى ذلك».[٧] يقول: إبراهيم أنيس معلقاً على هذه التسمية «أما تسميتهم للسين والصاد والزاي بالأصوات الأسلية نسبة إلى أسلة اللسان أي طرفه، فلا بأس به، ولكن ربما يترتب على ذلك إسراف في تكثير المصطلحات

---

(١) علي القاري: المنح الفكرية ص١٢.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٠٩.

(٣) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٨.

(٤) كمال بشر: الأصوات ص١٠١-١٠٢. وانظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

(٥) المرجع السابق ص١٠١-١٠٢ وانظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

(٦) انظر: العين ٥٨/١. وانظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٤/٣.

(٧) الرعاية ص١٤٠.

دون مبرر ظاهر؛ لأننا حين ننسب الأصوات إلى أول اللسان أو طرفه نجد مجموعة كبيرة يقوم فيها هذا الجزء من اللسان بدور هام في صدورها أو النطق بها. فليس الأمر إذن مقصوراً على هذه الأصوات الثلاثة، بل معها أيضاً التاء والدال والطاء واللام والراء والنون، بل والظاء والذال والثاء».[1] أمّا «الظاء والذال والثاء» فقد أطلق عليها المحدثون اسم «حروف ما بين الأسنان».[2] وقد ذكر سيبويه من قبل أن مخرجها «مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا».[3] إذن لم يبتعد دارسو الأصوات العربية من المحدثين عن عبارات المتقدمين في تحديد مخرج الأصوات الثلاثة. رغم اختلافهم في المصطلح، فقد سماها القدماء بالأصوات اللثوية. [4] قال الخليل: «والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة»[5]، وقد أنكر بعض الدارسين المحدثين هذه التسمية، لأن اللثة لا تقوم معها بأي دور. [6] وهي عنده كما وصفها سيبويه (مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا).[7] يبدو أن تسميتها أصوات طرف اللسان غير دقيق. لأن طرف اللسان يمكن أن يرتفع إلى غير موضع من الحنك الأعلى لانتاج أصوات مختلفة.

أما القول: لثوي أسناني. يُخرِجُ (الثاء، والذال، والظاء)، إذ هذه ما بين أسنانية، وهذا أفضل في التمييز.

---

(١) الأصوات اللغوية ص١٠٩.

(٢) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٠-٦٤، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٩٠، وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٧.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٤) انظر: العين ١/٥٨. ومكي: الرعاية ص١٤٠، والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٤.

(٥) العين ١/٥٨.

(٦) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٠٩-١١٠.

(٧) انظر: المرجع السابق ص١١٠.

مصطلح الأصوات الشفوية:

الأصوات الشفوية هي (الفاء والباء والميم والواو). قال الخليل بن أحمد: «والفاء والباء والميم شفوية، لأن مبدأها من الشفة»[1] سمّاهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، ومخرجُهنَّ من بين الشفتين، فنَسَبهنّ إلى الشفّة». [2] وقال سيبويه: «ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو».[3] وقال أيضاً: «من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء».[4] وصف سيبويه هنا أدق من وصف الخليل في ضوء نتائج الدرس الصوتي الحديث. فالفاء: صوت شفوي أسناني، أمّا الميم والباء فشفويان. ومن جاء بعد سيبويه من علماء العربية القدماء ردّد عبارته من غير زيادة تذكر.[5]

أما علماء التجويد والقراءات فردّدوا ما قاله سيبويه ومن تبعه، ولكن بعبارات أخرى. قال مكي (ت ٤٣٧ هـ): «وأما حروف الشفتين فأربعة: الفاء مفردة، ثم الباء والميم والواو أخوات»[6]، وقال الداني (ت ٤٤٤ هـ) موضّحاً كلام من سبقه حول مخارج الأصوات الشفوية: «وللشفة مخرجان وأربعة أحرف، وهي الفاء والباء والواو والميم»[7]، والمقصود بالواو هنا الواو غير

---

(١) العين ٥٨/١.

(٢) مكي: الرعاية ص١٤٢.

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٤) المصدر السابق ٤٣٣/٤.

(٥) انظر: المبرد: المقتضب ١٩٤/١، وابن جني: سر صناعة الاعراب ٥٣/١، والزمخشري: المفصل ص٣٩٤، وابن عصفور: الممتع ٦٧٠/٢، والاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٠/٣.

(٦) الكشف ١٣٩/١.

(٧) التحديد، ص١٠٦.

المدّيــة. [١] إذن لم يخـرج علـماء الـتجـويـد عــن كلام من سبقهم في ذكر الأصوات الشفوية. أما المحدثون فيرى بعضهم أن «الباء، والواو، والميم» شفوية و «الفاء» شـفـوي أسنـاني.[٢] ويرى بـعضـهـم أن «الباء والميم» شـفـويـان و «الفـاء» شـفـوي أسنـاني. [٣] ويرى آخرون أن «الباء والميم ش فويان».[٤] أما «الواو» فإنه شفوي – حنكي قصي.[٥] وقال بعضهم: «إنه من أقصى الحنك لأن اللسان يقترب من هذا الموضع عند النطق بالواو».[٦] ولعل وضوح استـدارة الشـفـتين مع الواو وكـون اللسان لا يقـترب من الحنك بصـورة واضحـة هو الذي جعل القدماء ينسبـون مخرج الواو إلى الشفتين.[٧] وتحديد سيبويه ومن تبعه من العلماء لمخرج «الواو» بأنه من الشفـتين ليس خطأ، لأن للشفـتين دخلاً كبـيراً في نطق هذا الصـوت.[٨] فالواو يتكون في أقصى الحنك ويظهر عند الشفتين.

لا فـرق بين مـصطلح القـدمـاء والمحدثين في مـخـرج الأصـوات الشـفـوية، القدماء وسّعوا مفهوم المصطلح الواحد (الصوت الشفوي) ثم فصّلوا فيه ليميزوا ضـمـنه بين الشـفـوي والشـفـوي الأسناني، ولكن الأفـضل أن يتم التـمـيـيـز بمصطلحين لمخرجين متمايزين:

١) شفوي.

٢) شفوي – أسناني.

---

(١) انظر: ابن الجزري: النشر ٢٠١/١.

(٢) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٠.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٥-٤٦.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٧-١٨٥.

(٥) انظر: المرجع السابق ص١٩٨، وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢.

(٦) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٨٩.

(٧) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٣.

(٨) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٩٢.

مصطلح الصوت الخيشومي:

صوتا الخيشوم هما: «النون والميم السّاكنتان». قال سيبويه: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة».[1] وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «فأما النون الساكنة فمخرجها من الخياشيم، نحو نون منك وعنك وتعتبر ذلك بأنك لو أمسكت بأنفك عند لفظك بها لوجدتها مختلّة»[2]، وقد سمّاها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) النون الخفية، قال: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفية، ويقال الخفيفة، أي الساكنة».[3] ومن جاء بعدهم من العلماء سماها «النون الخفيفة أو النون الخفية» [4]، ونقل الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) عن أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) شارح كتاب سيبويه. يقول: قال السيرافي: «يجب أن يقال «الخفية» لأن التفسير يدل عليه، إذ هي نون ساكنة غير ظاهرة مخرجها من الخيشوم فقط».[5] والمقصود بالنون الساكنة هي النون التي تسمع خفية من غير إدغام أو إظهار، ولم يقصد بها النون التي تسكن بعد حركة، أو التي يمكن تحريكها.[6] وقد عدّ سيبويه هذه النون أحد الحروف الفرعية المستحسنة.[7] وتتضح حقيقة هذه النون من خلال معرفة مخرج النون الأصلية، التي ذكرنا مخرجها عند الكلام على مخارج أصوات طرف اللسان، حيث يعتمد طرف اللسان على ما فويق الثنايا

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) المقتضب ١/١٩٣، وقال أيضاً: «والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنّة» ١/١٩٤.

(٣) سر صناعة الاعراب ١/٥٣.

(٤) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٥، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٦٥-٦٦٨، والاستراباذي شرح الشافية ٣/٢٥٤.

(٥) انظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٤-٢٥٥.

(٦) انظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٣١١.

(٧) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٢.

فيسد طريق الهواء من الفم، وينخفض الحنك اللين بما في ذلك اللهاة فيندفع الهواء من الخيشوم، فالنون يعتمد لها في الفم ويخرج الهواء من الأنف، وهذا الصوت الخارج من الخيشوم يسمى (غنّة)[1] ومن هنا قال بعض علماء العربية وعلماء التجويد أن النون والميم لهما مخرجان: أحدهما في الفم وهو معتمد اللسان والشفتين، والآخر في الخيشوم[2] وهو مجرى الغنة.[3] في ضوء الصوتيات الحديثة مخرج الصوت الأنفي يقع في الفم (بمعنى مكان النطق -أي مكان ارتفاع الناطق المتحرك إلى الناطق الثابت)، ولكن تسريح الهواء يتم من الأنف، فالمخرج من الفم منغلق تماماً.

فالأنفية لا تدل على المخرج، ولكن تدل على هيئة النطق:

- انغلاق تام في المخرج في الفم.
- انخفاض الحنك الرخو واللهاة وتسريح الهواء من الأنف.[4]

أما علماء التجويد؛ فقد قال مكي (ت ٤٣٧ هـ) في توضيح هذه النون: «إن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، ومعها غنة تخرج من الخياشيم، فإذا أخفَيْتها عِنْدَما بَعْدَها صار مخرجها من الخياشيم لا غير، فتذهب النون عند الاخفاء، وتبقى الغُنَّة من الخياشيم ظاهرة... وتَبَيَّن أن النون الخفية هي الغُنّة، والنون المدغمة والمظهرة هي غير الغنّة، والغنّة تابعة لها. فإذا قُلت: «عَنْكَ»، و «مِنْكَ» فمخرجُ هذه النون من الخياشيم لا غير، لأنها مُخفاة عند الكاف، باقية غُنَّتها ظاهرة.

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٥، والمبرد: المقتضب ١/١٩٤، ومكي: الرعاية ص١٣١، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٤٤-١٤٥.

(٢) الخيشوم ليس مخرجاً، بل هو مجرى للهواء فقط.

(٣) انظر: مكي: الكشف ١/١٤٦، والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٧١.

(٤) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٣٠. وسمير ستيتية: هيئات النطق ووظائفها اللغوي ص١٥، بحث غير منشور.

وإذا قلت: «منْه» و «عنْه»، فمخرجُ هذه النون من طَرَف اللسان، ومعها غُنّةٌ تخرُجُ من الخياشيم، لأنها غيرُ مُخفاةٍ والغُنّة ظاهرة».[1]

وقال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «وإنما تكون هذه النون من الخيشوم مع خمسة عشر حرفاً من حروف الفم: القاف، والكاف، والجيم، والشين، والضاد، والصاد، والسين، والزاي، والطاء، والدال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء، والفاء. فهي متى سكنت وجاء بعدها حرف من هذه الحروف فمخرجها الخيشوم، لا علاج على الفم في إخراجها».[2]

وقد سمى بعض علماء التجويد صوت هذا المخرج «الغُنّة» بدل «النون الخفية»، قال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «المخرج السابع عشر: الخيشوم، وهو للغنّة وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء».[3] وقال أحمد بن الجزري (ت بعد ٨٢٩ هـ) في الحواشي المفهمة في شرح المقدمة[4]: «والغُنّة صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين أو مخافتين أو مدغمتين»[5]

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) في المقدمة: «وغنّة مخرجها الخيشوم»[6]، وقد رد عليه أحمد بن الجزري (ت بعد ٨٢٩ هـ) في الحواشي المفهمة[7] بقوله :«كان ينبغي له أن يذكر عوضها مخرج النون المخفاة، فإن مخرجها من الخيشوم، وهي بخلاف الغنّة».[8]

---

(١) الرعاية ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢١٩ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٣).

(٣) النشر ٢٠١/١.

(٤) مخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٤).

(٥) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢٠.

(٦) ابن الجزري: متن الجزرية ص١١.

(٧) مخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٤).

(٨) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢٠.

وكان البقري (ت ١١١١ هـ)[١] قد تابع ابن الجزري فذكر في المخرج الأخير الخيشوم وقال: «تخرج منه الغنّة»، وأضاف: «وبعضهم أنكر هذا المخرج الأخير وجعله صفة من الصفات، والجمهور يعدّونه من المخارج، ولا ينظرون إلى ذلك القائل».[٢] والحق أنه لا مكان لذكر الغنة هنا إلا إذا أريد بها النون المخفاة.[٣]

أما المحدثون فقد قال بعضهم: «إذا كانت النون متبوعة بحرف من الحروف الخمسة عشر...، سواء في كلمة واحدة نحو «ينقاد» أو في كلمتين متتاليتين نحو «من قال» تسمى هذه النون «خفيفة» أو «مخفاة» و «خفيّة» وتصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على الفم في النطق بها.[٤]

وقد ذهب بعضهم إلى حدوث إبدال في النون المخفاة (فيبدو أن النون في هذه الحال كانت تبدل تقريباً في نفس الوقت، فيصير مخرجها الحرف الذي بعدها).[٥] ويرى آخرون أن الإبدال غير واقع حقيقة لأن صوتها باق وإن كان خفياً أو خفيفاً، وما دام صوت النون باقياً فلا يمكن أن ننطق أي حرف آخر سوى الميم الذي يشارك النون في خروج الهواء من الأنف، لأنه مع النطق بالنون يكون طريق الهواء إلى الفم مغلقاً فلا يتأتى نطق أي حرف... سوى النون والميم، ... وعلى هذا يبقى مخرج هذه النون الخيشوم وحده مع وضع اللسان في حالة تهيؤ لنطق الحرف الذي بعده.[٦] وقد سماهما بعض المحدثين الصوامت الغناء[٧].

---

(١) البقري: هو محمد بن القاسم بن اسماعيل البقري ت ١١١١ هـ مؤلف كتاب (غنية الطالبين ومنية الراغبين) وهو مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد، الرقم (١٢٩٧٥).

(٢) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢.

(٤) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٦٠-٦١.

(٥) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٦١. وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٢.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢.

(٧) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٤.

ويرى بعضهم، أنه لا ضرورة لإفراد النون الخفيّة بمخرج مستقل، لأن الحروف الفرعية الأخرى لم تنفرد بمخارج مستقلة.[(١)] وكان بعض القدماء قد أهمل الإشارة إلى هذا المخرج، وعدَّ المخارج خمسة عشر مخرجاً.[(٢)] كما أطلق بعض المحدثين مصطلح: «الفراغ الأنفي»[(٣)] على الخياشيم، وبعضهم «التجويف الأنفي». [(٤)] وهم يقصدون بذلك التجويف الذي يندفع خلاله الهواء حتى يخرج من الأنف، وهو الخيشوم.

مصطلح الأصوات الجوفية أو الهوائية.

الجوف: فراغ الحلق والفم. والأصوات الجوفية عند القدماء هي: «الألفُ، والواو، والياء». [(٥)] وأول من استخدم هذا المصطلح الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ)[(٦)] وتابعه بعض علماء العربية[(٧)]. حيث ميّز الخليل طائفة من الأصوات العربية أطلق عليها مصطلح «الحروف الهوائية» أو «الحروف الجوف»[(٨)]، ثم علّل هاتين التسميتين بأن هذه الأصوات (تخرج من الجوف، فلا تخرج في مدرجة، وهي في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف)[(٩)] أو الهواء.[(١٠)] قال الخليل: «وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت

(١) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢.

(٢) انظر: حاشية المحقق لسر صناعة الاعراب رقم «٢» ص٥٣، وانظر غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٨.

(٤) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٩٤.

(٥) انظر: ابن منظور: اللسان ٣٦/٦؛ والفيروز أبادي: تاج العروس ١٩٩/٤.

(٦) انظر: العين ٥٧/١.

(٧) انظر: الأزهري: تهذيب اللغة ٤٨/١.

(٨) انظر: المصدر السابق ٤٨/١.

(٩) انظر: المصدر السابق: ٤٨/١.

(١٠) انظر: المصدر السابق ٤٨/١.

جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجـــوف». [١] هذا النص يصرّح بأن الأصوات الجوفية أربعة بإضافة صوت الهمزة، إلى الألف والواو والياء، والذي أراه أن الطبيعة الصوتية للأصوات الثلاثة تختلف عن الهمزة، لأن الهمزة من الصوامت الإنفجارية، ومخرجها عند المحدثين من الحنجرة، وعند القدماء من (أقصى الحلق) كما صرح الخليل بذلك في موضـــع آخر.[٢] إذن الهمزة تختلف في طبيعتها عـــن هــذه الأصــوات، فهــذه الأصــوات لا أثـر للاحتكاك في إصدارها، بل يمر الهواء حراً طليقاً. والذي اعتقده أن هذا الإدخال ما كان من عمل الخليل، وإنما كان نتيجة لتحريف أو تصحيف، وسـيـاق النص يوضح أن هذه الزيادة طارئة.وكذلك ما نجده من اختلاف في النصوص التي تذهب ذلك المذهب من مثل قوله «الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء»[٣] من غير أن يحشر الهمزة مع هذه الأصوات، ويكرر ذلك في كلام آخر له في كلامه على مخارج الحروف يقول: «ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيّز تنسب إليه».[٤] سياق النص يوضح أن حشر الهمزة هنا زيادة طارئة، والنـــص الوارد في تهذيب اللغة وهو منقول عن الخليل يختلف عن نص العين (الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه غيره)[٥]، فلم يكن للهمزة ذكر. ولعل هذا التحريف جاء من فهم خطأ لكلام الخليل على الحروف (المعتلة) في العربية، إذ أنه في أثناء الحديث عن الأصوات اللغوية العربية تكلّم على طائفة من الأصوات

---

(١) العين ١/٥٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/٥٨.

(٣) العين ١/٦٤.

(٤) العين ١/٥٧.

(٥) الأزهري: تهذيب اللغة ١/٤٨.

ميّزها من غيرها، وسماها «المعتلة» ووصفها بكثرة التغير والضعف والانقلاب في أثناء التصريف، وهذه الطائفة من الأصوات هي الألف والواو والياء والهمزة، ومن الواضح أن الخليل لا يشير في هذا الكلام إلى الطبيعة الصوتية لهذه الطائفة من الأصوات، وإنما يعني بيان شيء من مسلكها الصرفي فقط، ومن حرّف فَهِم من هذا أن هذه الأصوات الأربعة لها الطبيعة الصوتية نفسها، مما جرّ إلى أن يُدْخِل الهمزة في كلام الخليل على أصوات الألف والواو والياء في بيان طبيعتها الصوتية. [1] ومما يؤيد هذا قول الخليل «وأما الهمزة فمخرجها في أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة».[2]

وقال الرازي (ت ٢٧٧ هـ): «الألف والياء والواو هوائية، ليس لها جروس ولا اصطكاك لأنها تنسل من جوف الحنك».[3] الرازي يرى أن هذه الأصوات الثلاثة تصدر من موضع واحد وهو جوف الحنك.

وقال مكي (ت ٤٣٧ هـ): «ويقالُ: الحروف الجُوفُ -جمع أجوف- وهنّ ثلاثٌ: «الألف»، و «الواو»، و «الياء»، وهي حروف المدّ واللين... سمّاهن الخليل بذلك، لأنه نسَبَهُنّ إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف، وزادَ غيره مَعَهُنّ الهمزة، لأن مخرجها من (أقصى الحلق) وهو يتصل بالجَوْف».[4] الصّواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة.[5] فحروف المد حروف ذائبة والهمزة من الحروف الجامدة. [6] وقد أفرد علماء التجويد المتأخرون مخرج الجوف، وجعلوه خاصاً

(١) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص٧٠-٧١.

(٢) الخليل: العين ١/٥٨.

(٣) الرازي: الزينة ١/٦٤.

(٤) الرعاية ص١٤٢.

(٥) النشر ١/١٩٩.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢١.

بحروف المدّ الثلاثة، الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها [١]، وقالوا مخرجها مقدّر لا مُحقق، قال المرعشي (ت ١١٥٠ هـ): «وبالجملة أن حروف المد لمّا لم تنقطع أصواتها في موضع لم يكن لها مخرج محقق... بل قدّروا لها جوف الحلق والفم مخرجاً »[٢] -أي أن مخرجها لا يمكن تحديده في نقطة معينة؛ والمخرج المحقق هو الذي انقطع الصوت فيه.[٣] وقد لاحظ علماء التجويد أن حروف المد، على الرغم من أن مخرجها الجوف، فإن أوضاع اللسان والشفتين تختلف مع كل صوت عنها مع الأصوات الأخرى. قال علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) عن حروف المد: «ثم إنهن بالصوت المجرد أشبه منهن بالحروف، ويتميّزن عن الصوت المجرد بتصَعُّد الألف وتسفُّل الياء واعتراض الواو »[٤]، وقال المرعشي (ت ١١٥٠ هـ): «أما الواو المدّية فَضَمٌّ شفتيكَ فيها اعتراض على الصوت، وكذا رفع وسط لسانك إلى جهة الحنك في الياء المدّية، لكن ذانك الاعتراضان قليلان لا يمنعان جريان الصوت بالكلية ».[٥]

وكان سيبويه ومن تابعه[٦]، قد ذكروا مخارج لهذه الأصوات غير الجوف، ولم يفرقوا بين الأصوات المدّية وغير المدّية. ويتلخص رأيهم في أن مخرج الألف من الحلق من مخرج الهمزة والهاء، وأن مخرج الياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وأن مخرج الواو من بين الشفتين. كما أنهم كانوا مدركين لما

---

(١) علماء التجويد منهم ابن الجزري، وعلي القاري، ومحمد المرعشي. انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢١.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٢١. (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٦).

(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٦٢.

(٤) علي القاري: المنح الفكرية ص٩.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٦٢ (نقلاً عن كتاب بيان جهد المقل للمرعشي و ٧).

(٦) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٨-٩، والأزهري: تهذيب اللغة ١/٥١، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٣-١٢٤.

تتميز به هذه الأصوات من اتساع مخارجها أكثر من غيرها من الأصوات.[1] ولا نلمس في حديثهم عن مخارج هذه الأصوات أنهم يفرقون بين كونها مدّية أو غير مدّية.

والذي فرّق بين مخارج هذه الأصوات هو الخليل ومن تابعه، فقد صرّح علي القاري أن للواو والياء مخرجين: مخرج حال كونهما مدّتين، ومخرج حال كونهما متحركتين.[2]

أما المحدثون فلم يذكروا مصطلح «الجوف» على أنه مخرج لهذه الأصوات[3] ولكنهم ذكروا أن ممر النَّفَس في مخرج الأصوات غير المدّية يكون أضيق منه في مخرج المدّية. إذ قال بعضهم: «إن الفراغ بين مقدم اللسان وبين الحنك الأعلى في نطق الياء يكون أضيق منه حال النطق بالكسرة الطويلة. ويترتب على ذلك أننا نسمع نوعاً من الخفيف في نطق هذه الياء. وكذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك حال النطق بها أضيق منه حال النطق بالضمة الطويلة، ومن ثم نسمع حفيفاً بسيطاً مع النطق بهذه الواو... لهذه الأسباب عدّت الياء والواو من الأصوات الصامتة، بالرغم مما لهما من شبه صوتي بالحركات».[4] وقال بعضهم أنها أصوات طليقة أي أن النَّفَس يجري معها من غير أن يلقى في طريقه عقبة تمنعه من المرور، أو تحوّل اتجاهه إلى الأنف، أو تؤدي إلى تلكئه واحتكاكه بأعضاء النطق.[5] أي أنها لا مخرج محدد لها فهي

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: علي القاري: المنح الفكرية ص٩.

(٣) أصوات (الألف والواو والياء) عرضت دراسة القدماء والمحدثين لها في مقدمة هذا البحث أثناء حديثي عن أصوات العربية، وملخص ما قاله المحدثون هو: أن الواو (W) والياء (Y) صامتان ويسمى كل منهما شبه حركة لأنه يشبه الحركة نطقاً ولكنه من الناحية الوظيفية صامت. غير الضمة الطويلة (u u)، والكسرة الطويلة (i i) فهاتان حركتان. أما الألف فهي حركة خالصة. ومخارج الحركات وطرق تصنيفها ووصفها في علم الأصوات الحديث مختلفة عن الصوامت.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢-٤٣ النص بتصرف.

(٥) انظر: محمد الأنطاكي: المحيط ٣٤/١.

عنده هوائيــة. وقــال آخــرون اليــاء المدّية صوت غاري ويتم إنتاجها عن طريق رفع مقدم اللسان في اتجاه منطقة الغار، ولكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع، والواو المدية صوت طبقي، ويتم انتاجها، عن طريق رفع مؤخر اللسان في اتجاه منطقة الطبق اللين، ولكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع. والألف صوت غاري طبقي، ويتم انتاجه عن طريق إراحة اللسان في قاع الفم، مع ارتفاع طفيف جداً لوسطه في اتجاه منطقتي الغار والطبق اللين.[١] وقال بعض المحدثين داعياً إلى استخدام مصطلحات علمائنا المتقدمــين (لا شيء يمنعنا إذن من التمسك باصطلاحات علمائنا المتقدمين في تسمية حروف الفصحى ومعرفة ألقابها، والتمييز بين مخارجها وصفاتها. ولا شيء يدعونا إلى تفضيل التسميات الحديثة... ولا سيما إذا اتضح لنا أن تغيير المصطلحات القديمة يوقعنا في لَبْسٍ شديدٍ)[٢]. ولهذا استخدم مصطلح «الأحرف الجوفيــة الهوائيــة» وهـــي أحرف المد الثلاثة، الألف، الواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها.[٣] وهو بذلك متابع لبعض القدماء الذين استخدموا هذا المصطلح للتعبير عن مخرج هذه الأصوات الثلاثة كما مرّ معنا. وكان إبراهيم أنيس وكمال بشر قد انتقدا الخليل بن أحمد ومن تابعه من العلماء في استخدام مصطلح «الأصوات الجوفية أو الهوائية» وأيّدا من استخدم مصطلح «أصوات المد واللين».[٤] قال كمال بشر: «والواقع أن هذا المخرج لا محل له هنا؛ لأنه خاص بالحركات (حروف المد، حركات طويلة).[٥] فهو عنده ليس من مخارج الأصوات الصامتة، ونسب مخـــرج الهمـــزة إلـــى الحنجرة مع الهاء.[٦]

(١) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ص٢٧٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢٧٨.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٨، وكمال بشر: الأصوات ص٩٣.

(٥) كمال بشر: الأصوات ص٩٣.

(٦) انظر: المرجع السابق ص٩٠.

الفصل الثالث

دراسة المصطلحات الخاصة بصفات الأصوات

ويشتمل على:

- تصنيف أصوات اللغة العربية.
- مصطلحات صفات الأصوات.
- مصطلحات صفات أصوات المد واللين.
- مصطلحات الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها.
- مصطلحات ألقاب الأصوات.
- مصطلحات الصفات التي تتعلق بالدراسة الصرفية.
- مصطلحات لصفات صوتية لم تشتهر.

تصنيف أصوات اللغة العربية:

قبل دراسة المصطلاحات الخاصة بصفات الأصوات، لا بد من الإشارة إلى تصنيف أصوات اللغة العربية عند العلماء قديماً وحديثاً.

لقد نظر علماء العربية إلى أصوات اللغة العربية فوجدوها تمثل ضربين، هما:

(١) الحروف (الصوامت)[١] Consonants.

(٢) الحركات (المصوتات)[٢] Vowels.

وكان أساس هذا التصنيف هو عملية النطق. فعند النطق بالصوت الصامت يحدث نوع من الاعتراض التام أو الجزئي في نقطة المخرج حيث يعوق خروج الهواء المصحوب بالصوت.

أما عند النطق بالحركات - الطويلة أو القصيرة[٣]- فلا يحدث هذا الاعتراض، بل يمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً.[٤]

---

(١) انظر: شمس الدين أحمد: شرح مراح الأرواح و ١٢٠ (مخطوط في مكتبي الخاصة - نسخة أصلية).

(٢) انظر: الخصائص ١/١٢٤.

(٣) يقول إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية): «واللغويون عادة يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط: قصير، وطويل، فالفتحة مطلقة صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يسمى بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل. والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذي تستغرقه الثانية». ص١٥٦.

(٤) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٧٤.

وقد استخدم العلماء قديماً وحديثاً مصطلحات كثيرة للتعبير عن هذين القسمين، وذلك تبعاً للمعنى الذي ينظرون من خلاله إليها، لأجل تيسير دراستها وتحليلها، ثم وصفها. وسنعرض المصطلحات التي استخدموها.

إن أول إشارة إلى مصطلح «حرف وحركة» جاءتنا منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) من قوله لصاحبه: «خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين».[1] واستخدم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) مصطلح «الحرف الصحيح» بدل (الحرف)، ومصطلح (الحروف الهوائية) و (أحرف الجوف) بدل مصطلح «الحركات» وورد ذلك في قوله: «في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صِحاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة... وإنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيِّز تنسب إليه إلا الجوف»[2]، وقال: «الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء».[3]

وقد علل الخليل هذه التسمية كما رأينا، واستخدم سيبويه (ت ١٨٠ هـ) مصطلح (الحروف).[4] ومصطلح (حروف المد واللين)[5] إلى جانب مصطلح (الحركات)، لأنه كان يرى أن الحركات مأخوذة من حروف المد، قال: «وإنما الحركات

(١) انظر: الداني: المحكم في نَقْط المصاحف ص٤.

(٢) العين ٥٧/١.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٤٨/١.

(٤) انظر: الكتاب ٤٣١/٤.

(٥) انظر: المصدر السابق ٤٣٥/٤.

من الألف والياء والواو»[١]، كما أن من تبعه من علماء العربية وعلماء التجويد كان يقول: الفتحة مأخوذة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو.[٢]

ومصطلح أصوات «المد واللين» استقرَّ عند علماء العربية للدلالة على الألف والواو والياء بوجه عام، وإن كان ذلك لا يمنع من الإشارة بهذا المصطلح إلى الحركات (Short Vowels) بسبب أن علماء العربية عدّوا هذه الحركات أبعاضاً لأصوات الألف والواو والياء، كما سبق.[٣]

وقد استخدم المبرد (ت ٢٨٥ هـ) مصطلح (الحروف والحركات) وأطلق مصطلح «المُصَوِّتة» على الألف، والواو، والياء، ويظهر ذلك في قوله: «فمن حروف البدل حروف المد واللين المصوتة، وهي الألف، والواو، والياء».[٤]

كما أن ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) استخدم إلى جانب مصطلح (الحروف) و (الحركات) و (حروف المد واللين) مصطلح (المصوِّتة).[٥] وصنَّف ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) الحروف إلى صنفين أطلق على الأول منها مصطلح (صامتة)، وعلى الثاني مصطلح (مصوتة) [٦] أي أصوات المد واللين. وتابع ابن سينا في استخدام مصطلح (صامتة ومصوتة) أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان (ت ٥٩٢ هـ) [٧]، وأبو

---

(١) الكتاب ١٠١/٤.

(٢) انظر: المبرد: المقتضب ٥٦/١، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١٩/٢، والخصائص ٣١٥/٢ و ٣٢٧، وابن الجزري: النشر ٢٠٤/٢.

(٣) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص١٧.

(٤) المقتضب ٦١/١.

(٥) انظر: الخصائص ١٢٥/٣، وسر صناعة الاعراب ١٩/١.

(٦) انظر: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٨٣-٨٤.

(٧) غانم الحمد: الدراسات الصوتية، ص١٥٨ (نقلاً عن كتاب تقويم النظر في الأدلة لابن الدهان و٢). والكتاب مخطوط توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية (رقم ٥٢ فقه شافعي).

عبدالله فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). [١] أمّا علماء التجويد، فقد اتّبعوا علماء العربية في تصنيف الأصوات، واستخدموا مصطلحاتهم نفسها، إلا أنهم استخدموا إلى جانبها مصطلح (جامدة) و (ذائبة). وكان الداني (ت ٤٤٤ هـ) أول من استخدم مصطلح (الجامدة) قال، وهو يتحدث عن الواو والياء إذا كانت قبلهما حركة من جنسهما: «فإن انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد، وانبسط اللسان بهما، وصارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة، وأُلقي عليهما حركات الهمزات في مذهب من رأى ذلك، وأدغما في مثلهما بإجماع»[٢]. وكان الداني قد استخدم مصطلح (الحرف الجامد) خمس مرات في كتابه (الادغام الكبير)[٣]، ويستخدم في مقابله (حرف مد ولين)، وسوف أنقل هنا النصوص الخمسة وذلك لتوضيح استخدام هذا المصطلح الجديد، ولندرة مثل هذه النصوص أيضاً.[٤]

١- قال الداني وهو يتحدث عن إدغام الهاء في مثلها عند أبي عمرو بن العلاء في مثل قوله تعالى «فيه هُدَىً» (البقرة ٢) و «إنّهُ هو التوّابُ» (البقرة ٣٧): «فإن قال قائل: فقد جمع فيما قبل الهاء فيه ساكن من ذلك بين ساكنين. قيل له: الساكن الأول إذا كان حرف مد ولين فالمد فيه مقام حركة، فامتنع الجمع بين الساكنين لذلك بإجماع النحويين، فإن كان حرفاً جامداً أخفي ولم يدغم، فلم يلتق ساكنان».

---

(١) انظر: التفسير الكبير ٢٩/١.

(٢) التحديد، ص١٣٤.

(٣) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) وهو كتاب مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني (الرقم ٣٠٦٧ مشرقيات)، ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (الرقم ٣ قراءات وتجويد).

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٥٩ (نقلاً عن كتاب الادغام الكبير للداني و ١٠).

٢- «وكذلك جميع ما يدغمه من المثلين والمتقاربين مما قبل المدغم فيه ساكن جامد غير حرف مد ولين».

٣- «وأما النون فكان يدغمها في مثلها، ولا يراعي ما قبلها من حركة أو سكون، وفي اللام والراء إذا تحرك ما قبلهما لا غير... فإن سكن ما قبل النون، حرف مد ولين كان ذلك الساكن أو حرفاً جامداً، ولم يدغمها فيهما».

٤- «وأما الراء فكان يدغمها في مثلها وفي اللام لا غير... وإن تحركت الراء بالفتح وسكن ما قبلها، حرفاً جامداً كان ذلك الساكن أو حرف مد ولين، ولم يدغمها».

٥- «وأما الميم فإنه كان يدغمها في مثلها... وكان يخفيها عند الباء إذا تحرك ما قبلها لا غير... فإن سكن ما قبل الميم لم يخفها وأظهر حركتها، اكتفاء بخفة الساكن عن خفة الإخفاء، وسواء كان الساكن حرف مد ولين أو كان حرفاً جامداً».[1]

من الواضح أن مصطلح الحرف الجامد يشير إلى الصامت، ومن ذلك الواو والياء. (W ،Y) صامتين. والذائب هو الحركة الطويلة (الضمة الطويلة، والكسرة الطويلة، والفتحة الطويلة، أي الألف بالمصطلح التقليدي)، ومن جاء بعد الداني استخدم مصطلح (الحروف الجامدة) نفسها، إلا أنهم استخدموا مصطلحاً جديداً مقابلاً له بدل مصطلح (حروف المد واللين) وهو مصطلح (الحروف الذائبة) قال أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤ هـ): «ولا يخلص للقارىء التجويد والترتيل إلا بمعرفة مخارج الحروف، وإعطائه إياها من المخارج حدّها،

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٥٩ (نقلاً عن كتاب الادغام الكبير للداني و ١٢و ١٩ و ٢٤).

ومن الحركات حظها، ومن السكون حقها، وفرّق بين مهموسها ومجهورها... وجامدها، وذائبها».[1] وبيّن أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) في كتابه (الايضاح)[2] دلالة مصطلح (الجامد) و (الذائب) حيث قال: «والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسورة ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف ولا يجيء إلا مفتوحاً ما قبله، وهذه الحروف حروف المد واللين، سميت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد. وما عداها جامد لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد».[3]

المقصود بالياء المكسور ما قبله والواو المضموم ما قبله، والألف المفتوح ما قبله هو الحركات الطويلة. والحقيقة الصوتية أنها جميعاً ليست مسبوقة بأية حركة إذ هي في ذاتها حركات. والحركة لا تسبق بحركة، وما ذكره القدماء وهم. فالحركة الموجودة على الصوت الصامت الذي يسبق الحركة الطويلة، جزء من الحركة الطويلة ودالّة عليها، فحركته الحركة الطويلة التي تليه. لا يصح أن نصف الحركة الطويلة بأنها ساكنة. لأن السكون لا يكون إلا في الأصوات التي لها أحياز أي الصوامت. وهذه حركات لا أحياز لها.

كما استخدم جعفر بن إبراهيم السنهوري (ت ٨٩٤ هـ) مصطلح «الذوائب» في كتابه (الجامع المفيد)[4]، حيث قال: «وحروف المد واللين الثلاثة تسمى الذوائب».[5]

---

(١) انظر: المرجع السابق ص.١٦٠ (نقلاً عن كتاب الايضاح لأحمد بن أبي عمر و ٦٧).

(٢) كتاب الايضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم لأحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠) مخطوط توجد منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩ قراءات وتجويد).

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٦١ (نقلاً عن كتاب الايضاح لأحمد بن أبي عمر و ٦٨).

(٤) كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد: لجعفر بن إبراهيم السنهوري (ت ٨٩٤ هـ): مخطوط في مكتبة برلين (رقم ١٣٠٨).

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٦١ (نقلاً عن كتاب الجامع المفيد للسنهوري و ١٠٤).

أما المحدثون فقد استخدموا للصنفين من الأصوات عدداً من المصطلحات، منها (الصِّحاح والعلل)[١]، ومنها (الصوائت والصوامت)[٢]، ومنها (ساكنة وعلة)[٣]، ومنها (السواكن والحركات)[٤]، ومنها (صامتة ومصوتة)[٥]، ومنها (أصوات طليقة وأصوات حبيسة) [٦]، ومنها (السواكن وأصوات اللين)[٧] وهذا الاختلاف في التسمية بين المحدثين راجع إلى ترجمة المصطلحين الأوربيين المعبرين عن ذينك الصنفين من الأصوات وهما: (Consonants) الصوامت و (Vowels) الحركات. فكل من المحدثين ترجم المصطلح باسم يختلف عن الآخر. والمعنى واحد، وإن كان بعض المصطلحات أكثر تعبيراً من الآخر على الصنف الذي وضع له.

وقد انتقد بعضهم التسميات وردّها، واقترح لهذين الصنفين من الأصوات مصطلح (الطليقة والحبيسة).[٨] لاعتقاده بأن هذه التسميات لا تفي بالمراد. وانتقد آخرون أغلب مصطلحات القدماء والمحدثين، واختاروا منها أربعة مصطلحات للموازنة بينها وهي (الصامت والمصوت) و (الجامد والذائب)، وذلك

---

(١) تمام حسان: مناهج البحث ص١٤١.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٠، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١١٣؛ وسعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٨٨.

(٣) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١١٣، وماريوباي: أسس علم اللغة ص٧٨-٧٩، ورمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة و ٩١.

(٤) انظر: الدواخلي والقصاص مترجما كتاب فندريس (اللغة) ص٤٧، وسعد مصلوح دراسة السمع والكلام ص١٨٨.

(٥) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٧٢ و٨٧، وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢١.

(٦) انظر: محمد الأنطاكي: الوجيز ص١٥٩، واستخدم عبدالصبور شاهين مصطلح (الصوامت والحركات في كتابه المنهج الصوتي للبنية العربية)، ص٢٦.

(٧) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٨، وعلي عبدالواحد وافي: علم اللغة ص٢٩٨.

(٨) انظر: محمد الأنطاكي: الوجيز حاشية رقم (١) ص١٥٩.

لاعتقادهم أن ما عدا هذه الأربعة لا ينسجم مع الدرس الصوتي الخالص.[1]

بعد أن أجرى غانم الحمد الموازنة بين (الصامت والصائت) و (الجامد والذائب) بيّن قصور كلمة (الصامت) في الاستخدام في مقابل كلمة (المصوت) في الدلالة على قسمي الأصوات السابقي الذكر. ولهذا فضّل استخدام (الجامد والذائب) في الدلالة على قسمي الأصوات السابقي الذكر بدل (صامت وصائت) قال: «ومهما يكن من أمر فإن استخدام (جامد وذائب) في الدلالة على قسمي الأصوات المذكورين أوضح وأكثر لصوقاً بالمعنى اللغوي من (صامت ومصوت)، فالخاصية الأساسية التي ميزت بين قسمي الأصوات هي أن منها ما يجري فيه النفس حراً طليقاً فيمتد في مخرجه، فكأنه يذوب ويسيل فيه، وذلك في حروف المد، ومنها ما يتعثر النفس في مخرجه، فربما حبس حبساً تاماً، وربما حصل تضييق في مجراه، فلا يمكن تمديد هذا النوع من الأصوات أصلاً أو يمكن ذلك ولكن بتكلف، فكأنه جمد في مخرجه فلا يذوب فيه ولا يسيل، وذلك في كل حروف العربية ما عدا حروف المد».[2] ودلل على ما ذهب إليه بتعليل أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) لتسمية حروف المد بالحروف الذائبة، «لأنها تذوب، وتلين، وتمد. وما عداها جامد لأنه لا يلين، ولا يذوب، ولا يمتد».[3] يقول: «فكلمة (تذوب) تعبر عن مرور الهواء حراً طليقاً من غير عائق مؤثر تأثيراً بيناً، وكلمة (تلين) تؤكد ذلك المعنى، لأن اللين ضد الخشونة، ولما كانت هذه الأصوات تذوب فهي إذن (تمتد)، وذلك كله لا يتحصل في الأصوات الجامدة».[4]

---

(١) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٦٤.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٦٤.

(٣) غانم الحمد: المرجع السابق ص١٦٤ (نقلاً عن كتاب الايضاح لأحمد بن أبي عمر و ٧٤)، وهو مخطوط في جامعة استانبول (رقم ١٣٥٠)، ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٩.

(٤) غانم الحمد الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٦٥.

ويبدو لي أنّه لا بأس من استخدام مصطلحي (جامد وذائب) في الدراسة الصوتية الحديثة، لأنهما أكثر تعبيراً عن صنفي الأصوات كما مر بنا. لكنّني أرجح عليهما مصطلحي (الصامت والمصوّت أو الصائت). على الرغم من تشكك بعض المحدثين في صلاحية مصطلح (مصوت)[١]، وذلك لأصالتهما في التراث القديم، فقد استخدمهما بعض القدماء للدلالة على صنفي الأصوات[٢]، ولشيوعهما بين المحدثين من دارسي الأصوات العربية.[٣]

وما دمنا نجد في تراثنا مصطلحات دقيقة ومعبّرة أكثر من غيرها من المصطلحات المترجمة غير المستقرة، فالأخذ بها أولى.

مصطلحات صفات الأصوات

هناك كيفيات نطقية تصاحب إنتاج كل صوت، ولولا هذه الكيفيات التي سماها العلماء صفات الحروف، لما استطعنا تمييز الحروف التي تشترك في المخرج الواحد. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «واعلم أنه لولا اختلاف الصفات في الحروف لم يُفرّق في السّمع بين أحرف من مخرج واحد، ولولا اختلاف المخارج لم يفرق في السمع بين حَرْفين أو حروف على صِفة واحدة».[٤] وسنبين في هذا الفصل مصطلحات هذه الصفات وخصائصها عند القدماء والمحدثين إن شاء الله.

صفات الأصوات

يقول الفاسي (ت ١١٨٨ هـ) في كتابه (شرح مخارج الحروف) لمنظومة أبي

(١) انظر: محمد الأنطاكي: الوجيز ص١٥٩ حاشية رقم (١).

(٢) انظر: المبرد: المقتضب ٦١/١، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١٩/١؛ وابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٨٣-٨٤.

(٣) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٠؛ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١١٣.

(٤) الرعاية ص٢١٨.

القاسم الشاطبي [١]: «وأما الصفات فهي جمع صفة... والصفة في الأصل مصدر. وصفتُ الشيء وصفاً وصفتُ حليته أي ذكرتُ حليته المبينة له الكاشفة عن حقيقته». [٢] وصفة الصوت اللغوي هي: «الكيفية العارضة للصوت عند حصوله في المخرج؛ [٣] من جهر وهمس، وشدة ورخاوة، وإطباق وانفتاح، واستعلاء وانسفال، ومدّ، ولين، وصَفْر، وتَفَشّ، واستطالة، وتكرير، وانحراف، وغُنّة، وقَلْقَلَة، ونَفخ»، [٤] وغيرها من الأوصاف التي أطلقها العلماء على الحروف العربية. فلولا هذه الصفات لم تتميز الحروف بعضها من بعض لا سيما تلك التي تخرج من مخرج واحد. وقد تناولها العلماء قديماً وحديثاً بالدراسة والتحليل[٥] حتى وصل بعضهم [٦] بهذه الصفات إلى أربعة وأربعين لقباً، حيث قال: «لم أزل أتتبّعُ ألقابَ الحروف التسعة والعشرين وصفاتِها وعللها حتى وجدتُ من ذلك أربعة وأربعين لقباً، صفات لها وصفت بذلك على معان ولعلل ظاهرة فيها، نذكرها مع كل قسم إن شاء الله تعالى، في أربعة وأربعين باباً».[٧] وعدّها بعضهم سبع عشرة صفة، ومنهم من أنقصها إلى أربعة عشرة صفة[٨] وليست تلك الصفات والألقاب جميعها تمثل كيفيات نطقية تصاحب تكوُّن الأصوات في مخارجها. فمن

---

(١) حققها ادريس السغروشني - انظر ص١٩١ من مجلة الفكر العربي العدد ٨-٩ لسنة ١٩٧٩.

(٢) انظر: مجلة الفكر العربي العدد ٨-٩ - لسنة ١٩٧٩ ص١٧٦.

(٣) انظر: محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص١٩، وانظر: زيدان العقرباوي: المرشد في علم التجويد ص١٠٥.

(٤) ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها ص٧٧ (حاشية المحقق).

(٥) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٤، والمبرد: المقتضب ١/ ١٩٥- ١٩٦، وابن جني: سر صناعة الأعراب ١/ ٦٨ وما بعدها، ومكي: الرعاية ص ١١٥، والزمخشري: المفصل ص٣٩٤، وابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها ص ٨٥، وابرهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص١٩، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٦٤.

(٦) انظر: الرعاية ص ١١٥ وما بعدها.

(٧) الرعاية ص ١١٥.

(٨) انظر: التفصيل عند محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص ١٩.

تلك الألقاب ما يشير إلى مخرج الحرف. مثل الألقاب التي لقب الخليل (ت ١٧٠هـ) بها الحروف وهي: الحلقية، والشجرية، والأسلية، والنطعية، واللثوية، والذلقية، والشفوية، والجوفية، والهوائية.

ومن تلك الألقاب ما يعبر عن معنى صرفي يتعلق بالحرف، مثل: الحروف الزوائد، والحروف الأصلية، وحروف الابدال، وحروف العلة، فهذه الألقاب لا تمثل صفة صوتية، إنما تشير إلى خاصية صرفية.[1] وسنبين ذلك كله.

وقبل الشروع بدراسة مصطلحات الصفات الصوتية، لا بد من الاشارة إلى الوترين الصوتيين لما لهما من أثر في تحديد بعض الصفات الصوتية عند المحدثين.

فبعد أن اطّلع علماء الأصوات على تشريح الحنجرة، استطاعوا أن يقدموا لنا وصفاً كاملاً للحنجرة، فالحنجرة تكوّن الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وهي أشبه بصندوق غضروفي، أو بحجرة صغيرة ذات إتساع معين، ومكونة من عدد من الغضاريف. وفي الحنجرة يمتد الوتران الصوتيان، وهما في الواقع ليسا وترين، وإنما عبارة عن شفتين أو شريطين من العضلات يتصل بهما نسيج، وهما يقعان متقابلين على قمة القصبة الهوائية، ويمتدان بالحنجرة نفسها أفقياً من الخلف إلى الأمام، حيث يلتقيان عند البروز الناتىء في منتصف الرقبة من أمام، ويسمى الفراغ الكائن بين الوترين بالمزمار، ويقوم لسان المزمار، والكائن فوق الحنجرة بحماية طريق التنفس أثناء عملية البلع من دخول الطعام إلى القصبة ثم إلى الرئتين.[2] إن فتحة المزمار الكائنة بين

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٢٨.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٧، وكمال بشر: الأصوات ص ٦٥- ٨٦، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠- ٨٢.

الوترين الصوتيين يمكن أن تتسع وذلك بتجافي الوترين عن بعضهما، ويمكن أن تضيق إلى حد كبير وذلك بتقارب الوترين نحو بعضهما، ويمكن أن تزول وذلك بانطباق الوترين الصوتيين. وهذه هي الأوضاع المؤثرة في إنتاج الأصوات اللغوية التي يتخذها الوتران الصوتيان، فالصوت يختلف تبعاً لاختلاف تلك الأوضاع على النحو الآتي:[1]

١- قد يتجافى الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أثناء مرور الهواء بهما من الرئتين، بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله اعتراض في طريقه، ويظل الوتران صامتين. فيحدث في هذه الحالة ما يسمى بالهمس، والصوت اللغوي الذي ينطق عندما يتخذ الوتران هذا الوضع يسمى مهموساً. فالصوت المهموس إذن هو الصوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به. والوضع الذي يتخذه الوتران الصوتيان في حالة الصوت المهموس هو الوضع نفسه الذي يتخذانه في حالة التنفس العادي.

٢- قد يقترب الوتران الصوتيان أحدهما نحو الآخر بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة، فتحدث من ذلك التتابع لعملية الفتح والغلق السريعة والمستمرة، بسبب ضغط التيار الهوائي الصاعد من الرئتين، ذبذبات أو اهتزازات منتظمة، تكوّن نغمة صوتية تسمى بالجهر، ويسمى الصوت الذي تصحبه هذه النغمة مجهوراً. فالصوت المجهور إذن هو الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به.

---

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٥- ١٤٧، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٦- ١٠٨، وغانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٢٦- ١٢٧.

٣- قد ينطبق الوتران انطباقاً تاماً، فلا يسمحان للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي مدة إنطباقهما، وعندما ينفرج الوتران، بعد انطباقهما مدة، يسمع صوت انفجاري (شديد) نتيجة لا ندفاع الهواء الذي كان مضغوطاً فيما دون الوترين الصوتيين، وهذا الصوت هو ما نسميه في العربية الهمزة.

وقد نظر العلماء إلى صفات الأصوات من زوايا متعددة، واستخدموا لكل زاوية مصطلحاً معيناً. والصفات عندهم على قسمين، قسم له أضداد، وقسم لا أضداد له.

القسم الأول: الصفات المتضادة.

قسّم علماء العربية أصوات العربية على أساس الجهر والهمس إلى قسمين (مجهور ومهموس).

المجهور والمهموس: Voiced / Voiceless

حظي هذان المصطلحان بعناية العماء قديماً، كما حظي بعناية دارسي الأصوات من المحدثين، فعرّفهما سيبويه بقوله: المجهور «حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»، [1] والمهموس «حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه».[2]

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٣٤.

وقد اتبع سيبويه في هذا التعريف معظم اللغويين وعلماء التجويد الذين جاءوا بعده مثل: ابن جني [١] (ت٣٩٢هـ)، والسكاكي [٢] (ت٦٢٦هـ) وابن يعيش[٣] (ت٦٤٣هـ)، وابــن الجزري [٤] (ت٨٣٣ هـ) ولا نجد إلا عبارات سيبويه نفسها ويلحظ الباحث أن سيبويه ومن تابعه قد ميزوا الأصوات المجهورة من المهموسة بجريان النفس أو عدمه، ودلت تجارب المحدثين على أن سيبويه قد عنى بالمجهور ذلك الصوت الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان في الحنجرة أي « Voiced » وأن المهموس هو الذي يصمتان معه أي « Voiceless » ولم يشر القدامى إلى دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات؛ لكنهم أدركوا ظاهرة الجهر والهمس إدراكاً انطباعياً لا كما يتصورها المحدثون.

أما المحدثون فقد قسم بعضهم أصوات العربية على أساس الجهر والهمس إلى ثلاثة أقسام: المجهور والمهموس، وقسم ثالث لا مجهور ولا مهموس.[٥] والمجهور هو الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به.[٦] والمهموس هو الصوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به.[٧]

بعد أن وصف سيبويه المجهور، والمهموس. حدد المجهورات بقوله: «فأما (المجهورة) فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد،

---

(١) انظر: سر صناعة الاعراب ١/ ٦٩.

(٢) انظر :مفتاح العلوم ص ٥.

(٣) انظر: شرح المفصل ١٠/ ١٢٨.

(٤) انظر: النشر ١/ ٢٠٢.

(٥) انظر على سبيل المثال أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٣، وكمال بشر: الأصوات ص ٨٩ وما بعدها، حيث وصفوا الهمزة بانها صوت حنجري لا هي بالمهموس ولا بالمجهور.

(٦) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٠، وكمال بشر: الأصوات ص ٨٨.

(٧) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٠، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٤٦، وكمال بشر: الأصوات ص٨٧، والانطاكي: الوجيز ص١٥٦ – ١٦٧.

واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً».[١]

وحدد المهموسات بقوله: «وأما (المهموسة) فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء، فذلك عشرة أحرف».[٢] وقد تبعه من جاء بعده من علماء العربية والتجويد في هذا التحديد. وجاءت التجارب الصوتية الحديثة مؤيدة لكلام سيبويه ومن تابعه في هذا في الكثرة الغالبة، رغم أنه لم تكن لديه الإمكانات الحديثة في الدراسة الصوتية من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التشريح.[٣]

ويكاد ينحصر الخلاف بين القدامى والمحدثين في أصوات ثلاثة هي: «القاف، والطاء والهمزة» فقد اعتبرهن القدامى من المجهورات، وتبرهن التجارب الحديثة على أنهن خاليات من صفة الجهر كما ننطق بهن الآن.[٤]

وقد حاول بعض الدارسين من المحدثين أن يقدموا بعض الاحتمالات لوصف القدماء لهذه الأصوات بصفة الجهر[٥] والذي أراه، أن هذه الأصوات من المحتمل أن تكون قد أصابها التطور الصوتي عبر القرون فلذا تغيرت صفتها. ويصف بعض المحدثين الهمزة بأنها (صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس)،[٦] ووصفها

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٣٤.

(٣) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة- الجزء الخامس عشر- ١٩٦٢، جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية ص ٤٣. لابراهيم أنيس.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٢٠- ١٢٤ وعبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص ١٩٣ – ١٩٥- ٢٠٨، فقد فصل شاهين القول في ذلك.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧، وكمال بشر: الأصوات ص ١٠٣، وعبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢٠٨، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩٤.

(٦) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٩١، وكمال بشر: الأصوات ص ١١٢، ومحمود السعران: علم اللغة ١٧١، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٧.

آخرون بأنها (مهموسة) [١]. والذي أراه أن صوت الهمزة سيبقى مشكلاً حتى تتمكن التجارب الحديثة من رصده ووصفه بدقة. لأن المحدثين حتى الآن لم يتفقوا على وصف له كما رأينا، ودارت مناقشات بينهم حوله.[٢]

ومن جاء بعد سيبويه من علماء العربية والتجويد استخدم مصطلحات سيبويه نفسها أثناء حديثه عن صفات الحروف، وردد عباراته نفسها دون زيادة تستحق الذكر،[٣] فهذا المبرد (ت٢٨٥هـ) [٤] يذكر مصطلحي الجهر والهمس ويعدد الأصوات المهموسة ويعرف الصوت المهموس بعبارات سيبويه نفسها. وكذلك فعل ابن جنى (ت٣٩٢هـ) [٥] ومكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، [٦] والزمخشري (ت٥٣٨هـ)،[٧] وابن عصفور (ت٦٦٩هـ)،[٨] أما الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) فقد ذكر عبارات سيبويه نفسها؛ إلا أنه قال: «قيل: والمجهورة تخرج أصواتها من الصدر، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم» [٩] وكان سيبويه قد أشار إلى

---

(١) انظر كانتنيو: دروس في علم أصوات العربية ص١٢٢، وعبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢٠٨ والمنهج الصوتي ص١٧٢، وتمام حسان: مناهج البحث ص١٢٥، وعبد الرحمن أيوب: اصوات اللغة ص١٨٣، وهنري فليش: العربية الفصحى ص٣٨.

(٢) قال محمد الانطاكي في حديثه عن الهمزة والطاء والقاف: أنها مهموسات، واعترض على كل من حاول التبرير لوصفها بالجهر، ونقل آراء القدماء والمحدثين والمستشرقين، وناقشها (انظر:الوجيز من ص ٢٠٠ إلى ص ٢١٨).

(٣) إلا السكاكي في كتابه مفتاح العلوم، عندما أراد أن يعيد صياغة تصنيف الأصوات العربية من حيث الجهر والهمس ومن حيث الشدة والرخاوة، فجعل «الكاف والتاء» من المجهورات، وهو مالم يقل به أحد من المتقدمين ولا المتأخرين ولا ندري على أي شيء أعتمد في ذلك (انظر: ص٥ مفتاح العلوم).

(٤) انظر: المقتضب ١/ ١٩٤- ١٩٥.

(٥) انظر: سر صناعة الاعراب ١/ ٦٨- ٦٩.

(٦) انظر الرعاية ص ١١٦- ١١٧.

(٧) انظر: المفصل ص ٣٩٤- ٣٩٥.

(٨) انظر: الممتع ٢/ ٦٧١- ٦٧٢.

(٩) شرح الشافية ٣/ ٢٥٨- ٢٥٩.

مصطلح (صوت الصدر) و (صوت الفم) من قبل قال: «واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي والظاء والذال والضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره، وقد فتر، من بين الثنايا لأنه يجد منفذاً، فتسمع نحو النفخة ... أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهن يخرجن مع التنفس لاصوت الصدر، وإنما تنسل معه ... واعلم أن هذه الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف، لا يكونان فيهن في الوصل إذا سكن، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك، ولا يفتر الصوت حتى تبتدىء صوتاً. وكذلك المهموس. لأنك لاتدع صوت الفم يطول حتى تبتدىء صوتاً.[(١)]

نرى في هذا النص أن سيبويه استخدم إلى جانب مصطلح (صوت الصدر)، و (صوت الفم) مصطلحا ثالثا هو (الحروف المشربة)[(٢)] وقد ورد في سياق يقابل (الحروف المهموسة) وعلّه يقصد بها (الأصوات المجهورة). ويكون معنى (المشربة) هو الأصوات التي أشربت صوت الصدر، أي تخرج مع صوت الصدر، أخذاً من قول سيبويه عن الأصوات المهموسة «يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر».[(٣)]

---

(١) الكتاب ٤/ ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) حاول عبد الصبور شاهين توضيح هذا المصطلح عند سيبويه في كتابه التطور اللغوي انظر: ص ٢١٢ وما بعدها، فقد قال في ختام حديثه «فليس ببعيد أن يطلق سيبويه مصطلح (المشرب) لتعيين صفة (الجهر) التي لا حظها أول الأمر، ثم يلتفت في نهاية الكتاب إلى من الأليق مقابلة (المهموس) بمصطلح (المجهور)، لا (المشرب) ص ٢١٧.

(٣) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٣٢.

ومن الواضح أن تحديد القدماء ومنهم سيبويه للمجهور والمهموس يقع فيه خلط، فقد أشار إلى أصوات القلقلة في النص السابق باعتبارها من الأصوات المشربة (التي ترى أنها المجهورة في تعريفهم). والمقلقلة ليست كلها مجهورة على الحقيقة. كما أن وصفهم لماهية الجهر والهمس، وصف انطباعي لا دقة فيه.

وقد استخدم بعض المتأخرين من علماء التجويد مصطلحي سيبويه نفسيهما (مجهور ومهموس) والتعريف نفسه؛ إلا أنهم أضافوا عليه. يقول طاش كبرى زادة (ت٩٦٨هـ): «إن النفس الخارج، الذي هو وظيفة حرف، إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً»، هذا التعريف يبين أن المجهور أقوى من المهموس لا بسبب قوة الاعتماد وإنما بسبب تكيف النفس كله بكيفية الصوت، ولكن كيف يحصل ذلك؟ التعريف يقف عند هذا الحد، وإن كنا الآن ندرك أن ذلك يتم باهتزاز الوترين الصوتيين في أثناء مرور النفس بهما. والصوت المهموس لا يتكيف بهذه الكيفية.[1] هذا ما استخدمه العلماء قديماً وحديثاً من مصطلحي «الجهر والهمس» فيما يتعلق بالأصوات الصامتة.

أما أصوات المد واللين (الذوائب) (الصوائت). (Vowels) وهي: الألف، والواو، والياء، فقد وصفها العلماء قديماً وحديثاً باتساع المخارج، وحرية مرور الهواء معها، كما أنهم وصفوها بالجهر.[2]

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٣٦ (نقلاً عن كتاب شرح المقدمة الجزرية لطاش كبري زادة و ١١).

(٢) انظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص ٩١.

قال سيبويه: «وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمدّ للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، وإذا تفطّنت وجدت مس ذلك. وذلك قولك: ظَلَمُوا وَرَموْا، وعَمِيَ، وحُبْلى، وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا: ظلموا ورمْوا، فكتبوا بعد الواو ألفاً»[1] نلحظ من حديث سيبويه عن الأصوات في هذا التعريف.

١- أن هذه الأصوات مجهورة.

٢- أن مخارجها متسعة لهواء الصوت وليس من الحروف أوسع مخارج منها.

٣- أنها لا تضم بشفة ولا لسان، ولا حلق كضم غيرها.

وقال المبرد (ت ٢٨٥هـ) وهو يشير إلى صفة الجهر: «والواوتخرج من الشفة، تهوي في الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف، والياء تخرج من وسط اللسان، من مخرج الشين والجيم، حتى تنقطع عند مخرج الألف»[2] وهنا يربط المبرد بين مخرج هذه الأصوات ومخرج الهمزة، لأن انقطاع أصوات الصوائت عند مخرج الهمزة معناه أن مصدر التصويت بهذه الأصوات في ذلك الموضع، حيث يتذبذب الوتران الصوتيان فتحصل نغمة الجهر التي تشكل جوهر أصوات المد. ونفهم من كلام المبرد السابق عن أصوات المد، أنه يشير إلى صفة الجهر ضمنا، ولهذا ربطها بمخرج الهمزة التي كان يرى أنها من المجهورات، وقد صرح ابن جني (ت٣٩١هـ) أن أصوات المد جميعها من المجهورات[3] كما أن مكي بن أبي

---

(١) الكتاب ٤/ ١٧٦.

(٢) المقتضب ١/ ٢٢١.

(٣) انظر: سر صناعة الاعراب ١/ ٦٩.

طالب (ت٤٣٧هـ) قد ذهب إلى أن هذه الأصوات من المجهورات، [١] وقال الداني (ت٤٤٤هـ) عن الألف: «حرف هاوٍ مجهور» وقال عن الياء: «حرف مد مجهور» وقال عن الواو: «الواو حرف مد مجهور»[٢] وذهب علي بن مسعود الفرغاني (من رجال القرن السادس الهجري) إلى أن هذه الأصوات مجهورة.[٣]

وأشار الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) إلى صفة الجهر مع هذه الأصوات أثناء حديثه عن الصوت المصوت، [٤] وعدّها رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ضمن الأصوات المجهورة، [٥] وتابع شهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ) من سبقه من العلماء في عدّ أصوات المد من المجهورات ومنحها صفة الجهر.[٦]

وهي عند جميع المحدثين من دراسي الأصوات العربية مجهورة،[٧] وإذا أمعنّا النظر في طبيعة هذه الأصوات نجد أن صفة الجهر تشكل العنصر الواضح فيها الذي يمنحها قوة الإسماع بحيث أن الناطق لو أوقف نزيز الوترين أثناء النطق بها لاستحالت نفساً، ولا يبقى لها في السمع أثر بين.

---

(١) انظر: الرعاية ص١١٦ – ١١٧.

(٢) انظر: التحديد ص١٢٢ وص١٣٣ وص١٦٩.

(٣) انظر: حسن عبد الكريم الشرع: علي بن مسعود الفرغني وجهوده النحوية مع تحقيق كتاب المستوفي في النحو ص ٥٨٢.

(٤) انظر: التفسير الكبير ١/ ٤٨.

(٥) انظر: شرح الشافية ٣/ ٢٥٩.

(٦) انظر: لطائف الإشارات ١/ ٢٠٤– ٢٠٦.

(٧) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٣٦، كمال بشر: الأصوات ص ٧٤، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٧، وتمام حسان: مناهج البحث ص ١٣٥– ١٣٦، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص ٩١.

تبين لنا مما مضى من حديث القدماء والمحدثين حول مصطلحي (الجهر والهمس) أن القدماء والمحدثين اتفقوا في استخدام لفظ (مجهور ومهموس) واختلفوا في تفسيرهما.[١]

فهم أحسوا بالفرق بين مجهور ومهموس، لكنهم لم تكن لهم معرفة بالوترين الصوتيين ودورهما في إنتاج الأصوات المجهورة والمهموسة.

الشديد والرخو وبين الشديد والرخو (متوسط)

هذه المصطلحات استخدمها علماء العربية القدماء، نظر علماء العربية القدماء إلى الأصوات اللغوية من زاوية عملية انفتاح الآلة المصوتة، فقسموها حسب إنتاجها إلى:

١- شديدة.

٢- ورخوة.[٢]

٣- وبين الشديدة والرخوة (متوسطة).

وقد عرف سيبويه الشديد بأنه: «الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء، وذلك أنك لو قلت الحَجّ ثم مددت صوتك لم يجر ذلك».[٣]

---

(١) ذهب علي النعيم في رسالته التي تقدم بها إلى جامعة اليرموك لنيل درجة الماجستير بعنوان (الوتران الصوتيان) إلى أنه لا فرق بين ما ذهب إليه القدماء، وما ذهب إليه المحدثون، في تفسير الجهر والهمس، وذلك من خلال مقارنته بين التعريفين، حيث أن قوة الاعتماد في تعريف القدماء تعني الذبذبة الحادثة في الوترين الصوتيين. انظر: (علي نعيم الوتران الصواتيان ص ١٠٧).

(٢) فسر ابن دريد الرخوة في كتابه الجمهرة بقوله: (سميت رخوة لأنها تسترخي في المجاري ٨/١).

(٣) الكتاب: ٤/٤٣٤.

ثم عـدّد الأصـوات الرخـوة، فـقـال: «ومنهـا (الرخـوة) وهـي: الهـاء، والحـاء، والـغين، والخـاء، والشين، والصـاد، والضـاد، والزاي، والسين، والظاء، والثـاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطّسُّ، وانْقضْ، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت»، [١] إدراج سيبويه للضاد في الأصوات الرخوة يؤكد أنها لم تكن صوتاً انفجارياً في النطق القديم وإنما كانت صوتاً استمرارياً احتكاكياً جانبياً على الأرجح.

عند سيبويه الأصوات الشديدة تقابل الانفجارية عند المحدثين، والأصوات الرخوة هي الاحتكاكية المستمرة.

وجعل أصوات (العين، واللام، والميم، والنون، والراء) بين الشديدة والرخوة (متوسطة) قال: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة ...»[٢].

وعرف المبرد (ت٢٨٥هـ) الرخوة بقوله: «فأما الرخوة فهي التي يجري النفس فيها من غير ترديد، والشديدة على خلافها. وذلك أنك إذا لفظت بها لم يتسع مخرج النفس معها».[٣]

وذكر ابن جني (ت٣٩٢هـ) أن من الحروف (الأصوات) ما هو شديد ومنها ما هو رخو ومنها ما هو بين الشدة والرخاوة، وعرف الرخوبقوله: «والرخو: هو الذي يجري فيه الصوت»،[٤] والشديد بقوله «أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه »، [٥] وفسر ذلك بأنك لو أردت مد الصوت في القاف أو الطاء من

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٤٣٤- ٤٣٥.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٣٥.

(٣) المقتضب ١/ ١٩٥.

(٤) سر صناعة الاعراب ١/ ٧٠.

(٥) المصدر السابق ١/ ٧٠ وانظر: ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة ص٢٠.

قولك (الحق، أوالشط) لكان ذلك ممتنعاً.[١]

وعدّد الأصوات الشديدة، بقوله: «فالشديدة ثمانية أحرف؛ هي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء، ويجمعها في اللفظ (أجدتُ طبقك)»، [٢] كما أنه عدّد الأصوات التي بين الشدة والرخاوة، بقوله: «والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً. وهي الألف، والعين، والياء، واللام، والنون، والراء، والميم، والواو، ويجمعها في اللفظ (لم يُرَوِّعْنا) ... وما سوى هذه الحروف والتي قبلها، هي الرخوة».[٣]

نلحظ هنا أن ابن جني قد خالف سابقيه ووصف أصوات المد واللين بأنها متوسطة بين الشدة والرخاوة. وهذا وصف غير سليم، إذ أن ذلك يعني أنها أصوات احتكاكية، لأن الشدة والرخاوة صفتان لا تكونان إلا في الأصوات الاحتكاكية.

يبدو أن ابن جني قد فهم كلام سيبويه على الأصوات اللغوية من قبل الشدة والرخاوة فهما خطأ، قال سيبويه: «ومنها الليّنةُ، وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ...».[٤]

إذ أن سيبويه عد صوتي الواو والياء من أصوات اللين، ليست من الشديدة أو الرخوة. فكأن ابن جني قد فهم من ذلك أن هذه الأصوات تتوسط الشدة والرخاوة فأدخلها مع تلك الأصوات التي أشار إليها سيبويه بأنها أصوات تتوسط الشدة والرخاوة، من نحو العين واللام والراء والنون في طائفة واحدة.[٥]

---

(١) انظر: سر صناعة الاعراب ١/ ٧٠.
(٢) المصدر السابق ١/ ٦٩.
(٣) المصدر السابق ١/ ٦٩- ٧٠.
(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٥.
(٥) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص ٨٨.

والأصوات الرخوة عنده هي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والزاي، والسين،[1] والضاد، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، واستخدم ابن سينا (ت٤٢٨هـ) مصطلحاً جديداً بدل مصطلح شديدة وهو مصطلح مفردة، ومصطلح مركبة بدل مصطلح رخوة، فقال: «والحروف بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها عن حبسات تامة للصوت أوالهواء الفاعل للصوت، يتبعها اطلاق دفعة. وبعضها مركبة، وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع إطلاقات».[2] ثم عدد الأصوات المفردة وهي: الباء، والتاء، والجيم، والدال، والضاد، أيضاً من وجه، والطاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون أيضاً من وجه».[3]

فالأصوات الشديدة عند ابن سينا أحد عشر صوتاً- بعد أن أخرج الهمزة وأضاف الضاد والنون والميم واللام- وهي عند غيره ثمانية فقط. ولم يعدد ابن سينا الأصوات المركبة بل قال: «ثم سائر ذلك مركبة».[4] أي أن ماتبقى من الأصوات يكون رخواً. ولعل ابن سينا لاحظ في تسميته أن الأصوات الشديدة أو المفردة أصوات حاسمة سريعة لا تحتاج إلى جهد عضوي، على حين أن المركبة وهي الرخوة تحتاج في النطق بها إلى زمن أطول وجهد أكبر،[5] واستخدم الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) مصطلحات سيبويه نفسها وعرف الشديد بقوله: «ونعني بالشديدة ما إذا أسكنته ونطقت به لم يجر الصوت»، والرخوة: «ما يجري الصوت عند النطق بها».[6] أما الأصوات التي بين الشديدة والرخوة فلم

---

(١) السين عدّها ابن دريد (ت٣٢١هـ) في كتابه الجمهرة ضمن الأصوات الشديدة، وقد خالف بذلك من سبقوه إذ اعتبروه ضمن الأصوات الرخوة انظر ١/٨.

(٢) ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٦٠.

(٣) المصدر السابق ص٦١.

(٤) المصدر السابق ص٦١.

(٥) ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٤٢.

(٦) الاستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٦٠.

يذكر سيبويه منها إلا العين: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء»[1] ثم عدد اصنافاً من الحروف هي: المنحرف، والأنفي (الغنة)، والمكرر، واللينة، والهاوي.[2] ثم جاء المبرد فوضح ما قاله سيبويه بخصوص ما بين الشذيدة والرخوة فقال: «الحروف التي تعترض بين الرخوة والشديدة هي شديدة في الأصل وإنما يجري فيها النفس، لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة، كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظة بها بصوت الحاء، والتي يجري فيها الصوت، لا نحرافها واتصالها بما قد تقدمنا في ذكره من الحروف، وكالنون التي تستعين بصوت الخياشيم، لما فيها من الغنة، وكحروف المد واللين التي يجري فيها الصوت للينها ... ومنها الراء. وهي شديدة، ولكنها حرف ترجيع. فإنما يجري فيها الصوت، لما فيها من التكرير».[3] أما ابن جني فقد عدد الأصوات التي بين الشديدة والرخوة كما ذكرنا،[4] وهي عنده ثمانية وقد حصرها في (لم يروعنا)، [5] أما السكاكي (ت٦٢٦هـ)، فقد قال: «إذا لم يتم الانحصار ولا الجري كما في حروف قولك (لم يروعنا) سميت معتدلة وما بين الشديدة والرخوة» [6] هنا استخدم السكاكي مصطلحاً جديداً للتعبير عن الأصوات التي بين الشديدة والرخوة وهو «معتدلة» أما مصطلح «متوسطة» الشائع بين المتأخرين من علماء العربية؛ فلم نجده عند سيبويه، ولا عند المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ولا ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ولا الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ولا السكاكي (ت

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ٤/ ٤٣٥.

(٣) المقتضب ١/ ١٩٦.

(٤) (انظر ص من هذا البحث).

(٥) انظر: سر صناعة الاعراب ٦٩/١.

(٦) مفتاح العلوم ص ٤.

٦٢٦ هـ) ولا ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ولا الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)[1]، وظلت عبارة (بين الشديدة والرخوة) هي المستعملة وأوّل من استخدم مصطلح «متوسطة» هو أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في كتابه «ارتشاف الضرب».[2] هذا ما قاله علماء العربية بخصوص الأصوات الشديدة والرخوة، والمتوسطة. أما علماء التجويد، فقد استخدموا مصطلحات وتعريفات سيبويه نفسها، دون أي تغيير في ألفاظه، إلا الشيء القليل بقول مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) «ومعنى الحرف الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه، حتى منع الصوت أنْ يجري معه عند اللّفظ به» [3]، وقال الداني (ت ٤٤٤ هـ): «ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري معه»[4]، وقال أبو العلاء الهمذاني (ت ٥٦٩ هـ): «والشديد ما لزم مخرجه فلا يمكنك مد الصوت به لتمكنه، ألا ترى أنك إذا قلت: الشج والشّط، ثم رمت مد الصوت بالجيم والطاء، امتنع عليك... والرخو ما لم يلزم مخرجه لزوم الشديد، فيمكن مد الصوت به، ألا ترى أنك إذا قلت: الهزّ والمسّ والرشّ ونحو ذلك، امتد به صوتك جارياً مع الزاي والسين والشين».[5] هنا يركز الهمذاني على إمكانية مد الصوت مع الرخو وعدمها في الشديد.

أما طاش كبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) فقد عرّف الشديد والرخو والمتوسط بقوله: «إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تاماً فلا يجري يسمى شدة، كما في (الحج) فإنك لو وقفت على قولك (الحج) وجدت صوتك راكداً

---

(١) انظر: كتبهم المتقضب ١٩٦/١، وسر صناعة الاعراب ٦٩/١، والمفصل ص٣٩٤، ومفتاح العلوم ص٤، وشرح المفصل ١٢٩/١٠، وشرح الشافية ٢٦٠/٣.

(٢) انظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص٥.

(٣) الرعاية ص١١٧، وانظر: ابن الجزري: النشر ٢٠٢/١ فقد ذكر المعنى نفسه.

(٤) التحديد: ص١٠٧.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٤٣ (نقلاً عن كتاب التمهيد للهمذاني و ١٤٥).

محصوراً، حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك.

وأما إذا جرى الصوت جرياً تاماً ولا ينحصر أصلاً يُسمّى رخوة، كما في (الطش)، فإنك إذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جارياً تمده إن شئت.

أمّا إذا لم يتم الانحصار ولا الجري يكّون متوسطاً، بين الشدة والرخاوة، كما في (الخل) فإنك إذا وقفت عليه وجدت الصوت لا يجري مثل جري (الطش) ولا ينحصر مثل انحصار (الحج)، بل يخرج على اعتدال بينهما».[1] وقد ناقش محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) تعريفات سابقيه المتعلقة بالمصطلحات الثلاثة، وكان في أثناء تلك المناقشات يصوغ رأيه بعبارة دقيقة موجزة، مثل قوله: «إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف ونَفَسه: إما أن يحتبسا بالكلية فيحصل صوت شديد، وهو في الحروف الشديدة. أو لا يحتبسا أصلاً، بل يجريا جرياً كاملاً، وهو في الحروف الرخوة. أو يتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجري، وهو في الحروف البينية».[2]

والذي نلحظه أن المرعشي استخدم مصطلح «البينية» مكان «المتوسطة» كما استخدم كلمة «يحتبس» بدل كلمة «المنع» و «الحصر» التي كان يستخدمها السابقون وهي أدق من الكلمات الأخرى، لأنها تشير إلى القفل التام لمجرى النَّفَس. وقد استخدم بعض علماء الأصوات من المحدثين كلمة «الحبس» وما اشتق منها في وصف عملية تكون الأصوات الانفجارية (أي الشديدة). أثناء حديثهم عن الأصوات الانفجارية.[3]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٤٤ (نقلاً عن كتاب شرح المقدمة الجزرية لطاش كبري زاده و ١١-١٢).

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٤٤-١٤٥ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و١٢-١٣).

(٣) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٢-٢٤، وكمال بشر: الأصوات ص١٠٠، وعبدالصبور شاهين: المنهج الصوتي ص٢٧.

ولما كانت الأصوات الشديدة تتميز بحبس النَّفس ثم إطلاقه فجأة، نجد المرعشي يتبنى فكرة تسمية الشديدة بمصطلح (آنية) وتسمية الرخوة بمصطلح (زمانية)، وكان قد أخذ الفكرة عن الجرجاني (ت ٨١٦ هـ).[1]

يقول المرعشي (ت ١١٥٠ هـ):

قال الجرجاني في شرح المواقف: «إن الحروف الشديدة آنية، لا توجد إلا في آن حبس النَّفَس، وما عداها زمانية يجري فيه الصوت زماناً». ثم يقول المرعشي أقول: «وما عداها متفاوتة في الجريان، إذ حروف الرخو أتم جرياناً من الحروف البينية، وحروف المد أطول زماناً من سائر حروف الرخو».[2]

أما المحدثون فقد درسوا الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة، واستخدموا مصطلح (انفجاري) Plosive بدل (شديد)، ومصطلح (احتكاكي) Fricative بدل (رخو) [3]، ومصطلح (متوسطة)[4] Centering بدل (بين الشديدة والرخوة) وعرّفوا الشديد (الانفجاري) بأنه الصوت الذي ينحبس مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن في مخرجه، وذلك بالتقاء عضوين من أعضاء النطق، ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً،

(١) علي بن محمد الجرجاني، الذي شرح كتاب: المواقف في علم الكلام، لعضد الدين عبدالرحمن بن محمد الايجي (ت ٧٥٦ هـ). الأعلام ١١٥/٢.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص١٤٥-١٤٦ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و١٢).

(٣) استخدم محمود السعران في كتابه: علم اللغة مصطلح «آنيَّة» للتعبير عن الأصوات الشديدة، ومصطلح «مُتَمادّة» للتعبير عن الأصوات الرخوة. انظر علم اللغة ص١٦٦. كما أن جان كانتينو استخدم مصطلح «حروفاً آنية» للتعبير عن الأصوات الشديدة. بدل مصطلح «الحروف الشديدة» انظر: دروس في علم أصوات العربية ص٣٥.

(٤) استخدم رمضان عبدالتواب مصطلح (الأصوات المائعة) بدل الأصوات المتوسطة، إذ قال «يقصد بالأصوات المائعة Liquida: اللام والميم والنون والراء، وهي التي يسميها علماء العربية بالأصوات المتوسطة». المدخل إلى علم اللغة ص٢٢٦، وسماها كمال بشر (أشباه الحركات) لأنها تتسم بخواص الأصوات الصامتة، كما أنها تشبه الحركات. انظر الأصوات ص١٣١.

مثل الباء، والتاء، والدال، وغيرها، وقد أخرجوا (الجيم) من قائمة الأصوات الانفجارية، وأدخلوا «الضاد» كما ينطق بها في مصر.[١] وذلك بناء على وصفهم للصوت كما ينطق به اليوم لا كما كان في زمن سيبويه ومن تبعه، وعرفوا الرخو (الاحتكاكي) بأنه الصوت الذي لا ينحبس الهواء في مخرجه حبساً تاماً، وذلك بأن يضيق مجرى النفس باقتراب عضوين من أعضاء النطق نحو بعضهما في مخرج الصوت، دون أن يقفلا المجرى، فيحدث النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت حفيفاً مسموعاً تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى، وذلك مثل صوت السين والزاي والحاء وغيرها.

وقد أخرجوا (الضاد) من الاحتكاكية، وأدخلوا (العين).[٢] ووصفوا الأصوات المتوسطة بأنها التي يجد النفس له فيها منفذاً يتسرب منه إلى الخارج على الرغم من التقاء العضوين في مخرج الصوت المنطوق، وذلك مثل اللام والميم والنون وغيرها، ومن هنا سميت هذه الأصوات بالمتوسطة أي التي ليست شديدة (انفجارية) ولا رخوة (احتكاكية)[٣] ووضّح جان كانتينو الأصوات التي وصفت على أنها بين الشديدة والرخوة، بقوله: «لها وضع خاص، إذ النون والميم خيشوميان، واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في النطق، والألف والواو والياء هي (حروف المد). وعقب على ذلك كله بقوله: «فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب: إلا فيما يتعلق بحرف العين، وماعدا ذلك فإن الترتيب

---

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٦، ورمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ص٣٢.

(٢) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٥ وانظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٣٢.

(٣) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٤- ٢٥، وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢٤، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٥٦.

مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين ». [١] ويمكن أن يقال إن الميم والنون يجري النفس بهما فيمكن أن يوصفا على هذا بأنهما رخوان، ولكن النفس لا يجري بهما من الفم وإنما من الأنف على شكل غنة وهو خلاف ما يجري به النفس مع بقية الأحرف، فحقيقة الأمر أن النفس لم يجر بهما من مجراه في بقية الحروف، فيصح على هذا وصفهما بأنهما شديدان، فلما تردد النظر فيهما بين هذا وذاك جعلا بين الشدة والرخاوة، كذلك اللام والراء إذ لولا انحراف اللسان باللام، وتردده بالراء ما جرى بهما النفس بين الشدة والرخاوة. أما الألف فإن اتساع مخرجه لا يسمح بوقوف الهواء عنده ليرى ايجري به أم لا حتى يحكم عليه بهذا أو بذاك، ولذا كان الوصف المناسب أنه بين الشدة والرخاوة، وأما الياء والواو فإن كانا مدتين صدق عليهما ما قيل في الألف، وإن لم يكونا مدتين كان النفس معهما ضعيفاً، وكان من العسير جريان الصوت بهما عند الوقف، كما أن الهواء لا يحبس عند النطق بهما، فهما إذن بين الشدة والرخاوة.[٢] أخرج المحدثون هذه الأصوات من الاحتكاكية والانفجارية، لأن تعريفهم للاحتكاكية لا ينطبق عليها، كما أنهم أخرجوها من الأصوات الانفجارية لأن تعريفهم للأصوات الانفجارية لا ينطبق عليها أيضاً. فهي إذن ليست انفجارية ولا احتكاكية أي أنها بمصطلح القدامى ليست شديدة ولا رخوة فعاملوها معاملة خاصة.

أما صوت العين، فقد اختلف القدماء والمحدثون في وصفه، فعده سيبويه ومن تابعه، [٣] من الأصوات التي بين الشديدة والرخوة، وعدها ابن دريد (ت٣٢١هـ) من الأصوات الرخوة،[٤] وعدّها جان كانتينو من الأصوات الرخوة

---

(١) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٦.

(٢) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٢١٧- ٢١٨.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٥، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/ ٦٩.

(٤) ابن دريد: الجمهرة ١/ ٨.

أيضاً.[1] وتحير آخرون من المحدثين في فهم الأساس الذي اعتمد عليه سيبويه ومن تابعه في عدّ صوت (العين) متوسطاً؛ فمال بعضهم إلى اخراجها من الأصوات المتوسطة، وعدها صوتاً رخواً (احتكاكياً)،[2] وعدّها آخرون صوتاً متوسطاً.[3] وحاول حسام النعيمي أن يقيم الدليل على صحة وصف العين بأنها متوسطة خلال الموازنة بينها وبين الهمزة والحاء أثناء الوقف، فقال: «أما العين فإنها وإن كانت احتكاكية بحسب النظر الحديث إلا أن وضع العلماء العرب إياها بين الشديدة والرخوة وضع صحيح إذا حكمنا عليها على وفق الضابط الذي ذكروه، وذلك أنها يمكن أن يجري الصوت معها عند الوقف عليها ....، ويمكن معرفة ذلك بنطقها في كلمة (ارجع) مثلاً ومقارنتها بصوتي الهمزة والحاء في كلمتي (أرجيء)، و(أرجح)، إذ يمكن أن نحس بوقفة الهمزة الأخيرة في (أرجيء) أو شدتها أو انفجارها كما عبروا، ولا يمكن اجراء الصوت بها، ونحس بسهولة جريان الصوت في حاء (أرجح) الاحتكاكية أو الرخوة. أما عين (أرجع) فيمكن أن يجري النفس بها ولكن ليس بسهولة جريه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة، ولذا عبروا عنها بأنها بين الشدة والرخاوة».[4]

وقد أطلق غانم الحمد مصطلحاً جديداً على (العين) حين سماها (مترددة) فقال: «والعين مترددة»[5] وقد اشتق هذا الوصف من عبارة سيبويه: «وأما العين

---

(١) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٦.

(٢) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٢١، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٣٠، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٣٠١- ٣٠٢، وقسطندي شوملي: مدخل إلى علم اللغة الحديث ص٦٨. وانظر: رأي رمضان عبد التواب: في حاشية التطور النحوي ص١٥ والمدخل إلى علم اللغة ص٨٢.

(٣) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٩، وبراجشتراسر: التطور النحوي ص١٥.

(٤) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١٧

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٦٥.

فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء».[١] وعندما رأى غانم الحمد اختلاف العلماء قديماً وحديثاً في وصفها قال: «ليس من اليسير تقديم تفسير محدد لها، سوى أنها متوسطة بين الشديدة والرخوة»[٢] والذي أذهب إليه أنها متوسطة ونطقها يدلل على ذلك.

الجيم:

أخرج علماء الأصوات من المحدثين الجيم من قائمة الأصوات الشديدة (الانفجارية)، وكان القدماء قد عدّوها ضمن قائمة الأصوات الشديدة (الانفجارية) قال سيبويه وهو يتحدث عن الأصوات الشديدة: «ومن الحروف الشديد ... الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم ...» [٣] وتابعه من جاء بعده في هذا الوصف، وهي عندهم صوت شديد مجهور، يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى[٤] وقد نبه ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أن الجيم قد تخرج من غير مخرجها، وذلك عندما قال: «والجيم يجب أن يتحفظ بإخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فينتشر بها اللسان، فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام ومصر. وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس، وهو موجود كثيراً في بوادي اليمن». [٥] هذا الوصف الذي قدمه ابن الجزري لم يكن للجيم الفصيحة التي وصفها القدماء، وإنما هو

---

(١) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٦٥.

(٣) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٤.

(٤) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/ ٦٩، ومكي: الرعاية ص١١٧، وابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة ص ٣٠، والزمخشري: المفصل، والسكاكي: مفتاح العلوم ص٤، وابن عصفور: الممتع ٢/ ٦٧٢، والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٦٠، وابن الجزري: النشر ١/٢٠٢ والتمهيد ص٩٨.

(٥) ابن الجزري: النشر ١/٢١٧- ٢١٨.

للجيم الشامية المشربة صوت الشين، كما أنه وصف للجيم المصرية الممزوجة بصوت الكاف. ولهذا ذهب بعض المحدثين إلى أن صوت الجيم مركب يجمع بين الشدة والرخاوة، عند النطق به، لأن انفصال وسط اللسان عن الحنك الأعلى لا يحدث فجأة كما في نطق الأصوات الشديدة، بل يتم الانفصال ببطء، فيعطي الفرصة للنفس بعد الانفجار ليحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بما يحدث أثناء النطق بالجيم الشامية.[١] وقد سمى إبراهيم أنيس هذه الجيم بالصوت (قليل الشدة) [٢] فهو يعدل عن مصطلح (الصوت المركب) الذي استخدمه بعض المحدثين.[٣]

وسمى سمير ستيتية هذه الجيم بالجيم (المعطشة)[٤] إذ قال: «الجيم العربية الفصيحة المعاصرة التي ينطقها قرّاء القرآن الكريم، صوت مركب.

يسمى هذا الصوت بالجيم المعطشة، وهو نطق يخالف الوصف الذي ورد به هذا الصوت في كتب التراث العربي. وقد استعرض الدكتور كمال بشر وصف هذا الصوت في كتب التراث، فقال: «فالجيم في تقديرهم صوت شديد، أي انفجاري صرف، على حين عددناه نحن صوتاً مركباً. أي انفجاري احتكاكي».[٥] وقد حاول الدكتور كمال بشر تفسير هذا الخلاف على أساس من التفسيرين التاليين:

---

(١) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٣١-١٣٢، وكمال بشر: الأصوات ١٢٥- ١٢٦.

(٢) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٩، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٨٨.

(٣) انظر مثلاً: كمال بشر: الأصوات ص١٢٥، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٣١.

(٤) انظر: سمير ستيتية: هيئات النطق ووظائفها اللغوية ص٢٣، بحث غير منشور.

(٥) كمال بشر: الأصوات ص ١٢٦.

الأول: قد يكون حكمهم بأن الجيم صوت شديد أي انفجاري راجعاً إلى تأثرهم بالجزء الأول من نطق هذا الصوت. وهذا الجزء يتمثل في انحباس الهواء عند بداية النطق به، وهو في ذلك يتفق مع الأصوات الانفجارية عندما تلتقي الأعضاء الناطقة التقاء تاما، بحيث ينحبس الهواء. ومعناه حينئذ، أنهم أهملوا الجزء الثاني، وهو الانتقال من الانحباس إلى الانفجار البطيء الذي يحدث الاحتكاك (والمعروف طبعاً أن الانفجار في الأصوات الانفجارية الصرفة يكون فجأة وبسرعة).

الثاني: وهو التفسير الراجح في نظرنا: ربما كانت تنطق في القديم بما يشبه الجيم القاهرية في اللغة العامية. وهذه الجيم الأخيرة شديدة أي انفجارية ولا شك.[1]

يقول سمير ستيتية بعد أن نقل تفسير كمال بشر للجيم: «والذي نذهب إليه في ترجيح هذه المسألة هو أن التفسير الثاني مرجوح، بل هو إلى عدم الصحة أقرب، إذ لو كان السبب في وصفهم الجيم بأنها صوت انفجاري، أنها كانت تنطق بما يشبه الجيم القاهرية، أقول: لو كان هذا السبب، لكان مخرج الجيم في وصفهم هو مخرج الكاف، لا مخرج الشين والياء.

يقول سيبويه: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء».[2] فهذا ينفي نفياً قاطعاً أن وصفهم للجيم يمكن أن يصرف إلى الجيم القاهرية أو ما يشبهها. فسيبويه إذن، يتحدث عن الجيم المعطشة التي ينطقها قرّاء القرآن الكريم الآن، وهي الجيم القرشية، لا الجيم القاهرية التي مخرجها من الحنك اللين (الطبق). ولماذا نذهب بعيداً، وقد قطع لنا سيبويه

---

(١) كمال بشر: المرجع السابق ص ١٢٦.

(٢) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣.

الشك باليقين، عندما صرح بمعرفته بالجيم الشبيهة بالجيم القاهرية، وجعلها غير مستحسنة، وميز بينها وبين الجيم التي عليها مدار حديثنا، كما ميز بينها وبين الكاف، فجعلها بين هذين الصوتين ... يقول سيبويه: «وتكون اثنين وأربعين حرفاً غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف،والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء»[1] ... وأن نطق القرشيين للجيم هو الذي ينصرف إليه وصف سيبويه وغيره من العلماء» [2] وقد أفاض المحدثون في الحديث عن صوت الجيم كثيراً، وقدموا تخريجات كثيرة [3] والذي أراه أنه لا داعيَ لهذه الإضافة الطويلة، فالجيم صوت مركب من الدال الانفجارية ثم من صويت الشين الاحتكاكي المجهور [dʒ][4] أي انفجاري احتكاكي.

الضاد:

أخرج علماء الأصوات من المحدثين صوت (الضاد) من الأصوات الرخوة وأدخلوه في قائمة الأصوات الشديدة (الانفجارية)، وهو عند القدماء من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) ويخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس.

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٤٣٢.

(٢) انظر: سمير ستيتية: هيئات النطق ووظائفها اللغوية ص٢٤-٢٥، بحث غير منشور.

(٣) انظر مثلاً من المحدثين ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية من ص٧٨ إلى ص٨٤ وكمال بشر: الأصوات من ص١٢٥ إلى ص١٢٩، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٧٨، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٨ حتى ص٢٩٣.

(٤) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٨٩.

وقد أفاض رمضان عبد التواب كثيراً في الحديث عن مشكلة (الضاد) ونقل كل ما ذكره القدماء حولها، وما قاله المحدثون من المستشرقين، وعدّها صوتاً شديداً مجهوراً مفخماً.[١] كما أن غانم الحمد أفاض كثيراً في الحديث عن (الضاد)[٢] والذي أريد قوله حول (الضاد). إن الضاد العربية التي وصفتها لنا كتب المتقدمين، بأنها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، رخوة مجهورة مطبقة.[٣] ليس في العرب اليوم من ينطق بها كما وصفها القدماء، فلا موضع للكلام عليها.

خلاصة للقول في الشدة والرخاوة والتوسط، استخدم القدماء للتعبير عن الأصوات الشديدة مصطلح (الشدة) كما استخدموا مصطلح (الرخاوة) للتعبير عن الأصوات الرخوة، واستخدموا مصطلح (بين الشدة والرخاوة) للتعبير عن الأصوات المتوسطة، ومصطلح الأصوات المتوسطة استخدم متأخراً عند القدماء، وانفرد ابن سينا من القدماء باستخدام مصطلح جديد وهو (مفردة) بدل (شديدة) ومصطلح (مركبة) بدل (رخوة)، واستخدم بعض علماء التجويد مصطلح (معتدلة) ومصطلح (بينية) للتعبير عن أصوات (بين الشدة والرخاوة)، ومصطلح (آنية) بدل (الشديدة)، ومصطلح (زمانية) للتعبير عن الأصوات الرخوة، واستخدم المحدثون مصطلح (انفجاري) ومصطلح (آني)[٤] للتعبير عن الصوت الشديد، ومصطلح (متماد)[٥] للتعبير عن الصوت الرخو، واستخدموا مصطلح

---

(١) انظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٦٢-٧٤ .

(٢) انظر: غانم الحمد: فقد نقل في كتابه الدراسات الصوتية عند علماء التجويد من ص٢٦٥ إلى ص٢٨١ كل ماقيل حول الضاد عند القدماء والمحدثين، وكذلك فعل عبد الصبور شاهين في كتابه (في التطور اللغوي ص٢٠٨).

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٣- ٤٣٥، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٢- ٧٠.

(٤) انظر: برجشتراسر: التطور النحوي ص١٤.

(٥) انظر: المرجع السابق ص١٤.

(المتوسط) ومصطلح (الصوت المركب)[1] للتعبير عن الصوت الذي بين الشديد والرخو، وبعضهم استخدم بدل مصطلح (الصوت المركب) لبعض الأصوات التي بين الشديدة والرخوة مصطلح (قليل الشدة).[2] وبعضهم يسمي بعض هذه الأصوات (التي بين الشديدة والرخوة) أصواتاً مائعة.[3] إن معرفة هذه المصطلحات تسهل على الباحث فهم كتب الدراسة الصوتية القديمة والحديثة.

الاطباق[4] والانفتاح Valorization Open

مصطلحان لصفتين متقابلتين، تميزان بين عدد من الأصوات المتحدة في المخرج، وصفة الاطباق والانفتاح مرتبطة بوضع اللسان داخل الفم من ناحية درجة ارتفاعه وانطباقه على الحنك الأعلى وتقعر وسطه في حالة نطق الأصوات المطبقة وانبساطه في غيرها، وقد تناول العلماء قديماً وحديثاً صفة الاطباق والانفتاح بالدراسة والتحليل، قال سيبويه (ت.١٨٠هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء. والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى. وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان

---

(١) انظر: تمام حسان: مناهج البحث ص١٣١، وكمال بشر: الأصوات ص١٢٥.

(٢) هذا المصطلح استخدمه ابراهيم أنيس «للجيم العربية الفصيحة) انظر الأصوات اللغوية ص ٧٩، وسماها كل من محمود السعران وتمام حسان، وكمال بشر بالصوت المركب. انظر: علم اللغة ص١٨٢، ومناهج البحث ص١٣١، الأصوات ص١٢٥.

(٣) انظر: كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢٤، ورمضان عبد التواب: التطور اللغوي ص٣٧.

(٤) الإطباق: مصدر أطبق، وليس نسبة (للطبق) لأن الطبق هو الجزء الخلفي من سقف الحنك، وهو رخو متحرك ويسمى أيضاً الحنك اللين. والأصوات الطبقية هي «الكاف والغين والخاء» انظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٥٢ وتمام حسان: مناهج البحث ص١١١- ١١٥.

ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف. وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن. فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت. ولولا الاطباق لصارت الطاء دالاً[1]، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها».[2] يقول الألماني أ. شادة: «هذا التعريف من الوضوح بحيث يستغنى عن التفسير. وما أصوب قول سيبويه (إن هذه الأربعة لها موضعان من اللسان)، فإن الناطق بالصاد مثلا لايكتفي بوضع طرف لسانه على لثته كما يفعل في السين، ولكن في نفس الوقت يقرب الجزء الأخير من لسانه إلى ما يحاذيه من الحنك، وإن كان لا يمسه»،[3] وقد ذكر المبرد (ت٢٨٥هـ) الاطباق والانفتاح وهو يتحدث عن الأصوات قال: «ومنها المطبقة، والمنفتحة»، [4] أما ابن جنى (ت٣٩٢هـ) فقد ذكر مصطلحي «الاطباق والانفتاح» أثنـــاء تقسيمه للأصوات فقال: «وللحروف انقسام آخر إلى الاطباق والانفتاح»[5] وذكر الأصوات المطبقة «فالمطبقة أربعة. وهي الضاد، والطاء، والصاد، والظاء» ثم قال: «وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق»،[6] ووصف الاطباق بقوله: «والاطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً لـــه»، [7] وقد وصف بعض المحدثين هذا التحديد بأنه بعيد عن الوضوح.[8] وأيده

---

(١) سقوط الإطباق من الطاء يجعلها تاءً لا دالاً فالدال مجهور، والتاء والطاء غير مجهورين. أما الدال فهو المرقق من الضاد كما ننطقها اليوم، وهي جميعاً من مخرج واحد هو اللثة وحافة اللسان.

(٢) سيبويه الكتاب ٤/ ٤٣٦.

(٣) أ.شادة: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص١٤.

(٤) المبرد: المقتضب ١/١٩٤، وانظر: الزجاجي: الجمل ص٣٧٨.

(٥) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/ ٧٠.

(٦) المصدر السابق ١/ ٧٠.

(٧) المصدر السابق ١/ ٧٠. وانظر السعران في علم اللغة ص١٦٨ إذ وضّح ما أراده القدماء بالإطباق بقوله «ففي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه، وهذا ما أراده العرب بالإطباق».

آخـرون بقـولهم: «وهو حـقاً كـذلك ... لأن عـبـارة ابن جنى لـم تـوضح المراد بالاطباق على وجه الدقة» [٨] وهذا صحيح [١] وقال ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) وهو يتحدث عن الأصوات «المنطبقة والمنفتحة»، وعدّد أصوات الاطباق، وهي أربعة أصوات (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) ووصف ما سوى ذلك من الأصوات بأنه مفتوح، وبين معنى الاطباق إذ قال: «معنى الاطباق: أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطبق بها الحنك الأعلى فينحصر الصوت بين اللسان والحنك» [٣]، أما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فبعد أن عدّد حروف الاطباق الأربعة قال:«والمنفتحة ما عداها». وبيّن معنى الاطباق بقوله: «والاطباق أن تطبق على مخرج الحرف من اللسان وما حاذاه من الحنك، والانفتاح بخلافه»[٤] ووضح الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) المنفتحة: «والمنفتحة بخلافها، لأنـه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها».[٥]

وتابع علماء التجويد سيبويه ومن تابعه من علماء العربية في تحديد الصوت المطبق والصوت المنفتح، فقال مكي القيسي (ت٤٣٧هـ): «وإنما سميت بحروف الاطباق لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع

---

(٨) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢٦.

(١) انظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ص٣١٨.

(٢) لأن مجرد رفع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى، لا يبين المراد بالإطباق، إذ لابد من ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق (الحنك الرخو واللهاة مع ميل إلى الخلف نحو الجدار الخلفي للحلق) ويبقى هذا الإرتفاع محدوداً لا يصل إلى حد الإحتكاك، ويتزامن مع المخرج الرئيسي الذي يقع أمامه في الفم ويمكن أن يكون أمامه في اللثة مثل الصاد والضاد والطاء أو بين الأسنان كالظاء.

(٣) سر الفصاحة ص٣١.

(٤) المفصل ص٣٩٥.

(٥) الاستراباذي: شرح الشافية ٢٦٢/٣.

استعلائها في الفم»[1] وقال عن الأصوات المنفتحة: «وإنما سميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك، وتخرج الرِّيح عند النطق بها».[2]

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ): «والاطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطابقاً له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن ... والانفتاح لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت»، [3] وقال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) بعد أن ذكر أصوات الاطباق: «سميت بذلك لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها»،[4] وقال عن المنفتحة: «وسميت بالمنفتحة: لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا ينحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بينهما ويخرج الريح عند النطق بها». والذي نلحظه من النصوص السابقة أنها لم تخرج عما ذكره سيبويه حول الاطباق والانفتاح.

أما المحدثون فقد استخدم بعضهم هذين المصطلحين، كما استخدمها القدماء ووصفوا الاطباق بقولهم: «والاطباق: هو أن يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعر على هيئة ملعقة بينما يكون طرفه ملتحماً مع جزء آخر من اجزاء الفم مشكلاً محبساً من المحابس الصوتية المختلفة[5].

---

(١) الرعاية ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق ص١٢٣.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٨٨ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٦).

(٤) ابن الجزري: التمهيد ص١٠٠.

(٥) محمد الأنطاكي: الوجيز ص١٦٧، وانظر: ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٧-٤٨ وص٧٧، ومحمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٤٩.

وأطلقوا مصطلح الأصوات المطبقة على الأصوات المنطوقة بهذه الكيفية، ومصطلح الأصوات المنفتحة على الأصوات المنطوقة بكيفية أخرى، وحددوا الأصوات المطبقة والمنفتحة في العربية بقولهم: والمطبقات في العربية أربعة هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء. وما سواها منفتحة.[1] واستخدم العاني مصطلح الأصوات الحلقية بدل مصطلح (الأصوات المطبقة)[2] وذلك لإشتراك منطقة الحلق مع منطقة الطبق في إحداثها، واستخدم آخرون مصطلح (مفخمة) [3] بدل (مطبقة) للدلالة على هده الأصوات. واستخدم قسطندي شوملي مصطلح (التحليق)[4] بدل مصطلح (الطبقية) للدلالة على هذه الأصوات وفرق بين مصطلح (التحليق والطبقية) وبين مصطلح (الاطباق).[5] التحليق، لا يعني حلقية، بل يعني محلقة من التحليق.

وقابل تمام حسان مصطلح (الاطباق) بمصطلح (التغوير). والتغوير: الميل بالصوت ذي المخرج الذي خلف الغار إلى أن ينطق في الغار، أو أقرب ما يكون إليه.[6]

ووضح ابراهيم أنيس الاطباق أثناء وصفه لنطق صوت الظاء إذ قال: «في حالة النطق بالظاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه ...

---

(١) انظر: ابراهيم أنيس: الأصوات الغوية ص٤٧، ومحمد الأنطاكي: الوجيز ص١٦٨.

(٢) انظر: سلمان العاني: التشكيل الصوتي ص٧١.

(٣) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٨، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٤٦-٤٧، وكمال بشر: الأصوات ص١١٩- ١٢٠، وتمام حسان: مناهج البحث ص١٢٠، وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٢٠.

(٤) قسطندي شوملي: مدخل إلى علم اللغة ص ١٠٢.

(٥) يقول الشوملي: يختلف مصطلح الطبقية والتحليق عن الإطباق، فالأول هو حركة عضوية نعني بها ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه، مما يؤدي إلى احتكاك بهما في نقطة التقائهما، والثاني يعني قرب مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق، وهو ظاهرة صوتية ناتجة عن حركات عضوية (مدخل إلى علم اللغة ١٠٢).

(٦) تمام حسان: مناهج البحث ص١١٦.

كما يرجع اللسان إلى الوراء قليلاً. ولذلك اعتبر القدماء الظاء أحد أصوات الاطباق ».[١]

الذي نلحظه من كلام المحدثين حول أصوات الاطباق. أن اللسان عند النطق بها يتقعر وسطه، وهذه الحالة لم يذكرها القدماء، بل اكتفوا بالإشارة إلى انطباق ظهر اللسان على الحنك الأعلى، وهذا الوصف الذي ذكره القدماء وصفاً مقرباً للإطباق، ولكنه ليس بدقة الوصف الحديث.

فالاطباق من المخارج الثانوية Secondary Points of Articulation، وهي تعني ارتفاع مؤخر اللسان نحو الطبق (الحنك الرخو واللهاة مع ميل إلى الخلف نحو الجدار الخلفي للحلق) ويبقى هذا الارتفاع محدوداً لا يصل إلى حد الاحتكاك، ويتزامن مع المخرج الرئيسي الذي يقع أمامه في الفم ويمكن أن يكون في اللثة مثل الصاد والضاد والطاء، أو بين الأسنان كالظاء.

بقي علينا أن نفرق بين الأصوات المطبقة والأصوات الطبقية. أما الأصوات المطبقة فقد أمضينا فيها القول شرحا وبيانا. وأما الطبقية، فهي التي يجري لها مخرج من منطقة الطبق Velum، مخرج لا هيئة عارضة، كتلك التي تكون في الأصوات المطبقة من رفع ظهر اللسان نحو الطبق. فالأساس الذي نَفْرُقُ بمقتضاه بين هذين النوعين من الأصوات، إنّما هو الأساس الذي يفرق بين موضع النطق وهيئته.

وحتى نزيد الفرق بين الصوت الطبقي والصوت المطبق توضيحاً نقول: أن الكاف العربية الفصيحة صوت طبقي، بمعنى أن مخرجه من منطقة الطبق، ولكنه ليس صوتاً مطبقاً، بعكس الضاد مثلاً، فهو صوت مطبق، ولكنه ليس صوتاً طبقياً.[٢]

---

(١) ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٧- ٤٨.

(٢) سمير ستيتية: هيئات النطق ووظائفها اللغوية ص١٨.

الاستعلاء والاستفال

الاستعلاء:

ارتفاع اللسان عند النطق بالصوت إلى الحنك الأعلى، وأصواته سبعة[(١)] (الخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، والقاف، والظاء).

الاستفال:

انخفاض اللسان عند خروج الصوت عن الحنك إلى قاع الفم. وأصواته ما عدا أصوات الاستعلاء.

وهذان المصطلحان استخدمهما العلماء قديماً وحديثاً وكان استخدامهم لهما واضحاً ومحدداً. قال سيبويه في (باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أملتها فيما مضى): «فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد، والضاد، والطاء والظاء، والغين، والقاف، والخاء ... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى».[(٢)] ثم قال بعد ذلك: «فكان الانحدار أخف عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل».[(٣)] هنا تحدث سيبويه عن الاستعلاء وأصواته وعن الاستفال، وقد ظن حسام النعيمي أن سيبويه لم يتحدث عنهما قال: «ووصف الحروف بالاستعلاء والانخفاض لم أجده عند

---

(١) ذكر الخليل خمسة منها أثناء حديثه عن الأصوات المصمتة قال: «منها خمس شواخص، وهن: ط، ض، ص، ظ، ق، وتسمى المستعلية» تهذيب اللغة ١/٥١.

(٢) لكتاب ٤/ ١٢٨- ١٢٩.

(٣) الكتاب ٤/ ١٣٠.

سيبويـــه». [١] صحيح أن سيبويه لم يستخدم «مصطلح الانخفاض» في وصفه للأصوات، لكنه استخدم «مصطلح الاستفال» كما أنه استخدم في مكان آخر من كتابه مصطلح «التصعد» بدل مصطلح «الاستعلاء» ومصطلح «الانحدار» بدل مصطلح «التسفل» قال في (باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات): «تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صُقْتُ وصَبَقْتُ. وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى»[٢]، إذن سيبويه وصف الأصوات بالاستعلاء والانخفاض، واستخدم أكثر من مصطلح للتعبير عن ذلك كما رأينا؛ لكنه لم يقدّم تعريفاً محدداً للاستعلاء والتسفّل. ومن جاء بعد سيبويه من علماء العربية رغم أنه استخدم مصطلحاته نفسها، إلا أنه قدم لنا توضيحاً أكثر حول صفتي الاستعلاء والاستفال. يقول المبرد (ت٢٨٥هـ): «والحروف المستعلية: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والخاء، والغين، والقاف. وإنما قيل مستعلية لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى، وهي الحروف التي تمنع الإمالة»، ثم قال: «فإن كان حرف من هذه الحروف قبل السين لم يجز قلبها ... لأنهم إنما قلبوها وهذه الحروف بعدها، لئلا يكونوا في انحدار ثم يرتفعوا». [٣] وقال ابن جنى (ت٣٩٢هـ): «وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض، فالمستعلية سبعة، وهي: الخاء، والغين، والقاف، والضاد، والطاء، والصاد، والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض»، وفسر الاستعلاء بقوله: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها. وأما الخاء، والغين، والقاف، فلا إطباق فيها مع إستعلائها».[٤]

---

(١) انظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ص٣١٩.

(٢) الكتاب ٤٧٩/٤ وانظر ص.٤٨.

(٣) المقتضب ٢٢٥/١.

(٤) سر صناعة الاعراب ٧١/١.

ومن جاء بعدهم من علماء العربية القدامى تحدث عن مصطلحي (الاستعلاء والاستفال) في معرض حديثه عن أقسام وأنواع الأصوات وصفاتها. فقال ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ): «ومن الحروف أيضاً حروف الاستعلاء وحروف الانخفاض، ومعنى الاستعلاء: أن تتصعد في الحنك الأعلى، وهي سبعة أحرف: (الخاء، والغين، والقاف، والضاد، والظاء، والصاد، والطاء)، وما سوى ذلك من الحروف منخفض»، [١] وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «والمستعلية الأربعة المطبقة، والخاء، والغين، والقاف، والمنخفضة ما عداها، والاستعلاء: ارتفاع اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق، والإنخفاض بخلافه»،[٢] وقال السكاكي (ت٦٢٦هـ): «وتتنوع أيضاً إلى مستعلية وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والخاء، والقاف، وإلى منخفضة، وهي ما عداها، والاستعلاء أن تتصعد لسانك في الحنك الأعلى، والانخفاض بخلاف ذلك»،[٣] وقال ابن عصفور الاشبيلي(ت٦٦٩هـ): «وتنقسم الحروف إلى مستعل ومنخفض. فالمستعلية سبعة: الأربعة المطبقة، وثلاثة من غيرها، وهي: الخاء، والغين، والقاف، والمنخفض ما عدا ذلك، والاستعلاء: أن يتصعد اللسان إلى الحنك الأعلى، انطبق اللسان أولم ينطبق. والانخفاض ضد ذلك» [٤] وقال الاستراباذي (ت٦٨٦هـ): «والمستعلية: ما يرتفع بسببها اللسان، وهي المطبقة، والخاء والغين المعجمتان، والقاف؛ لأنه يرتفع اللسان بهذه الثلاثة أيضاً، لكن لا إلى حد انطباق الحنك عليها، والمنخفضة: ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع، وهي كل ما عدا المستعلية».[٥] وقال السيوطي

---

(١) سر الفصاحة ص٣١.

(٢) المفصل ص٣٩٥، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٩/١٠.

(٣) مفتاح العلوم ص٤.

(٤) الممتع ٢/ ٦٧٥.

(٥) شرح الشافية ٣/ ٢٦٢.

(ت٩١١هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «وسميت المستعلية لأن اللسان يعلو إلى الحنك عند النطق بها فينطبق الصوت مستعلياً بالريح وضدها المنخفضة، ويقال المستفلة، لأن اللسان لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك بل يتسفل بها إلى قاع الفم عند النطق».[١]

الذي نلحظه من النصوص السابقة أن علماء العربية الذين جاءوا بعد سيبويه وضحوا معنى الاستعلاء والتسفل الذي ذكره سيبويه دون توضيح، كما إنهم ذكروا الأصوات التي ذكرها سيبويه للاستعلاء والتسفل دون أي إضافة، واستخدموا مصطلح «الاستعلاء» كما استخدمه سيبويه، واستخدموا بدل مصطلح «مستفلة ومنحدرة» مصطلح «منخفضة»، واستخدم بعضهم عبارة «الانخفاض» بدل «التسفل».

أما علماء التجويد فلم يخرجوا عمّا ذكره علماء العربية حول الاستعلاء والتسفل، سوى أن بعضهم أضاف إلى الأصوات المستعلية (العين والحاء) يقول أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ): «ومنهم من الحق العين والحاء بالمستعلية من القراء دون النحاة»، وذكر ذلك أيضاً أبو شامة (ت٦٦٥هـ) في قوله: «وبعضهم ألحق العين والحاء المهملتين بالحروف المستعلية»[٢] ولكن تعريف الأصوات المستعلية لا ينطبق على العين والحاء إذ ليس للسان دور في إنتاجهما. فأقصى اللسان لا يستعلي معهما نحو الحنك، واتّبع آخرون ما ذكره علماء العربية. قال مكي (ت ٤٣٧ هـ) وهو يتحدث عن الاستعلاء: «حروف الاستعلاء: وهي سبعة: منها الأربعة الأحرف التي هي حروف الاطباق المذكورة، و«الغين» و «الخاء» و «القافُ»، وإنما سُمِّيت بالاستعلاء: لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك

---

(١) السيوطي: همع الهوامع ٢/ ٢٣٠.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٩١ (نقلاً عن كتاب إبراز المعاني لأبي شامة المقدسي و ١٠).

فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الاطباق المذكورة، على هيئة ما ذكرنا، ولا ينطبقُ مع «الخاء» و «الغين» و «القاف»، إنما يستعلي الصَّوتُ غير منطبق بالحنك».[1] وقال عن الأصوات المستَفِلَة: «الحروف المستفلة: وهي اثنان وعشرون حرفاً، وهي ما عدا الحروف المستعلية المذكورة، وإنما سميت مستفلةً، لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك، كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية المذكورة، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها».[2] وقال ابن الطحان (ت ٥٦٠ هـ) بعد أن ذكر الصفات السابقة: «والاستعلاء في سبعة أحرف؛ وهي حروف الاطباق، والغين، والخاء، والقاف. والانسفال فيما عداها»[3]، وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) وهو يتحدث عن صفات الحروف: «حروف الاستعلاء، وهي سبعة، منها حروف الاطباق، والغين، والخاء، والقاف، سميت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك، هذا مع حروف الاطباق، ولا ينطبق الصوت مع الغين والخاء، والقاف، وإنما يستعلي الصوت غير منطبق، ثم قال: «والحروف المستفلة، وهي ما عدا المستعلية، سميت مستفلة، لأن اللسان يستفل بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها».[4]

✓ الذي نلحظه على نصوص علماء العربية وعلماء التجويد الذين تابعوهم في توضيح معنى الاستعلاء، أن هذه النصوص عندما وصفت ارتفاع اللسان مع أصوات الاستعلاء لم تحدد هذا الارتفاع. فعند النطق بأحد أصوات الاستعلاء

---

(١) الرعاية ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق ص١٢٣-١٢٤.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص٩٠.

(٤) التمهيد ص١٠٠.

يرتفع أقصى اللسان، حتى يقترب من أقصى الحنك الأعلى بحيث يكون بينهما فراغ ينفذ منه الهواء، أو يتصل أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من الفم، ثم فصله فجائياً. وذلك مع صوت الكاف.

وعليه يمكن أن نعدّ صوت الكاف ضمن أصوات الاستعلاء لأن وصف الأصوات المستعلية ينطبق عليه، فالكاف من نفس مخرج الخاء، والغين إلا أنها صوت انفجاري. ولكن نطق الخاء والغين يتقلب حسب البيئات الصوتية بين أن يكون مخرج النطق من اللهاة (الجزء الأقصى من الحنك الرخو الأقصى) وأن يكون من الحنك الرخو. أما الكاف فلا سبيل إلى النطق بها من اللهاة، لأنها تتحول هكذا إلى القاف، فهي إذن من الحنك الرخو إلا أنها أقرب إلى الحنك الصلب.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد قال بعضهم عن الاستعلاء بعد أن فرّق بين مصطلحي (الطبقية والاطباق) بقوله:

- فالطبقية ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه تضييقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، فهي إذاً حركة عضوية مقصودة لذاتها يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد.

- أما الاطباق فارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه. «وقد عبّر النحاة والقرّاء الأقدمون عن الطبقية والاطباق كليهما باصطلاح «الاستعلاء»، وقصدوا بذلك علو مؤخر اللسان في اتجاه الطبق، سواء اتصل به كما في الطبقية، أم لم يتصل كما في الاطباق».[1]
وقال آخرون بعد دراستهم لوصف القدماء للخاء، والغين، والقاف بالاستعلاء:

---

(١) انظر: تمام حسان: مناهج البحث ص١١٥.

«يبدو أن اتصال أقصى اللسان بأدنى الحلق أو بأقصى الحنك اللين (اللهاة) هوالذي جعلهم يصفون هذه الثلاثة... بالاستعلاء، وهو وصف دقيق... لأن أقصى اللسان لا يسهم في إخراج أي صوت قبل هذه الثلاثة، إذ قبل الخاء والغين. الحاء والعين، وخروجهما لا شأن لأقصى اللسان به، وأقصى الحنك اللين (اللهاة) لا يسهم في إخراج أي صوت بعدها، إذ بعد القاف، الكاف ولا شأن لأقصى الحنك اللين في إخراجه، وإنما هو من أقصى الحنك الصلب».[1] هذا الكلام غير دقيق. فالكاف من نفس مخرج الخاء والغين، إلا أنها صوتٌ انفجاري. في حال النطق بالكاف فيرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من الفم، ثم ينفصل العضوان انفصالاً فجائياً (انفجارياً)؛ أما في حال النطق بالغين والخاء فيرفع أقصى اللسان حتى يقترب من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ينفذ منه الهواء محدثاً صوتاً احتكاكياً. ويفرق بين الخاء والغين أن الأولى مهموسة والثانية مجهورة.[2] ونطق الخاء والغين يتقلّب حسب البيئات الصوتية بين أن يكون مخرج النطق من اللهاة (الجزء الأقصى من الحنك الرخو الأقصى)، وأن يكون من الحنك الرخو. أما الكاف فلا سبيل إلى النطق بها من اللهاة لأنها تتحول هكذا إلى القاف، فهي إذن من الحنك الرخو إلا أنها أقرب إلى الحنك الصلب.

وعلى هذا نستطيع القول أن الكاف من الأصوات المستعلية، إلا أن أحداً من القدماء لم يضمها إلى المستعلية.

واستخدم بعض المحدثين مصطلح «التفخيم» بدل «الاستعلاء» لوصف هذه الأصوات، وقال: لا فرق بين التفخيم وبين الاطباق والاستعلاء.[3] وكان بعض

(١) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٣١٩.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٦، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٢.

(٣) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٧، وكمال بشر: الأصوات ص١٠٢-١٠٤.

القدماء قد سبقهم لهذا القول. إذ قال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «إن التفخيم والاطباق والاستعلاء من وادٍ واحد».[1]

ويبدو أن المحدثين متابعين للقدماء في استخدام مصطلحي (الاستعلاء والاستفال)، ولا فرق بينهما إلا في وصف وضع اللسان أثناء النطق بأصوات الاستعلاء، حيث أشار القدماء إلى ارتفاع اللسان دون أن يحددوا هذا الارتفاع، وقد حدده المحدثون بارتفاع أقصى اللسان إلى أقصى الحنك الأعلى.

وتقسيم الأصوات إلى مستعلية ومستفلة مبني على وضع اللسان أثناء النطق فإذا ارتفع أقصى اللسان باتجاه أقصى الحنك الأعلى وصف الصوت بالاستعلاء، وإذا انخفض اللسان وصف الصوت بأنه منخفض أو مستفل.

التفخيم والترقيق:

صفتان عارضتان، وليستا لازمتين، وقد استخدمهما العلماء قديماً وحديثاً في دراساتهم.

التفخيم:

عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف حتى يمتلىء الفم بصداه، وأصواته هي: «خ، ص، ض، غ، ط، ق، ظ» وهي أصوات الاستعلاء.

الترقيق:

عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتليء الفم بصداه، وحروفه هي حروف الاستفال مطلقاً. إلا أحرف المد فإنها تتبع ما قبلها تفخيماً وترقيقاً.[2]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٩٣ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٨٠).

(٢) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص٧٢، والشيخ محمد الحسيني: تحفة الراغبين ص٩. وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩٠.

ولا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستفالة إلا الراء واللام في بعض أحوالهما.[١] وهذه تعريفات وصفية انطباعية خالصة. وهي تختلف عن تعريفات المحدثين، إذ نظر المحدثون إلى أوضاع اللسان المختلفة مع أصوات التفخيم. وعرّفوا التفخيم بقولهم: «التفخيم معناه ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق».[٢] وقد استخدم أغلب القدماء مصطلح التفخيم في وصف الأصوات المفخمة. [٣] قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) وهو يتحدث عن الحروف المستحسنة:«وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنَّ فروع... وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة ..... وألف التفخيم، يُعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: «الصَّلاة، والزكاة، والحياة».[٤] وقد كتبت هذه الكلمات في المصحف بالواو. والذين كتبوه جُلُّهم من قريش. فلشدة تفخيمهم للألف كتبوها واواً.[٥] وتابعه من جاء بعده. قال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سُلام عليك، وقُام زيد. وعلى هذا كتبوا الصلوة، والزكوة، والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو».[٦] وقال في موضع آخر: «وأما الفتحة الممالة نحو الضمة، فالتي تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو الصلاُة، والزكُاة، ودعُا، وغزُا،

---

(١) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٠٤، وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٦٥.

(٢) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٩. وانظر: داود عبده: دراسة في بعض أحكام التجويد، ص١٢.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٢/٤، وابن جني: سر صناعة الاعراب ٥٦/١، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٥/١٠، والاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٥/٣.

(٤) سيبويه: الكتاب ٤٣٢/٤.

(٥) انظر: صالحة غنيم: اللهجات في الكتاب لسيبويه ص٩٤.

(٦) سر صناعة الاعراب ٥٦/١.

وقَام، وصُـــاغ». [1] كما أن الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) استخدم مصطلح «التفخيم» وهو يتحدث عن الإمالة، قال: «والراء غير المكسورة إذا وليت الألف منعت منع المستعلية تقول راشد وهذا حمارك، ورأيت حمارك. على التفخيم، والمكسورة أمرها بالضد من ذلك». [2] وقال الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ): «قوله: ولام التفخيم» يعني بها اللام التي تلي الصاد أو الضاد أو الطاء؛ إذا كانت هذه الحروف مفتوحة أو ساكنة، كالصَّلوة ويَصْلَوْن؛ فإن بعضهم يفخمها». [3] وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ) وهو يتحدث على الادغام: «وألفا الإمالة والتفخيم فرع عن الألف المنتصبة التي ليس فيها ترقيق ولا تفخيم»[4]، الذي نلحظه من النصوص السابقة، أن القدماء لم يضعوا تعريفاً محـدداً لمصطلحي «التفخيم والترقيق» كما أنهم لم يولوهما عنايتهم كما أولوا المصطلحات الأخرى.

أمّا علماء التجويد فقد كانت عنايتهم بمصطلحي «التفخيم والترقيق» أكثر من علماء العربية، فعرّفوهما وفصّلوا القول فيهما، وربطوا التفخيم بالاطباق والاستعلاء، حتى أن بعضهم قال: «التفخيم والإطابق والاستعلاء من واد واحـــد» [5] وقال آخرون: «التفخيم - لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الاطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء... وبالجملة إنّ قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق»،[6] وقال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) وهو يتحدث عن العلاقة بين التفخيم والاستعلاء

---

(١) المرجع السابق ٥٩/١.

(٢) المفصل ص٣٣٧.

(٣) شرح الشافية ٢٥٥/٣.

(٤) همع الهوامع ٢٢٩/٢.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٩٣ (نقلاً عن كتاب الموضح للقطربي و ١٨٠).

(٦) انظر: المرجع السابق ص٢٩٣ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٥-١٦).

والاطباق: «فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان والحنك نظير الاستعلاء والاطباق، ولهذا أثّر الاستعلاء في الإمالة والترقيق فمنعها لأنه ضد. والفرق بين الاستعلاء والاطباق وبين الترقيق والتفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الاطباق، بخلاف الترقيق والتفخيم فإنهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة والتفخيم في الألف»[١]، ويعني عبدالوهاب القرطبي بحروف الترقيق والتفخيم هنا اللام والراء، أما حروف الاستعلاء فإنها ملازمة للتفخيم.[٢] وقال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) موضحاً لمعنى التفخيم: «والتفخيم يعني التغليظ»[٣]، كما أنه ذكر أصوات التفخيم بقوله: «حروف التفخيم: وهي حروف الاطباق المذكورة، يتفخَّم اللفظ بها، لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك، ومثلها في التفخيم في كثير من الكلام: «الراء» و «اللام» و «الألف»، نحو: «ربِّكم» و «رحيم» و «الصلاة» و «الطّلاق» -في قراءة ورش- ».[٤] والتفخيم عند ابن البـاذش (ت ٥٤٠ هـ) [٥] يعنـي ربو الحرف وتسمينه، فهو والتغليظ واحد، وعكسه الترقيق من الرِّقة، وهو ضد السمن، وهو عبارة عن انحاف الحرف ونحوله. [٦] وجعل ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) التفخيم مرادفاً للاستعلاء إذ قال: «ومنها الحروف المستفلة وضدها المستعلية؛ والاستعلاء من

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٢٩٢ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٢).

(٢) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٩٣.

(٣) الكشف ١/٢٨٩.

(٤) الرعاية ص١٢٨-١٢٩.

(٥) ابن الباذش: هو أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد (ت ٥٤٠ هـ) له كتاب الاقناع في القراءات السبع، حققه الدكتور عبدالمجيد قطامش، ونشره: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في السعودية. وطبع، بمطبعة دار الفكر بدمشق، ١٤٠٣هـ.

(٦) انظر: ابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع ١/٣٢٤.

صفات القوة وهي سبعة يجمعها قولك: قظ، خص، ظغط...، وهي حروف التفخيم... وقيل حروف التفخيم هي حروف الاطباق».[1] وقد وضح محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) أقوال سابقيه حول التفخيم والترقيق، وبيّن علاقتهما بالاستعلاء والاطباق، عندما قال: «والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلىء الفم بصداه. والتفيخم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد. والترقيق عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلىء الفم بصداه. وحروف الاستعلاء كلها مفخمة، ولا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستفالة إلا الراء واللام في بعض أحوالهما. وسيجيء بيان ذلك، وإلا الألف المدية فإنها تابعة لما قبلها... ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الاطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء... وبالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق».[2]

هذا أوضح ما قيل حول مصطلحي «التفخيم والترقيق» من قبل علماء العربية والتجويد القدامى.

أما المحدثون من علماء التجويد فقد اتّبعوا القدامى في كل ماقالوه حول مصطلحي (التفخيم والترقيق) دون أي إضافة.[3]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد وضحوا مصطلحي «التفخيم والترقيق»، حسب وضع اللسان الذي يتخذه داخل الفم، قال بعضهم: «التفخيم: هو أن يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك، ويتقعّر وسطه، كما

(١) انظر: ابن الجزري: النشر ١/٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٩٢ - ٢٩٣، (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٥-١٦).

(٣) انظر: حبيب الكندي: مفنم الصبان ص١٨، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٥، والشيخ علي صبرة: ملخص القعد ص٢٣.

يرجع اللسان قليلاً إلى الخلف، والترقيق عكس ذلك»،[١] والأصوات المفخمة في اللغة العربية عندهم هي: «الصاد والضاد، والطاء، والظاء» لا غير». إذن هي نفس أصوات الاطباق، ولا فرق عندهم بين التفخيم والاطباق، فمرة يطلقون مصطلح «الاطباق» على هذه الأصوات ويسمونها الأصوات المطبقة، ومرة يطلقون مصطلح «التفخيم» على هذه الأصوات، ويسمونها الأصوات المفخمة.[٢] وفرق بعضهم بين «الاطباق والتفخيم»، فقال: «والفرق بين الاطباق والتفخيم. أن الاطباق: وصف عضوي للسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، وأن التفخيم: هو الأثر السمعي الناشيء عن هذا الاطباق، فإذا سمع الصوت مرققاً فإن معنى ذلك أن اللسان في وضع منفتح يتصل فيه بالحنك الأعلى من نقطة واحدة أمامية». [٣] والأصوات المفخمة هي: «الصاد، والضاد، والظاء، والطاء»، واللاّم والراء في بعض مواقعهما، فأما الراء «فصوت مفخم في العربية، قديماً وحديثاً، في أكثر مواقعه، وينشأ تفخيمه من ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الأعلى، كما في حالة الاطباق، فيؤدي ذلك إلى التفخيم، ويحدث ذلك للراء المفتوحة أو المضمومة، والساكنة بعد فتح أو ضم، كما في ربّ، وروح، وبرد، وقرط، فأما المكسورة، أو الساكنة بعد كسر فترقق، كما في: رسالة، وفِرْعون. وقد تفخم الراء الساكنة بعد كسر إذا جاء بعدها صوت مفخم، كما في: قِرْطاس».[٤]

---

(١) انظر: محمد عبدالعزيز: مدخل إلى اللغة ص٨٠، وانظر: رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ص٣٧-٣٨، وانظر: تمام حسان: اللغة معناها ومبناها ص٥٣.

(٢) انظر: رمضان عبد التواب المدخل إلى علم اللغة ص٣٨.

(٣) مالمبرج: علم الأصوات ص١١٧، تعريب: عبد الصبور شاهين.

(٤) مالمبرج: علم الأصوات ص١١٨.

وأما اللام فهي مرققة دائماً، إلا في لفظ الجلالة «الله»، بشرط أن تسبق لامه بمفتوح أو مضموم، كما في فضل الله، والرزق من الله، فإذا سبقت بمكسور رققت مثل: بالله.

والتفخيم في اللام ناشيء كذلك عن ارتفاع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى، كما في الأصوات المطبقة».[١]

وقسم آخرون الأصوات المفخمة إلى ثلاثة أنواع:

أ- أصوات كاملة التفخيم ... وهي: «الصاد، الضاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة». وضع اللام مع هذه المجموعة غير دقيق، لأن اللام ترقق وتفخم حسب بيئاتها الصوتية.

ب- أصوات ذات تفخيم جزئي ... وهي: «الخاء، والغين، والقاف».

جـ- صوت يفخم في موقع ويرقق في مواقع، وهو الراء.[٢]

هذا لا ينطبق على الراء فقط، بل ينطبق كذلك على اللام وعلى الألف وعلى أصوات أخرى ترقق وتفخم حسب بيئاتها الصوتية.

وعرف التفخيم بقوله: «التفخيم معناه ارتفاع اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق. ولذلك يسميه بعضهم «الاطباق» Velarization بالنظر إلى الحركة العليا للسان. ويسميه بعضهم «التحليق» Pharyngalization بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان».[٣]

---

(١) المرجع السابق ص١١٩.

(٢) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٨- ٢٧٩.

(٣) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٩.

واستخدم العاني مصطلحي «التفخيم والترقيق» في دراسته وبين الأصوات المفخمة والمرقّقة. قال: «وجدت، عند بحث الأصوات المفخمة، أن لكل منها نظيراً مرققاً». [١] وذكر أن المصطلح الذي شاع استخدامه بين اللغويين دلالة على التفخيم هو الاطباق Velarization. ولم يوافق على وصف هذه الأصوات - الصاد، والضاد، والطاء، والظاء- بالمطبقة، لأنه بعد أن فحص هذه الأصوات اكوستيكيا وفسيولوجيا، وجد أن المنطقة المنشغلة بإحداثها ليست الطبق فقط لكنها منطقة الحلق. فقال: «وعلى هذا يبدو أن وصفها بالأصوات الحلقية Pharyngealized أنسب من وصفها بالأصوات المطبقة Velarized.» [٢]

واستخدم بعضهم مصطلح «التفخيم» بدل «الاستعلاء» الذي استخدمه القدماء، ومصطلح «الترقيق» بدل «الاسْتِفال».[٣] وقابل بعضهم مصطلح: «الاطباق» «التفخيم» بمصطلح «التغوير» والتغوير: شوب الصوت ذي المخرج الذي خلف الغار إلى أن ينطق في الغار، أو أقرب ما يكون إليه».[٤] وجعل من أسباب ظاهرة «التفخيم» الاطباق والتحليق (Pharyngalization)، والتحليق: هو قرب مؤخرة اللسان من الجدار الخلفي للحلق، نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة. فالتفخيم؛ إذاً ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تغير من شكل حجرات الرنين بالقدر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة.».[٤] وكانت دراسة جان كانتينو في كتابه دروس في علم أصوات العربية، حول صفتي «التفخيم والترقيق» أكثر وضوحاً حيث قال: «ولا يمكن التفريق بين التفخيم وبين الاطباق والاستعلاء وإن كان التفخيم لا يذكر عادة في قائمة صفات الحروف. ويسمى التفخيم أيضاً «تغليظاً» أو «تسمينا» ويقابله «الترقيق»،

---

(١) انظر: العاني: التشكيل الصوتي: الفصل الرابع ص٧١ وما بعدها.

(٢) انظر المرجع السابق ص٧١.

(٣) انظر: عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢٠٩.

(٤) انظر: تمام حسان: مناهج البحث ص١١٦.

ومن الراجح فيما يبدو أن لفظ «التفخيم» يطلق على بعض الحروف التي لها وقع خاص على السمع أي وقع «فخم» أو «غليظ» أو «سمين» على الآذان. وهذه الحروف هي الأربعة المطبقة ثم القاف، والخاء، والغين، ثم الراء واللام في بعض حالاتها الخاصة». [١] ما ذكره كانتينو لم يكن جديداً بل سبقه إليه علماء التجويد من قبل كما رأينا، وغاية ما نلحظه في كلامه من عناصر الجدة هو ميله إلى التعبير عن مجموع الصفات- الاطباق والاستعلاء، والتفخيم- بمصطلح واحد هو«التفخيم»، وهذا أمر يشاركه فيه بعض الدارسين المحدثين.[٢]

واستخدم إبراهيم أنيس مصطلح «التغليظ» بدل «التفخيم» عند حديثه عن اللام. قال: «اللام نوعان مرققة ومغلظة».[٣] ومصطلح «التغليظ» لم يكن جديداً فقد سبقه إلى استخدامه علماء التجويد من قبل كما رأينا. كما أنه استخدم مصطلح «التفخيم» أيضاً فقال: «ومن القراء من يفخم معظم اللامات».[٤]

أما عند حديثه عن «الراء» فقد استخدم مصطلح «الترقيق والتفخيم» ولم يستخدم مصطلح «التغليظ» إذ قال: «الراء: هي أيضاً نوعان: مرققة ومفخمة». [٥] أما بخصوص ترقيق وتفخيم أصوات المد واللين (الحركات) راجع المطلبي.[٦]

---

(١) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٧.

(٢) انظر: العاني: التشكيل الصوتي ص٧١، وكمال بشر: الأصوات ص١١٩- ١٢٠.

(٣) الأصوات اللغوية ص٦٥.

(٤) المرجع السابق ص٦٦.

(٥) المرجع السابق ص٦٦.

(٦) انظر: المطلبي: في الأصوات العربية ص١٦٨- ١٦٩ فقد فصل القول في تفخيم أصوات المد واللين، عند القدماء والمحدثين. وانظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٥٠٢-٥٠٥، وانظر: كمال بشر: الأصوات ص١٤٨.

الذلاقة والاصمات

صنفت الأصوات الصحاح إلى مذلقة ومصمتة، فالمذلقة ستة أصوات هي: «اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم» وقد سميت بذلك لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه. وقد جاء في اللسان: «إنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الحروف الستة».[1]

والمصمتة: الأصوات الباقية غير الستة المذكورة للمذلقة،[2] وقد سميت بذلك لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت جروفه- أي لا تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة.[3] فإذا وجدت كلمة رباعية أو خماسية عارية من أحد أحرف الذلاقة فاحكم بأنها من الدخيل في كلام العرب.[4]

وهذان المصطلحان ذكرهما الخليل بن أحمد (ت.١٧٠هـ) في مقدمة كتابه العين، ولم يذكرهما تلميذه سيبويه (ت.١٨٠هـ)، وذكرهما باقي القدماء من علماء اللغة والتجويد.

قال الخليل: «اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة، وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة. منها ثلاثة ذليقة: (ر، ل، ن)، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: (ف، ب، م)، مخرجها من بين

(١) ابن منظور: اللسان ١١/ ٤٠٠ مادة ذلق.

(٢) متى ثبت أحد الضدين في عدد من الحروف يثبت ضده فيما بقي منها.

(٣) انظر: سر صناعة الاعراب ١/ ٧٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ١/٧٣.

الشفتين خاصة، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون ... فلما ذلقت الحروف الستة، ومُذِلَ بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق، كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها».(١) ثم قال: «فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة. ليست من كلام العرب، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر».(١)

ويبدو أن الخليل لم يستخدم مصطلح «المصمتة» لكنه ذكر مصطلح «الحروف الصُّتم» على نحو لا تتضح معه دلالته على معنى محدد.(٢) وقد ورد في مصادر أخرى أن الصُّتم يقصد بها المصمتة قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في كتابه تهذيب اللغة: «أما المصمتة- وهي الصتم أيضاً- فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً ... وإنما سمين مصمتة لأنها أُصْمِتَتْ فلم تدخل في الأبنية كلها، وإذا عريت من حروف الذلاقة قلت في البناء، فلست واجداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة ولا كلاماً رباعياً كذلك ...».(٣)

إن الدارس حين ينظر في كلام الخليل السابق يجد أن مصطلح الذلاقة لا يشمل إلا ثلاثة أصوات هي (ر، ل، ن) وأن الأصوات الثلاثة الأخرى (ف، ب، م) أطلق عليها مصطلح الشفوية. ولعل الذي جعل الخليل يتحدث عن الأصوات الستة المذكورة في مكان واحد هو اشتراكها في أن الكلمات الرباعية والخماسية لا

(١) العين ١/ ٥١- ٥٢ وانظر: الأزهري: تهذيب اللغة ١/٤٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٤- ٥٥، وانظر: الأزهري: تهذيب اللغة ١/٤٥.

(٣) الأزهري: تهذيب اللغة ١/ ٥٠- ٥١.

تخلو من بعضها، ويؤكد ذلك أنه حين وصف الأصوات منسوبة إلى مخارجها قال: والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان. والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة: شفهية، لأن مبدأها من الشفة.[١] وواضح أن ثلاثة منها يعتمد عليها حقاً بطرف اللسان، أما الثلاثة الباقية فهي أصوات شفوية لا شأن لطرف اللسان على الإطلاق في إخراجها.[٢] والذي أراه أن التسمية جاءت من باب التغليب لا غير.

والأصوات المصمتة عند الخليل تسعة عشر، ومن جاء بعده من علماء العربية أضاف أصوات العلة الثلاثة (الواو، والياء، والهمزة) إلى المصمتة، فصارت عندهم اثنتين وعشرين صوتاً.[٣]

أما الألف فلم يعده من أي من القسمين، وقال: «أما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف، يريد أنه ساكن لا يتصرف في الإعراب، وهو الألف الساكنة».

وقد تناول ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ظاهرتي «الذلاقة والاصمات» بالعرض ونقل عن الأخفش تفسيراً للمذلق والمصمت، قال ابن دريد: «وسمعتُ الأشانداني [٤] يقول: سمعت الأخفش يقول: سميت الحروف (مذلقة) لأن عملها في طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الحروف وأحسنها امتزاجاً بغيرها، وسميت الأخر (مصمتة) لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت

---

(١) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٩٧.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٧– ١٨٤– ١٩٠.

(٣) انظر: جمهرة اللغة ١/٦-٧.

(٤) الأشانداني: هو سعيد بن هارون الأشانداني (ت ٢٥٦ هـ) انظر: الجمهرة لابن دريد ١/٧؛ والأعلام ٣/١٠٣.

حروفه لاعتياصها على اللسان».[١]

وقسم ابن دريد المذلقة قسمين:

أ- قسم الشفة: وهي الفاء، والميم، والباء، لا عمل اللسان في هذه الأصوات الثلاثة، وإنما عملهن في التقاء الشفتين، وأسفلهم الفاء، ثم الباء، ثم الميم.

ب- وعدّ صدور أصوات القسم الثاني: بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى وهي الراء، والنون، واللام.[٢]

أما ابن جنى (ت٣٩٢هـ) فقد لخص قضية الأصوات المذلقة والمصمتة بقوله: «ومنها حروف الذلاقة، وهي ستة: «اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه. ومنها الحروف المصمتة وهي باقي الحروف»، [٣] هنا لم يقسم ابن جنى الأصوات المذلقة إلى قسمين كما فعل ابن دريد، بل جعلها قسماً واحداً دون أن يخرج الأصوات الشفوية من الذلقية لأنه لا شأن لطرف اللسان على الإطلاق في إخراجها، قال أحد المحدثين: «ويبعد عندي أن يكون ابن جنى قد غفل عن هذا، وأرى أنه أراد التغليب، فكأنهم حين وجدوا اللام والراء والنون من طرف اللسان جعلوا الاسم لها وضموا إليها الفاء، والميم، والباء، أما لم غلبوا ذلق اللسان على الشفة في التسمية فيبدو لي أن معنى الذلاقة في الأصل هو الذي دعا إلى ذلك».[٤]

وقال ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) وهو يتحدث على أقسام الأصوات:

---

(١) انظر: جمهرة اللغة ٧/١.

(٢) انظر: جمهرة اللغة ٧/١.

(٣) سر صناعة الاعراب ٧٤/١- ٧٥.

(٤) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ص٣٢٣.

«ومنها حروف الذلاقة، ومعنى الذلاقة أن يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو طرفه، وذلق كل شيء حده، وهي ستة أحرف: «اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، وما سواها من الحروف فهي المصمتة».[١]

وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وهو يقسم الأصوات: «وحروف الذلاقة ما في قولك مرّ بنفل، والمصمتة ما عداها، والذلاقة الاعتماد بها على ذلق اللسان وهو طرفه، والإصمات أنه لا يكاد يُبنى منها كلمة رباعية وخماسية معراة من حروف الذلاقة؛ فكأنه قد صمت عنها». [٢] وقال الأستراباذي (ت٦٨٦هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «حروف الذلاقة» الذلاقة: الفصاحة والخفة في الكلام، ... والمصمتة: ضد حروف الذلاقة، والشيء المصمت هو الذي لا جوف له فيكون ثقيلاً، سميت بذلك لثقلها على اللسان، بخلاف حروف الذلاقة، وقيل: سميت بذلك لأنها أصمتت عن أن يبنى منها وحدها رباعي أو خماسي، والأول أولى، لأنها ضد حروف الذلاقة في المعنى، فمضادتها لها في الاسم أنسب».[٣] لقد أفاض علماء العربية في الحديث عن ظاهرتي «الذلاقة والإصمات» وكان حديث الأستراباذي أكثرهم وضوحاً.

هاتان الصفتان ليس لهما أساس صوتي محدد، بل لهما أساسان معاً:

أ- أساس صوتي: «كلها تخرج من الجزء الأمامي من الفم، فهي أصوات أمامية» سواء شفوية أو غير ذلك.

---

(١) سر الفصاحة ص٣١، وانظر: ابن عصفور: الممتع ٦٧٦/٢- ٦٧٧.

(٢) المفصل ص٣٩٥، وانظر ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٨/١٠.

(٣) شرح الشافية ٢٦٢/٣- ٢٦٣.

ب- أساس صرفي بالتقابل مع المصمتة التي رأوا أنها أصمتت، عن أن يبنى منها رباعي أو خماسي، أو نحو ذلك.

ولذلك أخرجت السين والزاي مثلاً على الرغم من أنه ينطبق عليهما الأساس الصوتي، ولكنهما لا ينطبق عليهما الأساس الصرفي. فالمعيار إذن هو جماع الأساسين معاً. ولهذا أهمل الحديث عنها أكثر علماء التجويد، ومن تناولهما منهم، لم يتجاوز في دراسته ما قاله علماء العربية القدماء عنهما، وكان مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) أكثر علماء التجويد عناية بهذا الموضوع، فقد ذكر الأصوات المذلقة والأصوات المصمتة ووضح المقصود منها. إذ قال: «الحروف المصمتة والحروف المذلقة: بهذين اللقبين لقب ابن دريد الحروف كلها، قال: ومعنى «المصمتة» ... أنها حروف أصمتت؛ أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب، إذا كثرت حروفها لاعتياصها على اللسان، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الحروف، أعني على أكثر من ثلاثة أحرف، حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، وذلك لا عتياصها وصعوبتها على اللسان فمعنى المصمتة: الممنوعة من أن تنفرد في كلمة طويلة من قولهم «صمت» إذا منع نفسه الكلام.

ومعنى الحروف المذلقة ... أنها حروف عملها وخروجها من طرف اللسان وما يليه من الشفتين، وطرف كل شيء: ذلقه، وسميت بذلك، إذ هي من طرف اللسان، وهو ذلقه».[1] كما أفرد مكي الحروف (الصم أو الصتم) بالحديث وهي عنده غير المصمتة، فقد فسرها بأنها الحروف التي ليست من الحلق، وقال: «إنما سميت صماً لتمكنها في خروجها من الفم، واستحكامها فيه ... قال الخليل في كتاب العين: والحروف الصم: التي ليست من الحلق».[2]

(١) الرعاية ص١٣٥- ١٣٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ص١٣٧.

وذكر ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أصوات الذلاقة والإصمات في كتابه التمهيد، وبين معنى الذلاقة والإصمات، كما أفرد الأصوات (الصتم) بالحديث، وهو في ذلك متابع لمكي القيسي.[١]

أما المحدثون من علماء التجويد، فلم يخرجوا عمّا ذكره القدماء حول صفتي الذلاقة والإصمات،[٢] والإذلاق عندهم: سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان.[٣]

والمحدثون من دارسي الأصوات العربية، جرى جدل بينهم حول هذين المصطلحين، فيرى بعضهم أن كلمة «الذلاقة». هنا لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف وهو القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر وتلعثم»،[٤] وذلك لإنها أكثر الأصوات شيوعاً في كلام العرب، ولم ينظروا في تسميتها (إلى مخارجها أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية).[٥] وعارض بعضهم ذلك. معللاً أن ما ذهب إليه ابن جني يخالف هذا التفسير، وابن جني أو ل من وضع مصطلح «الذلاقة» وواضع المصطلح هو الذي يفسره، وقد فسره بما تقدم، فينبغي أن يؤول تفسيره ويحمل على أحسن الوجوه لا أن يرد، وأن المعنى الذي فسر به إبراهيم أنيس «الذلاقة» لا يوجد في كتب المعاجم.[٦]

---

(١) انظر: التمهيد ص١٠٨- ١٠٩.

(٢) انظر: الشيخ أحمد صبره: ملخص العقد الفريد ص٢٠، والشيخ محمد خلف الحسيني: كتاب فتح المجيد ص٨، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢١، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩٨- ٩٩.

(٣) انظر: محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢١

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٠.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ١١٠-١١١.

(٦) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ص٣٢٣.

وأهمل الكثير من العلماء المحدثين من دارسي الأصوات العربية الحديث عن هاتين الصفتين، لأنهما ليس لهما دلالة صوتية محددة.

القسم الثاني من الصفات الصوتية هو الصفات التي لا أضداد لها.

القلقلة:[1]

مصطلح استخدمه العلماء قديماً وحديثاً للتعبير عن الصفة التي تحدث لبعض الأصوات عند نطقها.

والمراد بالقلقلة: تحريك المخرج والصوت بعد إنضغاطهما، وانحباسهما، وذلك أنك تحبس الصوت أولاً في المخرج حتى ينضغط فيه انضغاط شديداً ثم تفك المخرج فكة سريعة فينطلق الصوت محدثاً نبرة قوية وهزة في المخرج. هذه النبرة في مايسمى «بالقلقلة» وحروفها خمسة هي: «ق، ط، ب، ج، د».[2]

وكان سيبويه أول من استخدم مصطلح «القلقلة» عندما قال: «واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة [3] ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة، وسنبين أيضاً في الإدغام إن شاء الله.[4] وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. والدليل على ذلك أنك تقول: «الحذق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط

(١) يقول ابن منظور في لسان العرب١٤/٥٨ (قلقل) :(قلقل الشيء قلقلة إذا حركه).

(٢) انظر: محمد الهلاوي: كيف تجود القرآن ص٢٦، وحسنى شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩١-٩٢، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٢، والشيخ علي صبره: ملخص العقد الفريد ص٢١.

(٣) المشربة: هذا المصطلح الذي استخدمه سيبويه ومن جاء بعده، يرى بعض الباحثين المحدثين أن سيبويه أراد بوصف (المشربة) معنى أنها مجهورة، ودلل على ذلك بقوله: (ولا سيما حين نلاحظ توفر الجهر في كل الأصوات المذكورة على رأي سيبويه)، انظر: عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢١٦.

(٤) لم يتحدث سيبويه عن حروف القلقلة في باب الإدغام.

الحرف، وبعض العرب أشد صوتاً، كأنهم الذين يرومون الحركة»،[1] ثم بين سيبويه كل خصائص وصفات أصوات القلقلة.[2] ومن جاء بعده من علماء العربية اعتمد على ما حدده حول القلقلة، وما أضيف على كلامه يعد شيئاً يسيراً فقد أضاف المبرد لأصوات القلقلة صوت الكاف، قال المبرد (ت٢٨٥هـ): «واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة. وإذا تفقدت ذلك وجدته. فمنها القاف والكاف، إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد، وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف، فإن وصلت لم يكن، لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلت بينه وبين الاستقرار، وهذه المُقَلْقِلَة بعضها أشد حصراً من بعض، كما ذكرت لك في القاف والكاف»،[3] ومذهب المبرّد في عدّ الكاف من أصوات القلقلة مبني على أساس ما يتبع الكاف من صوت مهموس بعد انفصال العضوين عند النطق به، ولكن ذلك الصوت دون الصوت الذي يسمع من أصوات القلقلة المجهورة.[4]

أما ابن جني (ت٣٩٢هـ) فقد تحدث عن القلقلة أثناء حديثه مَن أقسام الأصوات قال: «واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت. وذلك لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحق واذهب واخلط واخرج وبعض العرب أشد تصويتاً».[5]

---

(١) الكتاب ١٧٤/٤.

(٢) انظر: الكتاب ١٧٥/٤.

(٣) المقتضب ١٩٦/١.

(٤) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٤.

(٥) سر صناعة الاعراب ٧٣/١.

الذي نلحظه أن ابن جني لم يخرج عمّا ذكره سيبويه من قبل، ولم يضف جديداً على ما ذكره سيبويه، وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وهو يتحدث عن أقسام الأصوات العربية: «وحروف القلقلة ما في قولك «قد طبج» والقلقلة ما تحس به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر مع الحفز والضغط».[1] هنا عدّد الزمخشري أصوات القلقلة، وعرّف القلقلة دون أن يضيف شيئاً عما ذكره سيبويه، وقال: ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) وهو يتحدث عن أقسام الأصوات بالنظر إلى صفاتها: وتنقسم أيضاً إلى متقلقل، ومشرب وما ليس فيه قلقلة ولا إشراب.

فالمتقلقلة: القاف والجيم والطاء والدال والباء. وذلك أنها تضغط عن مواضعها، وتحفز في الوقف، فلا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت. نحو «الحق» و «اخرج» و «اهبط» و «اذهب» و «امدد».»[2] هنا ابن عصفور لم يصف أصوات القلقلة بالمشربة. بل قال: «والمشربة: الزاي، والظاء، والذال، والضاد، والراء. والمُشرب حرف يخرج معه عند الوقف عليه نحو النفخ، إلا أنه لم يضغط ضغط المقلقل. ومن المشرب ما لا يخرج بعده شيء من ذلك نحو: الهمزة والعين، والغين، واللام، والنون، والميم».[3] إذن فرق ابن عصفور بين الصوت المقلقل والصوت المشرب كما رأينا. وقال الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) وهو يشرح صفات الأصوات: «وحروف القلقلة: إنما سميت حروف القلقلة لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع».[4] في هذا النص وضّح الاستراباذي معنى القلقلة.

---

(١) المفصل ص٣٩٥، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٨/١٠.

(٢) ابن عصفور: الممتع ٦٧٥/٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٧٦.

(٤) شرح الشافية ٢٦٣/٣.

وكذلك استخدم السيوطي (ت ٩١١هـ) مصطلح القلقلة وهو يتحدث عن صفات الأصوات قال: «وسميت أحرف القلقلة: لأن الصوت يشتد عند الوقف عليها، والقلقلة شدة الصوت».[1]

أخذ العلماء مصطلح القلقلة، من معنى ضغط هذه الحروف عن مواضعها، فكأنها تقلقل عن تلك المواضع.

والذي نلحظه من كلام العلماء السابق أن أصوات القلقلة تحدث عن حبس، ثم إطلاق، ثم صوت يتبع الإطلاق، فالحبس كما يقرر علماء الأصوات. يتم باتصال عضوين ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفاً كاملاً. والإطلاق يتم بانفصال العضوين انفصالاً سريعاً يحدث عنه إنفجار الهواء. أمّا الصوت الذي يتبع الإطلاق، فهو صوت قصير، ويكون إما مهموساً أو مجهوراً، فإذا كان الصوت المنطوق مهموساً فإنه يتبعه عادة صوت مهموس قصير، وإذا كان الصوت المنطوق مجهوراً فإنه يتبعه عادة صوت مجهور قصير،[2] وحروف القلقلة كلها شديدة مجهورة، [3] إلا صوت الكاف الذي أضافه المبرد لأصوات القلقلة فإنه مهموس.

أمّا علماء التجويد فقد درسوا مصطلح «القلقلة» ودارت مناقشاتهم للقلقلة من حيث عدد أصواتها، وموضعها، وحقيقة الصوت الذي يسمع عند الوقف على أصواتها.

وعدد أصوات القلقلة عندهم خمسة، تجمع في «قد طبج»، أو «طبق جد»، أو «جد قطب»، أو «قطب جد». وأشار بعضهم إلى مذهب المبرد في عد الكاف من

---

(١) همع الهوامع ٢/٢٣٠.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٠- ١٦١- ١٦٢.

(٣) انظر: جان كانتينو: دروس في أصوات العربية ص٢٧.

أصوات القلقلة.[1] وهم بهذا متابعين لعلماء العربية كما مر بنا.

ويشترط علماء التجويد لحصول القلقلة في الصوت اجتماع الشدة والجهر فيه[2] قال محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ): «فالشدة تحصر صوت الحرف لشدة ضغطه في المخرج، والجهر يمنع جري النفس عند انفتاح المخرج، فيلتصق المخرج التصاقاً محكماً فيقوى الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة»[3] وعلى هذا الأساس أصوات القلقلة عندهم خمسة فقط، قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «حروف القلة: ... وهي خمسة أحرف، يجمعها هجاء قولك: «جَدْ بَطَقَ» »[4] وقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ): «والقلقلة في خمسة أحرف: الباء والجيم، والدال، والقاف، والطاء»،[5] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «حروف القلقلة ... وهي خمسة أحرف، يجمعها قولك (قطب جد)،[6] وأضاف بعضهم إليها الهمزة ... وذكر المبرد منها الكاف ...»[7]

وتنطبق شروط القلقلة على الهمزة كما وصفها علماء العربية وعلماء التجويد من أنها صوت شديد مجهور، وهي في الواقع ليست مجهورة ولا مهموسة، وقد نص علماء التجويد على إخراج الهمزة من أصوات القلقلة.[8] وعلل

---

(١) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٠٤.

(٢) هذا الشرط ينطبق على هذه الأصوات في وصف القدماء، أما في الوصف الحديث، فالطاء مهموسة والقاف كذلك. هذا من حيث الجهر، أما من حيث الشدة فالجيم ليست شديدة في الوصف الحديث، بل هي صوت مركب أي مكونة من صوتين وقفي وإحتكاكي،

(٣) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٠٤. (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٣).

(٤) الرعاية ص١٢٤.

(٥) مخارج الحروف وصفاتها ص٩٢.

(٦) التمهيد ص١٠١.

(٧) النشر ٢٠٣/١.

(٨) انظر: المصدر السابق ٢٠٢/١.

محمد المرعشي إخراجها بقوله: «ثم اعلم أن الهمزة وإن اجتمع فيها الشدة والجهر، لكن الجمهور أخرجوها من حروف القلقلة، كما في بعض الرسائل، ولعل سبب ذلك ما في الرعاية أن الهمزة كالتهوع، وكالسعلة. فجرت عادة العلماء بإخراجها بلطافة ورفق وعدم تكلف في ضغط مخرجها، لئلا يظهر صوت يشبه التهوع والسعلة، أقول: «فيخفي حينئذ شدتها ويعدم قلقلتها».[١]

وجاء في بعض المصادر أن من العلماء من يَعُد اللام من أصوات القلقلة، وقد ذكر ذلك المرعشي، وذكر أن بعضهم أضاف إليها الفاء، لكن ذلك كله لحن، حسب رأيه، إذ قال: «وهي لازمة لحروف قطب جد، وإحداثها في غيرها لحن، كما حذر في بعض الرسائل عن قلقلة الفاء واللام في «أفواجاً» و «وجعلنا»، وإنما يقلقلهما حرصاً على إظهارهما وحذراً من إدغامهما فيما بعدهما».[٢]

أما صوت القلقلة الذي يسمع عند الوقف على أصوات (قطب جد) فقد وصفه مكي ابن أبي طالب بأنه (صوت زائد) وأنه (يشبه النبرة).[٣] وقال المرعشي (ت ١١٥٠هـ): «ويشترط عند الجمهور في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونه جهرياً بسبب أنه حصل بفك للمخرج دفعة بعد لصقه لصقاً محكماً، ولذا خصوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشدة والجهر ... وهي خمسة يجمعها (قطب جد)، فلم يعد الكاف والتاء من حروف القلقلة مع أن فيهما صوتاً زائداً حدث عند انفتاح مخرجيهما، لأن ذلك الصوت فيهما يلابس جري نفَس، فهو صوت همس ضعيف ولذا عدا شديدين مهموسين، فلو لم يلابس ذلك الصوت

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٥. (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٤).

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٦. (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي ص١٤).

(٣) انظر: الرعاية ص١٢٤.

فيهما يجري نَفَس لكان قلقلة، ولكان التاء دالاً».[١]

أما موضع القلقلة فإن لعلماء التجويد مذهبين في ذلك، فبعضهم يرى أنها (لاتكون إلا عند الوقف)،[٢] وهو الذي يفهم من كلام علماء العربية، لأن أخذك في صوت آخر عند الوصل يشغلك عن إتباع الصوت الأول صوتاً.[٣] وذهب أكثرهم إلى أنه لا يشترط لحصول القلقلة سوى سكون الأصوات المذكورة (سواء وقعت وسطاً أو متطرفة). [٤] إلا أن ذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن. [٥] وذكر ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ذينك المذهبين، ورجح مذهب القائلين بوجوب قلقلة الأصوات الخمسة إذا كانت ساكنة في الوصول والوقف.[٦]

وحاول بعض علماء التجويد المتأخرين وضع مصطلح يقابل مصطلح القلقلة، فاستخدم السمرقندي (ت٧٨٠هـ) في كتابه (روح المريد)،[٧] مصطلح (الساكنة)، فقال: «وما سوى القلقلة فهي ساكنة»[٨] لكن جمهور علماء التجويد يعدون صفة القلقلة من الصفات التي لا ضد لها.

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٠٧ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٣).

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٠٧. (نقلاً عن كتاب مرشد القارىء لابن الطحان و ١٣٠).

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٧٥، والمبرد: المقتضب ١/١٩٦، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٤٤٦، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٧٢، والزمخشري: المفصل ص٣٩٥، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٧٥، والإستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٦٣.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٠٧. (نقلاً عن كتاب الإيضاح لأحمد بن أبي عمر و ٧٤).

(٥) انظر: الرعاية ص١٢٤.

(٦) انظر: النشر ١/٢٠٣-٢٠٤.

(٧) روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد / مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٢/٢٢ مخطوطات مدرسة الحجيات).

(٨) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٠٨. (نقلاً عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٦).

أما المحدثون من علماء التجويد فقد قسموا القلقلة إلى قسمين، قلقلة كبرى، وقلقلة صغرى، فإذا كانت حروف القلقلة في آخر الكلمة ووقف عليه نحو «مَرِيجْ، بعيدْ، واقْ» كانت القلقلة كبرى، وإذا كان الحرف ساكناً في وسط الكلمة، نحو «يجعلون، يدعون» كانت القلقلة صغرى.[1] وهذا التقسيم لم نجد له أي إشارة في كتب القدماء.

أما المحدثون من دارسي الأصوات فقد استخدموا مصطلح القلقلة وذكروا أصوات القلقلة، وعلل بعضهم اختصاص هذه الأصوات بالقلقلة بكونها جمعت بين صفتين هما (الجهر والشدة)[2] وقال تمام حسان وهو يتحدث عن القلقلة: «وحروف القلقلة هي: «الباء، والدال، والطاء، والقاف، والجيم».[3] وعرف إبراهيم أنيس القلقلة: بإطالة الصوت بصوت القلقلة المشكل بالسكون مع إضافة صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة. وذكر أصوات القلقلة كما رواها القدماء وهي: «القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال».[4]

وقال جان كانتينو وهو يتحدث عن صفات الأصوات التي لا ضد لها: «حروف القلقلة: وهي الحروف التي لها صوت شديد الوقع لإنها جمعت بين الجهر والشدة أي أنها تتمثل في خمسة أحرف شديدة ومجهورة هي: «القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء». وإذا كانت هذه الحروف آخرة في الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جداً وسميت قلقلة كبرى. وإذا كانت وسطاً سميت القلقلة

---

(١) انظر: حسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩١-٩٢، وفرج توفيق: قواعد التلاوة وعلم التجويد ص٤٠.

(٢) انظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٧، (الجهر عند المحدثين لا ينطبق على جميع أصوات القلقلة، لأن الطاء والقاف في الوصف الحديث غير مجهورين).

(٣) مناهج البحث ص١٨١.

(٤) انظر: الأصوات اللغوية ص١٥٧-١٥٨.

بخلاف ذلك أي قلقلة صغرى».[1] تقسيم كانتينو للقلقلة إلى كبرى وصغرى تقسيم تأثر به بالمحدثين من علماء التجويد، وهذا التقسيم لم نجد له أي إشارة في مصادر القدماء. ووضّح محمود السعران في كتابه (علم اللغة) عملية حدوث القلقلة.[2] والذي يبدو لي أن المقصود بالجهر في أصوات القلقلة هو جهر الصويت الذي يتبعها حال القلقلة، وهذا الصويت هو صائت قصير وجميع الصوائت مجهورة ولو لم يكن هذا المقصود لما ضم المحدثون صوتي القاف والطاء وهما غير مجهورين في نطقنا حالياً، ولم يدخل القدماء الضاد في أصوات القلقلة لأنها كانت تنطق قديماً صوتاً احتكاكياً جانبياً. وأدخل القدماء صوت الجيم مع أصوات القلقلة وهي صوت مركب وليست صوتاً انفجارياً كغيرها من أصوات القلقلة.

الغنة[3]

من الظواهر الأدائية التي أشار إليها سيبويه، وجعلها ضمن الأصوات المستحسنة، وهي صفة لبعض الأصوات وتخرج من الخيشوم، وصوتا الغنة (النون والميم). [4] يقول سيبويه (ت.١٨٠هـ): «ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم». [5] ومن جاء بعد سيبويه من علماء العربية عرف الغنة بهذا التعريف،

(١) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٧- ٣٨.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص.١٦- ١٦١- ١٦٢.

(٣) الغنة: هي الهواء الخارج من الأنف أو خروج صوت العلة من الأنف عند مجاورته صوتً أنفي.

(٤) قال بعض العلماء(الميم والنون) مخرجان: أحدهما في الفم وهو معتمد اللسان والشفتين، والآخر في الخيشوم وهو مجرى الغنة. انظر: ابن السراج: الأصول ص٤٠١، ومكي: الكشف ١٤٦/١، والأستراباذي: شرح الشافية ٢٧١/٣.

(٥) الكتاب ٤٣٥/٤.

وذكر صوتيها.[١] يقول المبرد (ت٢٨٥هـ): «والميم ترجع إلى الخياشم بما فيها من الغنة. فلذلك تسمعها كالنون، لأن النون المتحركة مشربة غنة، والغنة من الخياشم»،[٢] وعرفها ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) بقوله: «والغنة: صوت في الخياشم» [٣]، ثم قسم الأصوات إلى أغن وغير أغن وذكر أصوات الغنة إذ قال: «وتنقسم أيضاً إلى أغن وغير أغنّ. فالأغن الميم والنون»[٤]

وقال في موضع آخر: «وأما النون والميم فيجري معهما الصوت في الأنف، لأن الغنة صوت، ولا يجري في الفم لأن اللسان لازم لموضع الحرف من الفم»[٥]، وقال السيوطي (ت٩١١هـ): «وغنة مخرجها الخيشوم».[٦] بهذا المعنى عرّف علماء العربية القدماء الغنة وذكروا أصواتها.

أما علماء التجويد فقد عرّفوا الغنّة بأنها «صوت يخرج من الخيشوم»[٧] وهذا التعريف هو نفسه تعريف علماء العربية كما رأينا، وصوتا الغنة عندهم هما«النون والميم» أيضاً. قال مكي (ت ٤٣٧ هـ): «حرفا الغنّة: وهما: النّون والميم السّاكنتان، سُمّيتا بذلك، لأن فيهما غُنّة تخرج من الخياشيم عند النُّطق بهما»[٨]، وقال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) في كتابه الموضح الغنّة: «هي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في موضعها»[٩]، وهذه حقيقة

(١) انظر: ابن دريد: جمهرة الغة ١/٧، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٥١٧.

(٢) المقتضب ١/١٩٤.

(٣) المتبع ٢/ ٦٧٨.

(٤) المصدر السابق: ٢/٦٧٨.

(٥) المصدر السابق: ٢/ ٦٧٣- ٦٤٧.

(٦) همع الهوامع ٢/ ٢٢٧.

(٧) انظر: الكشف ١/١٦٤.

(٨) الرعاية ص١٣١ وانظر ص١٣٨ - حيث سمى (الميم والنون) بالحرف الراجع.

(٩) غانم الحمد : الدراسات الصوتية ص٣١٠ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٣).

يؤيدها الدرس الصوتي الحديث، فكما أن أصوات المد تتميز بجريان النفَس حراً طليقاً في مجراه خلال الحلق والفم كذلك الغنّة يجري فيها النّفس خلال تجويف الأنف (الخيشوم) من غير عائق.. ولو أوقف الناطق ذبذبة الوترين الصوتيين في أثناء نطق حروف المد والغنّة لبطلت أصواتها وصارت نَفَساً.[١] وقد طبقت هذا على الأجهزة الصوتية فوجدته صحيحاً. فعند النطق بالميم تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً، فيحبس الهواء حبساً تاماً في الفم، ثم ينخفض الحنك اللين، فيمر الهواء عن طريق الأنف (الخيشوم) حراً طليقاً من غير عائق، وعندما أوقفت ذبذبة الوترين اختفى صوت الميم، وتحول إلى هواء فقط. وكذلك الحال مع النّون. وقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات ومعانيها: «والغنة: الصوت الزائد على جسمَ الميم، منبعث عن الخيشوم المركّب فوق غار الحلق الأعلى»[٢] وقال عن أصوات الغنة: «والغنة في حرفين؛ وهما: الميم، والنون». [٣] وقال أبو العلاء الهمذاني (ت ٦٥٩ هـ) في كتابه التمهيد.[٤] وهو يتحدث عن الأصوات: «والأغن النون والميم، سميا بذلك لأن فيهما غنة، وهو صوت يخرج من الخياشيم... وإنما سمي هذا الصوت غنة لجريه مع النون والميم بعد لزوم اللسان موضعهما، يدلك على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لانحصر الصوت فيهما كالطنين، لأن الخيشوم مركب فوق الغار الأعلى، وإليه سُمُوّ هذا الصوت».[٥] وقال الجعبري (ت ٧٣٢ هـ): «والغنة صفة النون، ...،

---

(١) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٩٥-١٠١، وكمال بشر: الأصوات ص١٣٠، وغانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣١٠.

(٢) ابن الطحان مخارج الحروف وصفاتها ص٩٦.

(٣) المصدر السابق ص٩١.

(٤) التمهيد في التجويد: مخطوط. توجد منه نسخة في مكتبة جستربتي بدبلن (الرقم ٣٩٥٤). نشر عنه بحث الدكتور غانم الحمد – منشور في مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد العددان (١٧٨-١٧٩) عام ١٩٨٥م.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣١٠ (نقلاً عن كتاب التمهيد للهمذاني و ١٤٦).

والميم تحركتا أم سكنتا، ظاهرتين أو مخففتين[١] أو مدغمتين، ولا تختص بمخرج بل كل راجع إلى مخرجه. قال: وهذا معنى قول الداني: وأما الميم والنون فيتجافى بهما اللسان إلى موضع الغنة من غير قيد، وبرهانه سد الأنف. وهي في الساكن أكمل من المتحرك، وفي المخفي أزيد من المظهر، وفي المدغم أوفى من المخفى».[٢] وقد نقل كثير من علماء التجويد كلام الجعبري السابق منهم أحمد بن الجزري (ت بعد ٨٢٩ هـ) في كتابه الحواشي المفهمة، وعبدالدائم الأزهري (ت ٨٧٠ هـ) في كتابه الطرازات المعلمة في شرح المقدمة[٣]، وأحمد فائز الرومي (ت ٩٨١ هـ) في كتابه شرح الدر اليتيم للبركوي،[٤] والمرعشي (ت ١١٥٠ هـ) في كتابه جهد المقل. [٥] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) أثناء حديثه عن صفات الأصوات: «حرفا الغنة، وهما النون والميم الساكنان سميتا بذلك لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما، فهي زيادة فيهما، ومثلهما التنوين».[٦]

وكان بعضهم قد أطلق على (النون الخفيّة) مصطلح (الغنّة) قال: «وتَبَيّن أن النون الخفية هي الغُنّة».[٧] وهما وإن كانتا من الناحية الصوتية شيئاً واحداً، بينهما فرق؛ يقول المرعشي: «إن قلت: ما الفرق بين النون المخفاة وبين الغنة قلت: هما متحدتان ذاتاً، لأن كُلاً منهما صوت يخرج من الخيشوم، لكن ذلك الصوت صفة في الأصل للنون والميم الساكنتين، كما في عَنْ ولَمْ، ويسمى حينئذ

(١) كلمة (مخففتين) مصحفة عن (مخفاتين) وما ورد في آخر النص يؤيد ذلك إذ قال (وفي المخفي أزيد من المظهر).

(٢) انظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١/١٩٥.

(٣) الطرازات / مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (رقم ٢٠١٦٥).

(٤) شرح الدر اليتيم: مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٦١٠).

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢١٢ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٨-١٩).

(٦) التمهيد ص١٠٦ وانظر: النشر ١/٢٠٤.

(٧) انظر: الرعاية ص٢٦٨.

غنة، وقد تخفى النون الساكنة، ومعناه أن يعدم ذاتها وتبقى صفتها التي هي الغنة كما في عَنْكَ، وسميت النون نوناً مخفاة. وبالجملة أن الغنة تطلق على الصوت الخارج من الخيشوم سواء قام بالحرفين المذكورين أو قام بنفسه، وفي اصطلاح أهل الأداء تختص بما قام بالحرفين المذكورين».[1]

لم يضف علماء التجويد على ما ذكره علماء العربية جديداً سوى أن مكي سمى (الميم والنون الساكنة) بالحرف الراجع، لأنها ترجع إلى الخياشيم لما فيها من الغنة.[2] وما ذكره عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) في كتابه الموضح من: «أن النون والميم تسمى المستعينة، لأنهما يستعان عليهما بصوت الخياشم».[3]

واشترط بعض علماء العربية وبعض علماء التجويد لوجود الغنة في النون والميم شروطاً[4]، لا تهمنا هذه الشروط في دراسة مصطلح «الغنة».[5]

أما المحدثون من علماء التجويد فقد استخدموا مصطلح «الغنة» كما استخدمها القدماء. قالوا في تعريفها: «الغنة: صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه... فيقال النون حرف أغن، والميم حرف أغن، وهي صفة لازمة للنون والميم، في جميع أحوالهما».[6]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣١٣-٣١٤ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٠).

(٢) انظر: الرعاية ص١٣٨.

(٣) انظر: حاشية غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣١٠.

(٤) وشروط الغنة في (الميم والنون) هي: ١- سكونهن. ٢- وعدم إظهارهن.

(٥) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٧/١٠، وانظر: مكي: الرعاية ص١٣١.

(٦) انظر: محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٢، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص١٣٤، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص١١٢.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد فسر بعضهم «الغنة» بقوله: «وليست الغنة إلا إطالة لصوت النون، مع تردد موسيقي محبب فيها»[1]، واستخدموا مصطلح «الأنفية» في بعض الأحيان لوصف (النون والميم) بدل مصطلح «الغنة». [2] بينما استخدم بعضهم مصطلح «الغنّاء»[3]، وقال آخرون: «الغنة، وهي: خروج صوت الحرف من الخيشوم. وحروفها، الميم، والنون، والتنوين». [4] والذي نلحظه أن المحدثين لم يذكروا ما هو جديد عن الغنة وحروفها، سوى استخدامهم لمصطلح «الأنفية» و «الغناء» لوصف (النون والميم)، وإشارتهم إلى حركة أعضاء النطق عند نطق (النون والميم) حيث قالوا: «وتتكون الأصوات الأنفية بأن يحبس الهواء حبساً تاماً في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف»[5] إذن الحنك اللين واللهاة ينخفضان أثناء نطق الأصوات الأنفية وهما من أعضاء النطق المتحركة.

الصفير (الصفيرية Sibilants)

هو «حِدَّة الصَّوت؛ كالصوت الخارج عن ضَغْط ثُقْب»[6] وحروف الصفير، هي: «الصَّاد، والزّاي، والسِّين».[7] وأول من أطلق مصطلح الصفير على الأصوات

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧١.

(٢) انظر: عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢١٠، وكمال بشر: الأصوات ص١٣٠، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٩٤، وماريوباي: أسس علم اللغة ص٨٦؛ ومحمد الأنطاكي: الوجيز ص٢٤٦.

(٣) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٤، وقسطندي شوملي: مدخل إلى علم اللغة الحديث ص٦٥.

(٤) انظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ص٢٨٣.

(٥) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٤، وكمال بشر: الأصوات ص١٣٠.

(٦) ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها ص٩٤.

(٧) المصدر السابق ص٩٠ - وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣٠.

الثلاثة من القدماء، سيبويه وتبعه من جاء بعده.[١] يقول سيبويه: «وأما الصاد، والسين، والزاي، فلا تدغمهن.... لأنهن حروف الصفير، وهنّ أندى في السمع».[٢] وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «حروف الصفير وهي: حروف تنسلّ انسلالاً، وهي السين والصاد والزاي».[٣] وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): «وحروف الصفير، الصاد والزاي والسين، لأنها يصفر بها»[٤]، وقال شارح شافية ابن الحاجب: «وحروف الصّفير ما يُصْفر بها، وهي: الصاد، والزاي والسين»[٥]، وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ): «وسميت حروف الصفير»[٦]، وذكر في موضع آخر حروف الصفير وهي: «الصاد، والسين، والزاي».[٧]

استخدم القدماء هذا المصطلح للصفة المرتبطة بالأصوات الثلاثة لما يصحبها من صفير أثناء نطقها. أما علماء التجويد فقد حاولوا أن يوضحوا المقصود بمصطلح «الصفير» أكثر من علماء اللغة، قال مكي (ت ٤٣٧ هـ): «وحقيقة الصفير: أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمعُ له حِساً ظاهراً في السّمع»[٨]، وقال عن أصوات الصفير: «حروف الصفير: وهي ثلاثة: «الزاي، والسين، والصاد، وإنما سُميت بحروف الصفير، لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير، ففيهن قوة لأجل هذه الزيادة

(١) يقول غانم الحمد في كتابه الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣١٤: (لم يذكر سيبويه هذه الصفة، وكذلك فعل ابن جني في (سر صناعة الاعراب) وأقدم من ذكرها... المبرد) وهذا وهم فقد ذكرها سيبويه وذكر حروفها في ٤/٤٦٤.

(٢) الكتاب ٤/٤٦٤.

(٣) المقتضب ١/١٩٣ وانظر ص٢٢٥ و ص٢٢٦.

(٤) المفصل ص٣٩٥؛ وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣٠.

(٥) انظر: شرح الشافية ٣/٢٥٨.

(٦) همع الهوامع ٢/٢٢٩.

(٧) انظر: همع الهوامع ٢/٢٣١.

(٨) الرعاية ص٢١٢.

التي فيهن، فالصفير من علامات قوة الحروف».[١] وقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ): «والصّفير: حِدّةُ الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب»[٢]، وذكر أصواته وهي «الصاد، والزاي، والسين»،[٣] وربط العلماء بين تسمية هذه الأصوات الثلاثة بحروف الصفير وبين ظاهرة الصفير في أصوات الطبيعة، فقال الداني (ت ٤٤٤ هـ): «سميت بذلك لأنك تسمع فيها شبيهاً بالصفير عند اخراجها من مواضعها» [٤]، وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) بعد أن ذكر أصوات الصفير الثلاثة: «سميت بذلك لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها يُشبه الصفير».[٥] وقال بعض المحدثين من علماء التجويد بعد أن ذكر حروف الصفير الثلاثة: «وسميت بالصفير لأنك تسمع لها صوتاً يشبه صفير الطائر».[٦] وعرّف بعضهم الصفير بقوله: «الصفير: صوت زائد يخرج من بين الشفتين يصاحب الأحرف الثلاثة».[٧]

الذي نلحظه أن المحدثين من علماء التجويد كانوا متابعين للقدماء في كل ما ذكروه حول صفة الصفير وحروفها دون أي زيادة تذكر.

والصفير: صفة ذاتية في هذه الأصوات لا تنفك عنها، وهذه الأصوات الثلاثة تخرج من مخرج واحد، وإنما فرّق بينها صفات مميزة هي الهمس في

---

(١) المصدر السابق ص١٢٤.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص٩٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٩٠.

(٤) التحديد: ص١٠٩.

(٥) التمهيد ص١٠٠-١٠١، وانظر: النشر ٢٠٣/١.

(٦) محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢١، وانظر: الشيخ زيدان العقرباوي: المرشد في التجويد ص١٠٩، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩١، وخالد الأزهري: الحواشي الأزهرية ص١٤.

(٧) الشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص١٠٩.

السين والجهر في الزاي، والإطباق في الصاد، السين تخرج من مخرج الزاي، فهي أخت الزاي في المخرج والصفير. لكن السين أضعف من الزاي، لأن الزاي حرف مجهور، والسين حرف مهموس. ولولا الهمس الذي في السين لكان زاياً. كذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سيناً، إذ قد اشتركا في المخرج والصفير، والرخاوة والانفتاح والتسفل. وإنما اختلفا في الجهر والهمس لا غير. فباختلاف هاتين الصفتين افترقا في السمع».[1] أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد استخدم بعضهم مصطلح «الصفير» في وصف صوتي «السين، والزاي» فقالوا: «ويوصف الصوتان (س - ز) غالباً بأنهما صفيريان Sibilants ، لما يصحبهما من صفير أو أزيز، وهما في الحقيقة صوتان من النوع الاحتكاكي».[2] وقال إبراهيم أنيس وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «حين يتصل أول اللسان بأصول الثنايا بحيث يكون بينهما فراغ صغير جداً، ولكنه كاف لمرور الهواء نسمع ذلك الصفير الذي نعبر عنه بالسين أو الزاي».[3] وقال في موضع آخر: «السين. الزاي. الصاد» إننا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسلية، رغم أن معظم كتب القراءات تسميها أيضاً بتسمية أخرى أكثر شهرة، وهي «أصوات الصفير»، وذلك لأن مجري هذه الأصوات يضيق جداً عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيراً عالياً لا يشركها في نسبة علو هذا الصفير غيرها من الأصوات».[4] وأطلق جان كانتينو مصطلح «حروف الصفير الرخوة، على السين، والزاي، والصاد» وقال: «وقد سماها العرب حروف الصفير بسبب ذلك الصوت الخاص بها.[5] وقال الأنطاكي وهو يتحدث عن درجات الضيق والانفتاح في

---

(١) انظر: الرعاية ص٢١١.

(٢) ماريو باي: أسس علم اللغة ص٨٥، وانظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٩٨.

(٣) الأصوات اللغوية ص٢٤؛ وانظر ١٠٩.

(٤) الأصوات اللغوية ص٧٥-٧٦.

(٥) انظر: جان كانتيو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٢.

أعضاء النطق: «وفي حالات التضييق الشديد جداً يتحول الصوت المنبعث إلى ما يشبه الصفير الحاد. ولهذا سميت السين والزاي والصاد بالأصوات الصفيرية، لأن الانفتاح معها يكون في أضيق حالاته».[1] وقال أحد المحدثين معللاً تسمية هذه الأصوات بالصفيرية حيناً وبالأسلية حيناً آخر: «ونطقُك أصوات حروف: السين والزاي والصاد، تُسمع من جري النفَس بها صَفيراً وتحِسُّ أن نطقها تمَّ بمستدقِّ اللسان ملتقياً بالثنايا العُليا أو السفلى. فإذا خرج الصوت بجرْي النفس سُمع معه ذلك «الصفير» فهذه الأصوات توصف بأنها «صفيرية» أو ذات صفير، وبأنها «أسلية» لأن لِمُستَدقِّ اللسان أي طرفه شأناً في إخراجها».[2] وقال برتيل مالمبرج وهو يعرِّف الصفير: «الصفير: وهو كون الصوت شديد الوضوح في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد في المخرج، وهو وصف صادق على ثلاثة صوامت، هي: السين، والزاي، والصاد».[3] وقال أحمد مختار، وهو يعلل تسميتها بالصفيرية: «وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها. والسبب في قوة الاحتكاك هو أن نَفْس المقدار من الهواء مع الثاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق».[4]

الذي تبين لنا من دراسة المحدثين لصفة الصفير، أن بعضهم أخرج صوت الصاد من أصوات الصفير، وأن أغلبهم كان يسمي أصوات الصفير الأصوات الاحتكاكية، كما أن بعضهم آثر تسمية الأصوات الصفيرية بالأصوات الأسلية. ومع هذا يبقى مصطلح «الأصوات الصفيرية» الذي استخدمه القدماء، وشاع بين الدارسين أكثر دلالة على هذه الأصوات الثلاثة.

---

(١) محمد الأنطاكي: الوجيز ص١٦٤-١٦٥.

(٢) محي الدين رمضان: في صوتيات العربية ص٧١.

(٣) علم الأصوات ص١٢٠، وانظر: عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢٠٩.

(٤) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٩٨.

الانحراف:

أول من استخدم هذا المصطلح الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) أثناء حديثه عن الأصوات، حيث وصف أصوات (الرّاء واللام والنون) بالانحراف، وذلك عندما قال (... ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الرّاء واللام والنون). ذكر هذا دون أن يوضح طبيعة الانحراف، ومن جاء بعده خصص الانحراف بطبيعة مرور الهواء بمخرج اللام. ولذا وصفوا اللام بأنه صوت منحرف. ذكر سيبويه بعض المصطلحات حين عرض لما سماه «صفات الحروف» فوصف اللام بأنها صوت منحرف قال: «ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام... وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتيْ مُستدقٍّ اللسان فُوَيْقَ ذلك» [1]، وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «وتخرج اللام من حرف اللسان... وهو الحرف المنحرف» [2]، وقال في موضع آخر: «ثم نذكر الحرف المنحرف... وهو اللام» [3]، وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) وهو يتحدث عن أقسام الحروف: «ومن الحروف حرف منحرف، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت... وهو اللام» [4]، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وهو يتحدث عن أقسام الحروف: «والمنحرف اللام. قال سيبويه: هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت» [5]. وقال ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) وهو يذكر أقسام الحروف: «وتنقسم أيضاً إلى منحرف وغير منحرف. فالمنحرف اللام، وما عداها ليس بمنحرف» [6]، الذي

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) المقتضب ١/١٩٣.

(٣) المصدر السابق ١/٢١٣.

(٤) سر صناعة الاعراب ١/٧٢.

(٥) المفصل ص٣٩٥-٣٩٦.، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣٠.

(٦) الممتع ٢/٦٧٨.

نلحظه من كلام ابن عصفور أن صفة الانحراف من الصفات التي لها ضد وهذا لم يقل به أحد من القدماء، فالقدماء جميعهم عدّوا الانحراف من الصفات التي لا ضد لها. ونقل الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) في شرحه: «والمنحرف اللام؛ لأن اللسان ينحرف به»[١]، وقال السيوطي (ت٩١١ هـ): «وسُمّي اللام منحرفاً، وزاد الكوفيون الراء فهما عندهم حرفا الانحراف قالوا لانحرافهما عن مخرج النون، وقال بعضهم وصفت اللام بالانحراف لأنها انحرفت عن مخرجها إلى مخرج غيرها وعن صفتها إلى صفة غيرها».[٢]

ووصف الراء بالانحراف وصفٌ غير سديد، وذلك لأن الانحراف وصف لطبيعة مرور الهواء في مخرج اللام، وهو لا ينطبق على الراء الذي يوصف بأنه مكرر، لأن مرور الهواء في مخرجه له صفة خاصة، وقد علق بعض المحدثين على وصف القدماء لبعض الأصوات بالانحراف. قال: «فالمنحرف صار مصطلحاً له دلالة معينة، لا مجرد كلمة تدل على معنى لغوي ينطبق على أي نوع من أنواع الانحراف». [٣]وقال آخرون الأصوات المنحرفة تتكون «بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة، أو عن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرف «أو الجانبية» ...»[٤] وهذا الوصف لا ينطبق على الراء.

أما علماء التجويد فقد استخدموا مصطلح الإنحراف كما استخدمه علماء العربية، ووصفوا اللام بأنه منحرف، وأضاف بعضهم إليها الراء.

---

(١) انظر: شرح الشافية ٢/٢٥٨ - ٢٦١.

(٢) همع الهوامع ٢/ ٢٣٠.

(٣) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٢٣.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٩.

قال مكي (ت٤٣٧هـ): «حرفا الإنحراف: وهما اللام و الراء»، وإنما سمّيا بذلك، لأنهما انحرفا عن مخرجهما، حتى اتصلا بمخرج غيرهما، وعن صفتهما إلى صفة غيرهما.

أما اللام: فهو من الحروف الرخوة، لكنه انحرف به اللسان مع الصوت إلى الشدة، فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديدة. ولا خرج معه الصوت كله خروجه مع الرخوة، فسُمِّي منحرفاً، لانحرافه عن حكم الشديدة وعن حكم الرخوة فهو بين صفتين.

وأما الراء: فهو حرف انحرف عن مخرج النون، الذي هو أقرب المخارج إليه، إلى مخرج اللام وهو أبعد من مخرج النون من مخرجه، فسُمّي منحرفاً لذلك».[1] والذي نلمحه من كلام مكي أنه يحمل صفة الانحراف على معنى خاص، كما بين من تسمية اللام والراء، بالانحراف.

وتابع مكي ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ) إذ قال وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «والانحراف في حرفين؛ وهما الرّاء، واللام».[2] ذكر هذا دون أن يوضح المقصود بالانحراف.

أما الآخرون من علماء التجويد فقد أفردوا اللام بالإنحراف ووضحوا المقصود بالانحراف، قال عبد الوهاب القرطبي: «ومن الحروف المنحرف، وهو اللام، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين ومما فُوَيقهما»،[3] وذكر ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) في النشر ما نصه: «وحرفا الإنحراف اللام والراء على

(١) الرعاية ص١٣١-١٣٢، وانظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٠٦ فقد نقل نص مكي.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص٩١.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٢٢ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٧).

الصحيح، وقيل اللام فقط، ونسب إلى البصريين، وسميا بذلك، لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما »،[١] ونقل غانم الحمد عن المرادي قوله من كتابه المفيد[٢]: « وأكثر البصريين لا يصف بالانحراف إلا اللام وحدها ».[٣] ووصف الراء بالانحراف غير سديد، كما بيّنا سابقاً.

أما المحدثون من علماء التجويد، فقد استخدموا « مصطلح الانحراف » كما استخدمه القدماء، وعرفوا الانحراف بقولهم: « الانحراف: هو عبارة عن إنحراف وميل الراء واللام عن مخرجيهما إلى مخرج غيرهما »،[٤] وحروفه عندهم « اللام والراء »[٥] فزادوا « الراء » كما زادها الكوفيون من قبل.[٦]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد وصف بعضهم اللام بأنها جانبية (Laterals). [٧] ولم يستخدموا مصطلح (الانحراف) لوصفها. ويتم إنتاجها عن طريق عائق من نوع الغلق التام في وسط تجويف الفم، ويوجد مجرى جانبي لتيار الهواء حول أحد جانبي العائق أو حول جانبيه.[٨] وهذا الوصف لا ينطبق على الراء، ولذلك لم يصفوها بالجانبية. أما الآخرون من المحدثين فقد وصفوا اللام بأنه منحرف، فقالوا: « اللام » صوت لثوي متوسط مجهور حافي منفتح.

---

(١) النشر ٢٠٤/١.

(٢) المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد، للمرادي (ت٧٤٩هـ)/ مخطوط في مكتبة جستربتي بدبلن (الرقم ٣٦٥٣/٧).

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٢٢ (نقلاً عن كتاب المفيد للمرادي و ١١٢).

(٤) انظر: الشيخ محمد الحسيني: فتح المجيد ص٨، والشيخ زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ص١٣، ومحمد الطنطاوي: إيضاح تحفة الأطفال ص١٤، والشيخ علي الصباغ: الحواشي الأزهرية ص١٥، والشيخ حبيب الكندي: مغنم الصبيان ص٥، ومحمد الهلاوي: كيف تجود القرآن ص٢٧، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٢، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص٢١٩، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩٢.

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) انظر: السيوطي: همع الهوامع ٢/ ٢٣٠.

(٧) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٩، وكمال بشر: الأصوات ص٩٨، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١٠٠.

(٨) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١٠٠، وتمام حسان: مناهج البحث ١٥٦، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٦١، وبرتيل مالمبرج: علم الأصوات ص٩٤، والمطلبي: في الأصوات اللغوية ص٤٥ وعبد الرحمن أيوب: عالم الفكر: المجلد العشرون- العدد الثالث ص٥٤.

ومعنى قولنا (حافي) أنه يخرج من حافة اللسان، ويسمى بسبب هذه الصفة منحرفاً »[1] وقال كانتينو في وصف مخرج اللام بعد أن أطلق عليها مصطلح اللام الانحرافية:« اللام الانحرافية... ومخرجه هو جميع حافة اللسان بينه وبين ما يليه من مقدم الحنك الأعلى فويق الضواحك والأنياب والثنايا، ولهذا الحرف نطق خاص يسمى « الانحراف » ذلك أن اللسان ينحرف عند النطق به بأن يعتمد طرف اللسان على المخرج ... فيجري الهواء من جانبية: ولذلك سماه علماء الأصوات الأروبيون حرفاً جانبياً: (Laterale) ».[2]

يبدو هنا أن بعض المحدثين يستخدمون كلمة « الجانبي » لوصف صوت « اللام » وبعضهم حافظ على المصطلح القديم (الانحراف) وبعضهم حاول أن يستخدم المصطلحين عند حديثه عن اللام قال: « وتسمى اللام بالصوت الجانبي أو المنحرف ».[3] هذا بخصوص مصطلح الانحراف، أمّا بخصوص أصوات الانحراف فلم يصف المحدثون الراء بالانحراف، كما وصفه بعض القدماء. لأن الوصف الذي وضعه المحدثون لِتَكَوُّن الصوت المنحرف لا ينطبق على الراء. فالصوت المنحرف يتكون « بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة، أو عن جانبيها، ومن هنا كانت تسميته بالمنحرف ... ».[4]

---

(١) محمد الأنطاكي: الوجيز ص١٨٩، وانظر محمود السعران: علم اللغة ص١٨٥، وعبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢١١.

(٢) انظر: دروس في علم الأصوات العربية ص٣٨- ٧٨.

(٣) انظر: قسطندي شوملي: مدخل إلى علم اللغة الحديث ص٦٤.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٥.

التكرير (التكرار)[١]

استخدم العلماء هذا المصطلح قديماً وحديثاً لوصف صوت الراء، وأول من استخدمه من القدماء سيبويه (ت١٨٠هـ)، وهو يتحدث عن صفات الحروف إذ قال: «ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء».[٢] وقال أيضاً: «والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحاً»،[٣] وقال المبرد (ت٢٨٥هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «ومنها الراء. وهي شديدة، ولكنها حرف ترجيع فإنما يجري فيها الصوت؛ لما فيها من التكرير».[٤] وقال أيضاً: «وتدغم اللام، والنون في الراء، ولا تدغم الراء في واحدة منهما، لأن فيها تكراراً فيذهب ذلك التكرير».[٥] وقال ابن جني (ت٣٩٢هـ): «ومنها المكرر، وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير»،[٦] وقال الزمخشري (ت٥٨٣هـ): «والمكرر الراء لأنك إذا وقفت عليه تعثر طرف اللسان بما فيه من التكرير»،[٧] وقال ابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ): «وتنقسم إلى مكرر وغير مكرّر. فالمكرر: الراء. وما عداها غير مكرر.

---

(١) هو ارتعاد طرف اللسان بالراء.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(٣) المصدر السابق ٤/١٣٦.

(٤) المقتضب ١/١٩٦، وانظر: ابن السراج: الأصول ص٤٠٣.

(٥) المصدر السابق ١/٢١٢.

(٦) سر صناعة الاعراب ١/٧٢.

(٧) المفصل ص٣٩٦، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٣٠.

وأعني بالتكرار: أنك إذا وقفت عليها رأيت طرف اللسان يتعثر فيها »،[١] وقال الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) أثناء حديثه عن صفات الأصوات: «وإنما سمي الراء مكرراً لأن طرف اللسان إذا تكلم به كأنه يتعثر: أي يقوم فيعثر؛ للتكرير الذي فيه »،[٢] وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) في وصف الراء: «وسمي الراء المكرر لأنها تتكرر على اللسان عند النطق بها كأن طرف اللسان يرتعد بها فكأنك نطقت بأكثر من حرف واحد ».[٣]

الذي نلحظه مما تقدم أن القدماء عللوا وصفهم للراء بأنه مكرر، لأن طرف اللسان عند الوقف على الراء يتعثر، ومن أجل هذا أطلقوا مصطلح (المكرر أو التكرير) على الراء دون غيرها، إذ التكرير صفة ذاتية في الراء عندهم. أي أنه لابد أن يكون. وعلماء التجويد حذروا منه كما سنرى.

تابع علماء التجويد علماء العربية في إطلاق مصطلح (المكرر) على الراء قال مكي القيسي (ت٤٣٧هـ): «الحرف المكرر: وهو (الراء) سمي بذلك، لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به »،[٤] وقال أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني (ت٥٣٩هـ): «اعلم أن الراء متكررة في جميع أحوالها »،[٥] وقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «والتكرير في حرف واحد، وهو الراء »، [٦] وقال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) وهو يذكر صفات الأصوات: «الحرف المكرر، وهو الراء، سمي بذلك لأنه يتكرر على

---

(١) الممتع ٦٧٥/٢.

(٢) شرح الشافية ٢٦٤/٣.

(٣) همع الهوامع ٢٣٠/٢.

(٤) الرعاية ص١٣٠- ١٣١.

(٥) انظر: المرادي: شرح الواضحة ص٤٣.

(٦) مخارج الحروف وصفاتها ص٩١.

اللسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به».[1] هذا النص هو نفس نص مكي القيسي في كتابه الرعاية، لكنه وضح المقصود بتكرير الراء إذ قال: «وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة فأظهر ذلك حال تشديدها، كما ذهب إليه بعض الأندلسيين، والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها، كما هو مذهب المحققين، وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشدّدة فيأتي بها محصرمة شبيهة بالطاء، وذلك خطأ لا يجوز، فيجب أن يلفظ بها مشددة تشديداً ينبو به اللسان نبوة واحدة وارتفاعاً واحداً من غير مبالغة في الحصر والعسر نحو: «الرّحمن الرّحيم» و «خرّ موسى» الأعراف ١٤٣ ...».[2]

علماء التجويد وضحوا طريقة نطق (الراء) وبينوا حركة اللسان حال نطقها قال الجعبري (ت٧٣٢هـ): «وطريق السلامة منه أن يلصق اللافظ به ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقاً محكماً مرة واحدة، ومتى ارتعد حدث من كل مرة راء».[3] وقال المرعشي (ت.١١٥٠هـ) وهو يرد على من قال بإخفاء تكرير الراء: «ليس معنى إخفاء تكريره إعدام تكريره بالكلية بإعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية، لأن ذلك لا يمكن إلا بالمبالغة في لصق اللسان باللثة بحيث ينحصر الصوت بينهما بالكلية وذلك خطأ لا يجوز كما صرح ابن الجزري في النشر، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الراء من الحروف الشديدة مع أنه من الحروف البينية».[4]

---

(١) التمهيد ص١٠٥-١٠٦، وانظر: النشر ٢٠٤/١.

(٢) النشر ٢١٨/١- ٢١٩.

(٣) انظر: المرادي: شرح الواضحة ص٤٤.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣١٧ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٦).

واستخدم المحدثون من علماء التجويد مصطلح (التكرير) لوصف (صوت الراء) ووضحوا معنى التكرير: بأنه ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف، وتوصف الراء بالتكرير لقابليتها له،[١] وأشاروا إلى قضية إخفاء التكرير.[٢]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد وصفوا (الراء) بأنه مكرر، قال إبراهيم أنيس: «والراء صوت مكرر، لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً لتتكون الراء العربية»،[٣] وقال كمال بشر وهو يتحدث عن صوت الراء: «ويتكون هذا الصوت بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً. وهذا هو السر في تسمية الراء بالصوت المكرر».[٤] وقال الأنطاكي: «المكررة: وهي الراء»[٥] ذكر هذا ولم يعلق عليه، وقال أحمد مختار: «الراء المكررة التي يتم نطقها عن طريق ضرب طرف اللسان في اللثة ضربات متتالية».[٦] وسماها مالبرج (الراء المكرورة Rroule) أو الترددية.[٧] الذي تبين لنا من حديث المحدثين أنهم يصفون (الراء) بأنه صوت مكرر. لكنهم لم يشيروا إلى قضية إخفاء التكرير التي أشار إليها القدماء والمحدثون من علماء التجويد.

---

(١) انظر: محمد الهلاوي: كيف تجويد القرآن ص ٢٧- ٢٨، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩٣، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص.١١، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٢، وحبيب الكندي: مغنم الصبيان ص٥، والشيخ خالد الأزهري: الحواشي الأزهرية ص١٥، والشيخ محمد شقرية: كتاب زينة الإنسان ص١٤، والشيخ محمد الحسيني: فتح المجيد ص٩، والشيخ زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ص١٣.

(٢) وكان القدماء من علماء التجويد، قد حذروا من إظهار التكرير والمبالغة فيه/ انظر ابن الجزري: النشر ٢٠٤/١.

(٣) الأصوات اللغوية ص٦٧.

(٤) الأصوات ص١٢٩، وانظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية ص٢٧.

(٥) الوجيز ص٢٤٧.

(٦) دراسة الصوت اللغوي ص٢٧١.

(٧) انظر: بريتل مالبرج: علم الأصوات ص٩٦.

التفشي

هو كثرة انتشار خروج الرِّيح بين اللِّسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بالشين.[١]

اتفق العلماء في القديم والحديث على إطلاق مصطلح «التفشي» على صوت «الشين». غير أن بعضهم أطلقه على أصوات (الفاء، والثاء، والصاد، والضاد، والسين، والراء) وانفرد المبرد (ت٢٨٥هـ) وتابعه ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في اطلاقه على «الواو».[٢] وسنبين ذلك فيما يلي:

استخدم سيبويه (ت.١٨هـ) كلمة «التفشي» في وصف الشين، إذ قال: «والشين لا تدغم في الجيم، لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى إتصل بمخرج الطاء ... فاجتمع هذا فيها والتفشي»،[٣] وكذلك قال المبرد (ت٢٨٥هـ): «ولا تدغم الشين في الجيم البتة، لأن الشين من حروف التفشي، فلها استطالة من مخرجها، حتى تتصل بمخرج الطاء ..»[٤] وقال أيضاً: «ولا تدغم الشين في الجيم البتة، لأن الشين من حروف التفشي»،[٥] ووصف في موضع آخر (الشين والضاد) بالتفشي أثناء حديثه عن اللام الانحرافية وذلك عندما قال: «والحرفان اللذان يبعدان من مخرجها ويتصلان بها في التفشي الذي فيهما: الشين والضاد.

---

(١) انظر: مكي: الرعاية ص١٣٥.

(٢) قال المبرد: «ومن الشفة مخرج الواو، والباء، والميم، إلا أن الواو تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد، وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام» المقتضب ١/١٩٤ وانظر: ابن الجزري التمهيد ص١٠٧.

(٣) الكتاب ٤/٤٤٨.

(٤) المقتضب ١/٢١١.

(٥) المصدر السابق ١/٢١١.

فأما الشين فتخرج من وسط اللسان من مخرج الميم، والياء، ثم تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام».[١]

هنا وصف المبرد (الضاد) بالتفشي وهذا الوصف غير دقيق، لأن التفشي لا يكون في الصوت الإنفجاري، والضاد في النطق الحديث صوت إنفجاري. فلا يصح أن توصف بالتفشي.

وأشار ابن دريد (ت٣٢١هـ) إلى ظاهرة التفشي أيضاً ووصف صوت الشين بها أثناء حديثه عن بعض الأصوات التي تدخل على صوت الشين، إذ قال: «... إلا أنها دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عقدة اللسان بل هي مجاور للعكدة إلى الفم»، [٢] وأشار ابن عصفور(ت٦٦٩هـ) أيضاً إلى هذه الظاهرة أثناء حديثه عن حكم أصوات الفم في الإدغام إذ قال: «ولا يدغم في الجيم من مخرجها شيء أمّا الشين فلم تدغم فيها لأن فيها تفشياً فكرهوا إذهابه بالإدغام، وأيضاً فإن الشين بتفشيها لحقت بمخرج الطاء والدال، فبعدت عن الجيم»،[٣] وأشار الإستراباذي (ت٦٨٦هـ) إلى صفة التفشي أيضاً أثناء حديثه عن امتناع إدغام المتقاربين. إذ قال: «وفضيلة الشين التفشي والرخاوة، فلا تدغم في الجيم مع تقاربهما في المخرج»، [٤] كما أشار إلى هذه الصفة أيضاً السيوطي (ت٩١١هـ) أثناء شرحه لإدغام المتقاربين فقال عن تقريب (الشين) من (الجيم): «والشين حرف ضعيف لهمسه ورخاوته واستفاله وفيه بعض القوة لتفشيه، فلذلك كان تقريبه من الجيم مستحسناً».[٥] والذي نلحظه من حديث علماء العربية المتقدم

---

(١) المصدر السابق ١/٢١٤.
(٢) الجمهرة ١/٦.
(٣) الممتع ٢/٦٨٧- ٦٨٨.
(٤) شرح الشافية ٣/٢٧٠.
(٥) همع الهوامع ٢/٢٢٩.

أن هذه الصفة خاصة بصوت (الشين) الذي ينتشر الريح في الفم عند النطق به، وإن كان المبرد قد أضاف صوت (الضاد) إلى (الشين) ووصفها بالتفشي فهذا الوصف غير دقيق، لأن انتشار الريح في الفم عند النطق بها يكون قليلاً، ولا يصل إلى درجة انتشار الريح في الفم عند نطق صوت (الشين) ولهذا أهمل أغلب علماء العربية وصفها بالتفشي، وخصوا (الشين) بالتفشي. ولم يقدم علماء العربية تعريفاً للتفشي.

أما علماء التجويد فقد ذكروا هذه الصفة وقدموا تعريفاً لها، قال مكي القيسي (ت٤٣٨هـ): «ومعنى التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وإنبساطه في الخروج عند النطق بها».[1] وقال أيضاً: «الحرف المتفشي: وهو (الشين) سميت بذلك، لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء،[2] وقد قيل إنّ في الثاء تفشياً ... وقد ذكر بعض العلماء (الضاد) مع (الشين)، وقال: «الشين في الفم حتى تتصل بمخرج (الظاء)، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام».[3] وعرف ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ) التفشي بقوله: «والتفشي: إنتشار خروج الريح، وانبساطه، حتى يتخيل أن الشين انفرشت، حتى لحقت بمنشأ الظاء، وهي أخص بهذه الصفة من الهاء، وقد ذكر بعضهم الضاد في هذا المعنى، لاستطالتها، لما اتصلت بمخرج اللام». [4] وقد وصف بعض علماء التجويد (الضاد، والفاء، والثاء) بالتفشي إضافة إلى (الشين).[5] وذكر ابن مريم

---

(١) الرعاية ص١٣٥.

(٢) في بعض نسخ الكتاب المخطوطة كما أشار المحقق (بمخرج الطاء) بدل (الظاء)، والصحيح هو (الطاء) وقد أشار علماء العربية من قبل إلى (الطاء).

(٣) الرعاية ص١٣٤ - ١٣٥.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص٩٤.

(٥) انظر: حاشية المحقق رقم ٣، من كتاب الرعاية ص١٣٤.

الشيـــرازي [١]: أصوات التفشي ووضحها بقوله: «ومنها حروف التفشي، وهي أربعة مجموعة في قولك (مِشفر)، وهي حروف فيها غنة وتفش وتأفف وتكرار، وإنما قيل لها حروف التفشي وإن كان التفشي في الشين خاصة لأن الباقية مقاربة له، لأن الشين بما فيه من التفشي ينتشر الصوت فيه ويتفشى حتى يصل إلى مخارج الباقية»،[٢] وقال ابن الجزري (٨٣٣هـ) وهو يتحدث عن صفات الأصوات: «الحرف المتفشي، وهو الشين. سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج (الظاء)، وقيل إن في (الياء) تفشياً. فقلت: والواو كذلك. وقال قوم حروف التفشي ثمانية: الميم، والشين، والفاء، والراء، والثاء، والصاد، والسين، والضاد ....، ومعنى التفشي هو كثرة خروج[٣] بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها حتى يتصل الحرف بمخرج غيره».[٤] وقال في النشر: «وحروف التفشي- هو الشين اتفاقاً لأنه تفشى في مخرجه حتى إتصل بمخرج الطاء، وأضاف بعضهم إليها الفاء والضاد، وبعض: الراء، والصاد، و السين، والياء، والثاء، والميم»،[٥] وإطلاق التفشي على هذه الأصوات فيه توسع لا يحتمله التصنيف الدقيق للأصوات، والتفشي من الصفات الخاصة بـ(الشين) لأن انتشار خروج الريح عند النطق بها يكون كثيراً. وعلى هذا فالوصف ينطبق عليها دون غيرها. وقد قال محمد المرعشي (ت.١١٥٠هـ): «وبالجملة أن الحروف المذكورة مشتركة في كثرة إنتشار خروج

---

(١) لم أجد له ذكر في كتب التراجم: وعله: نصر بن علي بن محمد الذي قال عنه ابن الجزري (يعرف بابن أبي مريم) وهو صاحب كتاب (الموضح في القراءات الثمان) الذي فرغ منه سنة ٥٦٢هـ (انظر: غاية النهاية ٢/٣٣٧).

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣١٩ (نقلاً عن كتاب إبراز المعاني لأبي شامة المقدسي و ١١).

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) التمهيد ص١٠٧- ١٠٨.

(٥) ابن الجزري: النشر ٢٠٥/١.

الريح، لكن ذلك الإنتشار في الشين أكثر، ولذا إتفق في تفشيه، وفي البواقي قليل بالنسبة إليه، ولذا لم يصفها أكثر العلماء بالتفشي»،[١] وهذا كلام واضح لا يحتاج إلى توضيح. فالتفشي خاص بصوت (الشين) باتفاق العلماء كما رأينا، وما أضافه العلماء من أصوات أخرى، لا ينطبق عليه الوصف الدقيق للتفشي.

والمحدثون من علماء التجويد اتبعوا القدماء في استخدام هذا المصطلح وعرفوا التفشي وذكروا حروفه. دون أي إضافة.[٢]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد أهمل أكثرهم ذكر هذه الصفة، وذكرها آخرون. يقول خليل العطيه: «التفشي: وهو صفة خاصة بصوت الشين ومجهورها». [٣] وقال كانتينو: «إلتفشي: هو خاصية حرف الشين، وذلك لأن اللسان يتفشى فعلا على الحنك فيتكون في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس».[٤] وأشار عبد الصبور شاهين إلى هذه الصفة أثناء حديثه عن صفات المجموعات، وبين معنى التفشي بقوله: «ومعنى التفشي: أن يشغل الصوت من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا (الوشيش)».[٥]

كما أشار إلى هذه الصفة مالمبرج أثناء حديثه عن صفات الأصوات فعرّف التفشي بقوله: «التفشي: هو أن يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر، ما بين الغار واللثة، وهو وصف صادق على الشين، ولولا التفشي لصارت

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣١٩ (نقلاً عن كتاب جهد المقل لمحمد المرعشي و ١٧).

(٢) انظر: محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٣، حسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩٤، ومحمد الهلاوي: كيف تجويد القرآن ص ٢٨، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص١١١، والشيخ محمد شقرية: كتاب زينة الإنسان ص١٤، والشيخ زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ص١٤.

(٣) في البحث الصوتي عند العرب ص٥٦.

(٤) دروس في علم أصوات العربية ص٣٨.

(٥) في التطور اللغوي ص.٢١.

الشين سيناً.[١] وقال إبراهيم أنيس أثناء حديثه عن مصطلحات الصفات التي ذكرها سيبويه: «كذلك وصف سيبويه صوت الشين بالتفشي، وذلك لأن هواء النفس معها لا يقتصر في تسربه إلى الخارج على مخرجها، أي من الفراغ الذي بين العضويين المتصلين في حالة الشين، بل يتوزع في جنبات الفم».[٢]

يبدو من نصوص المحدثين حول هذه الصفة، أنهم بيّنوا معنى التفشي وذكروا (الشين) حرفاً له، ولم يذكروا له غيره. وأكثرهم كما ذكرنا سابقاً أهمل ذكر هذه الصفة. لاعتقاده بأنها من الصفات المحسنة التي لا قيمة تمييزية لها في تمييز الأصوات.

الاستطالة

ويقصد بها أن يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر. وهو وصف ينطبق على (الضاد) القديمة الرخوة.[٣]

وهذا المصطلح استخدمه العلماء قديماً وحديثاً لوصف صوت (الضاد)، وقبل أن نبين استخدامهم لمصطلح (الاستطالة)، لابد من الإشارة إلى الخلاف بين القدماء والمحدثين حول صوت (الضاد). الخلاف بينهما يتركز في نقطتين هما:

١- الصفة.

٢- المخرج.

---

(١) علم الأصوات ص.١٢.

(٢) الأصوات اللغوية ص١١٩- ١٢٠.

(٣) انظر: مالمبرج: علم الأصوات ١٢٠.

فاللغويون القدامى يعدّون صوت (الضاد) رخواً،[1] والمحدثون يعدونه صوتاً شديداً.[2] أي (انفجاري).

مخرج (الضاد) عند القدامى: من أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس.[3]

وعند المحدثين: من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.[4] فهو عندهم أسناني-لثوي.

وأوّل من استخدم مصطلح (الاستطالة) لوصف (الضاد) سيبويه (ت١٨٠هـ)، عندما تحدث عن (الضاد الضعيفة)[5] إذ قال: «... وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان».[6] وقال في موضع آخر، وهو يتحدث عن موانع إدغام (الضاد): «ولا تدغم في الصاد والسين والزاي لاستطالتها، يعني الضاد».[7] وكذلك وصف سيبويه (الضاد والشين) بالاستطالة في بعض المواضع، إذ قال: «الضاد إستطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٤- ٤٣٥، وابن السراج: الأصول ٣/٤٠٠، وابن دريد: الجمهرة ٨/١، ومكي القيسي: الرعاية ص١١٩.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات الغوية ص٤٨، وكمال بشر: الأصوات ص١٠٤.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٣٤٣٣، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/ ٥٢، والمبرد: المقتضب ١/١٩٣، ومكي القيسي: الرعاية ص١٣٤، والسيوطي: الهمع ص ٢٢٨.

(٤) نظر: إبراهيم أنيس: الأصوات الغوية ص٥١، وكمال بشر: الأصوات ص١٠٤، ورمضان عبد التواب: التطور النحوي ص١٨، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

(٥) الضاد الضعيفة التي أشار إليها سيبويه في الأصوات غير المستحسنة، فإما أنها الضاد التي تنطق (الظاء) ويكتبها كذلك من يلتبس عليه الأمر، وإما أنها الضاد التي تنطق في مصر على أنها مطبق الدال (انظر: عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص١٩٢).

(٦) الكتاب: ٤/٤٣٢.

(٧) المصدر السابق: ٤/٤٦٦، وانظر ص٤٧.

الطـــاء»،[1] وقال في موضع آخر، وهو يتحدث عن ادغام (الطاء والدال والتاء) في الشين: «وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها، وذلك قولك: اضْبشّبثاً، وانْعشّبثاً، وانْقُشّبثاً».[2]

أما المبرد (ت٢٨٥هـ) فقد وصف (الشين) بالاستطالة وهو يتحدث عن منع إدغام (الشين في الجيم) قال: «ولا تدغم الشين في الجيم البتة، لأن الشين من حروف التفشي، فلها استطالة من مخرجها، حتى تتصل بمخرج الطاء ...»،[3] ولم يوصف المبرد (الضاد) بالاستطالة. وذكر ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) الاستطالة، وهو يتحدث عن جواز إدغام (الضاد) في الطاء، والدال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء، واللام، عندما قال: «فإن الضاد، بالاستطالة التي فيها، لحقت مخرج الطاء والدال والتاء، لأنها اتصلت بمخرج اللام»،[4] واستخدم الإستراباذي (ت٦٨٦هـ) مصطلح (الاستطالة) لوصف (الضاد) وهو يتحدث عن موانع إدغام أحد المتقاربين في الآخر، إذ قال: «وفضيلة الضاد الاستطالة».[5] وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن وجوب إدغام لام المعرفة في مثلها: «أمّا الضاد فلأنها استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام».[6] كما استخدم هذا المصطلح في موضع آخر من كتابه لوصف (الضاد) بالاستطالة.[7]

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٦٦.

(٣) المقتضب ١/٢١١.

(٤) الممتع ٢/٦٩١.

(٥) شرح الشافية ٣/ ٢٧٠.

(٦) المصدر السابق ٣/ ٢٧٩.

(٧) انظر: المصدر السابق ٣/٢٨٣.

ومن خلال البحث حول مصطلح صفة «الاستطالة» في كتب علماء العربية، تبين للباحث أن أغلب العلماء الذين جاءوا بعد سيبويه أهملوا ذكر هذه الصفة.

أما علماء التجويد فقد استخدموا مصطلح (الاستطالة) لوصف صوت (الضاد). وعرف بعضهم الاستطالة: «بأنها امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها».[1] وخصّوا صوت (الضاد) بالاستطالة فقالوا: «الحرف المستطيل: وهو (الضاد)، سميت بذلك، لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام».[2] وقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ): «وذكر بعضهم الضاد .. لاستطالتها، لما اتصلت بمخرج اللام».[3] وقد صرح بعضهم من قبل أن الاستطالة لا يوصف بها إلا (الضاد)، فقال: «والمستطيل حرف واحد، وهو الضاد».[4] وقال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أيضاً وهو يتحدث عن أقسام الحروف وألقابها: «الحرف المستطيل، وهو الضاد المعجمة، سميت بذلك لأنها استطالت عن الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام».[5] ولكن بعضهم قال: «إن الاستطالة لا تختص بالضاد، بل الشين مستطيلة أيضاً للتفشي.[6]

ومما سبق يلاحظ أن علماء العربية والتجويد يتفقون على أن (الضاد) هي الأصل في صفة الاستطالة، وأن مصطلح الاستطالة يصدق عليها. لأن المقصود بالاستطالة هواتساع مخرج الحرف.[7]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص.٣٢ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٧).

(٢) مكي القيسي: الرعاية ص١٣٤.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص٩٤.

(٤) الداني، التحديد، ص.١١. وانظر: مكي القيسي: الرعاية ص١٣٤.

(٥) التمهيد ص١٠٧.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص.٣٢ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٧).

(٧) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢١.

والمحدثون من علماء التجويد، استخدموا مصطلح الاستطالة لوصف صوت (الضاد)، وقالوا: «الاستطالة حرفها الوحيد هو الضاد، وعرفوها: بأنها امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها.[١]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فأغلبهم أهمل ذكر هذه الصفة، وذلك لأن (الضاد) القديمة الموصوفة بالاستطالة غير متحققة في النطق اليوم، وهي الأصل في هذه الصفة، وأشار إليها بعض منهم معتمداً على وصف (الضاد) القديمة، قال مالمبرج: «الاستطالة: ويقصد بها أن يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر. وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة التى تخرج ممّا بين جانب اللسان، وبين ما يليه من الأضراس. ... هذا المخرج القديم للضاد كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام الجانبية، ولذلك وصفت بالاستطالة قديماً».[٢] وقال كانتينو أثناء حديثه عن صفات الحروف: «الاستطالة وهي صفة الضاد، وربما كان السبب في هذه التسمية وجود تلك الزائدة الإنحرافية في الضاد».[٣] وأشار عبد الصبور شاهين إلى مصطلح (الاستطالة) أثناء حديثه عن صفات الأصوات عند سيبويه قال: «... ومعنى الاستطالة. أن الصوت يشغل من طول اللسان مساحة تصل مخرجه بمخرج صوت آخر يجاوره ... فاستطالة الشين تصلها بمخرج الطاء، واستطالة الضاد تصلها بمخرج اللام. وهذه الاستطالة تكسب الصوت ميزة على غيره من الأصوات».[٤]

---

(١) انظر: حسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٩٤، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٢٣، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص١١١، والشيخ زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة ص١٤.

(٢) علم الأصوات ص١٢٠.

(٣) دروس في علم أصوات العربية ص٣٨.

(٤) في التطور الغوي ص٢١٠.

يبدو من النصوص السابقة أن المحدثين أشاروا إلى مصطلح (الاستطالة) عند القدماء، ولم يذكروا شيئاً جديداً حولها، والوصف الذي ذكره القدماء للضاد القديمة لا ينطبق على الضاد الحديثة، فالضاد الحديثة (صوت أسناني- لثوي انفجاري مجهور مفخم).[1]

مصطلحات الصفات التي تتعلق بأصوات المد واللين

هناك صفات للأصوات لم تشتهر شهرة الصفات التي تحدثنا عنها، وهي تتعلق بأصوات المد واللين، منها: الهاوي، الهوائية، وسنبين هذه الصفات.

الهاوي / الهوائي

هذا المصطلح استخدمه العلماء قديماً في وصف الألف يقول سيبويه (١٨٠هـ): «ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف»،[2] وصف سيبويه (للألف) بأنه (الهاوي) عله يشير بذلك إلى ما يعنيه من جاء بعده من وصفه (بالهوائية)، وهو أنه يخرج من الجوف.[3]

والألف عند سيبويه قرينة الهمزة، وقد حدث لدى القدماء خلط بينهما، تجنبه المحدثون، حين عاملوا (الألف) باعتبارها مصوتاً طويلاً، وعاملوا (الهمزة) باعتبارها صوتاً صامتاً.[4] واستخدم المبرد (ت٢٨٥هـ) مصطلح (الهاوي) في وصف الألف، عند حديثه عن مخرج الهمزة، إذ قال: «اعلم أن الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف، ولا يشركه في مخرجه شيء، ولا يدانيه إلا الهاء

(١) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٠٤.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٣) انظر: ابن الجزري: النشر ١/١٩٩.

(٤) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢١١.

والألف... أمّا الألف فقد تقدم قولنا في أنها لا تكون أصلاً، وأنها لا تكون إلا بدلاً أو زائدة. وإنما هي هواء[١] في الحلق يسميها النحويون الحرف الهاوي»،[٢] وقال في موضع آخر: «والألف هاوية هناك».[٣] وأيضاً ابن جني (ت٣٩٢هـ) استخدم مصطلح (الهاوي) في وصف الألف عند حديثه عن أقسام الأصوات، وقد ذكر أنه أحد أصوات المد، والاستطالة وهي: الألف والواو والياء، (إلا أن الألف أشد امتداداً، وأوسع مخرجاً، وهو الحرف الهاوي).[٤] كما أن الزمخشري (٣٨٠ هـ) استخدم مصطلح (الهاوي) في وصف الألف أثناء حديثه عن أقسام الأصوات إذ قال: «والهاوي: الألف، لأن مخرجه اتسع لهواء الصوت أشد من اتساع مخرج الياء والواو»، [٥] واستخدم الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) أيضاً مصطلح (الهاوي) في وصف الألف أثناء حديثه عن صفات الأصوات إذ قال: «... واتساع مخرج الألف لهواء صوته أكثر من اتساع مخرجي الواو والياء لهواء صوتهما، فلذلك سمي الهاوي»، [٦] وقال في موضع آخر: «ومعنى الهاوي ذو الهواء».[٧] واستخدم السيوطي (ت٩١١هـ) مصطلح الهاوي أيضاً. عند حديثه عن صفات الأصوات، وبيّن معنى (الهاوي) إذ قال: «وسمي الهاوي لأنه يهوي في الفم فلا يعتمد اللسان على شيء منها».[٨]

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) اعتبر أصوات (الواو والياء والألف) هوائية وميزها عن غيرها من الأصوات. انظر: العين ١/٥٧- ٥٨.

(٢) المقتضب ١/ ١٥٥، وانظر: ابن السراج: الأصول ص٤٠٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٩٢.

(٤) انظر: سر صناعة الاعراب ١/ ٧١.

(٥) المفصل ص٣٩٦.

(٦) شرح الشافية ٣/ ٢٦١.

(٧) المصدر السابق ٣/ ٢٦٤.

(٨) همع الهوامع ٢/ ٢٣٠.

يتضح مما تقدم أن القدماء خصوا الألف بهذه الصفة، لأن اتساع مجرى الصوت فيه وامتداده في الفم جعلهم يرونه كالذي يهوي في الفضاء، لا يستند اللسان معه إلى شيء ولا يتحرك نحو شيء ولا يحتك الهواء معه بشيء، وهو يختلف عن الواو والياء في هذا. فلذا خُصَّ بهذا المصطلح دون غيره.

أما علماء التجويد فقد استخدم بعضهم مصطلح (الهاوي) لوصف الألف أثناء حديثه عن الألف فقال: «إنما هو حرف اتسع مخرجه في هواء الفم، ولذلك قيل له: هوائي، وهاوٍ». [1] وقال الداني (ت٤٤٤هـ) أثناء حديثه عن أصوات المد. الألف: «حرف هاوٍ مجهور».[2] وأعطى عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ) معنى جديداً للهاوي غير اتساع المخرج لهواء الصوت، وذلك عندما قال: «وأما الجرس فالألف الساكنة، لا يكون إلا كذلك، ويقال لها أيضاً الهاوي، لأن الفم ينفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة، وتهوي في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء من الحلق». [3] وقال أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ): «والهاوي هو الألف وحدها، سميت بذلك لأنها تهوي إلى ناحية الحلق كأنها تخرج من جب»،[4] ووصف ابن الطحان (ت٥٦٠هـ) الألف بأنه هواء أبداً.[5]

وجعل أبو العلاء الهمذاني العطار (٥٦٩ هـ) مصطلح (الهاوي) يشمل أصوات المد الثلاثة، فقال: «والهاوي الألف والياء والواو إذا سكنت بعد حركتيهما،

---

(١) مكي القيسي: الرعاية ص١٦٠.

(٢) التحديد، ص١٢٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٦٥- ٣٦٦ (نقلاً عن كتاب الموضح لعبد الوهاب القرطبي و ١٥٨).

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٦٦ (نقلاً عن كتاب الإيضاح في القرءات العشر، لأحمد بن أبي عمر ص٧٤، والكتاب مخطوط توجد منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩ قراءات وتجويد).

(٥) مخارج الحروف وصفاتها ص٩٠.

سميت بذلك لأنها تهوي في حرف الفم إلى ما بين الهمزة والهاء ».[١]

واستخدم ابن الجزري (ت٨٢٣هـ) كلمة (تهوي) لوصف الواو إذ قال: « الحرف المتصل، وهو الواو. وذلك لأنها تهوي في مخرجها في الفم لما فيها من اللين حتى تتصل بمخرج الألف ».[٢]

ومن هنا فإن علماء التجويد وضحوا معنى الهاوي أكثر من علماء العربية، وأن بعضهم أطلق مصطلح (الهاوي) على الأصوات الثلاثة (الألف، والواو، والياء)، وأهمل بعضهم ذكر هذه الصفة ولم يشر إليها.

أما المحدثون من علماء التجويد، فقد أهملوا ذكر هذه الصفة، لأنها لم تشتهر شهرة الصفات التي تحدثنا عنها. فهي ليست من الصفات المميزة، ولا الصفات المحسنة. كما أن المحدثين من دارسي الأصوات العربية قد أهمل أغلبهم ذكر هذه الصفة، وأشار بعضهم إلى أن سيبويه وصف الألف بأنه: (الهاوي). وعلّق عليه بقوله: « لعله يشير بذلك إلى ما يعينه من جاء بعده من وصفه (بالهوائية)، وهو أنه يخرج من الجوف ».[٣] وقال كانتينو: « الهاوي: أي الذي فيه هواء، وهو نعت ينعت به الألف الجرسي، أي الألف الذي يحدث صوتاً، للمقابلة بينه وبين الألف إذا كان عماد الهمزة »[٤]، هنا وضح كانتينو الألف التي توصف بأنها هاوية، وسماها (الألف الجرسي)، وكان عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) من قبل قد وصفها بالجرس عندما قال: « وأما الجرس فالألف الساكنة »[٥]

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٢٦٦ (نقلاً عن كتاب التمهيد، لأبي العلاء الهمذاني العطار و١٤٧).

(٢) التمهيد ص١٠٩- ١١٠.

(٣) عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي ص٢١١.

(٤) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٨.

(٥) غانم الحمد الدراسات الصوتية ص٢٦٥ (نقلاً عن كتاب الموضح لعبد الوهاب القرطبي و ١٥٨).

واستخدام مكي القيسي مصطلح الجرسي لوصف الهمزة لا الألف.[١]

ومن الواضح أن اختصاص القدماء الألف بصفة الهاوي يقابله في المصطلح الحديث مفتوح Open وصفاً للفتحة سواء أكانت قصيرة أم طويلة.

الهوائية:

من الصفات التي تتعلق بأصوات المد واللين (الألف، والواو، والياء) وأول من استخدم هذا المصطلح لوصف هذه الأصوات الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) فقد نص على أن (الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء). [٢] واستخدم مصطلح هوائية في موضع آخر لوصف الأصوات الثلاثة مع ضم الهمزة إليها. إذ قال: «والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء».[٣] هنا نسب الخليل بن أحمد هذه الأصوات إلى الهواء، ووصفها بأنها هوائية، أي ليس لها حيز معين. وقد أخذ بعض الباحثين على الخليل بن أحمد، وضعه للهمزة مع هذه الأصوات الثلاثة ونسبتها إلى الهواء. فالهمزة لها حيز محدد هو الحنجرة؛ فهي ليست هوائية.[٤]

أمّا سيبويه ومن تابعه من علماء العربية، فلم يستخدموا مصطلح (هوائية) لوصف هذه الأصوات، فسيبويه لم يفرق بين مخرجي الواو والياء المديين وغير المديين. ولذا لم يصف الأصوات المدية بأنها هوائية. وتابعه من جاء بعده.

---

(١) انظر: الرعاية ص١٣٢.

(٢) انظر: العين ١/٥٨.

(٣) العين ١/٥٨.

(٤) انظر: كمال بشر: الأصوات، فقد ذكر تفصيل الهمزة في ص١١٢ وما بعدها.

أمّا علماء التجويد فقد استخدموا مصطلح (الهوائية) لوصف أصوات المد واللين. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «وإنما سُميت بالهوائية، لأنّهُنّ نسبن إلى الهواء، لأن كلّ واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها في هواء الفم» [١]، وذكر السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) أنه «قيل أن الألف والواو والياء إذا سكنتا وتحرك ما قبلهما بجنسهما جوفية، أو هوائية، أو هاوية، لأنها لا تقع في الأحياز التي ذكرناها، فتنسب إليها، لكنها تخرج من الجوف فتذهب في هواء الفـــم» [٢]، وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «الحروف الهوائية وهي حروف المد واللين، وإنما سميت بالهوائية لأن كل واحد منهن يهوى عند اللفظ به في الفم، فعمدة خروجها من هواء الفم». [٣]

أمّا المحدثون من علماء التجويد، والمحدثون من دارسيّ الأصوات العربية، فقد أهملوا ذكر هذه الصفة.

ومن الواضح أن صفة الهوائية تطلق في الوصف الحديث على جميع الحركات، فعند نطقها تفتح مخارجها Open Approximation بما يسمح للهواء بالخروج بحرية تامة دون احتكاك.

الصوت المركب:

مصطلح صوتي أطلقه بعض المحدثين على صوت «الجيم» [٤] وهذا المصطلح لم يشر إليه القدماء، وما كنت أريد الحديث عنه لولا أني وجدت إشارة عند

---

(١) الرعاية ص١٢٦.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٦٣-٣٦٤ (نقلاً عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٥).

(٣) التمهيد ص١٠٢ - ١٠٣، وانظر: النشر ٢٠٤/١.

(٤) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١١٧.

بعض القدماء إلى مشكلة (الجيم)[١]، كما أنني وجدت أحد المحدثين يقول حول صوت الجيم: «ربما لم يوجد اختلاف بين الباحثين في وصف صوت من أصوات العربية مثلما وجد مع صوت الجيم في العربية الفصحى، كما أنه لم تتنوع الروايات في كيفية نطق صوت مثلما تنوعت في نطق صوت الجيم»[٢] ووجدت بعض الدارسين من المحدثين يطلق على هـذه المشكلة مصطلح (الصوت المركب). [٣] ولأجل هذا أشرت إليها باعتبارها مصطلحاً صوتياً عند بعضهم. والصوت المركب: يمثل وحدة صوتية واحدة من الناحية الوظيفية (الفونولوجية). أمّا من الناحية النطقية فيتكون من عنصرين أولهما انفجاري، والآخر احتكاكي، فيحبس الهواء أولاً كما في أي صوت انفجاري مع انغلاق طريق الأنف، ولكن بدلاً من أن يسرّح الهواء تسريحاً مفاجئاً كاملاً مع تباعد الناطقين في المخرج كما هي الحال في الصوت الانفجاري، يُباعد بين الناطقين بالتدريج مباعدة محدودة تسمح بمرور الهواء المضغوط في المرحلة السابقة مع احتكاك مسموع. وعليه فصوت الجيم يكتب بالرمز الصوتي هكذا dʒ، فالعنصر الأول هو الدال d، والعنصر الثاني هو صوت احتكاكي لثوي غاري مجهور (أي النسخة المجهورة من الشين). والنسخة غير المجهورة من الجيم هي ts أي طريقة أهل الريف في الأردن وبعض الأقطار العربية في نطق الكاف. وهو الصوت الأول والأخير في نطق الكلمة الإنجليزية Church.

وقد وصف القدماء الجيم بأنه صوت شديد مجهور، يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.[٤] وقد تغير نطقها عند بعض الناس قديماً، ونبّه

---

(١) انظر: ابن الجزري: النشر ٢١٧/١.

(٢) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٨٧.

(٣) كمال بشر: الأصوات ص١١٧.

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٣/٤، والمبرد: المقتضب ١٩٢/١؛ وابن جني: سر صناعة الإعراب

ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) إلى هذا التغير حيث قال: «والجيم يجب أن يُتَحَفّظ بإخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فينتشر بها اللسان، فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام ومصر؛ وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس، وهو موجود كثيراً في بوادي اليمن»[1]، ولا يزال هذا الوصف لنطق الجيم ينطبق على نطقها في عصرنا.[2] وسبب تسمية «الجيم» بالصوت المركب: هي ملاحظة ما يحدث عند نطقها فقد لوحظ أن انفصال وسط اللسان عن الحنك الأعلى أثناء النطق بهذا الصوت لا يحدث فجأة كما في نطق الأصوات الشديدة، بل يتم الانفصال ببطء، فيعطي الفرصة للنّفس بعد الانفجار ليحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بما يحدث أثناء النطق بالجيم الشامية، ومن ثم سمي مركباً.[3] وهذا المصطلح لم يطلق إلا على صوت الجيم.

وعَدَلَ بعض المحدثين عن استخدام مصطلح الصوت المركب، وسمّى الجيم صوتاً قليل الشدة، وذلك في قوله: «فإذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئاً سمع صوت يكاد يكون انفجارياً، وهو الجيم العربية الفصيحة. فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلاً منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتاً قليل الشدة»[4]، وأطلق بعض المحدثين مصطلح «الصوت

٥٢/١، والزمخشري: المفصل ص٣٩٤.

(١) النشر ٢١٧/١.

(٢) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٢٥ وما بعدها، ومالمبرج: علم الأصوات ص١١٤، وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٨٩، وعبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي ص١٨٨-١٨٩.

(٣) انظر: مالمبرج: علم الأصوات ص١١٤، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٣١-١٣٢، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٨٢، وكمال بشر: الأصوات ص١٢٥-١٢٩. وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٩٩.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٩.

المزدوج» على صوت الجيم[1]، وطالب بعضهم الغاء ما يسمى بالصوت المركب في اللغة العربية، وعلل سبب الإلغاء بقوله: «وأنت إذا حاولت أن تنتج صوتاً انفجارياً من منطقة الغار سواء كان مهموساً أو مجهوراً، ستسمع صُوَيْتاً آخر يسبقه مما يجعلك تسمع الصوت مركباً. والتركيب هنا ليس مقصوداً، وإنّما ينتج بصورة آلية حين يحاول المرء قفل المجرى بإحكام في هذه المنطقة ثم تفجيره... فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى عدّوا الصوت انفجارياً. والمحدثون حين نظروا إلى الصويت الذي يسبق النطق عدّوا الصوت مركباً».[2] هذا ما قاله المحدثون حول مصطلح الصوت المركب، ولم يتطرق له القدماء.

مصطلحات الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها:

المهتوت (المهتوف)

فقد وصف بعضهم (الهمزة) بهذه الصفة[3]، وآخرون وصفوا (الهاء)[4]، وبعضهم وصف (التاء).[5]

(١) انظر: رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ص٥١-٧٨.

(٢) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٩١-٢٩٢.

(٣) انظر: الخليل بن أحمد: العين ٥٨/١ ومكي القيسي: الرعاية ص١٣٧.

(٤) انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ٧٤/١ وعبدالوهاب القرطبي: الموضح و ١٥٨.

(٥) انظر: الزمخشري: المفصل ص٣٩٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٨/١٠، وابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل ٤٩٠/٢، والاستراباذي: شرح الشافية ٢٦٤/٣، وابن عصفور: الممتع ٦٧٦/٢ في بعض نسخ المخطوط وصف التاء بأنه مهتوت. وفي بعض النسخ وصف الهاء بأنه مهتوت. (حاشية المحقق ٦٧٦/٢).

والمهتوت معناه: (المحصور المكسور) أو (المقول بسرعة وغزارة في الكلام).[١] وقال ابن منظور: (الهت شبه العصر للصوت)[٢]، وقال أيضاً: (الهتف الصوت الجافي العالي، وقيل الصوت الشديد).[٣] وأول من استخدم مصطلح (مهتوت) الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) أثناء حديثه عن (الهمزة) عندما قال: «وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت...».[٤] هنا وصف الهمزة بأنها مهتوتة. أمّا ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فقد استخدم مصطلح (المهتوت) أيضاً، ولكنه وصف (الهاء) به إذ قال: «ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء».[٥] وقال سمي بذلك (لما فيه من الضعف والخفاء)[٦] أمّا الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فقد استخدم مصطلح (المهتوت) كذلك. إلا أنه وصف (التاء) به، وتابعه في وصف (التاء) بالمهتوت شارح المفصل[٧] ورجح الجاربردي (ت٧٤٦ هـ)[٨] أن المهتوت هو (الهاء) وقال: «إنّ ما ذكر في المفصل من أن المهتوت التاء كأنه غلط من الناسخ).[٩] ما ذكر في المفصل ليس غلطاً من الناسخ، فقد نص على ذلك شارح المفصل، قال ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ): «ومنها المهتوت وهو التاء، وذلك لما فيه من الضعف والخفاء من قولهم رجل مهت وهتات أي خفيف كثير الكلام».[١٠]

---

(١) كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٨.

(٢) انظر: لسان العرب ٢/٤٠٨ مادة (هتت) نسب ابن منظور عبارة مهتوت لسيبويه ولم أجدها في الكتاب.

(٣) انظر: المصدر السابق ١١/٢٥٩ مادة (هتف).

(٤) العين ١/٥٨.

(٥) سر صناعة الاعراب ١/٧٤.

(٦) انظر: المصدر السابق ١/٧٤.

(٧) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٩، وابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل ٢/٤٩٠.

(٨) الجاربردي: فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف التبريزي (ت ٧٤٦ هـ) له كتاب شرح الشافية. (انظر: الأعلام ١/١١١).

(٩) الجاربردي: شرح الشافية ص٢٥٠.

(١٠) شرح المفصل ١٠/١٣١.

واستخدم ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) مصطلح (المهتوت) لوصف (الهاء) إذ قال: «المهتوت الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء».[1] وبيّن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) معنى المهتوت أثناء حديثه عن صفات الأصوات بقوله: (وإنما سمي التاء مهتوتاً لأن الهتّ سَرْدُ الكلام على سرعة، فهو حرف خفيف لا يصعب التكلم به على سرعة).[2] واستخدم السيوطي (ت ٩١١ هـ) مصطلح (المهتوت) ووصف به الهمزة إذ قال: «وسمي الهمز المهتوت من الهت وهو عصر الصوت لأنها معتصرة كالتهوّع[3] أو من الهت وهو الحطم والكسر لأنها يعرض لها الإبدال كثيراً فتنحطم وتنكسر».[4] تبين لنا من النصوص السابقة أن علماء العربية اتفقوا في استخدام (المصطلح) واختلفوا في تعريفه وتفسيره والأصوات التي توصف به، وهذا يدل على التباس المصطلح واضطراب دلالته بين القدماء.

ويبدُ أن تفسير (الهت) بالضعف والخفاء، ووصف صوت الهاء به أقرب إلى الصواب، وذلك لأن صوت الهاء عند النطق به يكون أقل وضوحاً في السمع من صوت الهمزة.

وعلى أيّة حال أوصاف القدماء أوصاف انطباعية غير واضحة وغير دقيقة.

أمّا علماء التجويد فقد استخدم بعضهم مصطلح (المهتوف) بدل (المهتوت)، قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «الحرف المهتوف: هو الهمزة، سُمّيت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوُّع فتحتاجُ إلى ظهور صوت قويّ شديد، والهتف: الصوت الشديد يقال: هتف به، إذا صوّت وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم

---

(١) الممتع في التصريف ٢/٦٧٦.

(٢) شرح الشافية ٣/٢٦٤.

(٣) تهوّع: تكلف القيء/ إذا قاء بنفسه كأنه يخرجها (اللسان مادة/ هاع).

(٤) همع الهوامع ٢/٢٣٠.

للهمزة بالجرسيّ، لأن الجرس الصوت الشديد، والهتْفَ: الصوت الشديد، فسُمِّيت الهمزة بذَيْنِك، لشدّة الصوت بها وقوّته. وذكر بعض العلماء في موضع المهتوف: المهتوت -بتاءين- قال: لأن الهمزة إذا وقفت عليها، لأنت وصارت إمّا واواً، وإمّا ياءً، وإما ألفاً».[1]

هنا استخدم مكي القيسي مصطلح المهتوف بدل المهتوت في وصف الهمزة وبيّن معنى المهتوف، وأشار إلى أن بعض العلماء يستخدم لفظ المهتوت بدل المهتوف.

واستخدم عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) مصطلح (المهتوت) في وصف الهاء قال: «ومن الحروف المهتوتة وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء، وقال بعضهم المهتوت الهمزة».[2]

واستخدم ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) مصطلح (المهتوف) لوصف الهمزة قال: «الحرف المهتوف، وهو الهمزة. سميت بذلك لخروجها من المصدر كالتهوع... والهتف الصوت الشديد».[3]

كلام علماء التجويد في الحديث عن الهمزة فيه تناقض وغموض وعدم وضوح، فمرةً يصفون الهمزة بأنها مهتوفة ويفسرون الهتف بالصوت الشديد، ومرّة يصفون الهمزة بأنها مهتوتة ويفسرون الهت بالضعف والخفاء ولا ندري كيف يوصف الصوت بأنه قوي وضعيف في آن واحد. لقد استخدم القدماء أثناء حديثهم أوصاف انطباعية غير واضحة ولا دقيقة ويبدو أن تفسير المهتوت بالخفاء والضعف ووصف صوت الهاء به أقرب إلى الصواب، وأكثر دلالة كما ذكرنا سابقاً.

---

(١) الرعاية ص١٣٧-١٣٨.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٢٢٤ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٨).

(٣) التمهيد ص١٠٩.

أمّا المحدثون من علماء التجويد، ومن دراسي الأصوات العربية، فقد أهمل أغلبهم ذكر هذه الصفة، ومن ذكرها منهم نقل ما قاله القدماء دون أن يوضحه[1]

الجرسي:

مصطلح أطلقه القدماء على أكثر من صوت. وأول من أطلقه الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) على الألف اللينة، وذلك عندما قال: «فأمّا الألف اللينة فلا صرف لها، إنّما هي جرس مدة بعد فتحة»[2]، وأطلقه أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ) على الأصوات الصامتة وذلك عندما قال:«الألف والياء والواو هوائية، ليس لها جروس ولا اصطكاك لأنها تنسل من جوف الحنك».[3] تفسير الخليل للجرس يختلف عن تفسير الرازي؛ فالخليل وصف الألف الليّنة بالجرس وفسر الجرس بأنه مدة بعد فتحة. بينما نفى الرازي عنها صفة الجرس والاصطكاك، فهي تنسل من الجوف دون جرس أو اصطكاك، أي يكون مخرجها واسعاً دون أي تضييق. والذي يوصف بالجرس عنده هو الأصوات الصامتة التي يحدث عند النطق بها احتكاك وتضييق في المجرى. فهذا معنى الجرس عند الرازي.

إذن بين تفسير الخليل للجرس وتفسير الرازي تضارب وغموض وعدم دقة. وإطلاق الخليل مصطلح الجرس على الألف يوحي بأن الخليل يقصد بالجرس عدم وجود إعاقة للهواء أثناء النطق بها.

وأطلق ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) مصطلح الجرس على الألف أيضاً إذ قال: «وأمّا الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف».[4] ووصف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) به

(١) انظر: كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٨-٣٩.

(٢) تهذيب اللغة ١/٥١.

(٣) الرازي: الزينة ٢/٢٨.

(٤) جمهرة اللغة ١/٧.

الصوامت أثناء حديثه عن الفرق بين الصوت والحرف إذ قال: «اعلم أن الصوت عرضٌ يخرج مع النَّفس مستطيلاً متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عَرضَ له[١] حرفاً؛ وتختلف أجْراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها... ألا ترى أنك تبتدىءُ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أيّ المقاطع شئْت، فتجد له جَرْساً مّا، فإن انتقلت عنه راجعاً منه، أو مُتجاوزاً له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صَدىً غير الصَّدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدىً ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جُزْت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين».[٢]

إذن الجرس عند ابن جني هو صدى الصوت الّذي يفرّقه عن سواه في السمع أو العلامة الدالة على الصوت.

وأطلقه ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) على الألف إذ قال: «والهاوي الألف، ويقال له الجرسي، لأنه صوت لا معتمد له في الحلق، والجرس الصوت وهو حرف اتسع مخرجه لهواء الصوت. أشدَّ من اتساع مخرج الواو والياء، لأنك تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك إلى الحنك في الياء، وأما الألف فتجد الفم والحلق منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط ولا حصر».[٣]

وذهب ابن منظور (ت ٧١١ هـ) في لسان العرب إلى أن الأصوات اللغوية نوعان «أصوات مجروسة وهي سائر الأصوات اللغوية سوى الألف والواو والياء».[٤]

(١) الضمير في «له»: راجع إلى الصوت؛ وفي عَرضَ: راجع إلى المقطع. وعلى هذا يكون المؤلف قد سمى المقطع هنا حرفاً. والمعروف أن المقطع هو مخرج الحرف، لا الحرف. (حاشية المحقق رقم (١) ص٦).

(٢) سر صناعة الإعراب ٦/١.

(٣) شرح المفصل ١٠/١٣٠.

(٤) لسان العرب ٣٦/٦.

تبين لنا من النصوص السابقة أن كلام القدماء فيه غموض وتضارب وعدم الدقة في الوصف. فالخليل وابن دريد وابن يعيش اختصوا الألف بالجرس، مما يوحي أن معنى الجرس عندهم. عدم وجود إعاقة للهواء أثناء النطق بها. أمّا لماذا اختصوا الألف دون الواو والياء، وكلها أصوات مدّ تنطق بلا إعاقة من احتكاك أو غيره؟ ربما كان ذلك لأن الألف أوضح، والفم ينفتح بالنطق بها أكثر من الواو والياء، وهذا ما وضحه ابن يعيش. أمّا الجرس عند الرازي وابن جني وابن منظور فعلي النقيض. فهو صفة ترتبط بوجود الإعاقة (من احتكاك وغيره)، ولذا تخرج منها الألف والواو والياء حسب رأي الرازي وابن جني وصاحب اللسان.

ويبدوا لي أن معنى قول الخليل بن أحمد عن الألف (فلا صرف لها) أي لا توجد إعاقة للهواء أثناء النطق بها.

أمّا علماء التجويد فقد أطلق بعضهم مصطلح (الجرس) على صوت الهمزة. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) :«الحرف الجرسيُّ: هو الهمزة، سميت بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها... وكل الحروف يُصوّت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزيّة زائدة في ذلك... فلما كان في الصوت بها زيادة على الصوت على سائر الحروف، نُسِبَت إلى تلك الزيادة، فقيل لها الحرف الجَرسي».[١]

وأطلقه آخرون على صوت (الألف الساكنة). قال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ):«وأمّا الجرس فالألف الساكنة لا يكون إلا كذلك».[٢] ولعله يعتمد في هذا على ما روي عن الخليل بن أحمد (فأمّا الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدة بعد فتحة)[٣]، وأطلقه ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) على الهمزة أيضاً. قال: «الحرف

---

(١) الرعاية ص١٣٣-١٣٤

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٢٥ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٥٨).

(٣) الأزهري: تهذيب اللغة ٥١/١.

الجَرْسيّ وهـــو الهمزة »[١]، وابن الجزري متابع لمكي في كل ما ذكره حول الجرسي.

أمّا المحدثون من علماء التجويد والمحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد أهملوا ذكر هذه الصفة.

الخفاء:

هذا المصطلح من مصطلحات الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها.

فقد وصف سيبويه صوت (الهاء) بأنه خفيّ، إذ قال: «فالهاء تكْسر إذا كان قبلها ياءٌ أو كسرة؛ لأنها خفيّة »[٢]، وكان سيبويه قد وصفها بهذه الصفة في أكثر مـــن موضـــع فـــي كتابه[٣]، وكذلك وصف الأصوات الثلاثة (الياء والواو والألف بأنهـــا خفيـــة) [٤]، إذ قـــال: « ...إن الياء خفية »[٥]، وقال: « ... لأن الألف خفية »[٦]، وكذلك وصف النون بأنها خفية، إذ قال:« ... أنّ النون خفية »[٧] وكذلك وصف الهمزة بأنها خفية، إذ قال: «فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها في الوقف حركوا ما قبلها، ليكون أبين لها ».[٨] واستخدم المبرد (ت ٢٨٥ هـ) مصطلح (خفيّة) أيضاً عندما وصف الهاء بأنها خفية إذ، قال: «والهاءُ خفية تقارب مَخْرج الألف ».[٩] ذكر هذا ولم يوضح معنى الخفاء.

---

(١) التمهيد ص١٠٦.

(٢) الكتاب ١٩٥/٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ٤٢١/٢، ٥٣٢/٣، ١٢٣/٤، و ١٩٥ و ٢٠٠.

(٤) انظر: الكتاب ٢٦٢/٢ و ٤٢١، ١٦٥/٤ و ١٩٥.

(٥) الكتاب ١٩٥/٤.

(٦) المصدر السابق ١٦٥/٤.

(٧) المصدر السابق ١٦١/٤.

(٨) المصدر السابق ١٧٧/٤.

(٩) المقتضب ١٥٥/١.

أمّا علماء التجويد فقد ذكروا أن الأصوات الخفية أربعة: وهي (الهاء، والألف والياء والواو) أي الهاء وأصوات المد واللين، ووضّحوا معنى الخفية، فقال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «الحروف الخفية: وهي أربعة: الهاء» وحروف المد واللّين.. وإنما سُمِّيت بالخفية، لأنها تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، إنما لفظها في هذا خفي بين حرفين، أو بعد حرف أو حروف هواء... والألف أخفى هذه الحروف، لأنها لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها... وقد ذكر بعض العلماء أن في الهمزة خفاءً يسيراً،[1] وكذلك النون الساكنة فيها خفاءٌ».[2] وقال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ):«وأمّا الخفية فالهاء والألف والياء والواو. وذلك لاتساع مخرجهن، وأوسعهن مخرجاً الألف، لأنه لا علاج على اللسان فيها كالنّفس، ثم الهاء، ثم الياء، ثم الواو. ومما يشرك هذه الحروف في الخفاء النون، إذا سكنت في غير إظهار ولا إدغام ولا قلب».[3]

وتحدث محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) عن هذه الصفة وسماها (الخفاء)، إذ قال: «وهي في اللغة الاستتار، وفي العرف خفاء صوت الحرف، وحروفها أربعة حروف المد والهاء»[4] وقد جعل لهذه الصفة مقابلاً وهو (الظهور) إذ قال: «وضد الخفاء الظهور ولم يقع الاصطلاح به»[5]

أمّا المحدثون فقد علّق بعضهم على وصف القدماء لهذه الأصوات بأنها خفية بقوله: «إذا كنّا نلاحظ بالحس المجرد أن الهاء من أخفى الحروف في السمع، وينطبق عليها وصف سيبويه بأنها خفية، فإن من غير المقبول أن نصف حروف المد بأنها خفية ونفسر ذلك على أنها أقل وضوحاً في السمع من غيرها، وذلك لأن علماء

---

(١) يقصد سيبويه انظر: الكتاب ١٧٧/٤.
(٢) الرعاية ص١٢٧-١٢٨.
(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٢٦ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و١٥٨).
(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٢٧ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ١٨).
(٥) المرجع السابق، ص٣٢٧ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و١٨ - ١٩).

الأصوات المحدثين يقولون: إن مما تتميز به الأصوات الصائتة (حروف المد) على الأصوات الصامتة قوة وضوحها في السمع».[1]

«فتفسير الخفاء بقلة الوضوح في السمع ينطبق على صوت الهاء، دون حروف المد، ومن ثم وجب البحث عن تفسير آخر لا يترتب عليه مثل هذا التناقض... كما أن اتساع المخارج غير كاف لوصفها بالخفاء».[2]

وعلّق عبدالصبور شاهين على وصف سيبويه لصوتي (الواو والياء) بالخفاء بقوله: «ولا شك أنه لا يقصد بذلك الهمس، أو شيئاً كالهمس... وإنما نظن أنه يريد بخفائهما ضعفهما».[3] تبين لي مما سبق أن مصطلح الخفاء غامض عند القدماء ووصفهم غير واضح. ويبدو لي أن المقصود بالخفاء هو اتساع المجرى، أو خفوت الصوت وعدم وضوحه في السمع.

مصطلحات ألقاب الأصوات

وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) للأصوات عشرة ألقاب، اشتقها من أسماء المواضع التي تخرج منها، وهي: الأصوات الحلقية، واللهوية، والشجرية والأسليّة، والنطعية، واللثوية، والذُّلقية، والشفهية، والجوفية، والهوائية.[4] وهذه الألقاب لم يستخدمها أغلب من جاء بعد الخليل، ومن استخدمها نسبها إلى الخليل. وأهملها أغلب المحدثين، وشكك بعضهم في نسبتها إلى الخليل.[5]

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢٧، وانظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٥٠، وكمال بشر: الأصوات ص٧٤.

(٢) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣) عبدالصبور شاهين: القراءات القرآنية ص٤٠.

(٤) انظر: العين ١/٥١ - ٥٢ و ٥٧ - ٥٨.

(٥) شك إبراهيم أنيس في نسبة هذه المصطلحات للخليل إذ قال: «إنها ظهرت خلال القرن الرابع الهجري في وقت احتدم فيه النقاش بين العلماء حول كتاب (العين) المنسوب للخليل. فقد جاءت لأول مرة في شرح السيرافي لسيبويه أي في منتصف القرن الرابع الهجري ونسبها السيرافي في شرحه إلى معجم العين. وفي النسخ الحديثة التي بين أيدينا الآن من هذا المعجم نجد هذه المصطلحات» جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية ص٤٥/ مجلة مجمع اللغة العربية ص١٥ /١٩٦٢ القاهرة.

١- الأصوات الحلقية،

وهي (العين والحاء والخاء والغين والهاء والهمزة).

أول من وضع هذا المصطلح الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ). فقد اشتقه من الموضع الذي تخرج منه إذ قال: «فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق» [١]، وهذا المصطلح لم نجده عند سيبويه، والمبرد، وابن جني وأول من ذكره ونسبه إلى الخليل بن أحمد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) شارح كتاب سيبويه[٢]، ومن ذكر هذا اللقب نسبه للخليل بن أحمد. وكذلك فعل علماء التجويد، قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) وهو يتحدث عن ألقاب الحروف عند الخليل: «الحروف الحلقية، وهي ستّة: العين والحاء والهاء، والخاء، والغين والهمزة. فهذه الحروف تخرج من الحلق نسبَهُن إلى الموضع الذي يخرُجْن منه وهو الحَلْقُ، فقال فيهن: حَلْقِيَّة» [٣]، وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) وهو يذكر ألقاب الحروف وينسبها إلى الخليل بن أحمد: «الأول منها الحروف الحلقيّة، وهي ستة: الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين، هذه الحروف تخرج من الحلق، فنسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه».[٤]

والمحدثون من دارسي الأصوات العربية استخدموا مصطلح (الأصوات الحلقية) لوصف هذه الأصوات (غ، خ، غ، ح، هـ، ء).[٥]

---

(١) العين ١/٥٨.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية ص٤٥.

(٣) الرعاية ص١٣٩.

(٤) التمهيد ص٩٥.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٨، وكمال بشر: الأصوات ص٩٠، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٢.

٢- الأصوات اللهوية.[١]

وهما (القاف والكاف).

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ): «والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللّهاة».[٢] ومن تحدث عن ألقاب الحروف بعد الخليل بن أحمد، نسب الألقاب إلى الخليل، قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) :«صاحب العين يسمي القاف والكاف لهويتين لأن مبدأهما من اللهاة»[٣]، وكذلك فعل علماء التجويد. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) :«الحروف اللهوية: وهما حرفان: «القاف» و «الكاف» سماهما الخليل بذلك، لأنه نسبهُما إلى الموضع الذي يخرجان منه وهو اللهاة».[٤] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) وهو يتحدث عن ألقاب الحروف:«الثاني اللهوية، وهما حرفان: القاف والكاف، سميا بذلك لأنهما منسوبان إلى اللهاة».[٥]

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد سموا (القاف والكاف) أصوات أقصى الحنك، كما أن بعضهم قال (يمكن أن تسمى القاف صوتاً لهوياً نسبة إلى اللهاة، فلا بأس بهذه التسمية، وفضّلها على تسمية بعض المحدثين لها بالأصوات الطبقية).[٦]

---

(١) اللهاة: ما بين الفم والحلق.

(٢) العين ٥٨/١.

(٣) المفصل ص٣٩٦، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٣١/١٠.

(٤) الرعاية ص١٣٩.

(٥) التمهيد ص٩٥.

(٦) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٤-٨٨، وكمال بشر: الأصوات ص٩٠، وانظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي (حيث لقب صوت القاف بأنه لهوي) ص٢٧٢.

٣- الأصوات الشجرية:

وهي (الجيم والشين والضاد).

قال الخليل بن أحمد: «الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي: «مفرج الفم»[١]، ومن تابعه من علماء العربية قال: «الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم، والشجر ما بين اللحيين».[٢] أي وسط اللسان. وكذلك فعل علماء التجويد. يقول مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ):« الحروف الشجرية: وهي ثلاثة أحرف: (الشين، والضاد، والجيم)، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم»[٣]، وهذا النص نفسه ذكره ابن الجزري في كتابه «التمهيد».[٤] وعلق بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية على هذه التسمية بأنها لا بأس بها، وفضلها على تسمية بعض المحدثين الذين سموها (الغارية) وقد أطلق بعضهم عليها مصطلح (أصوات وسط الحنك). [٥] ووصف هذه الأصوات وتصنيفها ليس واحداً عند المحدثين. فالضاد لثوية والشين لثوية- غارية، والجيم في نطقها المعاصر صوت مركب لثوي غاري.

٤- الأصوات الأسلية:

وهي (الصاد والسين والزاي).

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ): «والصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان».[٦]

---

(١) العين ٥٨/١.

(٢) ابن يعيش: المفصل ١٣١/١٠، وانظر: الزمخشري: المفصل ص٢٩٦.

(٣) الرعاية ص١٣٩.

(٤) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص٩٥.

(٥) انظر: إبراهيم جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية ص٤٦، والأصوات اللغوية ص١٠٨، وكمال بشر: الأصوات ص٩٠.

(٦) العين ٥٨/١.

وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): «والصاد والزاي والسين أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان».[1]

أمّا علماء التجويد فقد تابعوا الخليل في استخدام مصطلح (الأسلية) لوصف هذه الأصوات فقال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) :«الحروف الأسلية: وهي ثلاثة... سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهُن إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كُن يخرجن من طرف اللسان، وطرفُ اللسان أسلته، نسبهن إلى ذلك».[2]

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) وهو يتحدث عن ألقاب الأصوات التي ذكرها الخليل: «الأسلية، وهي ثلاثة أحرف: الصاد والسين والزاي، سمّوا بذلك لأنهن نسبن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو أسلة اللسان، أي مستدقه».[3] وقد أيّد بعض المحدثين تسميتها بالأصوات الأسلية إذ قال: «إننا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسلية»[4] وعدّها آخرون في الأصوات اللثوية إضافة إلى أصوات أخرى، لأن اللثة تشرك مع طرف اللسان في إخراجها.[5] ومصطلح «أسلية» أكثر شهرة بين دارسي الأصوات، وإن كان العضوان يشتركان في إنتاجها. ويبدو أن تسميتها أسلية أفضل لشهرتها.

٥- الأصوات النطعية.

وهي:(الطاء والدال والتاء)

قال الخليل بن أحمد: «الطاء والدال والتاء نِطعية، لأن مبدأها من نطع

---

(١) المفصل ص٩٦وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣١.

(٢) الرعاية ص١٤٠.

(٣) التمهيد ص٩٦.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٥-٧٦.

(٥) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٨٩.

الغار الأعلى». [1] والنِّطع «ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخُلَيْقاء، فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في الحنك»[2] ونسب الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) هذه التسمية للخليل أثناء حديثه عن ألقاب الأصوات عندما قال: (صاحب العين يسمي... والطاء والدال والتاء نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى). [3] كل من جاء بعد الخليل نقل عبارات الخليل نفسها حول ألقاب الحروف حتى علماء التجويد يقول مكي القيسي (ت ٤٣٨ هـ): «الحروف النطعية: وهي ثلاثة (الطاء والدال والتاء) سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه»[4]، وتابعه ابن الجزري في هذا حيث قال: «النطعية، وهي ثلاثة: الطاء والدال والتاء، سموا بذلك لأنهن يخرجن من نطع الغاز الأعلى، وهو سقفه، فنسبن إليه».[5] وقد حمل علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) هذه التسمية على المجاورة لا على أن النطع موضع خروجها، فقال: ويقال لهذه الحروف الثلاثة نطعية، لخروجها من نطع الغار الأعلى، أي سقفه، والغار داخل الحنك. والتحقيق أنها إنما سميت نطعية لمجاورة مخرجها نطع الغار الأعلى، وهو سقفه، لا لخروجها منه، فتأمل يظهر لك وجه الخلل».[6]

وقد انتقد المحدثون هذه التسمية إذ قالوا: «أمّا تسميتهم (الدال والطاء والتاء) بالأصوات النطعية فيبدوا أن هذا المصطلح قد جانبه التوفيق، لأن النطع -كما شرحته المعاجم وكما يفهم من كلام هؤلاء العلماء- هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا، فيقول الفيروز أبادي في معجمه: «إن النِّطع كعِنب ما

---

(١) العين ١/٥٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ١٠/٢٣٥ (نطع).

(٣) المفصل ص٣٩٦ وانظر: بن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣١.

(٤) الرعاية ص١٤٠.

(٥) التمهيد ص٩٦.

(٦) المنح الفكرية ص١٢.

ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتحزيز». وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا؛ بل ومعظم الثنايا من الداخل، فهي أصوات أسنانية لثوية»[١]، فتسمية المحدثين أكثر دقة وتعبيراً في وصف هذه الأصوات. وعدّها بعض المحدثين ضمن الأصوات الوقفية[٢]، وذلك لتوقف تيار الهواء توقفاً تاماً فترة من الزمن، عند انتاجها.

٦- الأصوات اللثوية،

وهي:(الظاء والثاء والذال).

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ): «والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة»[٣]، ومن تابع الخليل ردّد عبارته حول الأصوات اللثوية. (والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة)[٤]. إذن من تابع الخليل لم يخرج عن عباراته، حتى إن علماء التجويد ذكروا ما قاله الخليل يقول مكي القيسي (ت ٤٢٧ هـ): «الحروف اللثوية: وهي ثلاثة: (الظاء والثاء والذال)، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهُن إلى الموضع الذي يخرجن منه».[٥] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «اللثوية، وهي ثلاثة: الظاء والذال والثاء، سماهن بذلك الخليل، نسبهن إلى اللثة، لأنهن يخرجن منها».[٦]

---

(١) إبراهيم أنيس: أصوات اللغوية ص١٠٨-١٠٩، وانظر كمال بشر: الأصوات ص٨٩؛ ومحمود السعران: علم اللغة ص١٦٨؛ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

(٢) انظر: سمير ستيتية: هيئات النطق ووظائفها اللغوية ص٩.

(٣) العين ١/٥٨.

(٤) انظر: الزمخشري: المفصل ص٣٩٦، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣١.

(٥) الرعاية ص١٤٠.

(٦) التمهيد ص٩٦.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد أنكر بعضهم هذه التسمية، لأن اللثة لا تقوم معها بأي دور.[١] ويرون أنها كما وصفها سيبويه «مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا».[٢] وكان المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) من علماء التجويد قد شك من قبل في دقة وصف الأصوات الثلاثة بكونها (لثوية). فقال: «وفي الرعاية أن هذه الثلاثة تسمى لثوية لخروجهن من اللثة. قيل: فيه مسامحة».[٣] ولا شك أن وصف هذه الأصوات بأنها لثوية فيه تجاوز، لأن الصوت لا يتم انتاجه إلا بالتقاء عضوين من أعضاء النطق، وفي انتاج أحد هذه الأصوات نضع طرف أسلة اللسان بين الأسنان العليا والسفلى. فهي إذن أصوات بين أسنانية وليس لثوية كما وصفها القدماء. ووصف سيبويه لمخرجها لا يختلف عن الوصف الحديث.

٧- الأصوات الذلقية.

وهي (الراء واللام والنون).

جاء في لسان العرب: (إنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الحروف...».[٤]

وقد ذكر بعض المحدثين أن معنى الذلاقة في هذه الأصوات لا يراد به سوى المعنى الشائع لهذه الكلمة وهو: القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم... ولم ينظروا في تسميتها إلى مخارجها أو صفاتها أو أي ناحية من

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٠.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢١٤ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و٩).

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١١/٤٠٠ (ذلق).

نواحي الدراسة الصوتية.[1] وأول من استخدم مصطلح (الذلقية) الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) وأطلقه على (الراء واللام والنون) سماهن بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه. [2] وتابعه في استخدام هذا المصطلح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) إذ قال: «ومنها حروف الذلاقة، وهي ستة: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدْره وطرفه».[3] عدّ أصوات الذلاقة ستة فيه مبالغة، لأن (الفاء، والباء، والميم) لا يعتمد عليها بطرف اللسان، لأنها أصوات شفوية، ولا شأن لطرف اللسان في إخراجها.[4] ويبدو أن هذه التسمية من باب التغليب، لأن الذلاقة في المنطق (إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجتا هذه الحروف الستة)[5]، فضم ابن جني أصوات الشفة إلى أصوات الذلاقة من باب التغليب. ..

أمّا الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فقد تابع الخليل أثناء حديثه عن ألقاب الأصوات إذ قال: «والراء واللام والنون ذولقية، لأن مبدأها من ذولق اللسان».[6] أي أن الزمخشري سمى الأصوات الثلاثة (الراء واللام والنون) ذولقية فقط.

أمّا علماء التجويد، فقد تابعوا الخليل في هذه التسمية وكرروا عباراته. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «الحروف الذلقية: ... وهن ثلاث: (الراء واللام والنون) سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه،

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١١٠-١١١.

(٢) انظر: العين ٥٨/١.

(٣) سر صناعة الاعراب ٧٤/١.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٧- و ١٩٠.

(٥) انظر: ابن منظور: لسان العرب ٤٠٠/١١ (ذلق).

(٦) المفصل ص٣٩٦، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٣١/١٠.

ومخرجهن من طرف اللسان، وطرف كل شيء: ذلقه».[1] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «الذلقية... وهي ثلاثة: الراء واللام والنون، سماهن الخليل بذلك لأنهن ينسبن إلى الموضع الذي منه مخرجهن، وهو طرف اللسان وطرف كل شيء ذلقه».[2]

أمّا المحدثون فقد علّقوا على هذا المصطلح بقولهم. ويبدوا أن كلمة (الذلاقة) هنا لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف وهو القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم، فذلاقة اللسان كما نعلم جودة نطقه وانطلاقه في أثناء الكلام، ولما كانت هذه الحروف الستة هي أكثر الحروف شيوعاً في الكلام العربي أطلق عليها جروف الذلاقة دون النظر إلى مخارجها أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية.[3] هذه التسمية غير دقيقة ولا تدل على مخارج هذه الأصوات، فصوت الراء، لثوي مكرر، يتم انتاجه بتتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً، ويتذبذب الوتران عند نطقه. وصوت اللام، سني منحرف، يتم إنتاجه بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان، أو عن حافتيه؛ يرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف؛ يتذبذب الوتران الصوتيان. وقد سماها بعض المحدثين «صوت جانبي لثوي»[4]، لا فرق بين التسميتين. أمّا النون فصوت أنفي لثوي، ويتم إنتاجه بوقف الهواء في الفم وقفاً تاماً بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا؛ يخفض الحنك اللين وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ

(١) الرعاية ص.١٤٠.

(٢) التمهيد ص٩٦.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص.١١-١١١، وانظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٧-١٨٤.

(٤) محمد الخولي: الأصوات اللغوية ص٩٤.

عن طريق الأنف؛ ويتذبذب الوتران أثناء نطقه. وتسمية هذه الأصوات باللثوية أدق من تسميتها بالذلقية كما بيّنا.

٨- الأصوات الشفوية (الشفهية).

وهي(الفاء،والباء،والميم)

أول من أطلق مصطلح (الشفوية) على هذه الأصوات الخليل بن أحمد، عندما قال: «والفاء والباء والميم شفوية - وقال مرة: شفهية - لأن مبدأها من الشفة»[1]، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): «والواو والفاء والباء والميم شفوية أو شفهية»[2] أضاف الزمخشري صوت (الواو) إلى الأصوات الشفوية. وتابع علماء التجويد علماء العربية في إطلاق هذا المصطلح على هذه الأصوات. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «الحروف الشفهية: ويقال: الشفوية، وهي ثلاثة: (الفاء، والباء، والميم)، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، ومخرجهن من بين الشفتين، فنسبهن إلى الشفة».[3] وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) وهو يتحدث عن ألقاب الأصوات وأنسابها، «الثامن الشفهية، ويقال الشفوية، وهي ثلاثة: الفاء والباء والميم، سموا بذلك لأنهن ينسبن إلى الموضع الذي منه مخرجهن، وهو بين الشفتين».[4]

الذي نلحظه مما تقدم أن كلّ من تعرض لذكر ألقاب الأصوات كان متابعاً في ذلك للخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد صرحوا بذلك هم أنفسهم كما رأينا.

---

(١) العين ٥٨/١.

(٢) المفصل ص٣٩٦؛ وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٤/١٠-١٢٨.

(٣) الرعاية ص١٤١-١٤٢.

(٤) التمهيد ص٩٦.

أمّا المحدثون فقد فصّلوا القول في ذلك فوصفوا صوتي (الباء والميم) بالشفوية، وأضاف بعضهم إليهما صوت (الواو)، ووصفوا صوت (الفاء) بأنه شفوي أسناني. [1] وقال بعضهم معلقاً على وصف القدماء ومن تابعهم للواو بأنها (شفوية): «هذا الوصف ليس خطأ، لأن للشفتين دخلاً كبيراً في نطق هذا الصوت، ولكن الوصف الأدق أن يقال: إن الواو من أقصى الحنك، إذ عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك».[2] ولا فرق بين تسمية القدماء والمحدثين سوى أن المحدثين ذكروا العضوين اللذين يشتركان في إخراج صوت (الفاء) فنسبوها إلى الشفة والأسنان. فقد يشترك عضوان أو أكثر في إصدار الصوت الواحد، وقد يكون موضع النطق «هو نقطة التقاء عضو بآخر» فحين نقول مثلاً «إن الفاء» صوت شفوي، ليس معناه أن الشفة وحدها هي موضع النطق، فالأسنان العليا شريك الشفة في هذه الحالة، إذ أن الأسنان العليا تلتقي بالشفة حين النطق بهذا الصوت.

٩- الأصوات الجوفية:

وهي (الألف، والواو، والياء)

وأول من استخدم مصطلح (جوف) لوصف هذه الأصوات هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، وأضاف إليها صوت (الهمزة) إذ قال: «وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّزٌ تنسب إليه إلا

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٥-٤٦، وكمال بشر: الأصوات ص٨٩؛ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

(٢) كمال بشر: الأصوات ص٨٩.

الجوف». [1] وكل من ذكر هذا اللقب من علماء العربية والتجويد نسبه إلى الخليل. [2] وقد توهم بعضهم أن غير الخليل الذي أضاف إليها الهمزة، وهي عندهم ثلاثة فقط بدون الهمزة. [3]

أمّا المحدثون فقد سمّوا أصوات (الألف، والواو، والياء) بأصوات المد واللين وعالجوها علاجاً خاصاً. [4] وسموا صوت (الهمزة) بالصوت (الحلقي) لأنها تخرج من الحلق. [5] وسماها آخرون بالصوت (الحنجري) أو (المزماري)[6]، ولم يستخدم المحدثون مصطلح (الجوفية) لتحديد مخرج هذه الأصوات. والمد واللين صفة لهذه الأصوات فسماها المحدثون بأصوات المد واللين نسبة لصفتها لا مخرجها. وجمع القدماء أصوات (الألف والواو والياء) مع الهمزة في تسمية واحدة، لأن هذه الأصوات قد تقلب إلى همزة وقد تبدل منها حسب ظرف معين، ولذلك جمعوها معها في مصطلح (الجوفية) لأن الهمزة لها مخرج محدد وهو الحنجرة أو المزمار، فلا تشترك مع هذه الأصوات في المخرج.

ولقب الخليل بن أحمد في موضع آخر من كتابه هذه الأصوات، بالهوائية وذلك عندما قال: «والياء، والواو، والألف، والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء». [7] ومن تابعه من علماء التجويد قال: الحروف الهوائية هي الجوفية، ولم يعلق. [8]

---

(١) العين ٥٧/١.

(٢) انظر: الزمخشري: المفصل ص٢٩٦، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٥/١٠؛ ومكي القيسي: الرعاية ص١٤٢، وابن الجزري: التمهيد ص٩٦.

(٣) انظر: مكي القيسي: الرعاية ص١٤٢، وابن الجزري: التمهيد ص٩٦.

(٤) وضحت دراسة المحدثين لهذه الأصوات في المقدمة من هذا البحث. انظر ص.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٨-٢٩ و ص٨٨.

(٦) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٣، وكمال بشر: الأصوات ص٩٠.

(٧) العين ٥٨/١.

(٨) انظر: مكي القيسي: الرعاية ص١٤٢، وابن الجزري: التمهيد ص٩٦.

أمّا المحدثون فلم يُلَقِّبوا هذه الأصوات بهذا اللقب، وأهملوا ذكره.

هذه ألقاب الأصوات التي ذكرها بعض القدماء وقد تابعهم بعض المحدثين في ذكر بعضها، وأهملوا ذكر بعضها الآخر، بل إن بعضهم أنكر بعض تسميات القدماء لها.

مصطلحات الصفات التي تتعلق بالدراسة الصرفية:

مثل: الأصوات الأصلية، والزوائد، وأصوات العلة، وأصوات الإبدال.

أهمل علماء العربية القدماء الإشارة إلى هذه الصفات من الناحية الصوتية لأنها تتعلق بالدراسة الصرفية، فلا مجال لضمها للدرس الصوتي، وأول من أشار إليها ووضعها ضمن الصفات الصوتية مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٨ هـ) وتابعه بعض علماء التجويد الذين جاءوا بعده. يقول مكي القيسي:

أ- الحروف الأصلية:

وهي تسعة عشر حرفاً... وهي حروف المعجم كلها، ما عدا هجاء «اليوم تنساه»، وإنما سميت بالحروف الأصلية لأنها لا تقع أبداً في كلام العرب في الأسماء والأفعال إلا أصولاً، إما فاءً الفعل، أو عينه، أو لامه.[١] وتابع مكي في هذا ابن الجزري.[٢] هذا ما ذكر حول مصطلح (الحروف الأصلية). وقد أهمل المحدثون جميعهم الإشارة إلى هذا المصطلح، لأنه لا علاقة له بالدرس الصوتي.

---

(١) الرعاية ص١٢١-١٢٢.

(٢) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص٩٩.

ب- الحروف الزوائد:[1]

وهي عشرة أحرف، يجمعها هجاءُ قولك: «اليوم تنساه». ومعنى تسميتهم لها بالزوائد: أنه لا يقع في كلام العرب حرف زائدٌ في اسم ولا فعل إلا من هذه العشرة أحرف.[2]

جـ- أصوات العلة:

وهي أربعة الهمزة، والألف، والواو، والياء». وأول من أطلق مصطلح «المعتلة»[3] على هذه الأصوات الأربعة الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ)، وصوت الهمزة في رأي الخليل مشابه للألف والواو والياء من الناحية الصرفية، وإن كان ذا مخرج معين، وهذا واضح في قوله: «أمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريق الحروف الصِحاح»[4]، كما أن سيبويه أطلق مصطلح «المعتلة»[5] على هذه الأصوات وعالجها من الناحية الصرفية، وأخرج الهمزة منها، وكذلك فعل من جاء بعده من علماء العربية.[6]

---

(١) ذكر سيبويه الأصوات الزوائد وهي عنده عشرة أصوات، وعالجها ضمن الإطار الصرفي؛ انظر: الكتاب ٢٣٥/٤، وانظر ٣٢٩/٤؛ وانظر: المبرد: المقتضب ٥٦/١، وابن جني: سر صناعة الاعراب ٧١/١-٧٢؛ وابن يعيش: شرح المفصل ١/١٠.

(٢) مكي القيسي: الرعاية ص١٢٠، وانظر ابن الجزري: التمهيد ص٩٩.

(٣) انظر: الأزهري: تهذيب اللغة ٥١/١.

(٤) الخليل بن أحمد: العين ٥٨/١.

(٥) انظر: الكتاب ٢٧٦/٤ وما بعدها و٣٩٠/٤.

(٦) انظر: المبرد: المقتضب ١١٥/١ وما بعدها؛ وابن جني: سر صناعة الإعراب ٧١/١؛ والزمخشري: المفصل ص٣٧٤، وابن عصفور: الممتع ٥٩٧/٢، وما بعدها. والاستراباذي: شرح الشافية: ٦٦/٣.

أمّا علماء التجويد، فقد أطلقوا مصطلح (حروف العلة) على «الهمزة» وحروف المد واللين الثلاثة (الألف، والواو، والياء). قال مكي القيسي (ت ٤٣٨ هـ): «حروف العلة: وهي أربعة: «الهمزة» وحروف المد واللين الثلاثة... وإنما سُميت بحروف العلة، لأن التغيير والعلة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها... وقد أدخل قومٌ في هذه الحروف «الهاء»، لأنها تنقلب همزة في (ماء) و «أيهات)، لأن أصله: (ماه) و (هيهات) وشبهه».[١]

لقد نظر القدماء إلى هذه الأصوات من حيث التغير والإنقلاب والسقوط في أثناء التصريف، فأطلقوا عليها مصطلح (المعتلة).

واستخدم بعض المتأخرين من علماء التجويد مصطلح (العلة) للدلالة على بعض حالات (الواو، والياء). قال الطبلاوي (ت ٩٦٦ هـ)[٢]: «الواو والياء إن تحركا بأي حركة كـ (وِفاقا ويَعلم) أو سكنا فحرفا علة، وإن سكنا، فإن لم تجانسهما حركة ما قبلهما كالخوف والبَيْت فحرفا لين، وإن جانستهما فحرفا مد ولين»[٣]، واستخدم علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) أيضاً، مصطلح (العلة) للدلالة على هذه الحروف قال: «والتحقيق أن هذه الحروف تسمى حروف العلة بالمعنى الأعم، سواء تكون متحركة أو ساكنة، حركة ما قبلها من جنسها أولاً».[٤]

هذا ما ذكره القدماء من علماء العربية والتجويد حول ظاهرة العلة.

---

(١) الرعاية ص١٢٨؛ وانظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص١٧٠؛ وابن الجزري: التمهيد ص١٠٣-١٠٤.

(٢) الطبلاوي (شيخ الإسلام ناصر الدين محمد بن سالم بن علي ت ٩٦٦ هـ) له كتاب (مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين) مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (رقم ٦٩٠/٥). انظر: الأعلام ٦/ ١٣٤.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٥٥ (نقلاً عن كتاب مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين، للطبلاوي و ٩).

(٤) المنح الفكرية ص٩.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربيـة، فـقد أهملوا الإشارة إلى هذه الظاهرة، لأنها ليس لها خاصية صوتية. فهي مبنية على أسس صرفية. ولهذا لم يذكروها في المجال الصوتي.

د- أصوات الإبدال:

لقد حصر علماء العربية الأصوات التي تقع في مجال الإبدال في أحد عشر صوتاً، ثمانية من الأصوات الزوائد وثلاثة من غيرها.

قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): «وهي ثمانية أحرف من الحروف الأولى»[١]، أي الزوائد، وهي الهمزة، والألف، والهاء، والياء، والتاء، والميم، والنون، والواو؛ (وثلاثة من غيرها)[١] وهي: الدال، والطاء، والجيم.

وبذلك صرّح من جاء بعده قال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «حروف البدل: وهي أحد عشر حرفاً. منها ثمانية من حروف الزوائد التي ذكرناها وثلاثة من غيرها».[٢] وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): «حروف البدل... صارت أحد عشر حرفاً، تسمى حروف البدل...». [٣] أمّا الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فقد استخدم مصطلح (حروف البدل) أيضاً، إلا أنه أضاف عدداً من الحروف إلى الحروف التي خصصها سابقوه لحروف البدل، قال: «وحروفه حروف الزيادة، والطاء والدال والجيم والصاد والزاي، ويجمعها قولك (استنجده يوم صال زطّ)».[٤] وكذلك فعل ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) إذ قال: «حروف الإبدال... يجمعها قولك (أَجُدُ طَوَيْتُ منهلا)، فهذه الحروف تُبدَل من غير إدغام...».[٥]

(١) الكتاب ٢٣٧/٤.

(٢) المقتضب ٦١/١.

(٣) سر صناعة الاعراب ٧٢/١.

(٤) المفصل ص.٣٦٠؛ وانظر: إبن يعيش: شرح المفصل ٧/١٠ حتى ٥٤.

(٥) الممتع ٣١٩/١.

ويظهر مما تقدم، أن الأصوات التي تقع في مجال الإبدال ليست الأصوات التي تقع في مجال الإدغام بالضرورة، لأن الإبدال يكون «من غير أن تدغم حرفاً في حرف وترفع لسانك من موضع واحد».[١] وقال المبرد: «وهذا البدل ليس ببدل الإدغام الذي تقلب فيه الحروف ما بعدها».[٢] أي أن هذا الإبدال غير إبدال الإدغام، الذي سنفصل القول فيه في الفصل الثالث إن شاء الله.

أمّا علماء التجويد، فقد استخدموا مصطلح (حروف الإبدال) إذ قالوا: «حروف الإبدال: وهي أثنا عشر حرفاً، يجمعها قولك (طال يوم أنجدته). سميت بذلك لأنها تبدل من غيرها».[٣] الذي نلحظه أن علماء التجويد أضافوا صوتاً واحداً على ما ذكره علماء العربية، وهو (اللام).

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد أدخلوا هذه الظاهرة تحت مصطلح المماثلة بشتى أنواعها.[٤]

مصطلحات لصفات صوتية لم تشتهر وهي:

النفث:

هو إخراج الهواء من بين الثنايا وأسلة اللسان.[٥] وأول من استخدم مصطلح (النفث) ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) أثناء وصفه لصوت (الثاء) إذ قال: «الثاء: حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث».[٦]

(١) سيبويه: الكتاب ٢٣٧/٤.

(٢) المقتضب ٦١/١.

(٣) مكي القيسي: الرعاية ص١٢٢، وانظر: بن الجزري: التمهيد ص١٠١؛ والقسطلاني: لطائف الإشارات ٢٠٤/١-٢٠٦.

(٤) سأوضح هذا في الفصل الثالث من هذا البحث أثناء بحث موضوع الإبدال.
والمماثلة: هي تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين صوتين متماسين مما يؤدي إلى تقارب في مخرجي الصوتين وصفاتهما (انظر: الألسنية العربية ص٥٣ ريمون طحان).

(٥) انظر: سر صناعة الاعراب ١٨٩/١ (حاشية رقم ١).

(٦) سر صناعة الاعرب ١٨٩/١.

وذكر السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) وهو من علماء التجويد مصطلح (النفث)[1] ضمن الصفات الصوتية التي ذكرها للأصوات. واستخدم مصطلح (النفث) الحسن بن شجاع التوني (عاش في القرن التاسع) أثناء حديثه عن الحروف النافثة وهي عنده (الفاء والثاء).[2]

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات الأصوات العربية فلم يستخدموا مصطلح (النفث) لوصف صوت (الثاء أو الفاء) أو لغيرهما.

البحة:

هذه الصفة وصف بها صوت (الحاء) قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين»[3] يعني الخليل أن صوت البحة الذي يصاحب الحاء عند النطق بها هو الذي يفرق بينها وبين العين. وهذا الكلام غير صحيح لأنه لا فرق بين الهاء والعين إلا الجهر في الثاني دون الأول.

هذا المصطلح لم يستخدمه أحد من علماء العربية الذين جاءوا بعد الخليل، وذكر غانم الحمد أن السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) ذكر عدداً من الصفات الجديدة للأصوات مثل (النبر والبحة والنفث)، وقال معلقاً: «لعل السمرقندي يريد بالبحة صوت الحاء الذي قال عنه الخليل: لولا بحة في الحاء لاشبهت العين».[4]

وصف الخليل وغيره لصوت الحاء بالبحة وصف انطباعي سمعي للعلاقة السمعية بين الحاء والبحة. ولا فرق كما ذكرت بين الحاء والعين، إلا الجهر في الثاني دون الأول.

(١) غانم الحمد : الدراسات الصوتية ص٣٢٤ (نقلاً عن كتاب روح المريد للسمرقندي و ١٢٤).

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٢٤ (نقلاً عن كتاب المفيد في علم التجويد للتوني و ٥).

(٣) العين ١/٥٧.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٢٤.

النبر:

هو علو في بعض مقاطع الكلمة (بالقياس إلى المقاطع الأخرى) يكون مصحوباً أحياناً بارتفاع في درجة الصوت. وينتج هذا العلو من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري. أمّا ارتفاع درجة الصوت فتنتج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور. وأكثر أجزاء المقطع اتصالاً بالنبر هو العلة فهي قمة المقطع أو نواته، وأكثر أجزائه بروزاً في السمع.[١]

وظاهرة النبر موجودة في العربية منذ القدم، وتجري وفق قواعد وقوانين. إلا أن القدماء لم يتنبهوا لها بالمفهوم الذي عالجه المحدثون.

وأول من أشار إليها المبرد (ت ٢٨٥ هـ) أثناء حديثه عن الهمزة. عندما قال: «فإذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها فتحة وأردت تحقيقها قلت: قرأ الرجل، وسأل عبدالله. كذا حقُّ كل همزة إذا لم ترد التخفيف. فإن أردت التخفيف نحوت بها نحو الألف، لأنها مفتوحة والفتحة من مخرج الألف فقلتَ: (قرا يا فتى). والمخففة بوزنها محققة، إلا أنك خفّفت النبرة، لأنك نحوت بها نحو الألف».[٢] واضح أن معنى النبر عند المبرد هو تحقيق الهمزة، وهو غيره عند المحدثين فالنبر عند المحدثين معناه علو في بعض مقاطع الكلمة.[٣]

وأطلق الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) مصطلح (النبر) على صوت الهمزة في أكثر من موضع من كتابه الموسيقى الكبير قال: «... وهذه الحروف هي الهمزة والنبرة

---

(١) داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص١٠٤ (حاشية رقم ٢).

(٢) المقتضب ١/١٥٥.

(٣) انظر: داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص١٠٤ (حاشية رقم ٢).

والهاء، فإن النبرة هي أيضاً همزة بوجه ما، وبينهما فرق يسير»[1]، وقال أيضاً أثناء حديثه عن توالي المتحركات: «... فإنه ربما جعل المتحرك الأخير ممدوداً أدنى مدٍّ أو مقروناً بنبرة أو هاء خفيفة».[2] يبدو لي من نصوص الفارابي السابقة أنه يقصد بالنبر الهمزة المحققة، ولم يقصد ما ذهب إليه المحدثون من علو في بعض مقاطع الكلمة.

أمّا علماء التجويد فلم يتسخدموا مصطلح النبر وأول من أشار إليه منهم ووصف به صوت الهمزة. الحسن بن شجاع (عاش في القرن التاسع الهجري) إذ قال: «إن الهمزة نابرة» وفسّر النبر بالحدّة.[3]

إذن النبر عنده يعني الحدة، ولا يعني ما يعنيه عند المحدثين.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد اهتموا بظاهرة (النبر) اهتماماً كبيراً. ووضحوا مفهومه.

والنبر عندهم، كما ذكرنا سابقاً: علو في مقطع معين من مقاطع الكلمة بحيث يتميز عن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السمع.[4] وقد فسّر إبراهيم أنيس عملية النبر: بأنها «نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد. فعند النطق بمقطع منبور، نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط... فتعظم لذلك سعة الذبذبات. ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في

---

(١) الموسيقى الكبير ص١١١٧.

(٢) الموسيقى الكبير ص١٠٨٤.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٢٤ (نقلاً عن كتاب المفيد في علم التجويد للحسن بن شجاع التوني و ٥).

(٤) انظر: داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص١٠٤؛ والمطلبي: في الأصوات اللغوية ص٤٠ (حاشية رقم ٦٥).

السمع». [1] وقال جان كانتينو: «يعرفون النبر بأنه الضغط على مقطع معين بزيادة العلو الموسيقي، أو التوتر، أو المدة، أو عدد من هذه العناصر معاً، بالنسبة إلى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها».[2]

وقد تناول ظاهرة النبر أغلب المحدثين.[3] ودرس داود عبده النبر دراسة شاملة وبيّن قواعده.[4]

التنغيم:

يمكن تعريف التنغيم بأنه (ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة».[5]

هذا المصطلح لم يستخدمه القدماء من علماء العربية للدلالة على ظاهرة ارتفاع الصوت وانخفاضة أثناء الكلام. بل هو مصطلح جديد استخدمه بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية للدلالة على ظاهرة (ارتفاع الصوت وانخفاضه) نقلاً عن علماء الدراسة الصوتية في العالم الغربي.

صحيح أن علماء العربية القدماء لم يستخدموا مصطلح (التنغيم)، لكن بعض علماء التجويد أدرك ظاهرة التنغيم وعرف أمثلتها، واستخدم بعضهم كلمة

---

(١) الأصوات اللغوية ص١٧٠، وما بعدها، وانظر داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص١٠٤.

(٢) دروس في علم أصوات العربية ص١٩٤.

(٣) انظر: داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص٩٩ وما بعدها، ومحمود السعران: علم اللغة ص٢٠٩؛ وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص١٩٤-١٩٥، وفندريس: اللغة ص٨٨، وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٠ وما بعدها، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١٨٧، ورمضان عبدالتواب المدخل إلى علم اللغة ص١٠٣.

(٤) انظر: دراسات في علم أصوات العربية ص٩٩ و ص١٠٧ وما بعدها.

(٥) فعندما تنطق مثلاً بجملة «لا يا شيخ» للدلالة على النفي، أو التهكم، أو الاستفهام نغمة الصوت تختلف في نطقها/ انظر: تمام حسان: مناهج البحث ص١٩٨؛ ورمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ص١٠٦.

النغمة، بينما اكتفى آخرون باستخدام عبارة (رفع الصوت وخفضه) -وهذا يشير إلى معنى التنغيم عند المحدثين - دون أن يستخدموا مصطلح (التنغيم).

وأول من أشار إلى ظاهرة التنغيم من علماء التجويد أبو العلاء الهمذاني (ت ٥٦٩ هـ) أثناء حديثه عن اللحن الخفي قال: «وأمّا اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية. وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات والملطفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والاثبات، والخبر والاستفهام، والاظهار والادغام، والحذف والاتمام، والروم والاشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط».[1] وصْفُ الهمذاني للتنغيم واسعٌ عام، وغامض مقارنة مع مفهومه عند المحدثين، فلا علاقة للحذف والاتمام والاشمام والاظهار والادغام بالتنغيم، أمّا الخبر والاستفهام ربما له علاقة، ومفهوم التنغيم عند من ذكره من القدماء لم يستقر على المعنى الحديث له استقراراً واضحاً محدداً جامعاً.

كما أشار إلى هذه الظاهرة السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) بقصيدته. عندما قال:[2]

إذا ما لنفي أو لجَحْدٍ فصوتُها أرْ فَعَنْ وللاستفهام مَكّن وعدِّلا

وفي غير اخفضْ صوتها والذي بما شبيهٌ بمعناه فقِسه لتفضلا

كهمزة الاستفهام معْ مَنْ وأن وإن وأفعل تفضيل وكيف وَهَلْ ولا

قال في الشرح: «مثال ذلك: (ما قلت)، ويرفع الصوت بـ (ما) يعلم أنها نافية، وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية.

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٦٧ (نقلاً عن كتاب التمهيد للهمذاني و١١٩ - ١٢٠).

(٢) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٦٧.

وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن».[١]

في هذا النص يشير إلى التنغيم بكل وضوح، وإن لم يصرح بمصطلح (التنغيم). وقد طَبّقَ السمرقندي فكرة رفع الصوت وخفضه على عدة صور نطقية متماثلة في البنية ولا يفرق بينها إلا طريقة التنغيم. من ذلك صيغة (أفعل) التي تكون للتفضيل، فقد قال: «فينبغي أن يفرق بالصوت بين الذي بمعنى التفضيل، والذي ليس بمعنى التفضيل».[٢] وكذلك الفرق بين (لا) النافية و (لا) الناهية. وكذلك اللام التي لتأكيد الفعل وبعدها همزة وصل مثل (لاتبعتم) تشتبه بلا النافية التي بعدها همزة وصل في التلفظ نحو (لا انفصام لها). وقد وضّح هذا الفرق بقوله: «والفرق بينهما أنه في نحو (لا انفصام) يكتب بألفين، وفي نحو (لاتبعتم) يكتب بألف واحدة، ويرفع الصوت على (لا) ويخفض على اللام... فهذا ما وصل إلينا من الأئمة رواية ودراية ومشافهة وبياناً».[٣]

يبدو من النص أنه يتحدث عن التنغيم بالمفهوم الحديث، دون أن يستخدم مصطلح (التنغيم).

واستخدم محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) كلمة (النغمة) نقلاً عن النسفي صاحب التفسير المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وذلك عندما قال: «قال صاحب المدارك في قوله تعالى: «قال: الله على ما نقول وكيل» يوسف آية ٦٦. بعضهم يسكت على (قال) لأن المعنى: قال يعقوب، غير أن السكت يفصل بين القول والمقول. وذا لا يجوز، فالأوْلى أن يفرق بينهما بالصوت، فيقصر بقوة

---

(١) غانم الحمد الدراسات الصوتية ص٥٦٨ (نقلاً عن كتاب روح المريد في شرح العقد الفريد و ١٣٩).

(٢) المرجع السابق ص٥٦٨ (نقلاً عن كتاب روح المريد في شرح العقد الفريد و ١٤١).

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٦٨ (نقلاً عن كتاب روح المريد و ١٤١).

النغمة اسم الله تعالى، انتهى».[1] قال المرعشي: «أقول: قوله (فيقصر) معناه: يمنع اسم الله تعالى عن أن يكون فاعلاً لقال بقوة النغمة، فيعلم أنه ليس بفاعل لقال».[2]

واستخدم الدركزلي (ت ١٣٢٧ هـ) كلمة (نغمات) للدلالة على التنغيم بالمصطلح الحديث، وذلك عندما قال: «قال بعض المحققين: ينبغي أن يَقْرأ القرآن على سبع نغمات: فما جاء من أسمائه تعالى وصفاته فالتعظيم والتوقير، وما جاء من المفتريات عليه فبالإخفاء والترقيق، وما جاء في ردها فبالاعلان والتفخيم، وما جاء من ذكر الجنة فبالشوق والطرب، وما جاء من ذكر النار والعذاب، فبالخوف والرهب، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة، وما جاء من ذكر المناهي فبالابانة والرهبة. انتهى».[3] أي أن كل موَقّف من هذه المواقف يعامل بنغمة خاصة إما برفع الصوت أو خفضه أي تتنوع النغمة في ذلك.

يبدو من النصوص السابقة أن فكرة (التنغيم) موجودة عند علماء التجويد لكنهم لم يستخدموا مصطلح (التنغيم) للدلالة عليها.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد استخدم أغلبهم مصطلح (التنغيم) للدلالة على ظاهرة ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام.[4]

واستخدم بعضهم كلمة (النغمة)[5] بدل التنغيم، وسماه بعضهم (موسيقى الكلام)

---

(١) انظر: النسفي: مدارك التنزيل ٢/ ٢٣٠.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٦٨ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٥٦).

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٦٩ (نقلاً عن كتاب خلاصة العجالة للدركزلي و٢١٣).

(٤) انظر: تمام حسان: مناهج البحث ص١٩٨؛ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٣١٤، وماريوباي: أسس علم اللغة ص٩٤؛ وقسطندي شوملي: مدخل إلى علم اللغة الحديث ص١٠٢؛ وعبدالرحمن أيوب أصوات اللغة ص١٥٢.

(٥) برجشتراسر: التطور النحوي ص٧١.

أو (التلوين الموسيقي)[١]، وسماه آخرون (النبر الموسيقي)، ووضحوه بقولهم: «هو عبارة عن جملة من العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة، من تعجب، واستفهام، وسخرية، وتأكيد، وتحذير، وغير ذلك من المواقف الإنفعالية.

وأنت تستطيع أن تنطق كلمة واحدة بأشكال مختلفة من التنغيم، أوالنبر الموسيقي، فتفيد في كل شكل معنى انفعالياً متميزاً، كما نلاحظ ذلك في استعمالنا للتعبير (يا سَلَام) للإعجاب، وللتهويل، وللنداء، وللسخرية».[٢]

وكما قلنا دراسة التنغيم جديدة على دارسي الأصوات العربية من المحدثين، نقلوها عن الغربيين، ولا تزال بحاجة إلى بحوث تطبيقية أكثر على اللغة العربية، لأن ما قدمه المحدثون من بحوث حولها في اللغة العربية لا تزال محدودة، وهناك شكوى من صعوبة البحث عَن نظام التنغيم في العربية.[٣] حتى أن بعضهم قال: «إن تقعيده أمرٌ يكاد «يكون مستحيلاً»، لأن معظم أمثلة التنغيم في العربية ولهجاتها من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصة لهجية أو عادة نطقية للأفراد».[٤]

وتكاد الأمثلة القليلة لتطبيق دراسة التنغيم في اللغة العربية تنحصر في استخدام التنغيم للتفريق بين الجملة الخبرية والجملة الاستفهامية، وكذلك الجملة التعجبية، فالتنغيم عنصر أساسي في تمييز هذا النوع من الجمل، على الرغم من وجود عناصر أخرى تركيبية تساعد في الوصول إلى ذلك التمييز.[٥]

---

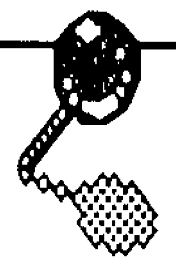
(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٦؛ وكمال بشر: الأصوات ص١٦٢.

(٢) مالمبرج: علم الأصوات ص٢٠٩؛ وانظر: محمد الخولي: الأصوات اللغوية ص١٧٠.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٦.

(٤) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٣١٥.

(٥) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٦٣، وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٣١٥.



الفصل الرابع

مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوامت

ويشتمل على:

- **الإدغام**
- **الإظهار**
- **الإبدال**
- **التخفيف**
- **القلب المكاني**
- **القلب عند القدماء**
- **الإخفاء**
- **الإقلاب**

مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوامت:

قد تعمل الأصوات المتتابعة أو المتجاورة بعضها في الآخر فيحدث عن ذلك ظواهر مختلفة، اطلق عليها العلماء قديما وحديثا مصطلحات معينة، منها. الإدغام، الإبدال، الاعلال، الاقلاب، الحذف، الاظهار... الخ. وسنبين ذلك كله ان شاء الله.

الإدغام[١]

أن تصل صوتاً ساكنا بصوت مثله متحرك من غير ان تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كصوت واحد يرتفع العضو عنهما ارتفاعة واحدة.[٢] وتعد ظاهرة الإدغام في اللغة العربيسة مسن ابسرز الظواهسر الصوتيـة التي اهتم بها العلماء قديما وحديثا،[٣] فرصدوا أوجه الإدغام في اللهجات والقراءات القرآنيـة المختلفـة ووضعوا لـه الكثير من الضوابط والقواعد ، واهتموا بتفسيره وتعليل اسباب حدوثه، وحددوا مفهومه، وبينوا الغرض منه، وفصلوا أقسامه، وذكروا شروطه، وبينوا متى يكون الإدغام واجبا، ومتى يكون جائزا، ومتى يكون ممتنعا، ومتى يكون الإظهار احسن منه لعلة ما، إلى غير ذلك من أوجه الإدغام التي عالجوها، وتوصلوا عن طريق استقراء كلام العرب الفصحاء إلى حقيقة مفادها أن تجاور الأصوات وتنوعها يتناسب في

---

(١) وضّــــح داود عبــده، ظاهرة الإدغام في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة في كتابه (دراسة في بعض أحكام التجويد، انظر ص٢٠ وما بعدها).

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٠٤، والزجاجي: الجمل ص ٣٧٨ - ٤١٤، وابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١٢١، والاشموني على الصبان ٤/٣٤٥، والحملاوي: شذا العرف ص ١٧٠.

(٣) من المحدثين الذين درسوا ظاهرة الإدغام دراسة عميقة شاملة، الاستاذ عبد الصبور شاهين، (راجع كتابه: اثر القراء ات في الأصوات والنحو العربي ص ١٢١ وما بعدها).

اللفظ خفة وثقلا، وان تجاور بعض الأصوات اللغوية قد يؤدي باللفظ إلى الاستثقال والصعوبة في النطق وإجهاد أعضائه، مما يحتم على الناطق ان يميل إلى التصرف في بناء ذلك اللفظ تصرفا معينا، فيدخل بعض التغيرات الصوتية على بنائه حتى يصل إلى أخف صيغة أو صورة لفظية ممكنة، إذا لم يؤدّ ذلك إلى الالتباس والغموض والتشابه بينه وبين بناء آخر، ولاحظ القدماء أثناء تتبعهم لظاهرة الإدغام، انها تشيع في القراءات القرآنية، وفي كلام العرب شعرا ونثرا، وأن الإدغام قد مس جميع الأصوات العربية في اثناء تعاملها في الكلمة والكلمتين، سواء اكانت هذه الأصوات متماثلة ام متقاربة في المخرج والصفة، وسواء أكان أول الصوتين المدغمين ساكناً أم متحركاً.

وقد فصلوا هذا تفصيلا وافيا في كتبهم. والذي يهمنا من دراستهم هو استخدامهم لمصطلح هذه الظاهرة (الإدغام).

ويبدو أن أول من استخدم مصطلح الإدغام هو الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ). وكان قد استخدمه في مواطن كثيرة ومتفرقة في مقدمة معجم (العين)[١] وأشار اليها بقوله: " اعلم أنّ الراء في: اقشعرّ واسبكرّ، هما راءان ادغمت واحدة في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام ".[٢]

---

(١) انظر: العين ١/٥٤ و ١/٣٥١

(٢) المصدر السابق ١/٥٤.

وتابعه تلميذه سيبويه (ت.١٨٠هـ) في استخدام مصطلح الإدغام[1]، ولم يعرفه كمصطلح ولكنه يذكر من العبارات ومن الانواع ما يكفي لفهم المقصود به عنده. من ذلك انه يقابل دائما بين الإدغام والبيان أو الاظهار، مما يجعل الإدغام ضربا من الاخفاء الصوتي.[2] كما انه خصص فصلا لادغام "الحرفين الذين تضع لسانك لهما موضعا واحداً لا يزول عنه"[3] واشار اليه في موضع آخر من كتابه بقوله: "الإدغام انما يدخل فيه الاول في الآخر، والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد، نحو: قد تركتك، ويكون الآخر على حاله"[4] وهذا الفراء (ت٢٠٧هـ) امام مدرسة الكوفة في عصره يستخدم لفظ الإدغام ومشتقاته للدلالة على مفهوم ظاهرة الإدغام الذي استقر عند سابقيه من علماء اللغة العربية.

قال:" وقوله:(كَمْ لَبِثْتَ) البقرة آية /٢٥٩، وقد جرى الكلام بالإدغام للثاء، لقيت التاء وهي مجزومة".[5] أي ساكنة، "ومن قراءة عبد الله (اتَّخَتُّمُ الْعِجْلَ) البقرة آية /٩٢ (وإنّي عُذتُّ بِرَبِي وَرَبكمْ) الدخان آية /٢٠، فادغمت الذال أيضاً عند التاء وذلك انهما متناسبتان في قرب المخرج، والثاء والذال مخرجهما ثقيل

---

(١) خصص سيبويه قسما مهما في نهاية كتابه للمسائل الصوتية في الإدغام، وخصص له ثلاثة أبواب فرعية لدراسة موضوع الإدغام بكل أوجهه المختلفة. فقد عالج في الباب الاول ادغام الحرفين المثلين، أسماه:" باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه " ٤٣٧/٤، وعالج في الباب الثاني ادغام الحرفين المتقاربين، أطلق عليه اسم"هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد" ٤٤٥/٤ والباب الثالث اسماه:" هذا باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا" ٤٦٠/٤، ولم يلتزم دراسة الإدغام من جميع وجوهه في هذا القسم الاخير من الكتاب، بل نجده قد تحدث عن ادغام الحرفين المثلين أو المتقاربين في باب آخر اسماه "هذا باب التضعيف " ٤١٧/٤ عالج فيه ادغام ما كانت عينه ولامه من موضع واحد وما شذ من ذلك، كما تحدث عن امتناع الإدغام في المضعف الذي ليست عينه ولامه من موضع واحد.

(٢) انظر: الطيب البكوش: النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ص ١٥٠

(٣) الكتاب ٤٣٧/٤.

(٤) الكتاب ١٠٤/٤-١٠٥.

(٥) الفراء: معاني القرآن ١٧٢/١.

فأُنزِل الإدغام بهما لثقلهما، ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل. فما أتاك من هذه الاحرف فادغم، وليس ترك الإدغام بخطأ، انما هو استثقال، والطاء والدال يدغمان عند التاء ايضا اذا اسكنتا كقوله:(أحَطتُ بِمَا لمْ تحطْ به) النمل آية /٢٢ تخرج الطاء في لفظ تاء وهو اقرب إلى التاء من الأحرُفِ الأُوَل تجد ذلك اذا امتحنت مخرجهما"[١]، واستخدم مصطلح الإدغام ايضا اثناء حديثه عن سبب الادغام في قوله تعالى:(بَلْ رانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) المطففين آية /١٤ قال:"فإن اللام تدخل في الراء دخولا شديداً، ويثقل على اللسان إظهارها فأدغمت" وكذلك فافعل بجميع الإدغام: فما ثقل على اللسان اظهاره فادغم".[٢]

واستخدم الاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ) مصطلح الإدغام للدلالة على مفهومه كلما دعت الضرورة لذلك، عند تفسير بعض الالفاظ المدغمة وتعليلها.

فقد قال في جواز ادغام النونين في قوله تعالى (أتُحَاجُونَنّا) البقرة آية/ ١٣٩:"لانهما حرفان مثلان فادغم احدهما في الآخر".[٣]

وقال ايضا في ادغام المثلين:" والمثلان يدغم احدهما في صاحبه وان شئت اذا تحركا جميعا ان تسكن الاول وتحرك الآخر، وإذا سكن الاول لم يكن الا الإدغام، وان تحرك الاول وسكن الآخر لم يكن الإدغام".[٤]

وقال في ادغام المتقاربين:"(هَلْ ثُوِبَ) المطففين آية /٣٦ ان شئت أدغمت وإن شئت لم تدغم لان اللام مخرجها بطرف اللسان قريب من اصول الثنايا،

---

(١) الفراء: معاني القرآن ١/١٧٢، وانظر: ١/٢١٦ و٤١١ و٤١٢ و٢/٣٥٤ و٣/١٠٧.

(٢) الفراء: معاني القرآن ٢/٣٥٤.

(٣) معاني القرآن للاخفش ١/٣٤٠ - ٣٤١، وانظر: المنصف ٢/٨٧ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق ٢/٧٣٣.

والثاء بطرف اللسان واطراف الثنايا، الا ان اللام بالشق الايمن ادخل في الفم، وهي قريبة المخرج منها، ولذلك قيل:(بَل تُؤثِرونَ) الاعلى آية /١٦ فأدغمت اللام في التاء، لان مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام".[١]

وذكر ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ايضا مصطلح (الإدغام) في اثناء تفسير بعض الالفاظ المدغمة فقال في كتابه:"(عمّا وعمّن، وممّن والاّ) انها تكتب موصولة للادغام" [٢] هنا استخدم ابن قتيبة مصطلح الإدغام في مجال الكتابة والخط، للدلالة على وصل الحرفين وكتابتهما حرفا واحدا مشددا.

واستخدم المبرد (ت٢٨٥هـ) لفظ (الإدغام) فمشتقاتة للدلالة على مفهوم الإدغام دون استخدام غيره من المصطلحات.قال:" حروف الصفير وهي السين والصاد والزاي، فانها لا تدغم فيما جاورها من الطاء، والتاء،، والدال"[٣] ثم قال:«فالصاد وأختاها لتمكُّنهنّ لا يدغمن في شيء من هؤلاء الستَّة [٤]، وتدغم الستَّة فيهنّ»[٥] وقال:"اذا التقى حرفان احدهما من هذه الستة والآخر من حروف الصفير فأردت الإدغام ادغمته على لفظ الحرف من حروف الصفير" [٦]، وقال ايضا:"فكذلك الياء والواو ويجب ادغامها على لفظ الياء لأن الياء من موضع أكثر الحروف وأمكنها، والواو مخرجها من الشفة، ولا يشركها في مخرجها إلا الباء والميم".[٧]

---

(١) المصدر السابق ٧٣٥/٢.

(٢) انظر: ابن قتيبة: ادب الكاتب ص ١٩٥ -١٩٦.

(٣) المقتضب ١٧٣/١.

(٤) يعنى (الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء).

(٥) المقتضب ١٧٤/١.

(٦) المصدر السابق ١٧٤/١.

(٧) مفهوم الإدغام: هو تقريب صوت من صوت، أو دخول صوت في صوت.

نلاحظ ان المبرد قد استخدم الفاظ: الإدغام وادغم ويدغمن وتدغم وادغمته للدلالة على ظاهرة الإدغام.

واستخدم ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) مصطلح الإدغام للدلالة على دخول صوت في صوت، وقسمه إلى نوعين هما: كبير وصغير وبيّن أن الإدغام الصغير هو إدخال صوت ساكن في صوت متحرك. والكبير ادخال صوت متحرك في صوت آخر متحرك ولا يتم الإدغام والدمج الا بعد تسكين الصوت الاول، وحذف حركته.

وقال في تعريف الإدغام: "وهو وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف".[1]

وقال ايضا: "فأما ما كان من ذلك في الفعل الثلاثي الذي لا زيادة فيه فجميعه مدغم متى التقى حرفان من موضع واحد متحركين حذفت الحركة وادغم احدهما في الآخر، وذلك نحو: فَرَّ وسُرَّ، والأصل: فَرَرَ وَسُرِرَ".[2]

واستخدم ابن السراج: لفظ الإدغام ومشتقاته في اكثر من موضع من كتابه[3] للدلالة على المفهوم الذي وضعه له سابقيه، دون استخدام غيره من المصطلحات.

أمّا ابن جني (ت ٣٩٢هـ) فقد استخدم مصطلح الإدغام أيضا. كما استخدمه سابقوه، إلا أنّ تعريفه للادغام قد اختلف عن سابقيه. إذ إن مصطلح الإدغام الاكبر أو الكبير قد جمع (الكبير والصغير) عند غيره من العلماء.

أما الإدغام الاصغر فقد عبر عنه بقول: " واما الإدغام الاصغر،فهو تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه من غير ادغام يكون هناك. وهو ضروب، فمن ذلك الإمالة، وانما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت. وذلك نحو عالم،

---

(١) ابن السراج: الاصول ص ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٥.

(٣) انظر: الاصول من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٢٨.

وكتاب...الا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فاملت الالف نحو الياء".[1] " ثم قال ومن ذلك ان تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً، أو طاء أو ظاء، فتقلب لهـا تـاؤه طـاء وذلك نحو اصطبر، واضطرب، واطرد... فهذا تقريب من غير ادغام".[2]

ولدى مقارنة قول ابن جني السابق باقوال سابقيه، يكون ابن جني قد اختط له دربا اكثر وضوحا ودقة بالنسبة لمفهومي الإدغام الصغير والكبير، فقد فرق ابن جني بين الأصوات المتماثلة في جنسها والمتقاربة، وعدم امكانية ادماجها، وهذه التفرقة، تنم عن معرفة دقيقة، وتفحص شامل للاصوات العربية، ومثال ذلك ما أورده من كلمات مستشهدا بها على قوله السابق، نحو "اصطبر" ومثيلاتها حيث ان التاء ابدلت طاء، ولم تُدمَج في الصاد السابقة لها بل بقيت محتفظة بموقعها، بمعنى أنها أُبدلت فقط، وبالإبدال هذا اكتسبت صفة جديدة تتلاءم مع الصوت الذي اثر فيها وهو الصاد.

وهذه الأصوات المتشابهة والمتقاربة وعدم امكانية اندماجها معاً، والخروج بصوت واحد مشدد هو من باب الإبدال الموقعي لا من باب الادخال حسب رأي القدماء.[3]

ومن المحدثين من يرى ان الإدغام الاصغر ليس من الإدغام وبحثه في الإبدال أولى من بحثه في الإدغام، لان حقيقة الامر انك ابدلت حرفا من حرف وان كانت العلة تقريب الصوت من الصوت. والإدغام الأكبر هو الإدغام حقيقة، واذا أطلق لفظ الإدغام كان هو المراد دون الأصغر [4] والإدغام الاكبر عند ابن جنى على ضربين:

---

(١) ابن جني: الخصائص ١٤٣/٢.

(٢) المصدر السابق ١٤٣/٢.

(٣) انظر: فاطمة ابو النصر: الظاهرة الصوتية في قراءة ورش ص ١٧٦ - ١٧٧ رسالة ماجستير - جامعة اليرموك.

(٤) انظر حسام النعيمي: الدراسات اللهجية عند ابن جنى ص ٣٤٠ - ٣٤١.

الأول: (ان يلتقي المثلان على الاحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الاول في الآخر)[1]، وذكر ان الحرف الاول من المثلين إمّا أن يكون ساكنا في الاصل كالطاء الاولى من قطع والكاف من سكر، وإمّا أن يكون متحركا في الاصل ولكنه يسكن لاجل الإدغام نحو الدال من شد واللام من معتل، وذلك إن شد اصلها شدد لانها من باب نصر، ومعتل مفتعل من العلة فأصله معتلل.

الثاني: (ان يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب احدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه) [2] ومثّل لذلك بكلمة (ودّ) في اللهجة التميمية. واصلها (وَتَدَ) وقد سكنت التاء كما سكنت اللام في نحو علم، ثم قلبت دالا وادغمت في الدال.[3]

واستخدم السعيدي (ت حدود ٤١٠هـ) لفظا لاخفاء للدلالة على الإبدال وذلك عندما قال:"فلما لقيت النون باءً، امنوا الإدغام والتشديد، فاخفوها كاخفائها عند سائر الحروف، وبقيت الباء مخففة على جهتها" [4] وقال في مكان آخر:"هي مثل إخفاء الميم عند الباء في قراءة ابي عمرو". [5]

وكان السيرافي (ت ٣٦٨هـ) من قبل قد ذكر أن الفرّاء قال:" العنبر وكل نون ساكنة قبل الباء مخفية، اخفيت النون قبل الباء".[6]

---

(١) ابن جني: الخصائص ١٤١/٢.

(٢) ابن جني: الخصائص ١٤٢/٢.

(٣) انظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية عند ابن جني ص ٣٤١.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٤٥ (نقلا عن كتاب اختلاف القراء للسعيدي و ٦١).

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٤٥ (نقلا عن كتاب التنبيه للسعيدي و ٤٦).

(٦) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، مجلة المورد، مج ١٢، ١٣٨/٢.

وكان السيرافي (ت ٣٦٨هـ) من قبل قد ذكر أن الفرّاء قال:" العنبر وكل نون ساكنة قبل الباء مخفية، اخفيت النون قبل الباء".[١]

وذكر ابن الباذش (ت.٥٤٠هـ) ما نسب إلى الفراء وأخذ به من جاء بعده من جعل الإخفاء بمعنى البدل عندما قال:"قال لي أبي رضي الله عنه: زعم الفراء أن النون عند الباء مخفاة، كما تخفى عند غيرها من حروف الفم. وتأويل قوله أنه سمى البدل اخفاء. وقد أخذ بظاهر عبارته قوم من القراء المنتحلين في الاعراب مذهب الكوفيين، وتبعهم قوم من المتأخرين، خلطوا بين مذهب سيبويه وعبارة الفراء، من القلب والاخفاء فغلطوا".[٢]

خلاصة القول في الإدغام عند ابن جني:

استخدم ابن جني مصطلح الإدغام الاصغر ويريد به (تقريب الحرف من الحرف وادناءه منه من غير ادغام يكون هناك) وقد مثل له بالامالة وبتقريب السين من الصاد في نحو (سُقْت) وبتقريب الصاد من الزاي في نحو (مَصْدَر) ونحو ذلك مما لاادغام فيه. واستخدم ابن جني مصطلح الإدغام الاكبر وهو يريد به ما سماه علماء التجويد بالإدغام الصغير الذي يقلب فيه الصوت الأول إلى مثل الصوت الذي يليه ويدغم فيه [٣] وهذا الاستخدام للمصطلحات خاص بابن جني، حسب علمنا، ولم نجد له صدى عند علماء العربية ولا علماء التجويد.[٤]

---

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، مجلة المورد، مج ١٢، ٢/١٣٨.

(٢) الاقناع ١/٢٥٨.

(٣) انظر: الخصائص ٢/١٤٣-١٤٧.

(٤) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٠٠.

واستخدم الزمخشري (ت٥٣٨هـ) لفظ الإدغام ومشتقاته للدلالة على المفهوم المستقر عند سابقيه.[1]

واستخدم ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) مصطلح الإدغام ومشتقاته ايضا،[2] مع زيادة في ضبط المفهوم إذ قال:"الإدغام: ان تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير ان تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الاول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام، وذلك نحو (شدّ ومدّ) ونحوهما والغرض بذلك طلب التخفيف لانه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به"[3] واستخدم رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) مصطلح الإدغام ومشتقاته عند شرحه شافية ابن الحاجب، حيث ضبط المفهوم وقدم دراسة واضحة للادغام واقسامه وغرضه وشروطه ومواضعه.[4]

ومن جاء بعدهم من علماء العربية استخدم لفظ الإدغام ومشتقاتة كما استخدمها السابقون وبالمفهوم نفسه، دون إضافة [5] يتضح من كل ما سبق ان مصطلح الإدغام ومشتقاته هوالمصطلح الشائع الاستخدام عند القدامى للدلالة على ظاهرة ادخال صوت في صوت سواء كان الصوتان مثلين أو متقاربين.

وان الإدغام عملية عضوية نطقية قبل كل شيء فيها اقتصاد في المجهود، وهي ان لا يرتفع الحاجز في جهاز التصويت وينخفض مرتين، وانما يرتفع مرة

---

(١) انظر: الزمخشري: المفصل ص ٢٩٣ وما بعدها.

(٢) انظر: شرح المفصل ١٢١/١٠ وما بعدها.

(٣) شرح المفصل ١٢١/١٠، وانظر السيوطي: همع الهوامع ٢٢٥/٢.

(٤) انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٢٦٤/٣ وما بعدها حتى ص ٣١١.

(٥) انظر: أوضح المسالك ٣٤٨/٢، وشرح ابن عقيل ٥٨٦/٢، وهمع الهوامع ٢٥٠/٢.

واحدة أطول وأشد ثم ينخفض، ولا يكون ذلك الا في الصوتين المثلين أي في حالة التضعيف. فإذا كان الصوتان مختلفين سبقت عملية الإدغام عملية التماثل بين الحرفين، وبذلك يبقى الإدغام عملية نطقية قائمة على التماثل. (١)

أمّا علماء التجويد والقراءات، (٢) فقد تابعوا علماء العربية القدامى في استخدام مصطلح الإدغام للدلالة على المفهوم الذي استقر عندهم واستخدم بعضهم لفظ (المشدد) بدل. المدغم)(٣)، ودرسوا ظاهرة الإدغام على نحو مفصل(٤). حيث قسموا الإدغام إلى مقبل ومدبر ومتبادل، وإلى ناقص وتام وإلى إدغام متماثلين (٥) ومتجانسين (٦) ومتقاربين (٧)، وإلى إدغام كبير (٨) وصغير (٩) ودرسوا الإدغام من كل جوانبه. والّذي يهمنا من دراستهم هو استخدامهم لمصطلح

---

(١) انظر: الطيب البكوش:النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ص ١٥١.

(٢) الإدغام – من الموضوعات ذات الطرفين (تجويد وقراءات)، فالبحث في ظاهرة الإدغام وتفسيرها في الناحية الصوتية، وذكر أنواع الإدغام يدخل في مجال علم التجويد. أمّا اختلاف القرّاء في ادغام بعض الأصوات فهذا يدخل في علم القراءات.

(٣) انظر: عبد الوهاب القرطبي، في كتابه الموضح ص ١٦٩/ مخطوط في مكتبة الاوقاف في الموصل (الرقم ٢/٢٢). نقل هذا الرأي غانم الحمد في كتابه: الدراسات الصوتية ص٢٩٣.

(٤) علماء التجويد والقراءات استخدموا نفس مصطلح الإدغام الذي استخدمه علماء العربية، إلا أن تعريف الإدغام أصبح عندهم أضيق إذ قالوا: الإدغام هو " اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشـــددا " (النشر ١/٢٧٤).

(٥) التماثل – هو أن يتفق الصوتان المدغم أولهما في ثانيهما في المخرج والصفة كالباء في الباء والتاء في التاء وسائر المتماثلين.

(٦) التجانس – هو أن يتفق الصوتان المدغم أولهما في ثانيهما في المخرج ويختلفان صفة كالذال في الثاء والثاء في الظاء والتاء في الدال.

(٧) التقارب – هو أن يتقارب الصوتان المدغم أولهما في ثانيهما مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصفة.

(٨) الكبير: هو الذي كان أول الصوتين فيه متحركا سواء كان هذان الصوتان مثلين أم جنسين أم متقاربين، وسمي هذا الإدغام كبيراً لتاثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه. وقيل لكثرة وقوعه. إذ الحركه أكثر من السكون. انظر: سراج القارىء ص ٢٩، والنشر ١/٢٧٤.

(٩) الصغير: هو الذي كان أول الحرفين المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين فيه سكانا.

الإدغام ومشتقاته، وأول من استخدم مصطلح الإدغام من علماء التجويد والقراءات ممن اطلعت على كتبهم الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) في كتابه معاني القرآن، إذ قال: «العرب تُدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام وتحركت النون. وذلك أنها قريبة المخرج منها». [1] واستخدم ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) لفظ الإدغام للدلالة على المفهوم المستقر أيضاً، فعرّفه بقوله:" الإدغام: تقريب الحرف من الحرف اذا قرب مخرجه في مخارج اللسان كراهيّة ان يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه" [2] يفهم من التعريف أن الإدغام ظاهرة صوتية يلجأ إليها المتكلم أو القارىء فراراً من عسر في النطق وجريا وراء التخفيف والتيسير.

واستخدم مكي القيسي (ت٤٣٧هـ) لفظ الإدغام ومشتقاته للدلالة على المفهوم الذي استقر عند سابقيه من علماء العربية أيضاً، وتعرّض لظاهرة الإدغام في مواطن كثيرة من كتابيه (الرعاية والكشف) [3] ولم يجعل له أبوابا خاصة.

فذكره في (باب الحاء) أثناء حديثه، عن وقوع حاء بعدها عين في كلمتين وسكنت الحاء قبل العين. إذ قال:" فإذا سكنت الحاء قبل العين من الكلمتين كان التحفظ ببيان الحاء آكد، لأنّها قد تهيأت بسكونها للإدغام، لأنّ كل حرف أدغمته في حرف، فلا بد من إسكان الأول أبداً، ثم تدغم". [4]

وقال في موضع آخر:"اعلم ان الحروف... يدغم بعضها في بعض، للتناسب والقرب الذي بينها" [5] وقال في باب الميم:"إذا لقي الميم-وهي ساكنة – ميم أخرى

---

(١) معاني القرآن ٢/٣٥٣.

(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات ص ١٢٥ وانظر ص ١١٤.

(٣) انظر: مكي: الرعاية ص ٢١٦ و ٢٢٥ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٣ و ٢٣٧، وانظر الكشف ١/ ١٣٤.

(٤) مكي: الرعاية ص ١٦٦.

(٥) الرعاية ص٢١٦.

وجـب الإدغـام، وإظهار تشديد متوسط، مع إظهار غنة في الميم الأولى الساكنة... وإنما كان التشديد في هذا النوع غير مشبع، لبقاء الغنة وإظهارها، فانت إذا ادغمت لم تدغم الحرف كله، إذ قد أبقيت بعضه ظاهراً، وهو الغنة، وإنما يقع التشديد البالغ في المدغم إذا لم يبق من الحرف الأول شيء الا ادغم" (١) وقال وهو يبين الغرض من الإدغام: "واعلم أن أصل الإدغام إنما هو في الحرفين المثلين. وعلة ذلك إرادة التخفيف، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك".(٢)

نلاحظ أن مكي قد استخدم ألفاظ: الإدغام وأدغمته وتدغم ويدغم وأدغمت ومدغم وأدغم للدلالة على مفهوم الإدغام الذي استقر عند سابقيه دون استخدام غيره من المصطلحات.

كما استخدم الداني (ت ٤٤٤ هـ) لفظ الإدغام وهو يبين الغرض منه إذ قال:" اعلم أرشدك الله أن الإدغام تخفيف وتقريب... وإنما أدغمت العرب والقراء طلباً للتخفيف وكراهة للاستثقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها إليه، إذ في ذلك من التكلف ما لا خفاء فيه".(٣)

واستخدم عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ) لفظ الإدغام بالمفهوم المستقر عند سابقيه، وهو يتحدث عن أنواع الإدغام، دون أن يسميها حيث قال:" ثم الإدغام في المتقاربين: تارة يكون بقلب الأول إلى الثاني وهو الأكثر الأشيع كقولك النعيم والسلام وهو الأصل. وتارة يكون بقلب الثاني إلى الأول، نحو (مذكر) في لغة من أبدل تاء (افتعل) ذالا معجمة وأدغمها في الذال الأصلية.

---

(١) مكي: الرعاية ص ٢٢٣ وانظر باب المشددات ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٢) مكي: الكشف ١٣١/١.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٩١ (نقلاً عن الإدغام الكبير للداني و ٥).

وتارة يكون بأن يبدل بحرف مناسب لهما ثم يدغم، وذلك نحو (مدّكر) بدال غير معجمة.

ومنه ما يقلب الأول من جنس الثاني، ويترك من الحرف الأول شائبة ما، وذلك مثل (أحَطْتُ) في إبقاء شائبة من إطباق مع التاء عند الإدغام، ومثل (مَنْ يَهْدِ الله) الأعراف آية /١٧٨. و(من ورائهم) الجاثية آية/١٠. في إبقاء الغنة مع إدغام النون في الياء والواو" [١] ولم يستخدم عبد الوهاب القرطبي لهذه الأنواع أسماء خاصة بها.

نلحظ أن عبد الوهاب القرطبي استخدم لفظ الإدغام للدلالة على المفهوم الذي وضع له، دون أن يستخدم مصطلحات أخرى أو أسماء للأنواع التي ذكرها.

واستخدم القرطبي في موضع آخر لفظ (المشدد) بدل المدغم، في الباب الثاني من كتابه الموضح - الذي خصصه لما يلحق الحروف العربية من أحكام عند النطق بها في التركيب إذ قال:"الباب الثاني فيما يعرض في هذه الحروف من أحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظاً: اعلم أن التأليف منه متعذر ممتنع،... ومنه ممكن وهو مستحسن مستعمل... وهذا الضرب يعرض فيه عند الائتلاف والتجاور من الأحكام زيادة على وضع بسيط الحروف: كالمد، والتشديد، والتليين، والإظهار، والإخفاء، والقلب..." [٢] وقال أيضاً وهو يتحدث عن المشدد (أي المدغم):" والعلة في ذلك ان اعتماد آلة النطق على موضع وارتفاعها عنه وعودها إليه ثم ارتفاعها عنه مستثقل يشبه مشي المقيد، فجعل اللسان أو غيره من المخارج ينبو عنهما نبوة واحدة، طلبا للخفة، ولما في ذلك من السهولة على اللافظ" [٣] صرح

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٩٣ - ٣٩٤ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٩)، وانظر: الفراء: معاني القرآن ١/٢١٥ - ٢١٦.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٨٨ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٥-١٦٦).

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٩٢ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٩).

هنا القرطبي بأن الغرض من الإدغام هو طلب السهولة على اللآفــظ، واستخدام القرطبي لفظ التشديد بدل الإدغام في النص السابق، يدل دلالة واضحة على المفهوم الذي يدل عليه لفظ الإدغام.

واستخدم أحمد بن عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) لفظ الإدغام أثناء تقسيمة الإدغام إلى متماثل ومتجانس ومتقارب إذ قال: " واعلم أن الإدغام هو أن تصل حرفاً بحرف من المتماثل أو المتجانس أو المتقارب، فترفع لسانك بلفظ الثاني منهما بنبرة واحده مشددة من غير إبقاء أثر من الأول منهما، إلا إذا كان الاول مطبقا أو أغن فإن فيها اختلافاً" [1] وقال في موضع آخر: " والإدغام على وجهين: ادغام المتماثلين وادغام المتقاربين، ولا يجوز إدغام المتباعدين، وكلما كان أقرب فإدغامه اقوى، ولا يكون إدغام المتقاربين إلا بقلب أحدهما إلى الآخر، حتى يصح الإدغام". [1]

والذي نلحظه ان احمد بن ابي عمر ذكر في النص الاول الاقسام الثلاث وفي النص الثاني لم يذكر إلا اثنين (المتماثلين والمتقاربين) وعلى أية حال فان مصطلح الإدغام الذي استخدمه يشمل المصطلحات الثلاثة بمفهوم الإدغام المستقر عند السابقين وعنده أيضاً حيث صرح بذلك في بداية النص الاول.

واستخدم ابن وثيق إبراهيم بن عبد الرحمن الاشبيلي (ت٦٥٤هـ) لفظ الإدغام عندما قسم الإدغام إلى ثلاثة أقسام إذ قال:" ويدخل الإدغام عليها (أي على أصوات العربيه) بثلاثة أوجه: بالمثلية والتقارب والشبه. فالمثلية:(كُنْتُم من) البقرة آية/١٩٨ وشبهه، والتقارب:(نَخْلُقْكُمْ) المرسلات آية /٢٠ وشبهه، والشبه:(قَدْ سَمِعَ) المجادلة آية/١ وشبهه، لان الحروف، في أنفسها على قسمين: قسم منها لا يتشابه ولا يتناسب مثل الباء والجيم والحاء والخاء والكاف والهاء

(١) المرجع السابق ص ٢٩٧ (نقلا عن كتاب الايضاح لاحمد بن ابي عمر و ١٠٦).

والياء وما أشبهها. وقسم منها يتناسب ويتشابه فأدغم بالتناسب والتشابه، مثل: التاء والثاء والزاي والراء والدال والسين وما اشبه هذا، فإذا سئلت: بماذا أدغمت (قَدْ سمع) ؟ فقل: بالتناسب والشبه".[1]

فابن وثيق هنا يستخدم مصطلح (الشبه) في مقابل (المتقارب) عند غيره، ويستخدم مصطلح (التقارب) في مقابل (المتجانس) عند غيره تقريباً، لانه مثل له بالقاف والكاف، وهما وأن وصفا بأنهما لهويان إلا أنهما ليسا من مخرج واحد. [2]

ويجد الدارس أن أصول هذا الاتجاه قديمة ترجع إلى كتابات علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمين، فهذا سيبويه يستخدم مصطلح المثلين والمتقاربين [3]، وكذلك استخدمهما مكي القيسي[4]، ولكن الذي ميز استخدام المتاخرين أنهم استخدموا مصطلح (المتجانسين) وجعلوا له ولمصطلح (المتقاربين) دلالة محددة، بينما نلمح عند المتقدمين أن مصطلح (المتقاربين) يؤدي دور المصطلحين معاً. [5]

ووضح أبو بكر بن الجزري (ت بعد ٨٢٩هـ) اقسام الأصوات التي تدغم بقوله:" اعلم أن الحرفين إذا التقيا أمّا ان يكونا مثلين أو جنسين أو متقاربين، فالمثلان ما اتفقا مخرجا وصفة، كالباء والباء، والتاء والتاء، والجيم والجيم، واللام واللام.

---

(١) غانم الحمد:الدراسات الصوتية ص ٣٩٧ - ٣٩٨ (نقلا عن كتاب فن تجويد القراءة لابن وثيق و ٧٦).

(٢) انظر: غانم الحمد:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣٩٨.

(٣) الكتاب ٤/٤٧٣.

(٤) انظر: الكشف ١/١٣٥ - ١٣٦ فقد فصل مكي القول في هذا الموضوع.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣٩٧.

والمتجانسان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة كالدال والطاء، والثاء والذال، وكاللام والراء عند الفراء ومن تابعه.

والمتقاربان ما تقاربا في المخرج أو الصفة، كالدال والسين، والثاء والتاء، والضاد والشين".[1]

وخصص ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) من كتابه (النشر) بابا للادغام اسماه (باب اختلافهم في الإدغام الكبير) [2] فصل فيه القول حول الإدغام من كل جوانبه واقسامه وشروطه وموانعه. واستخدم لفظ الإدغام ومشتقاته اثناء حديثه، بالمفهوم المستقر عند السابقين،. وكان ابن خالويه (ابو عبد الله الحسين بن احمد) قد استخدم لفظ الإدغام ومشتقاته في أكثر من موضع من كتابه الحجة في القراءات السبع بالمفهوم الذي استقر عند السابقين.[3]

واستخدم على القاري (ت ١٠١٤ هـ) لفظ الإدغام في أكثر من موضع في كتابه (المنح الفكرية) وقسم الإدغام إلى تام وناقص، وبين كل قسم.[4]

واستخدم محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) لفظ الإدغام ومشتقاته، وبين اقسام الإدغام ووضحها؛ فقال بعد ان تحدث عن الإدغام:" ثم ان الإدغام ينقسم إلى تام وناقص، لان الحرف الاول إن أُدرج في الثاني ذاتاً وصفة بأن كانا مثلين أو متقاربين لكن انقلب ذات الاول إلى ذات الثاني وصفته إلى صفته فالإدغام حينئذ تام، مثل ادغام (مدّ)، وادغام الذال في الظاء نحو (إذ ظلموا) النساء آية/ ٦٤.

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٩٦ (نقلا عن الحواشي المفهمة لابن الجزري و ٤٠).

(٢) ابن الجزري: النشر ٢٧٤/١ وما بعدها حتى ص ٢٩٦.

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٧٧ وص ٨٤ – ٨٥ وص ١١٧ وص ٢٦٠.

(٤) علي القاري: المنح الفكرية ص ٢٩.

وان ادرج الحرف الاول في الثاني ذاتا لا صفة بان كان متقاربين فانقلب ذات الحرف الأول إلى ذات الثاني ولم تنقلب صفته إلى صفته بل بقي في التلفظ، فالإدغام حينئذ ناقص، والصفة باقية من الحرف الاول:

إمّا غنة، وهي في ادغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء. و أمّا اطباق، وهو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناه الفوقية نحو (أَحَطْتُ) النمل آية/٢٢.

و إمّا استعلاء، وهو في ادغام القاف في الكاف في (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) المرسلات آية/٢٠..." [١]

هذا التقسيم للادغام عبر عنه بعض المحدثين باستخدام مصطلح (التشابه الكلي) اذا تطابق الصوتان تماما، و(التشابه الجزئي) اذا لم يتطابق الصوتان تماما [٢] واستخدم بعضهم مصطلح (المماثلة الكلية) و(المماثلة الجزئية) [٣] ولا يعدو هذا الاختلاف في استخدام المصطلحات أن يكون لفظياً، الا ان مصطلح (المماثلة الجزئية) ينطبق على (الإدغام الناقص). [٤]

دراسة علماء التجويد لظاهرة الإدغام بهذا العمق تدل على اهمية هذه الظاهرة، ووضوح مفهومها.

والمحدثون من علماء التجويد استخدموا لفظ الإدغام ومشتقاته بنفس المفهوم الذي استقر عند القدماء. حيث عرفوا الإدغام بقولهم:" هو ادخال الحرف الاول في الحرف الثاني بحيث يصيران حرفاً واحدا مشددا" بعد تعريفهم

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٩٥ (نقلا عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٢٥).

(٢) انظر: برجشتراسر: التطور النحوي ص ١٨-١٩.

(٣) انظر: احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥.

(٤) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٣٩٦.

للادغام، بينوا الغرض منه، واصواته، واقسامه، ولِم سُمّيَ ناقصا ولِمَ سمي كاملاً. [١]

واستخدموا في كل ذلك لفظ الإدغام ومشتقاته، من غير ان يستخدموا مصطلحات غيرها، للدلالة على مفهوم الظاهرة. التي استقر مفهومها عند القدماء.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد درسوا الأصوات اللغوية فوجدوها تتأثر بعضها ببعض عند النطق بها؛ ذلك ان الصوت منها يؤثر في الآخر ويمنحه شيئا من خصائصه، أو كل خصائصه فيحدث بينهما نوع من التوافق والانسجام اطلقوا عليه مصطلح (المماثلة) وهو اعم من مصطلح (الإدغام) الذي استخدمه القدماء للدلالة على ادخال صوت في صوت، وهذا المفهوم قد استقر عند القدماء كما رأينا عند بحثنا مصطلح الإدغام عند القدماء، غيران بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية استخدم مصطلحات خاصة لأنواع الإدغام (المماثلة) Assimilation. [٢] سنبيّنها فيما بعد.

يقول إبراهيم أنيس:

"والأصوات في تأثّرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج. ويمكن ان يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين اصوات اللغة". [٣]

---

(١) انظر: محمد عبد العزيز الهلاوي: كيف تجود القرآن ص ٤٧ وص ٤٨ وص ٥٠ وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص ٧١ -٧٢، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد في علم التجويد ص ٨٥ حتى ٩٤ ومحمد سالم محيسن: المقرّب في القراءات العشر ١/٤٩ -٥٥ -٥٨- ٩٦، والسيد عبد الغفار الزيات: مصباح المريد ص ٢٢ - ٢٣ والشيخ محمد الحسيني: كتاب فتح المجيد ص ١١ - ١٢ وص ١٣، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص ٨-٩ والشيخ احمد صبره: كتاب ملخص العقد الفريد ص ٥ وص ١٠ -١١ -١٢.

(٢) انظر: برجستراسر: التطور النحوي ص ٢٩ وابراهيم انيس: الأصوات اللغوية ص ١٧٩، واحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥

(٣) انظر: ابراهيم انيس: الأصوات اللغوية ص ١٧٩.

نلحظ من النص السابق أن إبراهيم أنيس استخدم مصطلح المماثلة (Assilation) ومصطلح الانسجام الصوتي - للتعبير عن ميل الأصوات إلى التماثل في الكلام المتصل - بدل مصطلح الإدغام الذي استخدمه القدماء واستقر عندهم للدلالة على إدخال الصوت في الصوت.

وقد عرف المحدثون أيضاً المماثلة،

فهي عند إبراهيم أنيس: (فناء الصوت في الصوت الذي يجاوره بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني). [١]

وهي عند أحمد مختار تعني (تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور) [٢]، ونقل أيضاً تعريفَيْن للماثلة إذ قال:(المماثلة كما عرّفها بعضهم: التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته - ولا نقول ملاصقته - لأصوات أخرى. وهي كما عرفها بعض منهم:(تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئيا أو كلياً). [٣]

وقال عبد الصبور شاهين وهو يتحدث عن المماثلة:" فكلما اقترب صوت من صوت آخر، اقتراب كيفية أو مخرج، حدثت مماثلة، سواء ماثل أحدهما الآخر أو لم يماثله". [٤]

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس:الأصوات اللغوية ص ١٨٢ بتصرف.

(٢) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٤.

(٤) برتيل مالمبرج: علم الأصوات ص ١٤١ تعريب عبد الصبور شاهين.

ونقل صلاح الدين حسنين تعريفاً للمماثلة: (المماثلة إحلال صوت محل صوت تحت تأثير صوت ثان قريب منه في الكلمة). [1] ونقل عبد الله بوخلخال عن موريس غرامون تعريفا للمماثلة: (بأنها تغير صوتي يحدث عند تحويل حرف معين عن مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر لغرض الانسجام الصوتي). [2]

ونقل عن هنري فلايش قوله:" إن المماثلة هي الظاهرة التي يتجاور فيها حرفان مختلفان فيتحولان الى متشابهين، ويمكن ان تكون هذه المماثلة كاملة أو جزئية". [3]

أن هذا التداخل الكبير بين مصطلحي الإدغام والمماثلة هوالذي جعل كثيرا من دارسي الأصوات العربية المحدثين يعنونون دراساتهم مرة بلفظ المماثلة ومرة بلفظ الإدغام واحيانا اخرى بلفظ (المماثلة والإدغام) معا، مثلما فعل عبد الصبور شاهين في كتابه (المنهج الصوتي للبنية العربيه) فبعد ان تحدث عن ظاهرة الاعلال وظاهرة الإبدال ختم كتابه هذا بفصل سماه (المماثلة والإدغام)[4] يبدو أن عبدالصبور شاهين أحس بالتشابه الكبير بين مفهوم الإدغام ومفهوم المماثلة وأنه لا غنى عنهما فعنون كلامه بالمصطلحين معا. وتحدث احمد مختار في كتابه(دراسة الصوت اللغوي) عن المماثلة والإدغام معا [5] وصرح بان الإدغام هو المماثلة الكاملة، اثناء حديثة عن المماثلة الكاملة، عندما قال:"ولكي يتم الإدغام أو المماثلة الكاملة في هاتين الحالتين [6] لا بد من اتخاذ

(١) صلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص٧٤.

(٢) التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية ص ١٠٩-١١٠.

(٣) عبد الله بوخلخال:التحليل الصوتي للتغيرات الصرفيه ص ١١١.

(٤) المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٢٠٥.

(٥) انظر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٢.

(٦) الحالتان هما: ١- تتابع صوتين متماثلين في كلمتين اثنتين حين يكون الصوت الاول محركا. ٢- تتابع صوتين مختلفين - لكن متقاربين- سواء في كلمة أو في كلمتين.

الخطوات الآتية [1] وقد حاول الطيب البكوش في بحثه (النظريات الصوتية في كتاب سيبويه) ان يبيّن الفرق بين المماثلة بمفهومها الحديث والإدغام بمفهومه القديم، فالمماثلة تدل على ظاهرة تعاملية تقرب بين الأصوات المختلفة، بينما يدل مفهوم الإدغام على ظاهرة نطقية تدمج الأصوات المتماثلة.[2]

كلام البكوش فيه خلل؛ لأن الظاهرة التعاملية هي ظاهرة نطقية أيضا وجعل البكوش لها ظاهرة تعاملية وكأنها لا تقع في النطق، كلام غير سليم، لأن المماثلة التامة (الإدغام)، والمماثلة الجزئية بكل المفاهيم ظواهر تعاملية نطقية صوتية.

ثم يبين البكوش:

"ان هذه الفوارق هي التي جعلت الإدغام العربي مقصوراً على الحروف، [3] بينما تشمل "Assimilation" الحركات ايضاً، ولا شك ان هذا من الاسباب التي دفعت بعض الالسنيين المعاصرين إلى اختيار مصطلح آخر لترجمة (Assimilation) مثل لفظ المماثلة" [4] وبين ايضا ان مفهوم مصطلح الإدغام لا يشمل التقريب في الحروف والحركات، وعليه فهو غير صالح للتعبيرعن الظاهرة التعاملية، وإنما هو صالح للتعبير عن الظاهرة النطقية [5] التي تدمج الأصوات المتماثلة بعد أن حدث التقارب بين الصوتين المتجاورين أولا، ثم لحقه التماثل والإدغام.[6]

---

(١) احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٢.

(٢) انظر: الطيب البكوش: النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ص ١٥١.

(٣) يعني بالحروف هنا (الصوامت) لا الرمز الكتابي.

(٤) الطيب البكوش: النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ص ١٥١-١٥٢.

(٥) انظر:الطيب البكوش: النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ص ١٥٢.

(٦) انظر: تعليقنا على كلام البكوش في النص السابق.

تبين من نصوص المحدثين حول المماثلة والإدغام ان الإدغام جزء من المماثلة، وان مصطلح المماثلة الذي استخدمه المحدثون يشمل الإدغام والإبدال والاقلاب، فهوأعم من مصطلح الإدغام بالمفهوم الذي استقرعند القدماء. (١)

وبعد ان بينا الفرق بين مفهوم المماثلة عند المحدثين ومفهوم الإدغام عند القدماء، نبين المصطلحات التي استخدمها المحدثون للتعبير عن ظواهر التأثر بين الأصوات الصوامت، مقابل مصطلحات القدماء:

قسم بعض القدماء من علماء التجويد (٢) الإدغام إلى عدة أقسام، لبيان صور التأثر، منها:

١- المقبل والمدبر والمتبادل،

هذه المصطلحات أشار بعض علماء التجويد إلى مضامينها دون أن يسميها. قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ):"ثم الإدغام في المتقاربين:تارة يكون بقلب الأول إلى الثاني، وهوالأكثر الأشيع، كقولك: النعيم والسلام، وهو الأصل.

وتارة يكون بقلب الثاني إلى الأول، نحو (مذكر) في لغة من أبدل تاء (افتعل) ذالا معجمة وأدغمها في الذال الأصلية.

وتارة يكون بأن يبدل بحرف مناسب لهما ثم يدغم، وذلك نحو (مدكر) بدال غير معجمة.

---

(١) توسع ابن جني في مفهوم الإدغام فجعله ناقصاً وتاماً. (انظر الخصائص ٢/١٤١-١٤٢).

(٢) انظر: غانم الحمد:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣٩٣.

ومنه ما يقلب الأول من جنس الثاني، ويترك من الحرف الأول شائبة ما وذلك مثل (أحَطْتُ) في إبقاء شائبة من اطباق مع التاء عند الإدغام، ومثل (مَنْ يَهْدِ الله) الاعراف آية /١٧٨، (ومن ورائهم) الجاثية آية/١٠ في إبقاء الغنة مع إدغام النون في الياء والواو" [1] لم يستخدم عبد الوهاب القرطبي لهذه الأنواع أسماء خاصة بها.

وقد استخدم بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين مصطلحات خاصة لأنواع الإدغام، فنجد المستشرق الألماني برجستراسر قد استخدم المصطلحات الثلاثة (مقبل، ومدبر، ومتبادل) وهو يريد بالمقبل أن يوثر الصوت الأول في الصوت الثاني مثل (مذكر) فإن الأصل (مذتكر) فقلبت تاء الافتعال إلى جنس الصوت السابق له وهو الذال، وأدغم فيه. ويريد بالمدبر أن يؤثر الصوت الثاني في الصوت الأول نحو (عَبَدْتُ) حيث تصير الكلمة في النطق (عَبَتُّ) حيث قلب الصوت الأول وهو الدال إلى جنس الصوت الثاني وهو تاء وأُدغم فيه.

وأما المتبادل فهو أن يقلب الصوتان الأول والثاني إلى صوت ثالث مخالف لهما، وذلك في مثل (مدّكر) بالدال حيث قلبت الذال والتاء في (مذتكر) كلاهما إلى صوت الدال، فالتقى دالان الأول ساكن والثاني متحرك فأدغم الأول في الثاني. [2]

واستخدم بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية مصطلح التأثر (الرجعي) والتأثر (التقدمي) في مقابل (المدبر والمقبل)، ولم يضع مصطلحاً للمتبادل. [3]

---

(١) غانم الحمد:الدراسات الصوتية ص ٢٩٤ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٩).

(٢) انظر: التطور النحوي ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) انظر: ابراهيم انيس: الأصوات اللغوية ص ١٨١.

واستخدم آخرون مصطلح (مماثلة تقدمية) و (مماثلة رجعية) [1] وأهملوا ذكر المتبادل.

وقد وضح محمد الخولي المماثلة التقدمية بقوله: «هي مماثلة يتجه فيها التأثر إلى الأمام. وهذا يعني أن صوتاً ما يكون مكيفاً مؤثراً أو الصوت اللاحق يكون متكيفاً متاثراً. مثال ذلك (ازدان)، التي أصلها (ازتان)، حيث تحولت /ت / إلى / د/ لتماثل /ز/في الجهر ».[2]

ووضح المماثلة الرجعية بقوله: «هي مماثلة يتجه فيها التاثير إلى الخلف. وهذا يعني أن صوتا ما يؤثر في صوت سابق، فيكون الصوت اللاحق مكيفا مؤثرا والصوت السابق متكيفا متاثرا. مثال ذلك (من بعد) ----- (مم بعد) حيث تغيرت/ن/الى / م / لتماثل / ب / في الشفتانية ". [3]

٢- الإدغام الناقص والإدغام التام:

قد لا يصل التأثر بين الأصوات أحيانا إلى حد أن يفنى الصوت في الصوت الآخر، بل يبقى للصوت الأول أثر، ومن هنا قسم بعض علماء التجويد الإدغام إلى ناقص وهو مايبقى معه للصوت المدغم بقية. وكامل وهو ما يتحول فيه الصوت المدغم إلى جنس الصوت المدغم فيه.[4]

وخير من وضح هذا التقسيم من علماء التجويد محمد المرعشي (ت.١١٥٠هـ) وذلك عندما قال:" ثم ان الإدغام ينقسم إلى تام وناقص، لأن الحرف

---

(١) انظر: احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥، وصلاح الدين صالح: المدخل إلى علم الأصوات، ومحمد الخولي: الأصوات اللغوية ص ٢١٩.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٢١٩.

(٣) الأصوات اللغوية ص ٢١٩.

(٤) انظر: مكي القيسي: الرعاية ص ٢٥٠.

الأول إن أدرج في الثاني ذاتا وصفة بان كانا مثلين أو متقاربين فالإدغام حينئذ تام، مثل إدغام (مدّ)، وإدغام الذال في الظاء نحو (إذْ ظَلَمُوا) النساء آية /٦٤.

وأن أدرج الحرف الأول في الثاني ذاتاً لا صفة بأن كان متقاربين فانقلب ذات الحرف الاول إلى ذات الثاني ولم تنقلب صفته إلى صفته بل بقي في التلفظ، فالإدغام حينئذ ناقص، والصفة باقية من الحرف الأول:

إمّا غُنة [١]، وهي إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء.

و إمّا إطباق، وهو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية نحو (أَحَطْتُ) النمل آية /٢٢.

وإمّا استعلاء، وهو في ادغام القاف في الكاف في (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) المرسلات آية/٢٠...". [٢]

وهذا تقسيم صحيح للادغام، وقد عبّر عنه بعض المحدثين باستخدام (التشابه الكلي) إذا تطابق الصوتان تماماً. والتشابه الجزئي إذا لم يتطابق الصوتان تماما. ومثل للكلي بـ (ادّعي) وللجزئي بـ (اضطجع) و(ازدجر) [٣]، واستخدم بعضهم مصطلح (المماثلة الكلية) و(المماثلة الجزئية)[٤]، والمماثلة الكلية هي التي يتحول فيها الصوت المتأثر إلى مثيل الصوت المؤثر. مثال ذلك

(١) استعمال القدماء للغنة فيه خلط واضطراب للعم تحديدهم الغنة تحديداً صحيحاً، ومعنى الغنة هو خروج الهواء من الأنف، وتصحب الصوت الأنفي، أو هي خروج صوت العلة (الحركة) من الأنف عند مجاورته لصوت أنفي سواء أكان مظهراً أم مخفياً. انظر: داود عبده: دراسات في بعض أحكام التجويد، ص٢٤.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣٩٥ (نقلا عن مخطوط جهد المقل للمرعشي و ٢٥).

(٣) برجستراسر: التطور النحوي ص ٢٩.

(٤) انظر: احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥، ومحمد الخولي: الأصوات اللغوية ص ٢٢٠.

(الرّمان)، حيث تحولت /ل/الى/ر/لتماثل/ر/ في كلمة (رمان). والجزئية هي التي لا يتطابق الصوت مع الآخر تطابقا تاما وذلك مثل (انبعث) التي تنطق النون فيها ميما تحت تاثير الباء الشفوية (فنتيجة ن + ب هي م + ب وليس ب +ب).[1]

وصرح أحد المحدثين بأن مصطلح (المماثلة الجزئية) ينطبق على (الإدغام الناقص)[1]. بعد أن علّق على نص المرعشي السابق.

صحيح قد ينطبق على الإدغام الناقص في بعض احواله، لكنه لا ينطبق على الإدغام الناقص الذي ذكره المرعشي في النص السابق فالمرعشي لم يقل ان الناقص هو ان يماثل الصوت المتأثر الصوت المؤثر في بعض صفاته دون ادغام كلي، بل قال يندغم به ذاتا ولكن تبقى من صفاته صفة تعم الصوت المضعف الناتج، كالغنة مثلا في ادغام الواو والياء بالنون، فهو ادغام تنقلب معه النون واواً أو ياءً وتدغم فيما بعدها ولكن يحمل الصوت المضعّف كله غنّة متبقية من أثر الصوت الأنفي وهذا غير المماثلة الجزئية.

الإبدال:

من الظواهر الصوتية الناتجة عن التغيرات التركيبية للأصوات.

والإبدال في اللغة "جعل شيء مكان شيء آخر". [2]

ويقال: "ابدل الشيء بغيره، ومنه: اتخذه عوضا عنه وخلفا له " [3] وهو عند علماء العربية، وضع صوت ليس من الأصوات الاصول في الكلمة مكان صوت

---

(١) انظر: غانم الحمد:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣٩٦.

(٢) اللسان: مادة/بدل.

(٣) المعجم الوسيط: مادة/بدل.

آخر من الأصوات الاصول في اثناء الكلام لضرورة لفظية [١] "وانما دعاهم إلى ان يقربوها ويبدلوها ان يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا السنتهم في ضرب واحد".[٢]

وهي من الظواهر الصوتية التي تناولها القدماء والمحدثون[٣] بالدراسة والوصف والتحليل، إذ بيّنوا الأصوات التي تبدل، والأصوات التي يمتنع فيها الإبدال، وغير ذلك مما له علاقة بظاهرة الإبدال. وكان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) رائد البحث الصوتي عند العرب أول من تناول ظاهرة الإبدال بعمق في معجمه (العين).

يقول: "ضجع فلان ضجوعا: أي نام فهو ضاجع، وكذلك: اضطجع واصل هذه الطاء تاء، ولكنهم استقبحوا ان يقولوا: اضتجع" [٤] وهو هنا يشير الى ابدال تاء الافتعال طاء بعد أصوات الاطباق. وقال: " التاء التي تكون بدلا من السين مثل "طَسْتٍ" والتاء بدل من السين لأن الاصل فيه "طسّ" والدليل على ذلك انك اذا صغّرت، قلت طُسيس فترده إلى السين.

وكذلك تفعل العرب اذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفا من غير ذلك الجنس من ذلك قول الله عز وجل (قد خاب من دساها) الشمس آية/

---

(١) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٧/١٠، والاستراباذي: شرح الشافية ١٩٧/٣.

(٢) سيبويه: الكتاب ٤٧٨/٤.

(٣) درس عبد الصبور شاهين ظاهرة الإبدال في كتابه (الأصوات في قراءة ابي عمر بن العلاء) وانتهى إلى انه لا يكون الإبدال ابدا لاحقا إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية، كقرب المخرج، أوالاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، وهو مذهب أبي زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ) (انظر: ص٢٦٦-٢٦٧) كما درس الإبدال عند القدماء والمحدثين وبين كل جوانبه في كتابه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. انظر: الفصل الثالث ص ٥١).

(٤) العين ٢١٢/١.

١. معناهـــا: دسّسها، ومثله قوله عز وجل (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) القيامه آية /٢٣ أي يتمطط، فحولت السين والطاء ياء. قال العجاج [١] "تقضى البازي إذا البازي كسر [٢] أراد تقضض فحول الضاد ياء فاعلم". [٣]

واضح من هذا أن بدايات دراسة ظاهرة الإبدال بدأت مع الخليل بن أحمد ثم اتضحت معالمها وضبطت قواعدها، واستقر مصطلحها على يد سيبويه ومن عاصروه أو جاءوا من بعده.

والذي يهمنا من دراستهم هو معرفة المصطلحات التي استخدموها للدلالة على مفهوم الإبدال (الإبدال).

أول من استخدم مصطلح الإبدال – للدلاله على وضع صوت ليس من الأصوات الأصول في الكلمة مكان صوت من الأصوات الأصول أثناء الكلام لضرورة لفظية ليكون تناولهما من وجه واحد – هوالخليل بن احمد الفراهيدي (ت.١٧٠هـ) عندما قال:" التاء التي تكون بدلا من الألف" [٤] " والتاء التي تكون بدلا من السين " [٤] هنا استخدم الخليل بن أحمد لفظ (بدلا) للدلالة على مفهوم البدل.

واستخدم سيبويه (ت.١٨٠هـ) مصطلح البدل وعنون الباب الذي تناول فيه هذه الظاهرة بالدراسة بالعبارة التالية (هذا باب حروف البدل)[٥] وقد

---

(١) انظر: حنا حداد: معجم شواهد النحو الشعرية ص ٧٢٦.

(٢) وقبله: اذا الكرام ابتدروا الباغ بده.

(٣) الخليل بن احمد: كتاب الجمل في النحو، ص ٢٨٠-٢٨١ وانظر: الفراء: معاني القرآن ٣/ ٢٦٧.

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٠.

(٥) الكتاب ٢٣٧/٤.

استعمل سيبويه مشتقات لفظ (البدل) [١] بكثرة في كتابه نحو (والألف تكون بدلا من الياء) [٢] و(قد ابدلت الطاء من التاء في فعلت... وهي لغة لتميم؛ قالوا: فحصط برجلك وحصط؛ يريدون حصت وفحصت، والطاء كالصاد فيما ذكرنا" [٣] ونحو:" فلما كانت كذلك ابدلوا من موضع السين اشبه الحروف بالقاف... وهي الصاد، لأن الصاد تصعد إلى الحنك الاعلى للاطباق، فشبهوا هذا بابدالهم الطاء في مصطبر والدال في مزدجر" [٤] ونحو:" كما ابدلوا الياء مكان الواو في عتي وعصي ونحوهما" [٥] ونحو " وتبدل مكان الهمزة المبدلة من الياء والواو في التثنية والاضافة... وهو كساوان وعطاوى" [٦]، ونحو:" قول بعض العرب الطجع في اضطجع»، ابدل اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها اقرب الحروف منها في المخرج والانحراف.[٧]"

---

(١) استخدم لفظ (ابدلت) أثناء حديثه عن الهمزه الساكنة المفردة عندما تأتي بعد فتح أو ضم، أو كسر، فانها تبدل الفا. قال سيبويه:" واذا كانت الهمزة الساكنة وقبلها فتحة، فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألف، وذلك قولك في رأس، الحرف الذي منه الحركة التي قبله؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها" الكتاب ٣/٥٤٣-٥٤٤ وانظر المبرد:المقتضب ١/١٥٧.

(٢) الكتاب ٤/٢٣٨.

(٣) الكتاب ٤/٢٣٩-٢٤٠.

(٤) المصدر السابق ٤/٤٨٠.

(٥) المصدر السابق ٤/٢٤١.

(٦) المصدر السابق ٤/٢٤١ وانظر ص ٢٣٨.

(٧) المصدر السابق ٤/٤٨٣.

ان استخدام مصطلح الإبدال ومشتقاته بهذه الكثرة في كتاب سيبويه، يدل على استقرار هذا المصطلح في عهد سيبويه ووضوح مفهومه.

واستخدم سيبويه إلى جانب لفظ الإبدال الفاظا اخرى، في سياق وصف ظواهر الإبدال، فقد عنون بابا آخر في الإبدال سماه "باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات. تقلبها القاف اذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صُقت وصَبقت... أبدلوا من موضع السين اشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد". [١]

واضح مما سبق ان مصطلح (القلب) هنا استعمل بمعنى (الإبدال) وليس بمعنى (القلب المكاني) الذي هو تغيير في ترتيب الأصوات الاصلية للكلمة بتقديم بعض اصواتها على بعض نحو: جبذ وجذب.

كما استخدم إلى جانب هذا الفاظا اخرى لبيان ظاهرة الإبدال: منها الموضع: إذ قال:" تضع في موضع السين حرفا أفشى في الفم منها للإطباق"[٢] وقال ايضا:" أمّا التاء والثاء فليس يكون في موضعهما هذا ولا يكون فيهما مع هذا ما يكون في السين من البدل قبل الدال في التّسْدير إذا قلت: التّزْدير"[٣] ومنها الجعل: حيث قال:" فإن قيل هل يجوز في ذقطها ان تجعل الذال ظاء لانهما مجهورتان". [٤] وقال أيضاً: "الا ترى انك لو قلت التشدير لم تجعل الثاء ذالا" [٥] أي لم تبدل الثاء ذالا.

---

(١) المصدر السابق ٤٧٩/٤ وانظر ايضا ص ٤٨٠ وص ٤٨٢.

(٢) سيبويه: الكتاب ٤٧٨/٤.

(٣) المصدر السابق ٤٨١/٤.

(٤) المصدرالسابق ٤٨١/٤.

(٥) المصدر السابق ٤٨١/٤.

ومنها التقريب: إذ قال:" لمّا قرّبها منها في الدال وكان حرفا مجهوراً قربها منها في افتعل لتبدل الدال مكان التاء وليكون العمل من وجه واحد" [١]، وقال ايضا:" فإن كانت سين في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجز الا الإبدال اذا اردت التقريب وذلك قولك في التسدير: التزدير... لانها من موضع الزاي" [٢] ومنها المضارعة قال:" فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الذال".[٣]

هذه الالفاظ استخدمها سيبويه في سياق بيان ظواهر الإبدال وهي ليست من باب المصطلح الفني بل هي الفاظ وصفيه فقط سيقت لبيان ظواهرالإبدال. ومن جاء بعد الخليل بن أحمد وسيبويه استخدم المصطلح نفسه ومشتقاته للدلالة على مفهوم الإبدال.

قال الفراء (ت٢٠٧هـ) في معاني القرآن:" أن دساها من: دسست، بدلت بعض سيناتها ياء... والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو" [٤] أي ان (دسست) تصبح (دسيت).

واستخدم ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) المصطلح نفسه في الدلالة على ظاهرة الإبدال [٥] عندما قال:" وقد يبدلون بعض الحروف ياء... وابدلوا النون من يتسنن ياء كما قالوا تظنيت وانما الاصل تظننت" [٦] ووضع المازني (ت٢٤٧هـ) في

(١) المصدر السابق ٤/٤٧٩.

(٢) سيبويه: الكتاب ٤/٤٧٨ – ٤٧٩.

(٣) المصدر السابق ٤/٤٧٧.

(٤) الفراء: معاني القرآن ٣/٢٦٧.

(٥) وضع ابن السكيت كتابا بعنوان "الإبدال " جمع فيه مجموعة من الكلمات الواردة في كلام العرب وشعرها، وقع في بعض اصواتها ابدالا. طبع بالقاهرة (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) في المطابع الأميرية.

(٦) ابن السكيت: اصلاح المنطق ص ٣٠١-٣٠٢.

كتاب (التصريف) باباً لدراسة ظاهرة الإبدال مستعملاً في ذلك مصطلح الإبدال في اغلب كلامه إلى جانب مصطلح (القلب).

قال: «وذلك أنك إذا قلت: افتعل، وما تصرف منه، وكانت الفاء: صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاءً، فالتاء فيه مبدلة" [1] وقال ايضا:" ومن العرب من يبدل التاء على ما قبلها فيقول: اصبر ومصبر"[2]. أصلها اصتبر- ومصتبرٌ.

واستخدم ابن قتيبة (ت٢٧٠هـ) المصطلح نفسه بنفس الدلالة في كتابه (أدب الكاتب) عندما وضع بابا بعنوان " باب الإبدال" جمع فيه مجموعة من الكلمات التي جاءت بعض اصواتها مبدلة نحو:" مدهته بمعنى مدحته" [3] "وتظنيت من الظن وأصله تظنّنت " [4] "وأمللت الكتاب وامليته". [5]

واستخدم المبرد (ت٢٨٥هـ) المصطلح نفسه بنفس الدلالة في اكثر من موضع من كتبه كما استخدم مشتقات الإبدال أيضاً، واستخدم مصطلح القلب، بدل لفظ الإبدال بنفس مفهوم الإبدال للدلالة عليه، واستخدم التقريب بمعنى الإبدال أيضاً.

قال "هذا باب حروف البدل"[6] وقال ايضا "فمن حروف البدل حروف المد واللين" [6] كما قال " والواو تكون بدلا من الالف...في فاعل، وفاعلة، في التصغير والجمع، كقولك: ضويرب، وضوارب" [6] وقال ايضا:" والياء تكون بدلا

---

(١) المنصف ٣٢٤/٢.

(٢) المصدر السابق ٣٢٧/٢.

(٣) ابن قتيبة: ادب الكاتب ص ٣٧٤.

(٤) المصدر السابق ص ٣٧٦.

(٥) المصدر السابق ص ٣٧٦.

(٦) المقتضب ٦١/١.

من الواو اذا انكسر ما قبلها وهي ساكنة وذلك قولك: ميزان وميعاد، وميقات؛ لانه من وزنت، ووعدت، ومن الوقت" [١] وقال أيضاً:" و أمّا الهاء فتبدل من التاء الداخلة للتأنيث ؛ نحو نخلة، وتمرة. إنما الأصل التاء والهاء بدل منها في الوقف"[٢] واستخدم لفظ القلب ومشتقاته بمعنى الإبدال فوضع بابا في كتابه (المقتضب) سماه "هذا باب ما تقلب فيه السين صادا وتركها على لفظها اجود"[٣] وقال " وانما تقلب للتقريب مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تناولهما من وجه واحد"(٤) ومن أمثلته: (سطر، صطر، وسقر وصقر، وسلخت وصلخت، ومساليخ ومصاليخ). [٤] وقال اثناء حديثه عن النون:" واما قلبها ميما مع الباء" [٥] أي ابدالها.

واضحٌ مما سبق أن المبرد استخدم مصطلح "القلب" بمعنى الإبدال وليس بمعنى "القلب المكاني" الذي هو تغيير في ترتيب الأصوات الاصلية للكلمة بتقديم بعض اصواتها على بعض.

واستخدم ابو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) مصطلح الإبدال كما استخدمه سابقوه اذ قال:" انهم لما احتاجوا إلى ابدال الياء: أو ابدال الواو بالالف وازالة احداهما كان ازالة الواو وابدالها أولى لانها اثقل" [٦] واستخدم ابن جنى (ت٣٩٢هـ) مصطلح الإبدال اثناء كلامه على ابدال التاء طاء مع الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي اصوات الاطباق.قال:" فابدلوا من التاء ما هو مستعل من

(١) المصدر السابق ٦٢/١.
(٢) المصدر السابق ٦٣/١.
(٣) المصدر السابق ٢٢٥/١.
(٤) المصدر السابق ٢٢٥/١.
(٥) المصدر السابق ٢١٨/١.
(٦) السيرافي:شرح كتاب سيبويه ٢١٧/١.

حيزها وهو الطاء" [١]، واستخدم لفظ القلب، وهو يتحدث عن ابدال الطاء من تاء افتعل وتاء فعلت:" و أمّا البدل فإن تاء" افتعل «اذا كانت فاؤه صادا أو ضاداً أو طاء، أو ظاء، يقلب طاء البتة» [٢] بين ابن جني ان المقصود بهذا القلب هو الإبدال عندما مثّل له بقوله:" وذلك قولك من الصبر اصطبر، ومن الضرب اضطرب، ومن الطرد اطّرد... و أمّا اطرد فليس الإبدال فيه من قبل الإدغام، وانما هو لان قبلها حرفا مطبقا؛ الا ترى إلى اصطبر واضطرب... مبدلا ولا ادغام فيه. واصل هذا كله اصتبر واضترب واطترد واطتهر؛ ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الاحرف، والتاء مهموسة، وهذه الاحرف مطبقة، والتاء مخفتة، قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء، بأن قلبوها إلى اقرب الحروف منهن وهو الطاء، لان الطاء اخت التاء في المخرج" [٣] كما انه استخدم لفظ الإبدال ومشتقاته وما يدل عليه في اكثر من موضع من كتبه".[٤]

وكان ابن السراج (ت ٣١٦هـ) قبل ابن جني قد استخدم لفظ الإبدال (ومشتقاته للدلالة على مفهوم الإبدال الذي استقر من قبل عند سابقيه، اذا قال:" الثاني: من القسم الاول: وهو الإبدال لغير ادغام" [٥] وقال: "الالف تبدل من الياء والواو والهمزة والنون الخفيفة". [٦] وقال ايضا:" وقالوا: أحال البئر وحولها، قال الجرمي: فأبدلوا الالف من الواو". [٧] وقال اثناء حديثه عن إبدال الياء من الواو:"

---

(١) ابن جني: المنصف ٢/٣٢٧.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٢٢٣.

(٣) المصدر السابق ١/٢٢٣.

(٤) انظر: الخصائص ٢/١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦، وسر صناعة الاعراب ١/٢٣٢ و ١/٢٣٤ و ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١، والمنصف ٢/٣٢٧ و ٣٣١.

(٥) الاصول في النحو ص٢٤٤.

(٦) المصدر السابق ص ٢٤٦.

(٧) الاصول في النحو ص ٢٥١.

ابدالها من اللامات، تبدل في "شقيت" وهي متحركه مفتوحه وقبلها كسرة، والواو اذا كان قبلها حرف مضموم في الاسم، وكانت حرف الإعراب قلبت ياء وكُسِر المضموم وذلك قولهم:دلو، وأدلٍ، وحقو، واحق، كان الأصل: ادلو واحقو، قلبت الواو يـاء" [1] وقال ايضا وهو يتحدث عن ابدال " تغازينا": " قيل له: ان الأصل كان قبل دخول التاء في "تغازينا" غازينا، نغازي "فاعل" غازي، من اجل اعتلال"يغازي" ثم دخلت التاء بعد ان وجب البدل". [2]

نلاحظ ان ابن السراج قد استخدم الفاظ. الإبدال، وتبدل، وفأبدلوا، وابدالها، والبدل، للدلالة على مفهوم الإبدال الذي وضحه سابقوه. واستعمل أيضاً لفظ القلب للدلالة على مفهوم الإبدال الذي وضحه سابقوه ايضا واستقر عندهم، وذلك عندما قال:" تقلب الواو ياء في اشقيت وغبيت، لانكسار ما قبلهما" [3] وقال ايضا:" الالف تبدل من الياء والواو اذا كانتا عينين وكانتا متحركتين وقبلهما فتحة.. وذلك نحو: قال وباع وخاف... فالواو والياء تقلب في جميع ذلك" [4] وقال وهو يتحدث عن ابدال الدال في افتعل، وفعلت:" تبدل من التاء في افتعل "قلبا مطردا اذا كان قبل التاء حرف مجهور، زاي أو دال، تقول في "افتعل" من الزينة: ازدان ازديانا... وذاك ان التاء كانت مهموسه والزاي مجهورة، فابدلوا من التاء حرفاً من موضعها مجهورا، وهو الدال".[5]

واضح مما سبق ان مصطلح "القلب" الذي استخدمه ابن السراج بمعني الإبدال وليس بمعنى القلب المكاني.

---

(١) المصدر السابق ص٢٥٥- ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٨.

(٤) المصدر السابق ص ٢٥١.

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٠.

وخصص الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فصلا لبحث ظاهرة الإبدال من كتابه المفصل بعنوان (من اصناف المشترك ابدال الحروف) [١]، استخدم اثناء حديثه عن الإبدال لفظ الإبدال [٢]، ابدالها [٣]، ابدلت [٤]، تبدل [٥]، مبدلة [٦]، ابدل [٧]، للدلالة على ظاهرة الإبدال.

وشرح ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) كلام الزمخشري - حول ظاهرة الإبدال - في كتابه شرح المفصل، وعرف الإبدال وفرق بينه وبين العوض، إذ قال: "البدل ان تقيم حرفا مقام حرف أمّا ضرورة وإمّا صنعة واستحسانا، وربما فرقوا بين البدل والعوض فقالوا البدل اشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض ولذلك يقع موقعه نحو تاء تخمة وتكأة، وهاء هرقت فهذا ونحوه يقال له بدل ولا يقال له عوض لان العوض ان تقيم حرفا مقام حرف في غير موضعه نحو تاء عدة وزنة وهمزة ابن واسم ولا يقال في ذلك بدل إلا تجوزا" [٨] وجعل البدل على ضربين:

(أ) بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره نحو تاء تخمة وتكأة.

(ب) وبدل هو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى احالته اليه وهذا انما يكون في حروف العلة التي هي الواو والياء والالف وفي الهمزة ايضا لمقاربتها اياها وكثرة تغيرها وذلك نحو قام اصله قوم فالالف واو في الاصل.." [٩]

---

(١) انظر: الزمخشري: المفصل ص ٣٦٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٣٦٠، ص٣٦٢، وص ٣٧٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٣٦٠، وص ٣٦٦،وص ٣٦٧، وص ٣٦٩، وص ٣٧٣.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٣٦٣، ص ٣٦٦، وص ٣٦٧، وص ٣٧٠، وص ٣٧١.

(٥) انظر: المصدر السابق ص ٣٦٦، ص ٣٧٤.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ٣٧٠.

(٧) انظر: المصدر السابق ص ٣٦٤.

(٨) شرح المفصل ١٠/٧.

(٩) المصدر السابق ١٠/٧.

واستخدم أثناء شرحه لظاهرة الإبدال لفظ الإبدال ومشتقاته التي استخدمها الزمخشري من قبل للدلالة على مفهوم الإبدال. بالمفهوم الذي استقرعند السابقين [١]، كما أنه استخدم لفظ القلب ومشتقاته للدلالة على مفهوم الإبدال وذلك اذ قال: «متى كانت فاء افتعل زاءً (قلبت التاء دالا وذلك نحو ازدجر واذد هي وازدان). وازدلف والأصل ازتجروازتهى وازتان وازتلف... فلما كانت الزاي مجهورة والتاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاء في الجهر قربوا صوت أحدهما من الآخر وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاء وهي الدال» [٢]، واستخدم أيضا إلى جانب لفظ القلب مشتقاته [٣] للدلالة على مفهوم الإبدال. وسارت دراسة الإبدال على المنهج الذي وضعه سيبويه مع زيادة في ضبط المفهوم وتنظيم المادة المدروسة، وخاصة عند رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) في شرحه شافية ابن الحاجب، وقد استخدم أثناء شرحه لظاهرة الإبدال -لفظ الإبدال ومشتقاته، كما استخدم لفظ القلب ومشتقاته للدلالة على مفهوم الإبدال الذي استقر عند سابقيه. [٤]

واستخدم ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) مصطلح الإبدال ومشتقاته بنفس المفهوم الذي استقر عند سابقيه. وخصص للإبدال باباً في كتابه (أوضح المسالك) سماه (هذا باب الإبدال) [٥] وضح فيه الإبدال من كل جوانبه. وكذلك فعل ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) في كتابه (شرح ابن عقيل) إذ قال: «هذا باب عقده المصنف لبيان الحروف التي تُبْدَلُ من غيرها إبدالا شائعاً...».[٦]

---

(١) انظر: شرح المفصل ١٠/من ص٧ إلى ص٥٥.

(٢) شرح المفصل ١٠/٤٨.

(٣) انظر: شرح المفصل ١٠/٩وص١٠وص١٢وص١٥وص١٦وص١٧وص١٩وص٢٢وص٤٨.

(٤) انظر: شرح شافية ابن الحاجب٣/من ص ١٩٧ إلى ص ٢٣٣.

(٥) انظر: أوضح المسالك ٣/٣١٢.

(٦) شرح ابن عقيل ٢/٥٤٨.

استخدم أثناء بيانه للإبدال لفظ الإبدال ومشتقاته للدلالة على مفهوم الإبدال الذي استقر عند سابقيه، دون استخدام غيره من المصطلحات. للدلالة على ظاهرة الإبدال.

يتضح من كل ما سبق ان مصطلح الإبدال ومشتقاته،ومصطلح القلب ومشتقاته التي بمعنى الإبدال، هي المصطلحات الشائعة الاستخدام عند علماء العربية القدامى للدلالة على ظاهرة "اقامة حرف مكان حرف مع الابقاء على سائر احرف الكلمة" [(١)] أو انقلاب صوت إلى آخر مع وجود علاقة بينهما تدعو إلى احلال احدهما محل الآخر. [(٢)]

أما علماء التجويد والقراءات القرآنية فقد تابعوا علماء العربية في استخدام الألفاظ الدالة على ظاهرة الإبدال بالمفهوم الذي عندهم، فقد استخدم بعضهم لفظ القلب ومشتقاته للدلالة على ظاهرة الإبدال، واستخدم آخرون لفظ الإبدال ومشتقاته للدلالة على ظاهرة الإبدال، كما انهم استخدموا تعابير آخر للتعبير عن ظاهرة الإبدال.

واستخدم ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) لفظ "يقلبها" وذلك عندما قال:" وكان الفراء يحكي عن حمزة: (الزُّرَط) بالزاي خالصة، ويحكي ذلك في الصاد الساكنة فقط، فإذا تحركت لم يقلبها زايا" [(٣)] وقال اثناء حديثه عن قلب السين صاد:"...والسين الأصل [(٤)]، والكتاب بالصاد، وانما كتبت بالصاد ليقربوها من الطاء، لان الطاء لها تصعد في الحنك، وهي مطبقة، والسين مهموسة، وهي

---

(١) عبد الواحد اللغوي: كتاب الإبدال١/٩.

(٢) انظر عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص ٢٦٥-٢٦٧.

(٣) ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات ص ١٠٦.

(٤) يشير إلى ما جاء عن العرب من قولهم سرط اللقمة اذا ابتلعها فكان اصل اشتقاق المادة السرط./ حاشية المحقق رقم ٣ ص ١٠٧.

من حروف الصفير. فثقل عليهم ان يعمل اللسان منخفضا ومستعليا في كلمة واحدة، فقبلوا السين الى الصاد، لانها مؤاخية للطاء في الاطباق ومناسبة للسين في الصفير، ليعمل اللسان فيهما متصعدا في الحنك عملاواحدا".[1]

كما أن السيرافي اعترض على مذهب الفراء السابق، بقوله:"والذي قاله سيبويه والبصريون: إنها ميم وهو الصحيح... فإن ادعى مدع أنها نون مخفاة غير بينة وهي ساكنة بعدها باء، قيل له: اجعلها ميما، فإذا جعلها ميما فانظر هل بينها وبين النون المخفاة فرق؟ لا يوجد فرق بينهما اذا تأملته. واذا كانت مخفاة مع الباء فهي بمنزلتها مع القاف والكاف ونحوهما، والذي يسمع غير ذلك". [2]

يفهم من النصوص السابقة ان الفراء ومن تبعه يسمّون ما يجري للنون عندما تقع ساكنة قبل الباء اخفاء، بينما يسميه غيرهم قلبا أو بدالاً. [3]

واستخدم مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) لفظ ابدلت للدلالة على مفهوم الإبدال وذلك عندما قال:"ولا تشديد في هذا، والغنة ظاهرة فيه في نفس الحرف الاول، لانك ابدلت من حرف فيه غنة حرفا آخر فيه غنة، وهو الميم الساكنة، فالغنة لازمة للمبدل والمبدل منه في نفسه... والعلة في ابدال النون الساكنة والتنوين ميما عند الباء ان الميم مؤاخية للباء، لانها من مخرجها، ومشاركة لها في الجهر والشدة... فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن ادغامها فيها لبعد المخرجين، ولا ان تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أُبدلت منها ميما لمؤاخاتها النون والباء". [4] واستخدم ايضا لفظ ابدل اثناء حديثه عن الهمزة الساكنة:"فأمّا

(١) ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات ص١٠٧.
(٢) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، مجلة المورد، مج ١٢، ١٣٨/٢.
(٣) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٤٦.
(٤) الرعاية ص٢٦٦، وانظر: الكشف ١٦٥/١.

الساكنة فهي تجري على ما قبلها... واذا انضم ما قبلها ابدل منها واو ساكنة...نحو "تؤمن وتؤتي" واذا انكسر ما قبلها ابدل منها ياء ساكنة كالهمزة؛ لان الكسرة من الياء... نحو بئس، وبئر" [١]، واستخدم لفظ ابدالها ايضا عندما قال:" اعلم أن أصل هذا الباب على ضربين: ضرب لم يختلف في تخفيف الثانية فيه، وذلك اذا كانت الثانية ساكنة، نحو:"آمن، وآدم،وأوتي، انفتح، ما قبلها وبياء إذا انكسر ما قبلها، وبواو إذا انضم ما قبلها". [٢]

واستخدم الدانى (ت ٤٤٤ هـ) في كتابيه (التيسيرفي القراءات السبع) و(التحديد في الاتقان والتجويد) [٣] لفظ الإبدال ومشتقاته اثناء كلامه للدلالة على مفهوم الابدال الذي استقر عند علماء العربية من قبل، فذكر الإبدال اثناء حديثه عن الهمزتين من كلمة:"اعلم انهما اذا اتفقتا بالفتح نحو "ءأنذرتهم" البقرة اية/٦، ويس آية /١٠ و"ءانتم اعلم" البقرة آية/١٤٠ "ءأسجد" الاسراء آية/ ٦١ وشبهه؛ فإن الحرميين [٤]، وابا عمرو وهشاما يسهلون الثانية منهما، وورش يبدلها ألفا [٥]، وقال أيضاً:"وحكم تسهيل الهمزة في البابين ان تجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها مالم تنفتح وينكسر ما قبلها أوينضم فإنها تُبدل مع الكسرة ياء ومع الضمة واوا" [٦]، وقال ايضا:" اعلم ان همزة وهشاما كانا يقفان على الهمزة الساكنة والمتحركة اذا وقعت طرفا في الكلمة بتسهيلها ويصلان بتحقيقها فإذا سهّلا المضموم ما قبلها ابدلاها واوا في حال تحريكها وسكونها نحو قوله"لؤلؤا" الحج آية/٢٣ و«إنِ آمرؤا» النساء آية /١٧٦

---

(١) الكشف ١/١٠٢.
(٢) المصدر السابق ١/٧٠.
(٣) مخطوط / في مكتبة وهبي افندي باستانبول (الرقم ١/٤٠).
(٤) نافع وابن كثير.
(٥) الداني: التيسير ص ٣١ - ٣٢.
(٦) المصدر السابق ص ٣٤.

وشبهه" [1]، واستخدم لفظ القلب بدل الإبدال للدلالة على ظاهرة الإبدال اثناء حديثه عن النون الساكنه قبل الباء إذ قال:"والحال الثالثة ان يقلبا ميما من غير ادغام، وذلك اذا لقيا الباء نحو (أن بورك) النمل آية/٨ و (أنبئهم) البقرة آية/ ٣٣... وما اشبهه. وانما قلبا ميما عندها خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج فقلبا ميما من اجل ذلك" [2] وقال في موضع آخر ايضا:"وكذا أجمعوا على قلبهما ميما عند الباء خاصة".[3] فلفظ القلب هنا بمعنى الإبدال.

واستخدم عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ) لفظ القلب للدلالة على ظاهرة الإبدال التي استقر مفهومها عند سابقيه اثناء حديثه عن الميم اذا لقيت الباء. إذ قال:"ثم بعد قلبها ميماً يحول اللفظ إلى الاخفاء" [4]، وقد سمى ابن الباذش (ت.٥٤٠هـ) هذا القلب ابدالاً [5] وقال اثناء حديثه عن الهمزتين من كلمة في نحو "ءأنذرتهم" البقرة آية/٦. و"ء أنتم أعلم" الاسراء آية/٦١ وشبهه، فإن الحرميين وأبا عمرو وهشاماً يسهلون الثانية منهما، وورش يبدلها الفاً [6]. واستخدم لفظ البدل في موضع آخر إذ قال:"وقال ابو محمد مكي: البدل احسن في قراءة ورش خاصة". [7]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

(٢) الداني: التحديد، ص١١٧.

(٣) الداني: التيسير ص٤٥.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٤٤ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٧٩).

(٥) انظر: الاقناع ٢٥٧/١.

(٦) انظر: الاقناع ٢٥٨/١ وص ٣٧٧.

(٧) الاقناع ٢٨١/١ وانظر ايضا ٢٨٢/١ - ٢٨٥.

واستخدم ابن خالوية لفظ القلب للدلالة على ظاهرة الإبدال اثناء حديثه عن الهمزتين المختلفتين في الحركة إذ قال:"والحجة لمن جعل الثانية ياء: انه كره الجمع بين همزتين، فقلب الثانية ياء لكسرها بعد ان لينها وحركها لالتقاء الساكنين". (١)

واستخدم محمد بن احمد الموصلي (ت ٦٥٦هـ) في كتابه. شرح شعلة على الشاطبية (لفظ الإبدال ومشتقاته في اكثر من موضع للدلالة على مفهوم الإبدال الذي استقرعند سابقيه، ولم يستخدم غيرها من الالفاظ للتعبير عن مفهوم الإبدال. منها قوله:"ابدل القراء عن طريق السوسي كل همز ساكن" (٢)،وقال ايضا " يبدل ورش كل همز ساكن" (٣)، وقال ايضا:"فالمستثنيات خسمة أضرب مجزوم مبني على علامة الجـــزم وما همزه اخف من ابداله وما الإبدال يلبسه لغيره وما الإبدال يخرجه إلى لغة اخرى...". (٤)

كل هذه الالفاظ تدل على ظاهرة الإبدال بالمفهوم الذي استقر عند السابقين واستخدم ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) مصطلح الإبدال ومشتقاته ايضا، للدلالة على مفهوم الإبدال قال:" امـا (الذنب) فوافقهم على ابداله ورش والكسائي وخلـف " (٥) وقال ايضا:" وان كانت لاما من الفعل فإن حفصا اختص بابدالها في (هزوا) " (٦) وقال: " وانفرد ابو العلاء الحافظ عن النهرواني بالإبدال في (شانيك)" (٧) إلى غير ذلك من الفاظ الإبدال الدالة عليه. (٨)

---

(١) الحجة في القراءات ص ١٧٤.

(٢) محمد الموصلي: كنز المعاني ص ١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣١.

(٥) النشر: ٣٩٤/١.

(٦) المصدر السابق ٣٩٥/١.

(٧) المصدر السابق ٣٩٦/١.

ومن جاء بعدهم من المتأخرين استخدم نفس مصطلحاتهم للدلالة على نفس المفهوم الذي استقر عند السابقين.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد استخدموا مصطلح المماثلة [١] ليشمل الإبدال وغيره من الظواهر الصوتية التي يحدث فيها تغيير صوتي، والمماثلة "هي إحلال صوت محل صوت اخر تحت تأثير صوت ثان قريب منه في الكلمة". [٢]

ومن خلال البحث في كتب المحدثين، تبين ان بعضهم اطلق مصطلح المماثلة، على ظاهرتي الإبدال والإدغام معا دون تفريق بين الظاهرتين [٣] غير اني وجدت في (معجم علم اللغة الحديث) [٤] مصطلحين:

أحدهما: المماثلة وقوبل به المصطلح الاجنبي Assimilation وثانيهما: المماثلة التامة/ الإدغام وقوبل به المصطلح الأجنبي Total Assimilation أو Complete Assimilation complete. فالمماثلة Assimilation مصطلح شامل لجميع انواع المماثلة من جزئية وتامة وتقدمية ورجعية...الخ.

أما المماثلة التامة Total Assimilation فللتخصيص فقط على نوع محدد من المماثلة [٥] ويمكن أن يدخل مفهوم الإبدال الذي استقر عند القدماء، تحت مفهوم (المماثلة الجزئية) تقدمية كانت أم رجعية عند المحدثين. [٦]

---

(٨) انظر: النشر ١/ ٤٠٠ و ٤٠٢ و ٤٠٦.

(١) انظر: ابراهيم انيس: الأصوات اللغوية ص ١٧٩ -١٥١ وفي اللهجات العربية ص ٧٠.

(٢) صلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص ٧٤.

(٣) انظر: ابراهيم انيس: الأصوات اللغوية ص ١٧٩، ومالمبرج: علم الأصوات ص ١٤١، وفليش: العربية الفصحى ص ٢١٩، وعاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢٤٥.

(٤) انظر: معجم علم اللغة الحديث (المماثلة) ص ٩٥.

(٥) قال ابراهيم انيس:" واقصى ما يصل اليه الصوت في تأثره بما يجاوره ان يفنى في الصوت المجاور، فلا يترك له أثراً وفناء الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام" (الأصوات اللغوية، ص ١٨٣).

(٦) انظر: احمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥، وصلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص ٧٧-٧٨.

القلب المكاني:

القلب هو تحول الشيء عن وجهه، وقلب الشيء يقلبه قلباً، جعل أعلاه اسفله أو يمينه شماله، أو باطنه ظاهره [١]، والقلب بمفهوم علماء العربية القدامى: يدل على نوع من التغيرات الصوتية الصرفية التي تحدث للكلمة العربية في اثناء الاستعمال، وذلك أمّا لضرورة لفظية أو للتخفيف والبحث عن سهولة النطق ويسره أو للتوسيع اللفظي.[٢]

استخدم القدماء لفظ (القلب) للدلالة على ظاهرة القلب المكاني دون اضافة لفظ (المكاني) ولكن سياق حديثهم يدلل على ان المقصود بالقلب (القلب المكاني).

وظاهرة "القلب المكاني" ظاهرة صوْتيَة صرفية حظيت باهتمام القدماء والمحدثين من علماء العربية والدراسات الصوتية؛ فرصدوا الفاظها المقلوبة قلبا مكانيا وحللوها وعللوها، وبينوا الغرض منه، وشرطه، وطرق معرفة الأصوات المقلوبة في الكلمة العربية، والذي يهمنا من دراساتهم معرفة المصطلحات التي استخدموها أثناء دراستهم للتعبير عن هذه الظاهرة.

وأول من استخدم مصطلح "القلب" للتعبير عن ظاهرةالقلب المكاني من القدماء هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) إذ قال: "مكانٌ شَنِسٌ: أي خشن من الحجارة، وامكنة شُوُسٌ وقد شنس يشأسُ شأساً ويقال مقلوباً: شاسِيءُ جاسيء أي يابس " [٣] هنا استخدم الخليل لفظ " مقلوباً" وهو من مشتقات "القلب" للتعبيرعن القلب المكاني، كما ان المثال الذي ذكره يدل على القلب المكاني، الذي عرّفه علماء العربية بأنه تغيير ترتيب أصوات الكلمة الاصلية، بتقديم بعضها

---

(١) انظر: لسان العرب وتاج العروس / مادة (قلب).

(٢) انظر: خديجة الحديثي: ابنية الصرف في كتاب سيبويه ص ١٢١.

(٣) العين ٦/٢٧٣

وتأخير بعضها الآخر مكانها دون أن يختلف معنى الكلمة، أي يبقى معنى الكلمة المقلوبة بنفس معنى الكلمة الاصلية، وفي هـــذا يقول سيبويــــه:" ومثل هذا في القلب: طَأْمَنَ واطْمَأَنَّ، فانما حمل هذه الاشياء على القلب، حيث كان معناها معنى ما لا يطرد ذلك فيه، وكان اللفظ فيه اذا انت قلبته ذلك اللفظ، فصار هذا بمنزلة ما يكون فيه الحرف من حروف الزوائد " [1] وقال أيضاً:"اذا قلبت حروفه عما تكلموا به وجدت لفظه لفظ ما هو في معناه... وجميع هذا قول الخليل".[2]

والقلب المكاني في هذه الحالة غير التغير الصوتي الذي نراه في ظاهرة الإدغام والإبدال.

واستخدم الخليل بن احمد الفراهيدي ايضا لفظ "قلب" للدلالة على القلب المكاني وذلك عندما قال:"قال قوم في (أشياء) إن العرب لما اختلفت في جمع الشيء، فقال بعضهم: (أشيئاء) وقال بعضهم:(أشاوات) وقال بعضهم:(أشَاوَى). ولما لم يجيء على طريقة فيء وأفياء ونحوه وجاء مختلفاً عُلم أنه قد قلب عن حده. وترك صرفه لذلك. ألا ترى أنهم لما قالوا: أشاوى وأشاوات، استبان أنه كان في الشيء. واو، والياء مدغمة فيها، فخففت كما خففوا ياء الميتة والميت". [3]

وقال ايضا:" أشياء اسم للجميع كان اصله: فعلاء شيئاء، فاستثقلت الهمزتان فقلبت الهمزة الاولى إلى أول الكلمة فجعلت (لفعاء) كما قلبوا: (أنوق) فقالوا: (أنيق) وكما قلبوا (قووس) فقالوا: (قسي)". [4]

---

(١) الكتاب ٣٨١/٤.

(٢) المصدر السابق ٣٨١/٤.

(٣) العين ٢٩٦/٦.

(٤) العين ٢٩٦/٦-٢٩٧

أما سيبويه (ت.١٨٠هـ) فقد استخدم لفظ "قلب" أو مشتقاته في جميع الأماكن التي عالج فيها قضية القلب المكاني حتى انه وضع بابا بعنوان"هذا باب تحقير ما كان فيه قلب". جاء فيه: "اعلم ان كل ما كان فيه قلب لا يرد إلى الاصل" [1] وقال أيضاً:"ولكن الاسم يثبت على القلب في التحقير" [2]، واستخدم لفظ "قلبوا" اثناء حديثه عن "لاث" قال:"وانما قلبوا كراهية الواو والياء، كما همزوا كراهية الواو والياء فمن ذلك قول العجاج. [3]

لاثٍ بِهِ الأشَاءُ والعُبْرِيُّ*

انما اراد لائث، ولكنه أخر الواو وقدم الثاء" [4] وقال في موضع آخر: "واكثر العرب يقول:لاث وشاك سلاحه، فهؤلاء حذفوا الهمزة، وهؤلاء كانهم لم يقلبوا اللام في جئت حين قالوا فاعل، لان من شأنهم الحذف لا القلب... وكلا القولين حسن جميل" [5] وقال ايضا:"ومثل ذلك أينق انما هو: أنوق في الأصل، فأبدلوا الياء مكان الواو وقلبوا." [6] وقال: «ومثل ذلك القسي، إنما هي في الاصل: القووس فقلبوا كما قلبوا أينق». [7] واستخدم لفظ (مقلوبة ويقلبون). أثناء حديثه عن اسم الفاعل من جئت وشئت، إذ قال: "وأما الخليل فكان يزعم أن قولك: جاءٍ وشاءٍ ونحوهما اللام فيهن مقلوبة. وقال: الزموا ذلك هذا واطرد فيه، إذ كانوا يقلبون كراهية الهمزة الواحدة. وذلك نحو قولهم... لاث قُلِب لاثٍ

---

(١) الكتاب ٣/٤٦٥.

(٢) المصدر السابق ٣/٤٦٥-٤٦٦.

(٣) ديوان العجاج ص ٦٧.

(٤) الكتاب ٣/٤٦٦.

(٥) المصدر السابق ٤/٣٧٨.

(٦) المصدر السابق ٣/٤٦٦.

(٧) المصدر السابق ٣/٤٦٧.

من لائـث" [١]، وقـال أيضـا:" فـإنما اجري جاءٍ في قـول من زعـم انـه مـقلوب مـجـرى لاث حـيث قـلبـوا الواو كـراهـيـة الهـمـزة" [٢]، وقـال ايضـا:" ومـثـل هذا في القلب طأمن واطمأن. فإنما حمل هـذه الاشـيـاء على القلب حيث كان مـعناها مـعنى ما لايطرد ذلك فيـه، وكان اللفظ فيـه اذا أنت قلبته ذلك اللفظ". [٣]

تـبين لنا من النصـوص السـابـقـة التي عـالج فـيـهـا سـيـبـويـه ظاهـرة القـلب المكاني، انـه اسـتـخـدم لفظ"القلب" ومـشـتـقـاته دون غـيـرهـا للدلالة على القلب المكاني، مـثل (قلب، قلبـوا، يقلبوا، القلب، مـقلوبـة، يقلبـون، مـقلوب، قلبتـه). بـهذا المفهوم استقر المصطلح عند سيبويه.

واستخدم من جاء بعد سيبويه من علماء العربية نفس المصطلح - القلب- وبنفس المفهوم الذي استـقـر عند سيبويه. فـألف ابـن السـكيت (ت ٢٤٤ هـ) كـتـابـا في (القلب والإبدال) تـناول فـيـه الالفـاظ المقلوبـة قلبـا مكانيـا، بنفس المفهوم الذي استـقر عند سـيـبـويه واسـتـخـدم المازنـي (ت٢٤٧هـ) لـفظ "الـقلب" ومـشـتـقـاتـه فـي كتابه (التصـريـف) اثنـاء تـعرضه للالفـاظ المقلوبـة، فقال:"أشـيـاء فـعلاء مقلوبة وكان اصلها شـيـئاء مـثل حمراء فقلب فجعل الهمزة التي هي لام أولا فـقال: اشـيـاء كانها لفعـاء". [٤] وقـال ايضـا:" قـال الخليل في قـول العـرب... مـا أبـغض الي مـسـاءيتك، هو مـقلوب والأصل: مـسـاوءتك ". [٥] وقـال: "كمـا قـلبـوا قـسـي وكـان أصلهـا قـؤوس؛ لأن ثـانـي قـوس واو فـقدم السين في الجمـع". [٦]

---

(١) الكتاب ٣٧٧/٤.

(٢) المصدر السابق ٣٧٨/٤.

(٣) المصدر السابق ٣٨١/٤.

(٤) ابن جني:المنصف ٩٤/٢ وانظر ١٠١/٢.

(٥) المنصف ٩٣/٢.

(٦) المصدر الساسق ١٠١/٢.

واستخدم ابن قتيبة (ت.٢٧هـ) في كتابه (أدب الكاتب) لفظ "القلب" ومشتقاته، بمعنى القلب المكاني، بنفس عبارات سيبويه، وبنفس المفهوم الذي استقر عنده. [١]

وكذلك استخدم المبرد (ت٢٨٥هـ) لفظ "القلب" ومشتقاته التي استخدمها سيبويه بالمعنى نفسه في كتابه(المقتضب) ووضع لذلك بابا سماه:«هذا باب ما كان لفظه مقلوباً» [٢] استخدم فيه لفظة:(قلب، وقلبوا، ومقلوب) عدة مرات. منها قوله:«فحق ذلك ان يكون لفظه جاريا على ما قُلب اليه».[٢]

وقال:«ومن المقلوب قولهم (أينق) في جمع ناقة. وكان اصل هذه أنوق» [٣]، واستخدم لفظ "فقلبوا" عندما قال:"ومن ذلك (أشياء) في قول الخليل: إنما هي عنده (فعلاء). وكان اصلها شيئاء يا فتى فكرهوا همزتين بينهما الف فقلبوا... فصارت اللام التي هي همزة في أوله، فصار تقديره من الفعل: (لفعاء) "(٥) وقال أيضاً "فكل مقلوب فله لفظه". [٤]

بهذا المفهوم درس المبرد الكلمات التي فيها قلب - قلب مكاني- وعبّر عن ظاهرة القلب التي فيها بلفظ (قلب) ومشتقاته كما فعل سيبويه.

واستخدم ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) لفظ (القلب) ومشتقاته، بمعنى القلب المكاني أثناء تعرضه للكلمات التي وقع فيها قلب، منها قوله:"اعلم ان كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن ان يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره. وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن احدهما

---

(١) انظر: ادب الكاتب ص ٤٩٢.

(٢) المقتضب ٢٩/١.

(٣) المقتضب ٣٠/١.

(٤) المصدر السابق ٣١/١.

مقلوب عن صاحبه... وذلك كقولهم أنى الشيءُ يأني وآنَ، يَئِنُ. فآنَ مقلوب عن أنـى" [١]، وقال أيضاً:"ومثل ذلك في القلب قولهم (أيست من كذا) (١)، فهو مقلوب من (يئست) " [٢]، وقال ايضا:" ومن المقلوب قولهم امضحل، وهو مقلوب عن اضمحل ". [٣] وقال ايضا:"وذهب سيبويه في قولهم (أَيْنُق) مذهبين: احدهما ان تكون عين انوق قلبت إلى ما قبل الفاء فصارت في التقدير (أَوْنُق) ثم ابدلت الواوياء لانها؛ كما اعلت بالقلب كذلك اعلت ايضا بالإبدال...؛ والآخر ان تكون العين حذفت ثم عوضت الياء منها قبل الفاء. فمثالها على القول (أَيْفُل)، وعلى القول الأول (أَعْفُل) " [٤] وقال:"وذهب الفراء في (الجاه) إلى انه مقلـوب من الوجه". [٥]

نستنتج من النصوص السابقة التي عالج فيها ابن جنى ظاهرة القلب المكاني، انه استخدم لفظ"القلب" وما اشتق منه مثل "مقلوبا، وقلبت" للدلالة على القلب المكاني.

واغلب من جاء بعد ابن جني من علماء العربية وتحدث عن ظاهرة القلب المكاني، كان يستخدم الفاظ سيبويه وامثلته اثناء حديثه دون اضافه تذكر، كما استخدموا مصطلح "القلب" ومشتقاته للدلالة على القلب المكاني. وجاء جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) وجمع في كتابه المزهر اغلب الالفاظ التي وقع فيها قلب مكاني وقد صرح بذلك في كتاب (همع الهوامع):"وقد عقدت له نوعاً في

---

(١) ابن جني: الخصائص ٢/٧١-٧٢.

(٢) المصدر السابق ٢/٧٢.

(٣) المصدر السابق ٢/٧٥.

(٤) المصدر السابق ٢/٧٧-٧٨.

(٥) المصدر السابق ٢/٧٨.

المزهر أوردت فيه الفاظا جمة".[1] كما انه لخص ما قاله سابقوه حول القلب المكاني، واستخدم اثناء حديثه لفظ "القلب" ومشتقاته للتعبير عن القلب المكاني.

قال: "قال أبو حيان: القلب تصيير حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير". [2] وقال: "قال ابن مالك رحمه الله تعالى: وأكثر ما يكون القلب في المعتل والمهموز كهاري في هائر وشاكي السلاح في شائك..." [3] وقال ايضا: "قال أبو حيان دليل ذلك الاستقراء فأكثر ما جاء القلب في ذوات الواو نحو شاك وهار... كما ان انقلاب الالف عن الواو أكثر من انقلابها عن الياء " [4]، وختم حديثه عن ظاهرة القلب المكاني بما نقله عن أبي حيان قال: "قال أبو حيان: فان قلت ما فائدة القلب... قلت الفائدة في ذلك الاتساع في الكلام والاضطرار إليه في بعض المواضع". [5]

نلحظ من النصوص السابقة ان السيوطي اعتمد على سابقيه في دراسة ظاهرة القلب المكاني، وانه استخدم لفظ القلب " ومشتقاته للدلالة على القلب المكاني، كما فعل سابقوه.

وخلاصة القول أن علماء العربية القدامى تنبهوا إلى ظاهرة القلب المكاني، وحاولوا ما امكنهم تعليل هذه الظاهرة، ورصد الالفاظ التي عُدّت مقلوبة قلباً مكانياً، واستخدموا مصطلح "القلب" ومشتقاته اثناء دراستهم للتعبير عن

---

(١) السيوطي: الهمع ٢/٢٢٤.
(٢) السيوطي: الهمع ٢/٢٢٤.
(٣) المصدر السابق ٢/٢٢٤.
(٤) المصدر السابق ٢/٢٢٤.
(٥) المصدر السابق ٢/٢٢٥.

ظاهرة القلب المكاني، ولم يستخدموا مصطلح (قلب مكاني)، واستخدام مصطلح "قلب مكاني" كان متأخراً، استخدمه علماء الصرف في وقت لاحق، وأول ما نجده عند احمد الحملاوي صاحب كتاب "شذا العرف في فن الصرف".[1]

الإظهار *

هذا المصطلح توصف به النون الساكنة والتنوين عند القدماء إذا لقيهما صوت من أصوات الحلق الستة: الهمزة والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. كما توصف به الميم الساكنة إذا وقع بعدها بقية أصوات العربية ما عدا الباء.

وقد بين بعض المحدثين معنى الإظهار بقوله: « معنى الإظهار هو أن يكون مخرج النون الساكنة والتنوين من الفم، وذلك بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة ويجرى الصوت غنة [2] في الخيشوم ». [3] أي لا يتغير مخرجهما أو أيٌ من صفاتهما إذا لقيهما أحد أصوات الحلق.

وهذه الظاهرة تنبه لها العلماء قديماً وحديثاً ووضعوا مصطلح (الإظهار) للدلالة عليها.

---

(١) انظر: الحملاوي: كتاب شذا العرف في فن الصرف. ص ٢٣.

* إذا لم يحدث أي تغيُّر في مخرج النون الساكنة والتنوين، أو أيٌ من صفاتهما فهو إظهار.

(٢) استخدم العلماء القدماء مصطلح الغنة كثيراً في سياق الحديث عن الإخفاء والإظهار وكان استخدامهم لها مضطرباً، وهنا نريد أن نبين مفهوم الغنة، فالغنة هي خروج الهواء من الأنف، وهي قائمة مع الصوت الأنفي سواء أكان ظاهراً أو مخفياً. الفرق هو في المخرج أساساً. ففي النون الظاهرة نحقق مخرجها الأصلي، وفي النون المخفية ننقل موضع النطق بها إلى موضع نطق الصوت الفموي التالي مع المحافظة على الغنة (خروج الهواء من الأنف)، قبل العدول عن الغنة إلى إخراج الهواء من الفم بدل الأنف تحقيقاً للصوت التالي.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٢٨.

وأول من أشار إليها من القدماء سيبويه (ت ١٨٠هـ) أثناء دراسته لإحكام النون الساكنة والتنوين إذ قال: «... تكون مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بيِّنة موضعها من الفم. وذلك أن هذه الستة تباعدت عن مخرج النون ... وهو قولك: مِنْ أجْلِ زيدٍ، ومِنْ هناء، ومِنْ خلفٍ، ومن حاتم، ومِنْ عليك، ومن غلبك، ومُنْخُلُ. بينة، هذا الأجود الأكثر». [1]

نلحظ من هذا النص أن سيبويه استخدم لفظ (بيِّنة) للدلالة على الإظهار، كما أنه استخدم في مكان آخر لفظ (البيان) للدلالة على الإظهار أيضاً وذلك أثناء حديثه عن التقاء النون الساكنة مع الميم ومع الواو والياء.

فقال :"وتكون ساكنة مع الميم إذا كانت من نفس الحرف بيِّنة. والواو والياء بمنزلتها مع حروف الحلق. وذلك قولك :شَاةٌ زَنْمَاءُ وَغَنَمٌ زُنْمٌ، وقَنْوَاءُ وقُنْيَةٌ، وكُنْيَةٌ ومُنْيَةٌ. وانما حملهم على البيان كراهية الالتباس فيصير كانه من المضاعف". [2]

استخدم في هذا النص لفظ "بينة" و"البيان" للدلالة على الاظهار كما ان المبرد (ت٢٨٥هـ) اشار إلى هذه الظاهرة اثناء دراسته لاحكام النون الساكنة فقال :"...فإن كان معها حرف من حروف الحلق امن عليها القلب، فكان مخرجها من الفم لا من الخياشيم لتباعد ما بينهما. وذلك قولك : من هو؟ فتظهر مع القراءتين (ألاَ يَعْلَمُ من خلق) الملك آية/١٤ فتُبين. وإنما قلت: أجود القراءتين؛ لان قوما يجيزون اخفاء هامع الخاء والغين خاصة؛ لانهما اقرب حروف الحلق إلى الفم. فيقولون: منخل، ومنغل.[3]

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٤.

(٢) المصدر السابق ٤/٤٥٥.

(٣) المنغل: هو المنخل ابدلت الخاء غينا/انظر اللسان مادة (نخل).

الهاء، وكذلك من حاتم؟ ولا تقول :من حاتم؟ فتخفي، وكذلك من علي؟ واجود وهذا عندي لا يجوز. ولا يكون ابدا مع حروف الحلق إلاّ الإظهار" [١] استخدم المبرد في هذا النص لفظ "فتظهر" و "فتبين" و"الاظهار" للدلالة على الاظهار. وهو الوضع الطبيعي للصوت (أي عدم تغيّر مخرجه أو أيٍّ من صفاته).

واستخدم ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) اثناء دراسته لهذه الظاهرة عبارات سيبويه بنصها، كما أنه استخدم مصطلحات سيبويه نفسها، للدلالة على "الاظهار" مثل لفظ (بينة، فتبين، ابانتها، البيان)[٢] واستخدم ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) لفظ "البيان" للدلالة على الاظهار أثناء حديثه عن احكام النون الساكنة فقال :"واما الحال الثانية وهو أن تبين ولا تدغم ولا تخفى وذلك مع حروف الحلق الستة" وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين كقولك (من ابوك ومن هلال، ومن عندك ومن حملك، ومن غيرك ومن خلفك) وانما وجب البيان عند هذه الحروف لتباعدها منها". [٣]

في هذا النص استخدم ابن يعيش لفظ "تبين" ولفظ "البيان" للدلالة على الاظهار.

واستخدم الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) مصطلح "الاظهار اثناء حديثه عن ادغام المثلين [٤]، واثناء حديثه عن اللام الساكنة غير المعرفة [٥]، وهكذا نجد علماء العربية القدامى استخدموا اثناء دراستهم لهذه الظاهرة لفظ

---

(١) المقتضب ١/٢١٥-٢١٦.

(٢) انظر: ابن السراج: الاصول في النحو ص ٤١٨-٤١٩.

(٣) انظر: الزمخشري: المفصل ص ٤٠٠، وابن يعيش: شرح المفصل ١٤٤/١٠-١٤٥.

(٤) انظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٢٤٠/٣.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢٧٩/٣.

"بينة" ولفظ "البيان"ولفظ "فتبين "، ولفظ "ابانتها" ولفظ "الإظهار" للدلالة على نطق النون الساكنة والتنوين دون أي تغيير في مخرجهما أو أي صفة من صفاتهما عند التقائهما بأحد أصوات الحلق، وكذلك للدلالة على نطق الميم الساكنة مع بقية اصوات العربية ما عدا الباء. أي أن النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة، اذا التقت بهذه الأصوات لا تتغير.

أما علماء التجويد فقد أطلقوا مصطلح "الإظهار" ايضا على حال النون الساكنة والتنوين اذا وقعت قبل أصوات الحلق (الهمزة، والهاء، والعين، الحاء، والغين، والخاء). [١] كما اطلقوه على حال الميم الساكنة اذا وقع بعدها بقية أصوات العربية ما عدا الباء. [٢] كما انهم استخدموه للدلالة على المعنى اللغوي وهو "البيان والوضوح". [٣]

فقد استخدم مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) مصطلح "الاظهار" في غير موضع من كتابه "الرعاية" وبالمعاني المختلفة التي استخدم فيها فاستخدمه لبيان حال النون الساكنة والتنوين عند لقائهما بأحد أصوات الحلق عندما قال :"...أنهما يظهران اذا لقيهما حرف من حروف الحلق..." [٤] وذلك نحو قوله تعالى :(يَنْأون) الانعام آية/٦، و(مَنْ آمـن) البقرة آية/٦٢، و(يَنهون) آل عمران آية/١٠٤ و (انعمت) الفاتحة آية/٧ و (مَنْ عَمِلَ) الانعام آية /٥٤ و (تَنْحتون) الاعراف آية/٧٤ و (نارٌ حَامية) القارعة آية/١١ و (مِن غِلٍّ) الاعراف آية/٤٣ و (قوماً غَيركم) محمد آية/٣٨ و(مِنْ خَيْلٍ) الحشر آية/٦ و (يومئذٍ خاشعة) الغاشية آية/٢. وقال ايضا:"والعلة في اظهار ذلك عند هذه الحروف ان الغنة والنون بعد مخرجهما من

---

(١) انظر: مكي: الرعاية ص ٢٦٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٢٣٢.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٥٧.

(٤) مكي: الرعاية ص ٢٦٢.

مـخـرج حـروف الحلق ... فلمـا تبـاعـدت المخـارج وتبـايـنت وجب الاظهـار الذي هـو الاصل، ولم يـحسن غيـره" [١] كما استـخدمة أيضاً. لبيـان حال الميم اذا سكنت عند لقائها باء أو فـاء أو واوا، وذلك عنـدمـا قـال :"وإذا سكنت الميم، وجب ان يتـحـفظ باظهارها ساكنة، عند لقائها باء أو فاء أو واواً". [٢]

وكـان السعـيـدي (ت ٤١٠هـ) من قـبل مكي قد اسـتـخدم مـصطلح "الاظهـار" اثناء توضيحـه حال النون الساكنة عندمـا قال :"انما ظهرت النون الساكنة عند حروف الحلق لانها تخرج من ذلق اللسان، وهي بعيدة من الحلق، ولا يكون الاخفاء والإدغام: إلا لمقاربة الحرفين أو تزاحمها في المخرج الواحد". [٣]

واسـتـخدم السـعـيـدي (ت٤١٠هـ) ايضـا مـصطلح "الاظهـار" اثنـاء حديثـه عن الميـم السـاكنة اذا اردت اظهـارهـا عند الفـاء والواو. إذ قـال: "ومما يحـفظ ايضـا اسكان الميم الساكنة اذا اردت اظهارها عند الفاء والواو في مثل قوله تعالى عند الفـاء (ويمدهم في طغـيـانهم) البـقـرة آية /١٥ ... وعند الـواو نحـو قـولـه (أَنْتُم وآباؤكم) الأعراف آية/٧١ ... وما اشبه هذه الحروف". [٤]

واسـتـخدم الداني (ت ٤٤٤ هـ) مـصطلح "الاظهـار" ايضـا وذلك عندمـا وضع بابا بعنوان (باب ذكر الإظهار والإدغام للحروف السواكن). [٥] واستـخدمه ايضـا اثناء حديثـه عن احـوال النـون الساكنة والتنوين وذلك عندمـا قـال :"واجـمـعـوا ايضـا على إظهارهمـا عند حروف الحلق الستـة وهي الهمـزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين". [٦]

---

(١) مكي: الرعاية ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٢٩ (نقلا عن كتاب اختلاف القراء لسعيدي و ٦٠).

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٦١ (نقلا عن كتاب التنبيه للسعيدي و ٥٢).

(٥) الداني: التيسير في القراءات السبعة ص ٤١.

(٦) المصدر السابق ص ٤٥.

واستخدم عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) مصطلح "الاظهار" أثناء حديثه عن اخفاء النون قبل الخاء والغين في لغة بعض العرب، وذلك عندما قال :"فأما الغين والخاء فانهما أقرب حروف الحلق إلى حروف الفم، فتأثرا بذلك القرب حتى جاز فيهما الاخفاء والاظهار جميعا. وقد قرىء بهما. فمن اخفى النون عندهما اجراهما مجرى حروف الفم، ومن اظهرها معهما فكأنه اعتبر قربهما من باقي حروف الحلق، فأجرى عليهما حكمها من الاظهار" [1]، وقال ايضا :"فجاز معهما اعني الغين والخاء الاظهار والاخفاء، وامتنع الاخفاء ووجب الاظهار فيما عداهما".[1]

واستخدم ابن الباذش (ت ٥٤٠ هـ) مصطلح "الاظهار" اثناء تعليقة على قول من قال باخفاء الفاء والواو عند الميم، وذلك حيث قال:"فأما الفاء والواو فغير ممكن فيهما الاخفاء الا بازالة مخرج الميم من الشفتين، وقد تقدم امتناع ذلك، فان أرادوا بالاخفاء ان يكون الاظهار رقيقاً غير عنيف فقد اتفقوا على المعنى واختلفوا في تسميته اظهاراً أو اخفاء، ، ولا تأثير لذلك . وأما الإدغام المحض فلا وجه له".

واستخدم أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩ هـ) مصطلح "الاظهار" عندما قال:"واظهارها عند الواو اسهل منه عند الفاء، وذلك لان الميم توافق الواو في المخرج، فأما عند الفاء فيحتاج إلى تكلف لان الفاء بانحدارها إلى الفم باعدت الميـــم". [2] وقال ايضا اثناء حديثه عن الميم الساكنة عند الباء:"واكثر اهل الاداء على اظهارها أيضاً عند الباء" [3] كما ان ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) استخدم

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٢٩ (نقلا عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٧٨).

(٢) ابن الباذش: الاقناع ١٨١/١ - ١٨٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص ٤٦٢ (نقلا عن كتاب التمهيد للهمذاني و ١٥٥).

مـصطلح "الاظهـار" اثناء بيانه لأحكـام النون الساكنة والتنوين وذلك عندما قال:"اعلم ان النون الساكنة والتنوين يظهران عند ستة احرف من حروف الحلق، وهن: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، نحـو ... والعلة في اظهار ذلك عند هذه الحروف ان النون والغنة بعد مخرجهما عن مخارج حروف الحلق، وانما يقع الإدغام في اكثر الكلام لتقارب المخارج، فإذا تباعدت وجب الاظهار، الذي هو الأصل". [١]

تبين لنا من النصوص السابقة ان مصطلح "الاظهار" هو الشائع بين علماء التجويد للدلالة على حال النون الساكنة والتنوين عند لقائهما احد اصوات الحلق، وهو اظهارهما وعدم اخفائهما او قلبهما او ادغامهما، وكذلك على حال الميم.

أمّا المتاخرون من علماء التجويد فقد استخدموا مصطلح الاظهار نفسه وقالوا عن الاظهار: بأنه اخراج كل حرف من مخرجه من غير غنّة في الحرف المظهر، وحروفه ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. وتكون هذه الحروف مع النون في كلمة وفي كلمتين ومع التنوين (ولا يكون الا من كلمتين)، ومثلوا لذلك [٢]، واستخدم محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) مصطلح "الاظهار" عند حديثه عن لقاء الميم الساكنة بالباء، وذلك عندما قال:" ولو تلفظت باظهار الميم هنا لكان زمان انطباقهما فيه كزمان انطباقهما في الباء لاخفاء الغنة حينئذ ويقوي انطباقهما في اظهار الميم فوق انطباقهما في اخفائه". [٣]

---

(١) ابن الجزري: التمهيد ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) انظر: محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص ٨، والشيخ خالد الازهري: الحواشي الازهرية ص ٣٤، ومحمد الحسيني: كتاب فتح المجيد ص ١٠، والشيخ محمد شقرية: كتاب زينة الانسان ص ٢٢ والشيخ احمد صبره: كتاب ملخص العقد الفريد ص ٤.

(٣) غانم الحمد: ادراسات الصوتية ص ٤٦٥ (نقلا عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٣٠-٣١).

إذن المتأخرون من علماء التجويد، استخدموا مصطلح "الاظهار" كما استخدمه السابقون لبيان حكم من أحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة - إذا جاءا بعد صوت من الأصوات التي مَرّ بيانها - وهو اظهارها - أي أنها تخرج من مخرجها المقرر لها دون شائبة من ادغام او اخفاء، أو قلب.

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد اشار بعضهم إلى حال النون مع اصوات الحلق، واستخدم مصطلح "اظهار النون" عند حديثه عن الظواهر التي تعرض للنون الساكنة، وذلك بقوله :"ويعرض للنون من الظواهراللغوية ما لا يشركها فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من اصوات .. والنون اشد ما تكون تاثرا بما يجاورها من أصوات حين تكون مُشَكَّلَة بالسكون، حينئذ يتحقق اتصالها بما بعدها اتصلا مباشراً.

إظهار النون: لاتكاد النون تتأثر بأصوات الحلق حين تجاورها، وربما كان هذا لبعد مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات ... وليس المخرج وحده هوالعامل الوحيد في هذا التأثر؛ بل لا بدمعه من صفة الصوت.

فالنون التي هي من الأصوات المتوسطة أقل تأثراً بأصوات الشدة والرخاوة من تأثرها بمثيلاتها من الأصوات المتوسطة، ولا بد من مراعاة العاملين معا للحكم على نسبة تأثر النون بما يجاورها". [١]

واستخدم مصطلح "الاظهار" لبيان احكام النون مع اصوات الحلق [٢]، كما استخدم مصطلح الإظهار لبيان أحكام الميم المُشَكّلة بالسكون. قال:"إظهار الميم: هوالشائع الغالب على هذا الصوت". [٣]

---

(١) انظر: ابراهيم انيس: الأصوات اللغوية ص ٦٨-٦٩.

(٢) المرجع السابق ص ٧٠.

(٣) المرجع السابق ص ٧٤.

وأطلق داود عبده مصطلح الإظهار للدلالة على النون الساكنة إذا لم يتغير مخرجها أو أي صفة من صفاتها. كما أطلق مصطلح الإظهار الشفوي على إظهار الميم، وبيّن معنى إظهار الميم بقوله: «هو عدم تغيّرها في مخرجها أو أيٍّ من صفاتها». [1] وأهمل أغلبهم الإشارة إلى حال النون الساكنة مع ما سماه القدماء اصوات الحلق، كما اهملوا استخدام مصطلح "الاظهار".

وقسموا ما سماه القدماء (حروف الحلق) إلى ثلاثة اقسام:

١- الأصوات الحلقية وهي العين والحاء

٢- الأصوات الحنجرية وهي الهمزة والهاء

٣- أصوات اقصى الحنك وهي الغين والخاء. [2]

ولم يذكروا حال النون الساكنة مع هذه الأصوات.

وقد عرّف داود عبده الإظهار بقوله: «هو نطق الصوت دون أي تغيير في مخرجه أو أيٍّ من صفاته. فإظهار النون الساكنة إذاً موجودٌ في كل حالة يبقى فيها مخرج النون أسنانياً، ولا تتغير أيٌّ من صفاتها». [3]

وإظهار النون عنده لا يقتصر على الأصوات الحلقية، بل يشمل عدة أصوات أسنانية، فالنون تظهر أي لا يتغير مخرجها أو أيٌّ من صفاتها إذا وقعت قبل نون أخرى أو قبل الزاي، أو الدال، أو الضاد، أو الطاء، أو السين، أو الصاد. وقد يتغير مخرجها إذا جاءت قبل الثاء والذال، والظاء من الأسنان إلى بين الأسنان رغم أن بين الأسنان والأسنان يعتبران أحياناً مخرجاً واحداً.

(١) دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص٢٠-٢٢.

(٢) انظر: كمال بشر: الأصوات ص ٩٠، ومحمد الخولي: الأصوات اللغوية ص ٩١-٩٣-٩٤.

(٣) دراسة في بعض أحكام التجويد، ص١٩-٢٠.

التخفيف:

ظاهرة صوتيه تشيع في اللغة العربية يلجأ اليها العربي من اجل التخلص من ثقل في بناء كلمة ما، او جملة، اوتعبير معين ما دام ما بقي يدل على ما خفف.

والتخفيف في كتب التراث العربي، ارتبط بالهمزة اكثر من غيرها، لأنها كثيرا ما تخفف لصعوبتها في النطق، لانهاتخرج باجتهاد من الحنجرة.

ومن مظاهر التخفيف في اللغة العربية:

١- تسكين المتحرك وبخاصة في وسط الكلمة.

يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ) :"وذلك قولهم في : فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ" [١] هنا حذف الصوت القصير من وسط الكلمة طلبا للخفة على اللسان.

وقد علل سيبويه قضية تسكين المتحرك عندهم بقوله :"وإنما حملهم على هذا انهم كرهوا ان يرفعوا السنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا ان ينتقلوا من الاخف إلى الاثقل، وكرهو في "عُصِرَ" × الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع ... فكرهوا ان يحولوا السنتهم إلى الاستثقال". [٢]

---

(١) الكتاب ١١٣/٤.

× يشير هنا إلى قول ابي النجم :"لو عُصْرَ منه البانُ والمِسْكُ انْعَصَرْ" يريد: عُصِرَ، (انظر: الكتاب ١١٤/٤).

(٢) الكتاب ١١٤/٤.

وبين سيبويه قضية توالي الحركات بقوله:"واذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون ايضا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان، لان الضمة من الواو. وذلك قولك :(الرُّسْل، والطُّنْبُ، والعُنْق) تريد (الرُّسُل، والطُّنُب، والعنُقُ). [1]

في النص السابق وفي هذا النص يشير سيبويه إلى توالي الحركات. سواء أكانت متفقة أم كانت مختلفة. وهذا الكلام من الوجهة الصوتية غير صحيح، وذلك لأن كسرة عُصِرَ ليست تالية للضمة وإنما هي تالية للصاد، فالكلمة تتكون من عين، فضمة، فصاد، فكسرة، فراء.

والضمتان في (رُسُل) ليستا متواليتين دون فاصل، فالكلمة مكونة من راء فضمة، فسين، فضمّة، فلامٌ (رـُ س ـُ ل). اذن التوالي هنا لا يعني التوالي دون فاصل، وانما ورود حركة في الكلمة بعد حركة أخرى وبينهما صامت او صوامت. والحركة لا تكون على الصوت كما يذهب القدماء، بل هي صوت في ذاتها تتعاقب خطياً مع الأصوات الأخرى، فهي ليست صفة للصامت ؛ بل صوت يسبقه او يليه. فكلمة (رَجُل) مثلا تتكون من راء ثم فتحة ثم جيم ثم ضمة ثم لام: (رـَ ج ـُ ل).والذي أوقع القدماء في أغلاط كثيرة في موضوع الحركات، هو الشكل الكتابي.

٣- تخفيف الحرف المضاعف (المكرر).

يقول الاخفش (ت ٢١٥ هـ) :«فأما الثقيل، فحرفان في اللفظ. الأول منهما ساكن، والثاني متحرك، وهو في الكتاب حرف واحد نحو راء «شرّ» ويدلك على ثقل الراء أنّك تَقْدَر أن تخففها فتقول : «شرْ، ولا تستطيع ان تدخل عليها ثقلا

---

(١) المصدر السابق ١١٤/٤.

مع ثقلها. فاعرف الثقل بان تروم فيه الخفة فإن وصلت اليها عرفت انه كان ثقيلا». [1]

٣- الحذف في غير الحركات.

إذ أن العرب كثيرا ما يلجأون إلى حذف حرف من حروف المباني أو حروف المعاني او حذف كلمة او جملة او تركيب معين لوجود قرينة تدل على ذلك الحذف.

قال المبرد (ت٢٨٥ هـ) :"العرب ... تحذف اذاكان فيما ابقوا دليل على ما ألقوا". [2]

٤- ومن مظاهر التخفيف أيضاً ظاهرة الإدغام والإعلال، والإبدال، والقلب المكاني. [3]

وكلها تغيرات صوتية تحدث للفظ الثقيل فتخففه من ثقله، وتتخلص من الصعوبة التي تعترض اللسان وترهق أعضاء النطق.

٥- ومن مظاهرالتخفيف ايضا ظاهرة تخفيف الهمزة.

ويكون ذلك اما بحذفها او ابدالها صوت مد ولين أو صوت علة، أو بالنطق بها (بَيْنَ بَيْن)[4] أي بين نطقها محققة وبين الصوت الذي من حركتها او حركة ما قبلها.

---

(١) كتاب العروض ص ١١٣.

(٢) المقتضب ١١٢/٣.

(٣) انظر هذه الظواهر في اماكنها من هذا البحث (الفصل الثالث) فقد بينت ذلك فيه.

(٤) من المحدثين من يرفض تسمية (همزة بين بين) ويقول :" اذا عدنا إلى الوصف العلمي للهمزة ندرك انها ليس لها سوى صورة واحدة فحسب، هي ما اطلق عليه المحدثون (الحبسة الحنجرية) فإذا اختل اداء هذه (الحبسة) فقدت الهمزة وجودها (عبد الصبور شاهين :القراءات القرآنية ص ١٠٥).

ومخرج الهمزة عند القدماء من اقصى الحلق يقول سيبويه (ت.١٨٠هـ):"فللحلق منها ثلاثة: فاقصاها مخرجا الهمزة والهاء والالف". [١]

ومخرجها عند المحدثين من الحنجرة، فإذا اختل هذا المخرج فقدت الهمزة وجودها. [٢]

ومفهوم تخفيف الهمزة (المحققة) عند القدماء والمحدثين. هو انها تتغير عن مخرجها وصفاتها إلى الصفات الصوتية الاخرى، وهذا التغير الصوتي يجعلها تابعة للحركة التي تصاحبها او التي قبلها.، ومعنى ذلك ان الهمزة لما كانت صوتا ثقيلا تخرج باجتهاد، مال كثير من العرب إلى تخفيفها والتخلص من ثقلها، وخاصة في حشو الكلام أو في آخره. [٣]

وقد درس القدماء موضوع تخفيف الهمزة دراسة مستفيضة، وبيّنوا احكام التخفيف. نلخص دراستهم في الآتي:

١- تخفف الهمزة إلى درجة (بَيْنَ بَيْن) وذلك بجعل نطقها بين الهمزة المحققة والصوت الذي من جنس حركتها او حركة ما قبلها. فالمفتوحة تسهل بين الهمزة والالف، والمكسورة بين الهمزة والياء، والمضمومة تسهل بين الهمزة والواو، وهذا النوع من التخفيف ليس له رمز كتابي وانما يعرف بالمشافهة والسماع. [٤]

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) انظر: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنيه ص ١٠٥.

(٣) انظر الهمزة من حيث تكوينها ومخرجها ومن حيث رسمها وموقعها - عبد الحليم النجار (من مباحث الهمزة في العربية ص ١ وما بعدها / مجلة كلية الاداب جامعة القاهره مجلد ٢١/جزء ١ ١٩٥٩م، وانظر: فؤاد حسنين :"الهمزة" ص ١٢٩ وما بعدها، كلية الاداب جامعة فؤاد الأول القاهرة مجلد ٨ العدد ١، ١٩٤٦م.

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب ٣/٥٥٤، والاخفش الاوسط: معاني القرآن ١/٢٠٢ والمبرد: المقتضب ١/١٥٥.

٢- تخفف الهمزة فتقلب إلى صوت آخر (الف أو واو، أو ياء)، ويكون ذلك غالبا في الهمزة الساكنة التي قبلها متحرك، فتقلب إلى صوت من جنس تلك الحركة. فإذا كانت ساكنة وما قبلها مفتوحا قلبت ألفاً نحو :راس، وان كان ما قبلها مكسوراً قلبت ياء نحو: بيس، وان كان ما قبلها مضموما قلبت واوا نحو: يُومنون.

٣- واذا كان ما قبلها صوت مد ففي تخفيفها عدّة وجوه. إمّا أن تخفف إلى درجة بين بين وخاصة مع الالف، أو تحذف وتنقل حركتها إلى الياء والواو قبلها أو تبدل واوا او ياء وتدغم في الاولى.

٤- وان كانت متحركة وكان ما قبلها ساكنا واريد تخفيفها تنقل حركتها إلى الساكن قبلها وتحذف نحو: المرة والكمة، في المرأة والكمأة.

٥- وتخفف ايضا اذا كانت متحركة بالفتح وما قبلها مضموما او مكسورا فتقلب إلى صوت من جنس الحركة التي قبلها فتبدل مع الضم واوا ومع الكسر ياء.[1]

والغرض من جميع وجوه التخفيف في اثناء الكلام هو طلب السهولة في النطق والتخفيف على اللسان وأعضاء النطق.

والذي يهمنا من دراسة القدماء لظاهرة تخفيف الهمزة هو المصطلحات التي استخدموها للدلالة على الظاهرة.

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٥٤١/٣ وما بعدها، وابن قتيبة: أدب الكاتب ص ٢١٠ وما بعدها، والمبرد: المقتضب ١٥٥/١ وما بعدها، والزجاجي كتاب الجمل ص ٢٧٩، والزمخشري : المفصل ص ٣٤٩، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠٧/٩ وما بعدها، والاستراباذي: شرح الشافية ٣٠/٣ وما بعدها.

ان المصطلح الاساس الذي استخدمه العلماء للدلالة على التغيرات الحادثة على الصوت المحرك والصوت المشدد او على الكلمة، أو على تغيّرات الهمزة هو مصطلح"التخفيف" ومشتقاته نحو: تخفف، وخففت، واخفف، ومن يخفف، والذين يخففون، والهمزة المخففة، وغيرها.

وأول من استخدم مصطلح "التخفيف" هو الخليل بن احمد الفراهيدي (ت.١٧٠هـ) وقد اطلقه على تسكين الصوت المتحرك إذ قال:«الشحْط: البعد في الحالات كلها، يخفف ويثقل»[١] وقال :"تخفيف الرّهط احسن من ثقله"[٢] وقال:«الفخِذ: وصل ما بين الورك والساق، ويخفف، فيقال: فَخْذ في لغة سفلى مضر، وهي مؤنثة، وكسرت الفاء على اعقاب كسرة الخاء حيث اسكنت، ومن فتحها مع سكون الخاء تركها على ما كانت، كما قالوا في العَقِب: عَقْب، فلزموا الفتحة، وفي الكَتِف: كِتْف، فلزموا الكسرة».[٣] كما استخدمه ايضا للدلالة على تخفيف الصوت المشدد في نحو قوله :"كان الاصل بناء شَيْء، شَيِّء، بوزن فَيْعِل، ولكنهم اجتمعوا قاطبة على التخفيف كما اجتمعوا على تخفيف ميت، وكما خففوا السيِّئة. كما قال:

والله يَعفُو عَلى السيِّئاتِ والزَّلَلِ[٤]

واستخدمه ايضا للدلالة على التغيرات الصوتية الطارئة على الكلمة من قلب مكاني وابدال وغيرهما وذلك عندما قال : "فلما كان الشيء مخففا ... وجمع

---

(١) العين ٣/٩٠.
(٢) العين ٤/١٩.
(٣) العين ٤/٢٤٥.
(٤) العين ١/٢٩٥.

على فعلاء فخفف جماعته كما خفف واحدته ولم يقولوا: أشيئاء". [١]
وقال:"أشياء: خففت كما خففوا ياء الميتة والميت ... واشياء اسم للجميع كان اصله: فعلاء "شيئاء" فاستثقلت الهمزتان فقلبت الهمزة الاولى إلى اول الكلمة فجعلت "لفعاء" كما قلبوا: أنوق فقالوا: أينق، وكما قلبوا: قسوس فقالوا: قِسِي". [٢] وما أسسه الخليل بن أحمد من مصطلحات شاع عند من جاء بعده. [٣]

وإن كان مصطلح التخفيف عندهم قد ارتبط اكثر بالتغيرات الطارئة على الهمزة فقد استخدمه سيبويه (ت.١٨٠هـ) احيانا للدلالة على تسكين الصوت المتحرك.

ومن ذلك قوله:"وذلك قولهم في: فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ، وفي الرَّجلِ: رَجْلٌ، وفي كَرُمَ الرّجُلُ: كَرْمَ، وفي عَلِمَ: عَلْمَ». [٤] واضاف:"ومثل ذلك: غُزْيَ الرجل. لا تحول الياء واواً، لانها انما خففت والأصلُ عندهم التحَرُّك، وأن تجرى ياء، كما أن الذي خفّف الأصل عنده التحَرُّك وأن يجرى الاول في خلافه مكسورا" [٥] وقال ايضا:"واذا تتابعت الضمّتان فان هؤلاء يخففون ايضا". [٦]

واستخدم مصطلح " التخفيف" ايضا للدلالة على جميع التغيرات الصوتية الحادثة على الهمزة بتخفيفها (بين بين اوابدالها او حذفها)، وقد صرح بذلك إذ قال:«وأمّا التخفيف فتصيرالهمزة فيه بين بين، وتبدل وتحذف». [٧]

---

(١) المصدر السابق ٣٢/١.
(٢) المصدر السابق ٢٩٦/١-٢٩٧.
(٣) مثل: سيبويه، والاخفش، والمبرد، والفراء، وثعلب، وغيرهم.
(٤) سيبويه: الكتاب ١١٣/٤.
(٥) المصدر السابق ١١٦/٤.
(٦) المصدر السابق ١١٤/٤.
(٧) المصدر السابق ٥٤١/٣.

وقال أيضاً:«اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها اذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة ...وذلك قولك سَأَل ... وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة... وذلك قولك: يَئِسَ وسَئِمَ ...واذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة». [1]

واستخدمه أيضاً أثناء حديثه عن ابدال الهمزة إذ قال :"واعلم ان كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنك تبدل مكانها ياء في التخفيف، وذلك قولك في (المِئَرْ: مِيَرٌ، وفي يُريدُ أنْ يُقْرِئَكَ: يُقْرِيكَ ... وان كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة واردت أن تخفف ابدلت مكانها واوا ... وذلك قولك في التُّؤَدة: تُودة، وفي الجُؤَن: جُوَنٌ". [2]

واستخدمه أيضاً أثناء حديثه عن حذف الهمزة إذ قال :«واعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فاردت ان تخفف حذفتها والقيت حركتها على الساكن الذي قبلها وذلك قولك: مَنَ بُوكَ ومنُ مُّكَ وكَم بِلُكَ، اذا اردت أن تخفف الهمزة في الأب والأمّ والإبل». [3]

واضح من أن سيبويه استخدم مصطلح "التخفيف" للدلالة على جميع التغيرات الصوتية الحادثة على الهمزة.

واستخدام سيبويه لمصطلح "بَيْنَ بَيْن" واضح منه انه يقصد به تقريب نطق الهمزة من اصوات المد واللين بحيث لا تنطق همزة خالصة ولا تقلب صوت مدٌ خالصاً، أو تقريب نطق هذه الأصوات من نطق الهمزة بحيث تقترب من الهمزة ولكنها لا تهمز نهائيا. وهذا التخفيف يتأتّى من المشافهة والسماع.

---

(١) المصدر السابق ٣/٥٤١-٥٤٢.

(٢) المصدر السابق ٣/٥٤٣.

(٣) سيبويه :الكتاب ٣/٥٤٥.

أمّا مصطلحا (القلب والإبدال) فهما يدلان عنده على تخفيف يحدث للهمزة بازاحتها عن مخرجها وصفاتها الطبيعية نهائيا، وذلك كما رأينا بقلبها وابدالها ابدالا خالصا إلى صوت آخر، وهذا النوع من التغيير الصوتي في الهمزة هو تخفيف جاء نتيجة عارض صوتي معين في بناء معين، جعلها تنقلب نهائيا وكليا إلى صوت آخر، فرارا من الاستثقال، وطلبا للتخفيف في الاستعمال، والتسهيل في النطق.

أما مصطلح الحذف، فواضح انه يقصد به سقوط الهمزة من النطق نهائيا واخفاء صوتها، والغرض من ذلك هوالتخلص من ثقلها في الالفاظ الكثيرة الاستعمال، ما دام هذا الحذف لا يحدث التباسا في المعنى. واستعمل سيبويه الفاظا وصفية مختلفة للدلالة على صور من التخفيف منها:

١- صيرورتها ألِفاً: قال:"لو كانت (الهمزة) متحركة لصيّرتها الفا كما صيرت همزة جاىء ياء وهي متحركة للكسرة التي قبلها". [1]

٢- جعل: قال:"فجعلوها بين بين ليعلموا ان اصلها عندهم الهمز" [2] اي خففها بين بين.

٣- تُضَعَّفُ الصوت ولاتتمة وتخفي: قال:"...تكون بزنتها محققة غير انك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى". [3]

٤- التقريب : قال :"اذا اردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة ... لانك تقربها من الساكن". [4] اي انك تزيحها من مخرجها وتنحو بها نحو مخرج الالف.

---

(١) سيبويه: الكتاب ٣/٥٥٢.

(٢) المصدر السابق ٣/٥٤٢.

(٣) المصدر السابق ٣/٥٤١-٥٤٢.

(٤) المصدر السابق ٣/٥٤١-٥٤٢.

واستخدم الفراء (ت٢٠٧هـ) مصطلح التخفيف للدلالة على تخفيف الهمزة قال اثناء تعليقه على "اشياء" :"وقد قال فيها بعض النحويين:انما كثر في الكلام وهي "افعال" فاشبهت "فعلاء" فلم تصرف، لان الحرف إذا كثر به الكلام خَفَّ.. ولكنا نرى أنّ "اشياء" جمعت على "أفعلاء" كما جمع لين واليناء، فحذفت من وسط اشياء همزة، كان ينبغي لها ان تكون "اشيئاء" فحذفت الهمزة لكثرتها". [١]

واستخدم لفظ (القاء الهمزة، لاتهمز، وترك همزها، ولم يهمزوا) بمعنى التخفيف، اثناء حديثه عن تخفيف الهمزة قال في قوله تعالى (يا آدم انبئهم بأسمائهم) البقرة آية /٣٣ اذا همزت قلتَ :"أنْبِئْهُمْ" ولم يجز كسر الهاء والميم، لانها همزة وليست بياء فتصير مثل عليهِمِ وان القيت الهمزة فاثبت الياء أو لم تثبتها جاز رفع "هم" وكسرها " [٢] هنا استخدم لفظ (القيت) بمعنى خففت.

وقال في تعليل قوله تعالى (سل بني اسرائيل) البقرة آية/٢١١ لا تهمز [٣] في شيء من القرآن لانها لو همزت كانت (اسأل) بالف (يعني همزة) وانماترك همزها في الامرخاصة لأنها كثيرة الدور في الكلام. فلذلك تركت همزة كما قالوا:كُلْ وخُذْ، فلم يهمزوا في الأمر، وهمزوه في النهي وما سواه، وقد تهمزه العرب، فاما في القرآن فقد جاء بترك الهمز". [٤] وقال :(وجعلنا لكم فيها معايش) الاعراف آية /١٠ لا تهمز لانها مَفعِلَة فالياء من الفعل فلذلك لم تهمز، انما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة، مثل مدينة ومدائن وقبيلة وقبائل". [٥] هنا استخدم هذه الالفاظ بمعنى التخفيف.

---

(١) الفراء: معاني القرآن ٣٢١/١.

(٢) الفراء: معاني القرآن ٢٦/١.

(٣) يعني هنا انها تخفف وتحذف.

(٤) الفراء: معاني القرآن ١٢٤/١.

(٥) المصدر السابق ٣٧٣/١.

واستخدم الاخفش الاوسط (ت ٢١٥هـ) مصطلح التخفيف للدلالة على تسكين الصوت المتحرك وذلك عندما قال :"اعلم ان الخفيف يكون ساكناً نحو: راء، بُرْد، ومتحركا بالحركات كلها نحو: باء، كَبُرَ وكَبِرَ وكَبَرَ، ويعرف انه خفيف بان تروم فيه الثقل، فان وصلت إلى ذلك ورأيت الحرف قد تغيّر، ودخله ما لم يكن فيه، علمت انه خفيف، الا ترى انك اذا اردت ان تثقل باء كَبَرَ لقلت: كَبَّرَ، فلو كانت ثقيلة لم تدخل عليها ثقلا على ثقلها" [١] وقال ايضا :"وكل الحروف تكون ساكناومتحركا وخفيفاً وثقيلاً الا الالف والنون الخفيفة". [٢]

كما انه استخدم مصطلح (التخفيف) للدلالة على تخفيف الهمزة سواء أكانت (بين بين) او قلبت صوتا آخر او حذفت نهائيا.

قال في الهمزتين المتجاورتين في كلمتين :"الهمزتان اذا التقتا وكانتا من كلمتين شتى. مخففة إحداهما، ولم يبلغ من استثقالها أن تجعلا مثل المجتمعين في كلمة واحدة... فتخفيف الآخرة أقيس، كما أبدلوا الآخرة حين اجتمعتا في كلمة واحدة، وقد تخفف الأولى" [٣]، وقال :"وأما (أأنْذَرْتَهُم) فإنَّ الأولى لا تخفف لأنّها أول الكلام، والهمزة إذا كانت أوّل الكلام لم تخفف، لأن المخففة ضعفت حتى صارت كالساكن فلا يُبتدأ بها" [٤] واستخدم مصطلح "البدل" في قوله:"إذا اجتمعت همزتان في كملة واحدة ابدلوا الآخرة منهما ابدا" [٥] أي خفّفوا.

---

(١) الاخفش الاوسط: كتاب العروض ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق ص ١١٣.

(٣) الاخفش الاوسط: معاني القرآن ٢٠٠/١.

(٤) المصدر السابق ٢٠٠/١-٢٠١؛ وانظر ص ٢٠٣.

(٥) المصدر السابق ١٩٩/١.

واستخدم المازني (ت٢٤٧هـ) مصطلح (القلب والإبدال) للدلالة على تخفيف الهمزة قال :"إذا التقت الهمزتان في كلمة واحدة فلا بد من ابدال الثانية". [١] وقال في خطايا ورزايا «... فاجتمع همزتان فقلبت الثانية». [٢] وجمع ابن السكيت (ت ٢٤٣ هـ) الالفاظ التي تحقق فيها الهمزة مرة وتخفف اخرى وذلك عندما قال :"ويقال: المئشار بالهمز وجمعه مآشير وقد أشَرْتُ الخشبة فهي مأشورةٌ وأنا واشرٌ، ويقال أيضاً: الميشار بلا همز، وقد وَشَرْتُ الخشبة فهي موشورة وأنا واشار". [٣] بهذه الطريقة كان عمل ابن السكيت. يقوم برصد الالفاظ المهموزة والمخففة، دون تعليل وتحليل.

وكذلك فعل ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ) حينما تناول الهمزة من حيث التحقق والتخفيف، حيث رصد الألفاظ المهموزة والمخففة دون تعليل وتحليل قال في باب ما يقال بالهمز والواو :«وشاح وإشاح، ووعاء وإعاء، ووكاف وإكاف، وإسادة ووسادة، ووقاء وإقاء». [٤]

واستخدم المبرد (ت ٢٨٥ هـ) مصطلح "التخفيف" في أكثر من موضع في كتابه المقتضب للدلالة على تخفيف الهمزة فقد خصص فيه باباً اطلق عليه "باب الهمز"[٥] تحدث فيه عن مخرج الهمزة وصفاتها وثقلها. واستخدم فيه لفظ التخفيف للدلالة على تخفيف الهمزة قال وهو يتحدث عن الهمزة المحققة:"فلتباعدها من الحروف، وثقل مخرجها، وأنها نبرة في الصدر، جاز فيها

---

(١) المنصف ٥٢/٢.

(٢) المنصف ٥٤/٢.

(٣) ابن السكيت: اصلاح المنطق ص ١٤٥.

(٤) ابن قتيبة: ادب الكاتب ص ٤٦١.

(٥) المقتضب ١٥٥/١.

التخفيف".[١] وقال أيضاً:"والمخففة بوزنها محققة إلا أنكَ خففتَ النبرة لأنك نحوت بها نحو الالف". [٢]

واستخدم مصطلح (بَيْنَ بَيْن) للدلالة على تخفيف الهمزة عندما قال: «إذا خففت الهمزة جعلتها بين بين». [٣] وشاع المبرد استخدام مصطلح القلب للدلالة على تخفيف الهمزة. قال وهو يتحدث عن الهمزة المحققة: «واعلم أنَّ الهمزة اذا كانت ساكنة فانها تقلب- اذا أردت تخفيفها- على مقدار حركة ما قبلها، وذلك قولك في (رأس، وجُؤْنة، وذئْب) اذا اردت التخفيف (راس، وجُونة، وذِيْب)».[٤] واستخدم مصطلح (البدل) أيضاً للدلالة على تخفيف الهمزة. وذلك عندما قال:"اعلم ان قوما من النحويين يرون بدل الهمزة من غير علة جائزاً فيجيزون قَرَيْت واجتَرَيْت في معنى قرَأتُ، واجتَرأتُ" [٥] وقال ايضاً :«النحويون يرون إذا اجتمعت همزتان... في كلمة واحدة ابدلوا الثانية، منهما واخرجوها من باب الهمزة». [٦] يستنتج من النصوص السابقة الذكر أن مصطلحي "القلب والإبدال" استعملا للدلالة على مفهوم نقل الهمزة من مخرجها وصفاتها إلى الصفات الصوتية الاخرى.

واستخدم مصطلح (الحذف) ايضا للدلالة على تخفيف الهمزة وذلك عندما قال: "واعلم أن الهمزة المتحركة اذا كان قبلها حرف ساكن فأردتَ تخفيفها فإنّ

---

(١) المصدر السابق ١/١٥٥.
(٢) المصدر السابق ١/١٥٥.
(٣) المصدر السابق ١/١٥٩.
(٤) المصدر السابق ١/١٥٧.
(٥) المصدر السابق ١/١٦٥.
(٦) المصدر السابق ١/١٥٨.

ذلك يلزم فيه ان تحذفها وتلقي حركتها على الساكن الذي قبلها"[١]، واستخدم الفاظاً اخرى للدلالة على ظاهرة التخفيف منها:

١- نحوت بها نحوالواو :قال:"فإن كانت قبلها فتحة وهي مضمومة نحوت بها نحو الواو ... وكذلك المكسورة ينحى بها نحو الياء" [٢] أي جعلتها بين بين.

٢- جعل: قال :"ان كانت قبلهاكسرة جعلت ياء خالصة" [٣] اي قلبت ياء خالصة". وقال: "وإن كان ما قبلها مضموماً وهي مفتوحة، جُعِلت واواً خالصة" [٤] بمعنى قلبت.

٣- اخلصتها أو تخلصها الفا أو واوا أوَ ياء. قال:"مِئَرْ: فإن خَفّفتَ الهمزة قلتُ: مِيرَ تخلصها ياء" [٥] وقال: جُؤَن مهموز، فإن خففت الهمزة اخلصتها واوا، فقلت: جُوَنٌ". [٦]

واضح من هذه الاستعمالات ان المبرد استعملها بمعنى القلب والإبدال .

٤- اخرجوها: قال:"اذا اجتمعت همزتان... في كلمة واحدة أُبدِلت الثانية واخرجوها من باب الهمزة " [٧] اي خففوها.

---

(١) المصدر السابق ١/١٥٩.

(٢) المقتضب ١/١٥٦.

(٣) المصدر السابق ١/١٥٦.

(٤) المصدر السابق ١/١٥٧.

(٥) المصدر السابق ١/١٥٦-١٥٧.

(٦) المصدر السابق ١/١٥٧.

(٧) المصدر السابق ١/١٥٨.

٥- تزيحها: قال: الهمزة المخففة "النبر فيها اقل لانك تزيحها عن مخرج الهمزة المحققه" (١) اي اخراجها من مخرج غير مخرجها الاصلي.

هذه الاستعمالات كلها تدل على التخفيف الذي يلحق الهمزة اثناء الكلام، واستخدم ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) مصطلح "التخفيف" اثناء حديثه عن الهمزة في (مرأة وكمأة) قال :"وقد أجرت العرب الحرف الساكن؛ اذا جاوَرَ الحرف المتحرِّك، مُجري المتحرك، وذلك قولهم فيما حكاه سيبويه: المرَاة والكَماة، يريدون: المرْأة، والكمْأة. ... ثم خففتا، فابدلت الهمزتان ألِفَيْن لسكونهما وانفتاح ما قبلهما، فقالوا: مراة وكماة" (٢) وقال: قال سراقة البارقي :

أُرِي عَيْنَيَّ ما لَمْ تَرْ أياهُ   كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ

وقد رواه ابو الحسن ما لم ترياه على التخفيف الشائع عنهم في هذا الحرف" (٣) كما انه استخدم لفظ "الإبدال" بمعنى التخفيف قال: عن قول الشاعر:

إذا اجتَمَعَوا عَلَيّ وأشْقَذوني   فَصِرْتُ كأنني فَرَأَ مُتار

اراد مُتْأر، فنقل الفتحة الى التاء، وأبدل الهمزة الفا، لسكونها وانفتاح ما قبلها، كماترى، فصارت مُتار". (٤)

واستخدم مصطلح "القلب" للدلالة على التخفيف ايضا.

قال اثناء حديثه عن فتحة همزة "أيَومَ لَمْ يُقْدَرَ أمْ يَوْمَ قُدِر"...؛ فتَسْكُنُ الهمزة، وقبلها الراء مفتوحة، فتُقلب الهمزة الفا للتخفيف". (٥)

---

(١) المصدر السابق ١/١٥٦.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٨٥-٨٦؛ وانظر: ١/٩٢.

(٣) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٨٦.

(٤) المصدرالسابق ١/٨٨.

(٥) المصدرالسابق ١/٩١.

وقد استخدم مصطلحي (البدل والقلب) في اكثر من موضع من كتابه (سر صناعة الاعراب). [١]

واستخدم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) مصطلح "التخفيف" للدلالة على التغيرات التي تصيب الهمزة من ابدال وحذف وبَيْنَ بَيْن قال:"وفي تخفيفها ثلاثة اوجه الإبدال والحذف وان تجعل بين بين اي بين مخرجها وبين مخرج الحرف الذي منه حركتها". [٢]

واستخدم ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) مصطلح "التخفيف" ايضا للدلالة على التغيرات التي تصيب الهمزة كما فعل الزمخشري ومن سبقه وعقد للتخفيف مبحثاً بعنوان (تخفيف الهمزة) استخدم فيه المصطلحات الدالة على التغيرات الدالة على تخفيف الهمزة مثل (تقلب الهمزة ألِفاً). [٣] والحذف (فالطريق في تخفيفها أن تُلقي حركتها على ما قبلها وتحذفها). [٤] وقوله (ولزم هذا التخفيف والحذف لكثرة الاستعمال [٥] و (بين بين) اي (بين مخرج الهمزة وبين مخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة). [٦]

وكان ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) من قبل قد استخدم مصطلحات سابقيه بقوله:"وكل همزة متحركة وقبلها حرف متحرك فتخفيها بأن تجعلها "بين بين" إلا أنْ تكون مفتوحة قبلها ضمة او كسرة فإنك تبدلها، وإنما صارذلك كذلك؛ لأن الهمزة لو خففتها وقبلها ضمة او كسرة لنحوت بها نحو الألف، والألف لا يكون

(١) انظر: سر صناعة الاعراب ١/١٠٦-١٠٧-١٠٩-١١١.

(٢) المفصل ص ٣٤٩ وانظر ص ٣٥١.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١٠٧/٩.

(٤) شرح المفصل ١٠٩/٩-١١٠.

(٥) المصدر السابق ١١٠/٩.

(٦) المصدر السابق ١١٢/٩.

ما قبلها الا مفتوحا، وذلك محال". [1] وقال ايضاً:"وان كان قبلها ضمة ابدلتها واوا، وإن كان قبلهـــا كسرة ابدلتها ياء، فتقول في التخفيف من التؤدة التودة فيجعلونها واوا خالصة". [2]

استعمل ابن السراج فيما تقدم لفظ (بين بين، تبدلها، خففتها، لنحوت، ابدلتها، التخفيف، فيجعلونها) كل هذه الالفاظ تدل على تخفيف الهمزة.

واستخدم جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) مصطلحات سابقيه للدلالة على ظاهرة تخفيف الهمزة أثناء حديثه عن الهمزة قال "جاز ان تخفف بابدالها حرفا من جنس حركة ماقبلها فتبدل الفا في كأس وياء في ذئب وواو في بؤس، وان تحركت الهمزة بعد ساكن خففت بحذفها ونقل حركتهاالى الساكن قبلها كقولك في اسأل سل". [3]

ويتبيّن من خلال عرض المصطلحات الدالة على التغيرات الصوتية الحادثة للهمزة، أن القدماء كانوا متابعين لسيبويه في عرض ظاهرة التخفيف والمصطلحات الدالة عليها دون أي اضافة تذكر وتكاد تكون عباراتهم عباراته نفسها. [4]

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد استخدموا مصطلح "التخفيف" للدلالة على ظاهرة التغيرات الصوتية التي تحدث للهمزة، مثلهم في ذلك مثل القدماء، وهذا يدل على ان المصطلح كان احسن من غيره، من حيث الاستقرار والوضوح بين القديم والحديث.

---

(١) الاصول في النحو ٢/٤٠٠.

(٢) المصدر السابق ٢/٤٠٠.

(٣) همع الهوامع ٢/٢٢١.

(٤) انظر: المبرد: المقتضب ١/١٥٥ وما بعدها، وابن السراج: الاصول ٢/٤٠٠-٤٠٢ وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٨٦ - ١٠٦ - ١٠٧، والزمخشري: المفصل ص٣٤٩ - ٣٥١، وابن يعيش: شرح المفصل ٩/١٠٩ وما بعدها، والسيوطي: همع الهوامع ٢/٢٢١-٢٢٢.

وقد درس المحدثون ظاهرة التغيرات التي تحدث للهمزة ضمن ظاهرة التخفيف في اللغة بوجه عام وذلك في ابواب (المماثلة Assimilation) والمخالفة (Dissimilation). والمماثلة والمخالفة - كما ذكرنا من قبل في بحث الإدغام والإبدال والإعلال [١] هما نوع من التخفيف الذي يلجأ اليه الانسان بتغيير صوت أو مجموعة من الأصوات المتجاورة سواء اكانت متشابهة ام متباعدة نستبدل بها رموزا صوتية منسجمة.

ونشأ عن دراسة المحدثين للهمزة خلاف بينهم وبين القدماء في طبيعة الهمزة.

فالهمزة عند القدماء صوت شديد مجهور، وهونبرة في الصدر يخرج باجتهاد من أقصى الحلق، وهو أبعد الأصوات مخرجا، وعملية النطق بها وهي محققة من أصعب العمليات الصوتية، وهي اذا خففت بَيْنَ بَيْن تبقى بزنة المحققة، وانما خففنا النبرة فقط. [٢]

هذا الوصف للهمزة جعل كمال بشر يقول :"أمّا آراء علماء العربية القدامى في وصف الهمزة فهي آراء كلها اضطراب وخلط". [٣] وهي عند المحدثين، صوت صامت حنجري انفجاري لا بالمجهور ولا بالمهموس. [٤]

إذن الخلاف بينهم في مخرجها وفي صفاتها، فمخرجها عند المحدثين من الحنجرة وعند القدماء من أقصى الحلق، وصفتها عند المحدثين لاهي مجهورة ولا مهموسة وعند القدماء مجهورة.

---

(١) انظر من ص٢٤٨ إلى ص٢٩٢، ومن ص٤٠٤ إلى ص ٤٣٦ من هذا البحث.

(٢) انظر: عبد الله بوخلخال: التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية ص ٣٨١.

(٣) كمال بشر: الأصوات ص ١١٢.

(٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٥٧، وكمال بشر: الأصوات ص ١١٢، وعبد الصبور شاهين: الأصوات في قراءة أبي عمر بن العلاء ص١٤٣.

ومن هنا فإن المحدثين عالجوا قضية الهمزة من حيث طبيعتها علاجا يختلف عن علاج القدماء لها، كما انهم اهتموا بتغيراتها الصوتية من حذف أو إبدال أو بَيْنَ بَيْن. واستخدموا مصطلح "التخفيف" أثناء دراستهم للدلالة على هذه التغيرات.

قال إبراهيم أنيس :"وقد مالت اللهجات العربية في العصور الإسلامية إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقها محققة لما تحتاج إليه حينئذ من جهد عضلي. فالهمزة المشكلة بالسكون قد تسقط من الكلام ويستعاض عن سقوطها بإطالة صوت اللين قبلها، فينطق بعض القراء:"يُومنون" في "يؤمنون" و"ذِيب" في "ذئب" و "رَاس" في "رأس".

والهمزة المتحركة وقبلها متحرك متعددة الأحكام، وقد فُصلت أحكامها في المطولات من كتب القراءات " [١] وقال أيضاً:" وإذا كانت الهمزة المفردة قد احتاجت إلى جهد عضلي جعل اللهجات العربية تفر منها بتسهيلها مرة وسقوطها مرة اخرى.

ومما لا شك فيه ان توالي همزتين أشقُ، ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر في نطقها. لذلك افردت كتب القراءات أبواباً لأحكام الهمزتين المتواليتين". [٢]

ولا يوجد اختلاف بين وصف القدماء ووصف المحدثين للهمزة المخففة إذا أردت إبدالها أو حذفها لعلة صوتية حتمت ذلك التخفيف. وإنما الخلاف بينهما في همزة (بَيْنَ بَيْن). فقد عدّها القدماء كالهمزة المحققة، إلا أننا خففنا النبرة فقط. [٣] فهمزة (بَيْنَ بَيْن) في رأي القدماء صوت صامت، ولكنه ضعيف غير

(١) الأصوات اللغوية ص ٩١.

(٢) المرجع السابق ص ٩٢.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٥٤٧/٣ والمبرد: المقتضب ١٥٥/١.

متمكن، وهي برغم هذا تقع موقع المحققة وهي بزنتها ولكنها سُهِّلَت فقط أو لُيِّنَت.

أما في رأي المحدثين فهي ليست همزة على الاطلاق لانها فقدت قيمتها الصوتية وتحولت إلى مزدوج من حركتها والحركة التي قبلها.

يقول ابراهيم انيس :"اما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفا علميا مؤكدا،، واذا صح النطق الذي سمعته من افواه المعاصرين من القراء، تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة حركة وراءها، فالذي نسمعه حينئذ لا يمتُّ إلى الهمزة بصلة بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة، من فتحة او ضمة او كسرة. ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين قصيرين، وهو مايسميه المحدثون (Hiatus) – (اي الفاصل بين الصائتين)[1]-، ويغلب في معظم اللغات ان تؤدي مثل هذه الحالة إلى صوت لين انتقالي، ينشأ من الحركتين أو صوتي اللين القصيرين.

والذي يؤيد ما نذهب اليه بشأن نطق الهمزة (بين بين) ان مثل هذه القراءة لا تكون الا حين تحرك الهمزة بحركة ما، أمّا الهمزة المُشَكّلة بالسكون فلا تقرأ بين بين".[2]

وهذا الرأي اكده عبد الصبور شاهين، ونفى وجود همزة (بين بين) ، فالهمزة إمّا أن تكون محققة او تخرج نهائيا من وصف الهمزة. يقول :"ولعلنا اذا عدنا إلى الوصف العلمي للهمزة ندرك انها ليس لها سوى صورة واحدة فحسب هي ما اطلق عليه المحدثون (الحبسة الحنجرية) فإذا اختل اداء هذه (الحبسة) فقدت الهمزة وجودها".[3]

---

(١) انظر: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ص ٣٥.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٩٢.

(٣) القراءات القرآنية ص ١٠٥.

وان همزة "بين بين" يعنى في الواقع سقوط الهمزة اساسا واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة بحيث يتكون لدينا المزدوج بالمعنى الكامل ... ان الهمزة ليست في الغالب سوى وظيفة صوتية يعمد اليها "المحققون"، وهم الذين يريدون ان يؤكدوا نبرهم للمقطع المنبور، أمّا المُخَفِّفون فلم يريدوا هذا التأكيد واكتفوا بهذا المزدوج الذي يعنى تتابع حركتين لهما من الطول او التوتر ما يؤدي مهمة النبر، ويبرز وجود المقطع المنبور". [١]

وهذا ما يفسر قول القدماء في قضية تخفيف نبر الهمزة المخففة (بين بين) ولكنها ليست همزة محققة ولا مبدلة نهائيا. حسب ما سبق ان فُصِّل.

القلب عند القدماء:

١- استخدم العلماء القدماء مصطلح (القلب) بمعنى الإبدال. فقد عنون سيبويه باباً في موضوع الإبدال سماه «هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات»[٢] والمراد ما تبدل فيه السين صاداً ليس القلب المكاني، وقال أيضاً: «كما قلبوا النون ميماً مع الباء إذا كانت الباء في موضع حرف تقلب النون معه ميماً»،[٣] وكذلك استخدم المازني (ت٢٤٧هـ) لفظ (القلب) بمعنى الإبدال قال: «هذا باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها». [٤] وكذلك استخدم المبرد (ت٢٨٥هـ) لفظ (القلب) بمعنى الإبدال قال: «هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً وتركها على لفظها أجود»،[٥] والمراد ما تبدل.

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٥.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٧٩.

(٣) المصدر السابق ٤/٤٧٩.

(٤) المنصف ٢/٣٢٤.

(٥) المقتضب ١/٢٢٥.

٢- كما استخدموا مصطلح (القلب) في أبواب الإعلال للدلالة على تغير أصوات العلة عن أصلها.

قال سيبويه: «هذا باب تقلب الواو فيه ياء»[١] و «هذا باب تقلب فيه الياء واواً»[٢] و «هذا باب ما إذا التقت فيه الهمزة والياء قلبت الهمزة ياء والياء ألفاً».[٣]

واضح من هذا أن سيبويه يريد بلفظة (تقلب وقلبت) في هذه المواضع وفي غيرها من أبواب الإعلال (تعل وأعلت) ولا يعني بها القلب المكاني، فالسياق والأمثلة المدروسة توضح ذلك[٤]

٣- كما استخدموه في أبواب تخفيف الهمزة بمعنى الإبدال. قال سيبويه: «والهمزة قد تقلب وحدها ويلزمها الإعتلال»[٥] يريد تبدل ولا يقصد القلب المكاني. وقال المبرد (ت٢٨٥هـ): «الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تقلب- إذا أردت تخفيفها- على مقدار حركة ما قبلها»[٦] وقال أيضاً: «فإذا كانت ساكنة فإنما تقلبها على ما قبلها ...»[٧] المقصود هنا تخفيف الهمزة بقلبها صوتاً آخر ليِّناً وليس المراد القلب المكاني.

كما أنهم استخدموا مصطلح (قلب) للدلالة على معان أخرى منها:

---

(١) الكتاب ٤/ ٣٦٠.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٦٤.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٩٠.

(٤) انظر: موضوع الإعلال من هذا البحث.

(٥) الكتاب ٤/٣٩٠.

(٦) المقتضب ١/١٥٧.

(٧) المصدر السابق ١/١٥٧.

١- استخدموه بمعنى عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. قال سيبويه تقول: «مَرَرْتُ برجلٍ مَعَهُ الفَرَسُ راكِبٍ بِرْذَوْناً، إن لم تُرِد الصفة نصبتَ، كأنك قلت: مَعَهُ الفرَسُ راكباً برذوناً، فهذا لا يكون فيه وصف ولا يكون إلا خبراً،[1] ولو كان هذا على القلب كما يقول النحويون لفسد كلام كثير ...»[2]

٢- استخدموه أيضاً بمعنى التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر. قال سيبويه: «وسألت الخليل، فقلت: ما منعهم أن يقولوا: أحقاً إنك ذاهب، على القلب، كأنك قلت: إنك ذاهب حقاً وإنَّكَ ذاهبٌ الحقٌّ ... فقال: ليس هذا من مواضع إنَّ، لأن إنّ لا يُبتَدَىء بها في كل موضع».[3]

٣- استخدمه سيبويه أيضاً في أثناء حديثه عن قلب فعل الشرط المضارع ماضياً عندما قال: «يقبح أن تقول: أتَذْكُرُ إذْ إنْ تأتِني آتيكَ. فلو قلت: إن أتيتني آتيك على القلب كان حسناً».[4]

وخلاصة ذلك أن مصطلح (القلب) ومشتقاته استخدمه القدماء بدلالات متنوعة صوتية وصرفية ونحوية، كلها تدور من حيث المعنى العام في فلك واحد هو تغيير اللفظ أو التركيب عن وجهه الأصلي، أو الحكم الإعرابي.

أما علماء التجويد والقراءات، فلم يدرسوا ظاهرة القلب المكاني، ولم يستخدموا مصطلح (القلب) للدلالة على القلب المكاني، سوى ما ذكره الفراء (ت٢٠٧هـ) إمام مدرسة الكوفة في عصره أثناء تفسيره لقوله تعالى: «لا تسئلوا

---

(١) يقول السيرافي: يريد حالاً.

(٢) الكتاب ٢/٥٠.

(٣) المصدر السابق ٣/١٣٥.

(٤) الكتاب ٣/٨٣.

عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم» المائدة آية/ ١٠١، قال: «وأشياء في موضع خفض لا تجـــري، [١] وقد قال فيها بعض النحويين، إنما كثرت في الكلام وهي (أفعال) فأشبهت فعلاء فلم تصرف كما لم تصرف حمراء، وجمعها: أشاوى، كما جمعوا عذراء عذارى، وصحراء صحارى، وأشياوات، كما قيل حمراوات، ولو كانت على التوهم لكان أملك الوجهين بها أن تجري، لأن الحرف إذا أُكثِرَ به الكلام خف. ولكنا نرى أن أشياء جمعت على أفعلاء كما جمع لينَ وأليِناء فحذف من وسط أشياء همزة كان ينبغي لها أن تكون (أشيئاء) فحذفت الهمزة لكثرتها ... فلو منعت أشياء الجري لجمعهم أياها أشياوات لم أُجرِ أسماء ولا أبناء لأنهما جمعت أسماوات وأبناوات».[٢] هذا ما وجدته عندهم حول ظاهرة القلب المكاني.

أما المحدثون من دراسي الأصوات العربية، فقد درس أغلبهم هذه الظاهرة، وكانت دراستهم تدور في الغالب في فلك القدامى، من حيث حصر ما عدّ مقلوباً. واستخدموا أثناء دراستهم مصطلح (القلب المكاني).

فقد قام إبراهيم أنيس بمحاولة لدراسة بعض الألفاظ المقلوبة وتفسيرها، وأخضع ظاهرة القلب المكاني إلى ما أسماه بالسلاسل الصوتية وانتهى إلى أن المقلوب أكثر استعمالاً من المقلوب منه. لأن الجديد محبوب ومأنوس.[٣]

ويذهب إلى أن الغرض من القلب المكاني هو الميل إلى اليسر وتلمس الأصوات السهلة التي لاتحتاج إلى جهد عضلي.[٤] وتحدث رمضان عبد التواب في كتابه «التطور اللغوي» عن ظاهرة القلب المكاني، مستخدما مصطلح «القلب

---

(١) أي لاتصرف لأنه يستخدم في كتابه مصطلح «الجري» بمعنى الصرف.

(٢) الفراء: معاني القرآن ٢٢١/١.

(٣) انظر: بحثه: ملك ملأك ملائك ملائكة/ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٣١، ١٩٣٧م.

(٤) انظر: الأصوات اللغوية ص٢١٢.

المكاني» قال: «والقلب المكاني: هو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة عن بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي، وهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك».[1] ودرس عبد الجواد الطيب في كتابه «من لغات العرب» ظاهرة القلب المكاني، وقال: «وهذا النوع من الإبدال المكاني أو القلب هو مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات في الجزيرة العربية».[2]

نلحظ من نص عبد الجواد الطيب أنه استخدم لفظ «الإبدال المكاني» إلى جانب «القلب المكاني». كما أنه نسب هذه الظاهرة إلى مظاهر اختلاف اللهجات في الجزيرة العربية، وهذا ممكن من الناحية المبدئية النظرية لأن ما اصطلحنا عليه بالعربية الفصحى هو بنية توليفية استمدت عناصرها من لهجات عربية مختلفة وليست لهجة واحدة متجانسة تماماً. وردُّ بعض الظواهر اللغوية في الفصحى إلى اللهجات ممكن.

كما أن عبده الراجحي درس ظاهرة القلب المكاني في أكثر من كتاب من كتبه، واستخدم مصطلح (القلب المكاني) أثناء دراسته، وعد ظاهرة القلب المكاني ظاهرة لغوية عامة في اللغة العربية، وذلك عندما قال: «والواقع أنه ظاهرة لغوية واضحة في اللغة العربية ولا يصح إنكارها، ونحن نلحظها كل يوم في لغة الأطفال الذين لا يستطيعون نطق الألفاظ الكثيرة التي يسمعونها كل يوم، فيقلبون بعض حروفها مكان بعضها الآخر، ونلحظها أيضاً في لغة العامة وأوضح مثال عليها كلمة «مسرح» التي تنطق كثيراً «مرسح».[3]

---

(١) انظر: التطور اللغوي ص٥٧- ٦٠.

(٢) من لغات العرب ص١٣٧.

(٣) انظر: عبده الراجحي: التطبيق الصرفي ص١٤، والنحو العربي والدرس الحديث ص١٠٩- ١٥٨.

واستخدم عاطف مدكور أيضاً مصطلح القلب المكاني في كتابه (علم اللغة العربية بين القديم والحديث) أثناء تعريفه للظاهرة، وساق أمثلة من العربية عليها من نحو: (يئس وأيس وشاكي السلاح وشائك). كما أنه ساق أمثلة من اللهجات العامية مثل (مرسح في مسرح، وأنارب في أرانب، وجواز في زواج، ومعلقة في ملعقة). كما أنه ذكر دراسة القدماء لهذه الظاهرة. وبين الغرض من القلب المكاني عندما قال: «ويمكن عزو هذه الظاهرة أيضاً إلى الرغبة في السهولة والتيسير في النطق».[1]

وأشار محمود فهمي حجازي إلى ظاهرة القلب المكاني، واستخدم مصطلح القلب المكاني، للدلالة عليها، وذلك أثناء حديثه عن التغيرات الصوتية فقال: «القلب المكاني: ظاهرة صوتية تعني تبادل صوتين لمكانيهما، بأن حل كل منهما محل الآخر»، [2] وضرب أمثلة على ذلك من اللهجة العامية منها (أرانب، أنارب، ملاعق، معالق، مسرح، مرسح) ثم قال: «وهناك أمثلة للقلب المكاني في التراث العربي، ولكن واقع الحياة اليومية يعطي أمثلة أكثر».[3] ودرس إبراهيم السامرائي ظاهرة القلب المكاني في كتابه (التطور اللغوي التاريخي) واستعرض بعض ما قاله القدماء حولها ثم قال: «والذي نراه أن الألفاظ المقلوبة موجودة في الألسن الدارجة، ووجودها فيها يشعرنا أنها من الاختلافات الإقليمية اللغوية. يقول كثير من العراقيين: «إن هذا الشيء يساوي نظيره الآخر» في حين أن جماعات أخرى في جهات معينة معروفة تقول: «إن هذا الشيء يواسي».

---

(١) انظر: علم اللغة بين القديم والحديث ص٢٥٠.

(٢) محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٥٤.

(٣) المرجع السابق ص٥٤.

وهذه الاختلافات في الألوان العامية كثيرة وربما إتخذنا منها دليلاً في أن الألفاظ المقلوبة في فصيح العربية ترجع إلى السبب نفسه».[١] كما أن أحمد مختار درس هذه الظاهرة في كتابه (دراسة الصوت اللغوي)[٢] وكذلك درسها محمد الأنطاكي في كتابه (المحيط في أصوات العربية).[٣] ودرسها أيضاً عبدالفتاح الحموز دراسة موسعة في كتابه (ظاهرة القلب المكاني في العربية، عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها).[٤]

كما أن بعض المستشرقين من دارسي الأصوات العربية قد درسوا ظاهرة القلب المكاني في كتبهم منهم (برجشتراسر)[٥]، و(هنري فلايش) [٦] و(برتيل مالمبرج) [٧] وكل التفسيرات التي قدمت لظاهرة القلب المكاني قديماً وحديثاً غير واضحة.

وقد حاول أحمد مختار توضيح ظاهرة القلب المكاني بقوله: «قد يحدث في بعض الأحيان أن تتبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية، ويسمي هذا قلباً metathesis ... وفي بعض الحالات يؤدي القلب إلى تتابع صوتي أكثر إتساقاً مع النماذج المسموح بها أو الشائعة في اللغة ... ويمكن أن يمثل لذلك من اللغة العربية الفصحى بالفعلين، جذب، وجبذ، فنحن نفترض أن الأصل هو «جذب» ثم قلب إلى «جبذ» ... وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من

---

(١) إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي ص١٢٠.

(٥) انظر: دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٥.

(٣) انظر: المحيط ص١٤٧- ١٤٨.

(٤) انظر: ظاهرة القلب المكاني في العربية ص٩- ٥٠.

(٥) انظر: التطور النحوي ص٣٥.

(٦) انظر: العربية الفصحى ص١٤٦.

(٧) انظر: علم الأصوات ص١٥١.

الإنسجام الصوتي، كما في طمس التي قلبت إلى طسم حتى لا يفصل بين الطاء والسين (وهما متقاربا المخرج) بالميم. كما قد يكون في اختلاف اللهجة مثل: الطبِّيخ لغة في البطِّيخ.

وأخيراً قد يكون في أخطاء العوام في الكلمات الأجنبية أو الفصيحة ومن أمثلة ذلك قولهم «أنارب في أرانب ومعالق في ملاعق ... وهلتر في هتلر، ومرسح في مسرح».[1] حاول أحمد مختار في هذا النص توضيح ظاهرة القلب المكاني من كل جوانبها.

الإخفاء

حالة بين الإظهار والإدغام وهو عار من التشديد.[2] ومصطلح «الإخفاء» أطلق على النون الساكنة والتنوين إذا جاء بعد أحدهما أحد الأصوات التالية:

(التاء، الثاء، الجيم ، الدال، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، الكاف). فإذا جاء أحد هذه الأصوات بعد النون الساكنة أو التنوين يكون سبباً في خفاء النون مع الغنة. أي يزول معتمدها في الفم ويبقى صوت الغنة. [3] وقد تناول العلماء قديماً وحديثاً هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل، وبينوا حال النون الساكنة عندما يأتي بعدها أحد الأصوات السابقة،

(١) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٥- ٣٣٦.

(٢) هذا تعريف القدماء للإخفاء. أما تعريف المحدثين له، فهو (مماثلة النون للصوت التالي لها في المخرج، دون تغيُّر في أيٍّ من صفاتها، فعندما يتهيء المرء لنطق الصوت الذي يلي النون الساكنة فإن هذا التهيؤ يتم خلال نطق النون فتخرج من مخرج ذلك الصوت بدلاً من مخرجها الأسناني. ويحدث هذا قبل نطق جميع الأصوات باستثناء الأصوات الحلقية «لبعد مخرج الأصوات الحلقية عن مخرج النون كما لاحظ القدماء»). انظر: داود عبده: دراسة في بعض أحكام التجويد ص٣٠.

(٣) أي يزول مخرج النون من طرف اللسان، وينتقل إلى مخرج الصوت الآتي بعد النون بأن يتقدم أو يتأخر حسب طبيعة الصوت مع المحافظة على الغنة. والغنة هي خروج الهواء (أو صوت العلة من الأنف).

واستخدموا مصطلح «الإخفاء» للدلالة على هذه الظاهرة.

قال سيبويه (ت.١٨٠هـ): «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم»، [1] وقال أيضاً: «وإنما أخفيت النون في حروف الفم كما أدغمت في اللام وأخواتها». [2] واستخدم أيضاً لفظ «يخفى» للدلالة على إخفاء النون الساكنة، أثناء حديثه عن مجيء الغين والخاء بعد النون الساكنة، إذ قال: «ألا ترى أنه يقول بعض العرب: مُنْخُلٌ ومُنْغُلٌ فَيُخفي النون كما يُخفيها مع حروف اللسان والفم، لقرب هذا المخرج من اللسان».[2]

يبدو لنا أن قول سيبويه: «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خَفِياً مُخرجه من الخياشيم»، غير دقيق لأن مخرجها في الفم، والذي يخرج من الخياشيم هو الهواء، فليس في الخياشيم مكاناً للنطق. كما يبدو لي أن مفهوم أصوات الفم عند سيبويه غير واضح، فهي في هذا السياق جميع الحروف باستثناء ما عدّه منها حلقياً إضافة إلى الباء، وقد عدّ سيبويه الخاء والغين من الحروف الحلقية، وهما ليسا كذلك، إذ أن الخاء والغين من أقصى الحنك من نفس مخرج الكاف. إلا أنهما احتكاكيان. إذن إذا جاءت النون بعد إحداهما تخفى، ويؤيد هذا قول سيبويه: «ألا ترى أنه يقول بعض العرب مُنْخُلٌ ومُنْغُلٌ فيخفى النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا المخرج من اللسان». استطيع أن استنتج بأن المقصود من حروف الفم هو جميع الحروف التي يكون مخرجها قريباً من مخرج النون. واستخدم المبرد (ت٢٨٥هـ) مصطلح الإخفاء للدلالة على إخفاء النون الساكنة مع أصوات الفم أيضاً، أثناء حديثه عن إظهار النون الساكنة مع أصوات الحلق، وذلك عندما قال: «فإن كان معها حرف من

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٤.

(٢) المصدر السابق ٤/٤٥١ وانظر: ابن السراج: الأصول في النحو ص٤١٥.

حروف الحلق أمن عليها القلب، فكان مخرجها من الفم لا من الخياشيم،[1] لتباعد ما بينهما. وذلك قولك: من هو؟ فتظهر مع الهاء وكذلك من حاتم؟، ولا تقول: من حاتم؟ فتخفى، وكذلك مَنْ علي؟ ».[2] واستخدمه أيضاً عند قوله: « وإنما قلت: أجود القراءتين، لأن قوماً يجيزون إخفاءها مع الخاء والغين خاصة ».[2] واستخدم ابن السراج (ت٣١٦هـ) مصطلح « الإخفاء » أيضاً للدلالة على إخفاء النون الساكنة في حروف الفم، وذلك عندما قال: « وإنما أخفيت النون في حروف الفم »،[3] وقال أيضاً: « وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم»، [4]واستخدم لفظ « الإخفاء » للدلالة على إخفاء النون في الغين والخاء، في قوله: « ألا ترى أن بعض العرب يقول: مُنْخُل ومُنْغَل، فيخفي النون، كما يخفيها مع حروف اللسان »[5] استخدم ابن السراج في النصوص السابقة لفظ « أخفيت » و« خفيا » و« فيخفي » للدلالة على إخفاء النون. واستخدم الزمخشري (ت٥٣٨هـ) مصطلح « الإخفاء » أثناء حديثه عن أحوال النون الساكنة، وجعل من أحوالها « الإخفاء » إذ قال: « والرابعة الإخفاء مع سائر الحروف وهي خمسة عشر حرفاً كقولك من جابر، ومن كفر ومن قتل وما أشبه ذلك ».[6] واستخدم ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) لفظ « الإخفاء » أثناء توضيحه لحال إخفاء النون الذي ذكره الزمخشري إذ قال: « وإنما أخفيت عندها لأنها تخرج من حرف

---

(١) قوله فكان مخرجها من الفم لا من الخياشيم. هذا القول فيه خلط. فالمخرج (مكان النطق) من الفم دائماً، أما ما يخرج من الخياشيم فهو الهواء. فما الذي يعنيه المبرد بالمخرج؟ إن كان يعني مكان النطق، فليس في الخياشيم مكان للنطق، وإن كان يعني مخرج الهواء فهو من الأنف لا من الفم بالطبع.

(٢) المقتضب ١/ ٢١٥- ٢١٦.

(٣) الأصول في النحو ص٤١٨.

(٤) المصدر السابق ص٤١٧.

(٥) المصدر السابق ص٤١٥.

(٦) المفصل للزمخشري ص٤٠٠.

الأنف الذي يحدث إلى داخل الفم لا من المنخر،[1] فكان بين النون وحروف الفم اختلاط فلم تَقْوَ قُوّة حروف الفم فتدغم فيها ولم تبعد بعد حروف الحلق فتظهر معها وإنما كانت متوسطة بين القرب والبعد فتوسط أمرها بين الإظهار والإدغام فأخفيت عندها لذلك».[2] واستخدم الإستراباذي (ت٦٨٦هـ)مصطلح «الإخفاء» أثناء بيانه حال النون الساكنة إذ قال: «... فإذا كانت ساكنة وبعدها غير حرف الحلق فهناك داعيان إلى إخفائها.

أحدهما: سكونها، لأن الاعتماد على الحرف الساكن أقل من الاعتماد على الحرف المتحرك.

والآخر: كون الحرف الذي لا يحتاج في إخراجه إلى فضل اعتماد عقيب النون بلا فصل؛ ليجري الاعتمادان على نسق واحد، فأخفيت النون الساكنة قبل غير حروف الحلق».[3] وقال أيضاً: «وإن لم يكن هناك قرب لا في المخرج ولا في الصفة أخفي النون بقلة لاعتماد».[4]

تبين لنا مما سبق أن علماء العربية استخدموا لفظ (الاخفاء) ومشتقاته للدلالة على إخفاء النون عند الأصوات التي يقرب مخرجها من مخرج النون، ولم يطلقوه على إخفاء صوت الميم الساكنة عند صوت الباء. كما تبين لنا أن وصف القدماء لطبيعة الإخفاء فيه غموض. والإخفاء ببساطة هو عدم تحقق مخرج النون. وإتجاه الناطقين نحو مخرج نطق الصوت التالي مباشرة مع الإطالة،

---

(١) أظنه يقصد أن مخرج النطق في الفم لا ينغلق إنغلاقاً تاماً كما في نطق النون الظاهرة التي يخرج معها الهواء من الأنف دون الفم، فالهواء في حالة الإخفاء يخرج من الفم والأنف معاً، وهذا ما يميز الغنة في الإخفاء عن الصوت الأنفي الظاهر، الذي ينغلق معه مخرج النطق في الفم إنغلاقاً تاماً فلا يجد الهواء له سبيلاً من الأنف.

(٢) شرح المفصل ١٠/ ١٤٥. وانظر ١٠/ ١٤٧.

(٣) شرح الشافية ٣/٢٧٢.

وإخراج الهواء من الأنف (الغنة التي تدل على أصل النون المخفاة بنقلها من مخرجها إلي مخرج الصوت التالي) ثم العدول عن إخراج الهواء من الأنف إلى إخراجه من الفم في استكمال النطق بالصوت التالي (وهو فموي أي يخرج الهواء فيه من الفم دون الأنف) مع تحقيق مخرجه.

أما علماء التجويد والقراءات فقد تابعوا علماء العربية القدماء في استخدام مصطلح الإخفاء للدلالة على إخفاء النون الساكنة عند أصوات الفم، كما أطلقه بعضهم للدلالة على إخفاء الميم الساكنة عند صوت الباء.[١] وقدموا تفصيلات تتعلق بكيفية أداء النون المخفاة، وبتوضيح مخرجها. فقالوا: «إن النون المخفاة لا يكون لها حظ في الفم وتصير غنة في الخياشيم لا غير.[٢] وهذا الكلام غير دقيق كما بيّنا سابقاً. وبيّنوا حال الصوت المخفي والصوت المدغم. فقالوا: «والإخفاء: إنما هو أن يخفى الحرف في نفسه لا في غيره، والإدغام: إنما هو أن يدغم الحرف في غيره لا في نفسه، فتقول: خفيت النون عند السين، وأخفيت النون عند السين، ولا تقول: خفيت في السين ولا أخفيتها في السين، وتقول: أدغمت النون في الواو، ولا تقول أدغمتها عند الواو».[٣] هذا الكلام قريب جداً من الحقيقة الصوتية على الرغم من عدم دقة المصطلح الوصفي مثل: (ليس لها حظ في الفم) والأرجح أن معنى هذه العبارة هو عدم تحقيق مخرجه الأصلي في الفم وإتجاه الناطقين نحو مخرج الصوت التالي مع المحافظة في المرحلة الأولى من النطق على إخراج الهواء من الأنف (الغنة).

---

(١) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٦٢- ٤٦٣ حيث نقل أراء القائلين بإخفائها.

(٢) انظر: مكي: الرعاية ص٢٦٧.

(٣) المصدر السابق ص٢٦٩.

أي يبقى من صفات النون خروج الهواء من الخياشيم دون المخرج في الفم. والمخرج: بمعنى مكان النطق. صفة تختلف عن الأنفية والغنة التي تتعلق بطريق تسريح الهواء مما يدخل في هيئة النطق لا مخرجه.

ومصطلح الإخفاء كما ذكرنا استخدموه للدلالة على إخفاء النون الساكنة والتنوين عند أصوات الفم، وللدلالة على إخفاء الميم الساكنة عند الباء عند بعضهم. وأول من ذكر مصطلح «الإخفاء» ممن أطلعت على كتبهم من علماء القراءات والتجويد الفراء (ت٢٠٧هـ) أثناء عرضه قراءات القرّاء لقوله تعالى: (فَنُنْجِيَ من نشاء) يوسف آية/ ١١٠ قال: «القراءة بنونين، والكتاب أتى بنون واحدة وقد قرأ عاصم (فنُجِّي من نشاء) فجعلها نوناً، ... وأما الذين قرءوا بنونين فإن النون الثانية، تخفى ولا تَخْرَج من موضع الأولى، فلما خفيت حذفت، ألا ترى أنك لا تقول فننجي بالبيان. فلما خفيت الثانية حذفت واكتفى بالنون الأولى منها»[1] وقال في موضع آخر: «وذلك أن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة، فلا تظهر الساكنة على اللسان، فلما خفيت الثانية حذفت»،[2] استخدم الفراء هنا لفظ «تخفى» و «خفيت» وهي من مشتقات لفظ «الإخفاء». واستخدم السعيدي (ت٤١٠هـ) لفظ «المخفاة» للدلالة على إخفاء النون الساكنة إذ قال: «إن النون المخفاة لا يكون لها حظ في الفم، وتصير غنة في الخياشيم لا غير».[3]

واستخدم مكي القيسي (ت٤٣٧هـ) لفظ «الإخفاء» ومشتقاته للدلالة على إخفاء النون الساكنة والتنوين عند أصوات الفم (اللسان). قال: «والإخفاء إنما هو

---

(١) الفراء: معاني القرآن ٢/٥٦.

(٢) المصدر السابق ٢/٢١٠.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٤٤٦ (نقلا عن كتاب اختلاف القراء للسعيدي و.٦).

أن يخفى الحرف في نفسه لا في غيره».[1] وقال أثناء حديثه عن إخفاء النون والتنوين: «أنهما يخفيان عند باقي الحروف التي لم يتقدم لها ذكر، نحو: «من شاء» و «من كان» ...وشبهه»، [2] واستخدم لفظ «أخفيتها» أثناء بيانه لمخرج النون إذ قال: « أن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، ومعها غنة تخرج من الخياشيم لا غير. فإذا أخفيتها عند ما بعدها صار مخرجها من الخياشيم لا غير. فتذهب النون عند الإخفاء وتبقى الغنة من الخياشيم ظاهرة»، [3] واستخدم لفظ «الإخفاء» أيضاً أثناء حديثه عن الميم الساكنة، عند لقائها باءً أو فاءً أو واواً، فنفى ظاهرة الإخفاء عن الميم مع هذه الأصوات، عندما قال: «لا بد من بيان الميم الساكنة في هذا كله ساكنة من غير أن يحدث فيها شيء من حركة، وإنما ذلك خوف الإخفاء والإدغام لقرب مخرج الميم من مخرجهن، لأنهن كلهن يخرجن من ما بين الشفتين، غير أن الفاء يخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلي، ولولا إختلاف صفات الباء والميم والواو ... لم يختلف السمع بهن، ولكن في السمع صنفاً واحداً».[4] في هذا النص نفى مكي القيسي صفة الإخفاء عن الميم الساكنة، التي أثبتها بعض علماء التجويد لها.[5]

واستخدم الداني (ت٤٤٤هـ) لفظ «الإخفاء» أثناء بيانه لمخرج النون والتنوين، إذ قال: «وأما إخفاء النون والتنوين فحقه أن يؤتى بهما لا مظهرين ولا مدغمين، فيكون مخرجهما من الخياشيم لا غير، ويبطل عمل اللسان بهما،

---

(١) مكي: الرعاية ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٦٧.

(٣) الرعاية ص٢٦٧، وانظر: الكشف ١٦٦/١.

(٤) الرعاية ص٢٣٣.

(٥) انظر: غانم الحمد حيث نقل بعض اراء علماء التجويد القائلين بإخفاء الميم الساكنة عند الباء (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٦٢).

ويمتنع التشديد لإمتناع قلبهما».[1] وقال أيضاً: «والإخفاء حال بين الإظهار والإدغام وهو عارٍ من التشديد فاعلمه».[2] واستخدم لفظ «اخفيا» أثناء تعليله ظاهرة إخفاء النون والتنوين عند أصوات الفم إذ قال: «وإنما أخفيا عندهن لأنهما لم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الحلق، فيجب الإظهار للتراخي، ولم يقربا منهن كقربهما من حروف (لم يرو) فيجب الإدغام للمزاحمة، فأخفيا فصارا لا مظهرين ولا مدغمين وغنتهما مع ذلك باقية، ومخرجهما من الخيشوم خاصة، ولا عمل للسان فيهما».[3] وكان السعيدي (ت ٤١٠هـ) قد بين أساس كل تأثر بين الأصوات عندما قال: «ولا يكون الإخفاء والإدغام إلا لمقاربة الحرفين أو لتزاحمهما في المخرج الواحد».[4]

واستخدم القرطبي (ت٤٦٢ هـ) مصطلح «الإخفاء» أثناء حديثه عن النون والتنوين حيث قال: «والنون والتنوين تخفيان عند خمسة عشر حرفاً من حروف الفم، وهي: القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء. ومعنى خفائها اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان، وخروج الصوت من الأنف من غير معالجة بالفم، ولذلك إذا لفظ بها اللافظ وسد أنفه بَانَ الاختلالُ فيها ... فمثال إخفاء النون مع القاف قوله تعالى: {ومن قال سأنزل} الأنعام آية/ ٩٣، ومع الكاف {من كان عدواً لله} البقرة آية/٩٨، ومع الجيم {من جاء بالحسنة} النمل آية/٨٩، ومع الشين {ولئن شئنا} الإسراء آية/٨٦، ومع الضاد {ومن ضلّ} يونس آية/١٠٨، ومع الصاد {من صلصال} الحجر آية/٢٦، ومع السين {من سبيل}

---

(١) الداني: التحديد ص١٠٢.

(٢) الداني: التيسير في القراءات السبع ص٤٥.

(٣) الداني: التحديد ص١١٧.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٤٩٥ (نقلاً عن كتاب اختلاف القراء للسعدي و٦٠).

التوبة آية ٩١، ومع الزاي {من زوال} إبراهيم آية/٤٤ ومـــع الطاء {عن طائفة} التوبة آية٦٦، ومع الدال {من دعاء الخير} فصلت آية/ ٤٩، ومع التاء {أن تبوءا} يونس آية/٨٧، ومع الظاء {منهم من ظهير} سبأ آية/٢٢، ومع الذال {من ذكري بل لما} سورة ص آية/٨، ومع الثاء {من ثمرة إذا} البقرة آية/٢٥، ومع الفاء {من فعل هذا} الأنبياء آية/٥٩.

وإنما خفيت النون مع هذه الحروف لأنها حروف الفم، والنون أيضاً لها مخرج من الفم، والإخفاء في طلب الخفة به كالإدغام في طلب الخفة به، فلما أمكن استعمال الخيشوم وحده في النون ثم استعمال الفم وحده فيما بعده كان أخفّ عليهم من استعمال الفم في إخراج النون ثم عودهم إليه فيما بعدها. وهذا معنى قول سيبويه- رضي الله عنه: (كان أخف عليهم ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة)، [1] ولا يقع لبس في خروجها من الخيشوم. وساغ ذلك في حروف الفم دون حروف الحلق لقرب مدخل الخيشوم ومخرجه من حروف الفم دون حروف الحلق ».[2]

كلام القرطبي عن ظاهرة الإخفاء صحيح وينسجم مع الوصف الحديث. إلا أن قوله: «وساغ ذلك في حروف الفم دون حروف الحلق لقرب مدخل الخيشوم ومخرجه من حروف الفم دون حروف الحلق)، غير دقيق. إذ حروف الحلق أقرب إلى مدخل الخيشوم من غيرها فهو يقع أعلى الحلق وتتحكم به اللهاة، فإذا ارتفعت اتصلت بالجدار الخلفي للحلق فأغلقت طريق التجويف الأنفي وهذا في الأصوات الفموية، وإذ انخفضت فُتِح طريق الأنف فإذا انغلق طريق الفم في هذه الأثناء، لم يجد له الهواء سبيلاً غير الأنف فكان صوتاً أنفياً.

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٤.

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٤٤٧-٤٤٨ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٧٧ مخطوط).

والصحيح أن قرب مدخل الخيشوم من مخارج حروف الحلق (لابعده) هو الذي يجعل الإظهار أولى، إذ يصعب في هذه الحالة فتح طريق الأنف (من أجل غنة الإخفاء) مع تحقيق مخرج النطق في الحلق.

واستخدم ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) لفظ «الإخفاء» أثناء حديثه عن الميم الساكنة إذ نفى عنها ظاهرة الإخفاء، وذلك عندما قال: «قال لي أبي- رضي الله عنه: المعوّل عليه إظهار الميم عند الفاء والواو والباء، ولا يتجه إخفاؤها عندهن إلا بأن يزال مخرجها من الشفة، ويبقى مخرجها من الخيشوم، كما يفعل ذلك في النون المخفاة. وإنما ذكر سيبويه الإخفاء في النون دون الميم،[1] ولا ينبغي أن تحمل الميم على النون في هذا ... إلا أن يريد القائلون بالإخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً، فذلك ممكن في الباء وحدها في نحو: أكرم بزيد».[2]

واستخدم محمد بن أحمد الموصلي (ت٦٥٦هـ) [3] لفظ «الإخفاء» إذ قال: «الإخفاء ... منزلة بين الإدغام والإظهار».[4] واستخدم ابن الجزري(ت٨٣٣هـ) لفظ «الإخفاء» أثناء توضيحه الإخفاء وحقيقته، في قوله: «وأما الإخفاء فهو عبارة عن إخفاء النون الساكنة والتنوين عند أحرفهما»،[5] وقال أيضاً أثناء حديثه عن أحكام النون الساكنة والتنوين: «القسم الخامس: إخفاء النون الساكنة والتنوين عند باقي الحروف، وهي خمسة عشر حرفاً». [6] هنا استخدمه للدلالة على إخفاء النون الساكنة، واستخدمه في موضع آخر للدلالة على إخفاء الحركة إذ قال:

(١) انظر سيبويه: الكتاب ٤/٤٥٤.

(٢) الإقناع ١/١٨١.

(٣) هو الإمام أبي عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي، المتوفي سنة (٦٥٦هـ) انظر: شرح شعلة على الشاطبية، ص١.

(٤) الموصلي: شرح شعلة على الشاطبية ص٧٧.

(٥) ابن الجزري: التمهيد ص١٦٨.

(٦) ابن الجزري: التمهيد ص٦٩

«ويستعمل أيضاً عبارة عن إخفاء الحركة، وهو نقصان تمطيطها».[1] واستخدمه غيره للدلالة على إخفاء الميم الساكنة عند الباء والفاء والواو،[2] وكان محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) قد عالج هذا الموضوع إذ قال: «إن معنى إخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكلية بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان، لأن قوة الحرف وظهور ذاته إنما هو بقوة الإعتماد على مخرجه ... وبالجملة فإن الميم والباء يخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخل وأقوى انطباقاً كما سبق في بيان المخارج، فتلفظ بالميم في (أن بُورِكَ) بغنة ظاهرة وبتقليل انطباق الشفتين جداً، ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما وتجعل المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم.

فزمان انطباقهما في (أنْبُورِك) أطولَ من زمان انطباقهما في (أبُورِكَ)، وزمان إنطباقهما في الميم أطول من زمان انطباقهما في الباء لأجل الغنة الظاهرة حينئذ في الميم، إذ الغنة الظاهرة يتوقف تلفظها عليا متداد. ولو تلفظت بإظهار الميم هنا كان زمان انطباقهما فيه كزمان انطباقها في الباء لإخفاء الغنة حينئذٍ، ويقوي انطباقهما في إظهار الميم فوق انطباقهما في إخفائه، لكن دون قوة انطباقهما في الباء، إذ لا غنة في الباء أصلاً، بخلاف الميم الظاهرة فإنها لا تخلو عن أصل الغنة وإن كانت خفيّة. والغنة تورث للإعتماد ضعفاً».[3]

---

(١) المصدر السابق ص٧٠، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ٤٧ (فقد نقل رأي لابن مجاهد، بهذا الخصوص).

(٢) انظر: غانم الحمد: فقد نقل أراء العلماء وناقشها في ص٤٦٢- ٤٦٣- ٤٦٤ من كتابه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد).

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٤٦٥ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٣٠-٣١).

نلحظ في هذا النص أن المرعشي استخدم لفظ «الإخفاء» للدلالة على إخفاء الميم الساكنة. «ولا يبدو الفرق جلياً بين إخفاء الميم وإظهارها في كلام المرعشي السابق مع تقديرنا لدقة تحليله، ولا نكاد نجد تفسيراً لقوله في أول كلامه إن إخفاء الميم هو إضعافها بتقليل الإعتماد على مخرجها، فالناطق لا يحتاج إلى تكلف هذا النوع من الإخفاء حين ينطق الميم ساكنة قبل الباء، ويكفيه أن يضم شفتيه ويجري النفس من الخيشوم حتى تستوفي الميم حظها من الغنة، ثم يضغط الهواءعند الشفتين قبل أن ينفرجا حتى ينال الباء حظه من الشدة، فإنطباق الشفتين للحرفين إنطباق واحد وهو شيء تقتضيه طبيعة الصوتين، وهما في أثناء ذلك يحتفظ كل صوت منهما بخواصه النطقية».[1]

واستخدم المتأخرون من علماء التجويد مصطلح «الإخفاء» للدلالة على إخفاء النون الساكنة والتنوين مع أحد أصوات الفم (اللسان) كما استخدموه للدلالة على إخفاء الميم الساكنة مع الباء، ويسمونه إخفاء شفوياً.[2] والإخفاء عندهم «النطق بالصوت بصفة بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد مع بقاء الغنة في الصوت الأول».[3]

الذي نلحظه عند المتأخرين أنهم سموا إخفاء الميم مع الباء إخفاء شفوياً نسبة لخروجهما من الشفة.

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٦٥- ٤٦٦.

(٢) أنظر: محمد الصادق قمحاوي: البرهان ص١٠-١٢، ومحمد الحسيني: كتاب فتح المجيد ص١١- ١٢، ومحمد شقرية: كتاب زينة الإنسان ص٢٤- ٢٥، ومحمد الطنطاوي: كتاب إضاح تحفة الأطفال ص٨-٩، والشيخ خالد الأزهري: الحواشي الأزهرية ص٣٥، والشيخ علي صبره: ملخص العقد الفريد ص٦-٨.

(٣) الصادق قمحاوي: البرهان ص١٠، وانظر المراجع السابقة.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد أهمل أغلبهم الحديث عن ظاهرة الإخفاء، ومن أشار إليها منهم لم يضف على ما قاله علماء العربية والتجويد شيئاً كثيراً، بل كان كلام بعضهم أقل وضوحاً من كلام سابقيه قال جان كانينو: «وإذا كانت النون متبوعة بحرف من الحروف الخمسة عشر الأخرى أي القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والطاء والدال والتاء والفاء في نفس الكلمة أو في كلمتين متتاليتين طرأت عليها درجة أولى في الإبدال تسمى «إخفاء» وتسمى هذه النون آن ذاك «خفيفة» أو «مخفاة» أو «خفيّة» وتصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على الفم في النطق بها»[1] هذا ماذكره حول هذه الظاهرة.

وقال إبراهيم أنيس: «الدرجة التي تلي إظهار النون هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالإخفاء، ويكون هذا مع خمسة عشر صوتاً عند جمهور القراء هي: القاف ....، وليس ما سموه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء على النون، وذلك بإطالتها مما أدى إلى ما نسميه بالغنة. هذا إلى أننا نلحظ ما يسمونه بالإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها»،[2] وقال أيضاً: «فما سماه القدماء بإخفاء النون والميم هو في الحقيقة إطالة لهذين الصوتين، رغبة في الإبقاء عليهما، ومنعهما من الفناء فيما يليهما من الأصوات»،[3] وقال محمد الأنطاكي: «تخفى النون الساكنة إذا وليتها الحروف الآتية: ف، ث، ذ، ظ، ز، س، ص، ت، د، ط، ض، ش، ج، ك، ق». وإخفاء النون إنما هو في واقعه نطقها من محبس الحرف الذي أخفيت معه فلكي تنطق نوناً مخفيّة مع الفاء، تلصق باطن شفتك السفلى بثناياك العليا كما لو كنت تهم بنطق الفاء، ولكنك بدلاً من أن

---

(١) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٦٠-٦١.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧١- ٧٢ وص ١٥٦-١٥٧.

(٣) المرجع السابق ص١٥٧.

تخرج الهواء من فمك تخرجه من أنفك، فتحدث بذلك نوناً مخفية مع الفاء، مثل: (انْفتح). وكذا الأمر مع سائر الحروف المذكورة».[1] وقال أحمد مختار وهو يتحدث عن النون المخفاة والتنوين: «فهي تطول وتميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها»، [2] وأطلق مصطلح «الإخفاء» على هذه الظاهرة مثل القدماء. ولم يذكر عنها غير هذا.[3]

ما ذكره المحدثون لا يقدم أيضاحاً لهذه الظاهرة، فقولهم بأن (النون المخفاة تميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها) لا يتضح منه المقصود بذلك الميل ولا مقداره. بينما يقرر علماء التجويد إن معتمد اللسان في الفم عند النطق بالنون المخفاة ينتقل إلى مخرج الصوت الذي بعدها، فهو ليس مجرد ميلٌ، إنما انتقالٌ إلى مخرج الصوت. كما يحدث عند الإدغام، إلا أن الغنة باقية في الإخفاء وهي خروج الهواء من الأنف. بينما تزول مع الإدغام. ويؤكد هذا قول مكي القيسي: «فالغنة التي في الحرف الخفي هي النون الخفية، وذلك أن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ومعها غنة تخرج من الخياشيم، فإذا خفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها، وبقي ماكان يخرج من الخياشيم ظاهراً.

المقصود في النص السابق صحيح، ولكن العبارة غير دقيقة فقوله: «... زال مع الخفاء ماكان يخرج من طرف اللسان منها، وبقي ماكان يخرج من

---

(١) محمد الأنطاكي: المحيط ١/١٣٤ وانظر: الوجيز في فقه اللغة ص١٩٣.

(٢) مكي: الكشف ١/١٦٦.

(٣) قدّم داود عبده دراسة جيدة لظاهرة الاخفاء في كتابه (دراسة في بعض أحكام التجويد) سمى الإخفاء فيه مماثلة جزئية، والإخفاء عنده هو مماثلة النون للصوت التالي لها في المخرج دون تغيّر في أيٍ من صفاتها. يقول: «فعندما يتهيأ المرء لنطق الصوت الذي يلي النون الساكنة فإن هذا التهيؤ يتم خلال نطق النون فتخرج من مخرج ذلك الصوت بدلاً من مخرجها الأسناني. ويحدث هذا قبل نطق جميع الأصوات باستثناء الأصوات الحلقية» ص٣٠.

الخياشيم ظاهراً» فالذي يزول هو تحقيق مخرج النون الأصلي، واتجاه الناطقين إلى مخرج الصوت التالي في الفم، مع بقاء خروج الهواء من الأنف (وهذا هو المقصود بالغنة هنا)، ثم العدول عن خروج الهواء من الأنف إلى الفم مع الانتقال إلى تحقيق الصوت التالي إذ هو صوت فموي.

إن الدارس حين يتأمل نطق مثل (مَنْ قال) و (ومَنْ كان) يجد أن معتمد النون قد انتقل من طرف اللسان إلى أقصاه حيث يعتمد للصوت التالي للنون. وكذلك الحال مع بقية الأصوات. فاللسان يعتمد للنون والصوت الذي بعدها اعتمادة واحدة، إلا أن الجزء الأول منها مصحوب بغنّة هي بقية النون، بينما الجزء الأخير من الاعتمادة هو للصوت الذي يلي النون خالياً من الغنة.

أما قولهم: (الإخفاء محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها مما أدى إلى ما نسميه بالغنة) فهذا القول يحتاج إلى الوضوح. فالإخفاء ليس محولة للإبقاء على النون إنما يمثل درجة من درجات تأثرها بما يجاورها من الأصوات. كما أن القول بإطالة النون حتى تؤدي إلى الغنة كلام لا يتناسب مع حقيقة صوت النون الذي لا تنفك عنه الغنة إلا إذا أدغم إدغاماً كاملاً.[١]

وقد بيّن علماء التجويد حقيقة الإخفاء، وحذّروا من إطالة الغنةً معه قال محمد المرعشي (ت.١١٥٠هـ): «وليحذر من تطويل غنة الإخفاء».[٢] فالغنة موجودة مع النون، ولا تحدث عن إطالة صوت النون، والمبالغة في إظهارها لحن.

والإخفاء من ظواهر المماثلة الجزئية. والمماثلة الجزئية: «هي أن يعتدل صوت جزئياً ليماثل صوتاً آخر. مثال ذلك كلمة (مسطرة) حيث تنطق /س/

---

(١) انظر: غانم الحمد : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٤٩- ٤٥٠.

(٢) غانم الحمد : الدراسات الصوتية ص.٤٥ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٥٦).

كأنها /ص/ متأثرة بالصوت /ط/ فأصبح وجه التماثل هو التفخيم».[1] أي أن التماثل لا يكون كلياً، بل يكون إما تماثلاً في المخرج وإما تماثل في الصفة.

الإقلاب*

لقد أطلق بعض القدماء مصطلح «الإقلاب» على ظاهرة تأثر صوت النون بصوت الباء، ولم يطلقوه على ظاهرة القلب المكاني التي استقرت عند علماء العربية من قبل.

والقلب عندهم عبارة عن قلب النون الساكنة والتنوين ميماً خالصة عند لقائهما الباء.[2] وهو من صور المماثلة الجزئية.

إذا وقعت النون الساكنة قبل الباء تتأثر بها، ويتغير نطقها، ولكن لا يصل ذلك التأثر إلى حد الفناء التام في الباء، إنما تنقلب النون إلى صوت وسط بينها وبين الباء، وهو الميم. وهذا النوع أطلق عليه علماء العربية من قبل مصطلح «الإقلاب» الذي بمعنى الإبدال، ويؤكد هذا قول سيبويه: «وتقلب النون مع الباء ميماً، لأنها من موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذ كانت الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيما قرب من الراء في الموضع ... وذلك قولهم: ممبك يريدون من بك، وشمباء، وعمبر يريدون: شنباء وعنبراً».[3]

وجاء في المقتضب ما يؤكد كلام سيبويه: «وتقلب مع الباء ميماً إذا كانت ساكنة، وذلك عمبر، وشمباء، وممبر: فهي في كل هذا ميم في اللفظ».[4]

(١) محمد الخولي: الأصوات اللغوية ص٢٢.

* يقول داود عبده: «إن الميم ليس لها سوى حكم واحد هو الإظهار، لأنها لا تتغير قبل أي صوت». دراسة في بعض أحكام التجويد ص٣٢.

(٢) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص٧٠.

(٣) الكتاب ٤/٤٥٣.

(٤) المبرد: المقتضب ١/٢١٦ وانظر: ابن السراج: الأصول في النحو ص٤١٦.

ومن جاء بعدهم من علماء التجويد استخدم بعضهم أثناءحديثه عن هذه الظاهرة مصطلح «الإبدال» الذي بمعنى «الإقلاب»، واستخدم آخرون مصطلح «الإقلاب»، وقد أشار إلى هذا ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) بقوله: «وإذا قلبت النون عند الباء ميماً، ويسميه بعض العلماء إبدالاً».[1] قال مكي القيسي (ت٤٣٧هـ): «والعلة في إبدال النون الساكنة والتنوين ميماً عند الباء أن الميم مؤاخية للباء، لأنها من مخرجها، ومشاركة لها في الجهر والشدة. وهي أيضاً مؤاخية للنون في الغنة والجهر. فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامها فيها لبعد المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها ميماً لمؤاخاتها النون والباء».[2] هنا استخدم مكي لفظ «الإبدال» بمعنى الإقلاب، للدلالة على ظاهرة قلب النون مع الباء ميماً.

واستخدم ابن الباذش أيضاً مصطلح «الإبدال» بمعنى الإقلاب بقوله: «أجمعوا على إبدال النون والتنوين ميماً قبل الباء سواء كانت النون منه كلمة أو كلمتين، أو كان سكونها خلقة أو لجازم نحو (أَنْبِئْهُمْ) البقرة آية/٣٣ و(أَنْ بُورِكَ) النمل آية/٨ و(يُؤْمِن بِالله) البقرة آية/٢٥٦ و(صُمٌّ بُكْمٌ) البقرة آية/ ١٨».[3] أما الداني (ت ٤٤٤هـ) فقد استخدم مصطلح «الإقلاب» أثناء حديثه عن هذه الظاهرة فقال: «والحال الثالثة أن يقلبا ميماً من غير إدغام، وذلك إذا لقيا الباء، نحو (أَنْ بُورِكَ) النمل آية/٨ و (أَنْبِئْهُمْ) البقرة آية/٣٣، (جُدَدٌ بيض) فاطر آية/٢٧ و (ظلماتٌ بعضها) النور آية/٤٠، وما أشبهه. وإنما قلبا ميماً عندها خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج

---

(١) الإقناع ٢٥٧/١.

(٢) الرعاية ص٢٦٦.

(٣) الإقناع ٢٥٧/١.

فقلبا ميماً من أجل ذلك».[1] كما أن ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أطلق مصطلح «الإقلاب» على هذه الظاهرة أثناء حديثه عن أحكام النون الساكنة والتنوين، عندما قال: «القسم الرابع: الإقلاب ... فإذا أتى بعد النون الساكنة والتنوين باء قلبت ميماً، من غير إدغام، وذلك نحو (أَنْ بُورِكَ) النمل آية/٨ و (أَنْبِئْهُمْ) البقرة آية/٣٣، (جُدَدٌ بيض) فاطر آية/٢٧، والغنة ظاهرة في هذا القسم.

وعلة ذلك أن الميم مؤاخية للنون في الغنة والجهر، ومشاركة للباء في المخرج، فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامها فيها، لبعد المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها لمؤاخاتها النون والباء».[2] إذن النون تصبح ميماً في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بصوت الباء.

واستخدم المتأخرون من علماء التجويد مصطلح «الإقلاب» للدلالة على هذه الظاهرة إذ قالوا: «المراد بالإقلاب: قلب النون الساكنة والتنوين ميماً عند الباء مع الغنة».[3] أي ينتقل مخرج النون من اللثة إلى الشفتين، وتكسب صفة الأنفية، وهي خروج الهواء من الأنف (الغنة)، أي إذا التقت النون الساكنة بالباء انتقل مخرجها من اللثة إلى الشفتين وهو مخرج الميم، وسرح الهواء من الأنف.

إذن مصطلح القلب الذي استخدمه القدماء للدلالة على ظاهرة القلب المكاني يختلف عن مصطلح القلب الذي استخدمه علماء التجويد للدلالة على هذه الظاهرة.

---

(١) التحديد ص١١٧.

(٢) ابن الجزري: التمهيد ص١٦٨.

(٣) محمد الحسيني: كتاب فتح المجيد ص١١، وانظر: محمد الطنطاوي: كتاب إيضاح تحفة الأطفال ص٧، والشيخ علي صبره: كتاب ملخص العقد الفريد ص٦ والشيخ خالد الأزهري: الحواشي الأزهرية ص٣٥، ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص١٠، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص١٠٣، والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد في علم التجويد ص٤٤-٤٥.

الفصل الخامس

مصطلحات التغيرات الصوتية الخاصة بالصوائت

ويشتمل على

- **المد**
- **الإمالة**
- **الروم والاشمام.**
- **الاختلاس والإخفاء.**
- **الوقف.**
- **الإعلال.**
- **صفات لأصوات المد.**
  - **الحية والميتة.**

الصوت الصائت:

هو صوت ليس له مكان نطق محدد. كما لا يحدث معه إغلاق أو تضييق لمجرى تيار الهواء. وعدد الصوائت في العربية ستة هي: الفتحة والضمة والكسرة، والفتحة الطويلة والضمة الطويلة والكسرة الطويلة. والصوائت أكثر الأصوات شيوعاً في الكلام، وقد ينشأ عن وجودها في التركيب بعض الظواهر الخاصة بها، أطلق عليها العلماء قديماً وحديثاً مصطلحات معينة استخرجناها من كتبهم، منها: (المد، الإمالة، الرَّوْمُ، والإشمامُ... الخ)، وسنبين ذلك في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

المد:

ظاهرة صوتية تلحق أصوات المدّ واللين في التركيب.

والمد: «عبارة عن إطالة صوت المد زيادة على ما فيه من مد طبيعي لا تقوم ذات الحرف إلا به. ولتلك الزيادة أسباب، ولها مقدار».[1]

وقد أشار علماء العربية القدماء إلى هذه الظاهرة وبيّنوا سببها أثناء حديثهم عن أصواتها، واستخدموا غير مصطلح في تسمية أصواتها. كما درسها أيضاً علماء التجويد بشيء من التفصيل والتوضيح أكثر من علماء العربية، فعرّفوا المد، وبينوا سببه، وعللوا ظاهرته، وبيّنوا أحكامه، وأقسامه، ومقاديره، واستخدموا أكثر من مصطلح للتعبير عنه.

والذي يهمنا من دراستهم المصطلحات التي استخدموها للدلالة على ظاهرة المد وأصواتها.

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٣.

اختلف علماء العربية القدماء في تسمية الحركات التي اصطلح عليها بالإنجليزية بـ(Vowels) اختلافاً كبيرا.

وأول إشارة إلى تسمية هذه الأصوات جاءتنا منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) من قوله لصاحبه: «خُذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف. وإذ ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنّة فانقط نقطتين».[١] يبدو من هذا النص أن تسميتها بالحركات أطلقت عليها بسبب من الحركات التي تقوم بها الشفتان أثناء النطق بها.[٢]

وقد شاع هذا المصطلح فيما بعد للدلالة على أصوات المد القصيرة، واستخدم الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) مصطلح (الحروف الهوائية) للدلالة على الألف والياء والواو. وعلل هذه التسمية بأنه لم يكن لهذه الأصوات حيّز تنسب إليه سوى الهواء.[٣]

كما استخدم مصطلح (الجوف)[٤] للدلالة على هذه الأصوات بإضافة صوت الهمزة إليها، وإضافة صوت الهمزة هنا خطأ واضح، ولعله جاء من تحريف أو تصحيف في النصوص؛ إذ أن الخليل يشير في موضع آخر إلى أن للهمزة مخرجاً معيناً هو أقصى الحلق من عند العين.[٥]

لقد أشار الخليل عند حديثه عن هذه الأصوات إلى أهم صفة من صفاتها وهي حرية خروجها من مجراها دون أن يعرض لها أي عائق في مجراها. وأول من

---

(١) الداني: المحكم في نقط المصاحف ص٤.
(٢) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص١٥.
(٣) العين ٦٤/١.
(٤) الأزهري: تهذيب اللغة ٤٨/١.
(٥) الخليل: العين ٤٩/١ (ومخرج الهمزة عند المحدثين من الحنجرة أو المزمار).

استخدم مصطلح (حروف المد واللين) للدلالة على أصوات الألف والواو والياء سيبويه (ت ١٨٠ هـ) حين قال:« وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومَدّ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمَدّ للصوت ».[١] وبيّن ظاهرة المد مع هذه الأصوات عندما قال: « ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيءٍ من المتقاربة، لأن فيهما ليناً ومداً، فلم تَقْوَ عليهما الجيم والباء، ولا ما لا يكون فيه مدٌّ ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدْغمتين، لأنهما يُخْرجان ما فيه لِينٌ ومدٌّ إلى ما ليس فيه مدٌّ ولا لين ».[٢] وقال أيضاً وهو يتحدث عن إدغام الواو والياء: « وإذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فهو أبعد للإدغام، لأنهما حينئذٍ أشبه بالألف. وهذا ما يقوّي ترك الإدغام فيهما وما قبلهما مفتوح؛ لأنهما يكونان كالألف في المدّ والمَطْل، وذلك قولك: ظَلَموا مالِكاً، واظْلِمي جابِراً ».[٣]

يبدو أن مصطلح أصوات المد واللين، أو أصوات المد حسب الذي استخدمه سيبويه قد استقر عنده للدلالة على الألف والواو والياء بوجه عام. وقد تابعه من جاء بعده من علماء العربية والتجويد في استخدام هذا المصطلح للدلالة على هذه الأصوات.

قال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): « ومنها أنّ في الياء والواو مَدّاً وليناً؛ فلو أدغمت الياء في الشين أو الجيم، و أدغمت الواو في الباء والميم، لذهب ما كان فيهما من المدّ واللين. وهي حروف بائنة من جميع الحروف؛ لأنها لا يمدّ صوت إلاّ بها ».[٤] وقال أيضاً:« ولا تدغم الشين ولا الجيم فيها؛ لئلا يدخل في حروف المدّ ما ليس

(١) الكتاب: ٤/٧٦.

(٢) المصدر السابق ٤/٤٤٦.

(٣) الكتاب: ٤/٤٤٧.

(٤) المقتضب: ١/٢١٠.

بمدّ، فالياء بائنة منهما للمدّ واللين الذي فيها... كما أنها والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه وإن كانت بعيدة المخرج منها. وذلك لما يجمعهما من المدّ واللين، والكثرة في الكلام، لأنه ليس كلمة تخلو منهما، ومن الألف، أو من بعضهن. وبعضُهن حركاتُهنّ. فحروف المدّ حيّزٌ على حدة؛ ألا ترى أنّك تذكرهنّ في مواضع الحركات، فيَدْلُلْنَ من الإعراب على ما تدلّ عليه الحركات».[١] هنا لاحظ المبرد العلاقة بين الألف والواو والياء) والحركات؛ فالحركات أبعاض حروف المد. وهذا ما صرّح به بعض اللغويين أيضاً من أن الحركات أبعاض حروف المد[٢]؛ واستخدم ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) مصطلح (حرف المد) للدلالة على صوت المد أثناء حديثه عن إدغام الأصوات، إذ قال: «فإنْ كان قَبله ساكنٌ ليس بحرف مدٍّ، لم يجز الإدغام».[٣] وقال أيضاً: «لا يلتقي ساكنان إلا أن يكون الساكنُ الذي قبل الأول حرفُ مدٍّ».[٤]

واستخدم الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) مصطلح (حروف المد واللين) للدلالة على أصوات المد الطويلة، عندما قال:« وحروف المد واللين ثلاثة، وهي: الواو والياء والألف».[٥]

واستخدم ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) إلى جانب مصطلح (حروف المد) مصطلح «المصوتات» [٦] للدلالة على أصوات المد والحركات جميعاً، وهو كما يبدو مصطلح قد شاع في الاستعمال عند غير اللغويين،[٧] وذلك واضح من قول الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ): «الحروف إما مصوتة، وهي التي تسمى في النحو حروف المد

(١) المصدر السابق ٢١١/١.
(٢) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١٩/١.
(٣) الأصول ص٤١١.
(٤) المصدر السابق ٤١٠.
(٥) الجمل ص٤١٢.
(٦) الفهرست ص٣٠.
(٧) المطلبي: في الأصوات اللغوية ص١٧.

واللين... الخ».[1] فكأن هذه التسمية، ليست تسمية النحويين، وما يعزز هذا أن ابن جني لم يشر إلى هذه الأصوات بهذا المصطلح إلا إشارة واحدة عابرة في باب مَطْل الحروف. [2] وقد استخدم ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) أثناء حديثه عن الحركات مصطلح (حروف المد واللين) وذلك عندما قال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللّين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة».[3] وأشار ابن جني في موضع آخر إلى ظاهرة المد التي تلحق أصوات المد أثناء التركيب إذ قال: «ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف تَوامّ كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض. وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهنّ امتداداً واستطالة ما. فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم أزددن طولاً وامتداداً...».[4] في هذا النص ميّز ابن جني بوضوح بين أصوات المدّ وهي حركات طويلة في ذاتها وطبيعتها، وبيّن المدّ (أي الإطالة الزائدة) في نطقها في سياقات تركيبية معيّنة. فالأخيرة زيادة عارضة بالمد.

واستخدم ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) مصطلح (المصوتات) بدل مصطلح (حروف المد واللين) للدلالة على أصوات المد في كتابه (أسباب حدوث الحروف) أثناء حديثه عن أصوات المد، وفرّق بين صوتي الواو والياء صامتتين ومدتين، وأشار إلى حرية خروج الهواء خروجاً سلساً أثناء النطق بأصوات المد».[5]

---

(١) التفسير الكبير ١/٢٩-٣٠.
(٢) الخصائص ٣/١٢٦.
(٣) سر صناعة الاعراب ١/١٩.
(٤) المصدر السابق ١/١٩-٢٠.
(٥) انظر: رسالة أسباب حدوث الحروف ص١٢٦.

ومصطلح (المصوتات) الذي استخدمه ابن سينا يشمل عنده أصوات المد الطويلة والقصيرة لنظرته لها أنها مجموعة واحدة،[1] ولا خلاف بينها إلا في الكمية فقط. [2] وكان ابن جني كما ذكرنا من قبل قد استخدم مصطلح (المصوتة) إلى جانب استخدامه مصطلح (الحروف اللينة) للدلالة على أصوات المد وذلك أثناء تعليله لظاهرة المد قبل الهمزة إذ قال: «إنما تمكن المد فيهن مع الهمزة أن الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت، فوفين له وزدن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدّد. ألا تراك إذا قلت: كتاب، وحساب، وسعيد، وعمود، وضروب، وركوب، لم تجدهن لَدْنات ولا ناعمات، ولا وافيات، مستطيلات، كما تجدهن كذلك، إذا تلاهن الهمزة أو الحرف المشدّد».[3]

واستخدم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) مصطلح (حروف المد واللين)[4] للدلالة على أصوات الألف والواو والياء.

---

(١) نظر ابن سينا إلى أصوات المد الطويلة والقصيرة على أنها واحدة لا تختلف عن بعضها إلا في الكمية حسب. وهذه النظرة تختلف عن نظرة سابقيه الذين فرّقوا بين أصوات المد الطويلة والقصيرة (الحركات) في تقسيماتهم الصوتية، فوضعوا الألف والواو والياء في الأصول، ووضعوا الحركات في الزوائد، ولم يشيروا إلى وحدة الألف والواو والياء في حالة المد المحض، وأصوات المد القصيرة في الوظيفة اللغوية، بل ذهبوا إلى القول بسكون أصوات المد الطويلة، إذ هي متألفة عندهم من الألف والواو والياء في حالة سكون، سبق كل منهما حركة من جنسه، وكأن ما يحدث من تأثير لهذا الصوت في الصامت الذي يسبقه في أثناء التأليف بينهما إنما يرجع إلى تلك المجانسة، وقد يكون لنظرتهم هذه مسوغ من الناحية الصرفية، بيد أن الأمر من الناحية الصوتية خطأ واضح. أنظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية، ص٩٣-٩٤.

(٢) انظر: رسالة أسباب الحروف ص١٢٦.

(٣) ابن جني: الخصائص ١٢٧/٣.

(٤) انظر: المفصل ص٢٩٦.

وأطلق الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) مصطلح (المصوتة)[1] على أصوات المد الألف والواو والياء، وقال عن الصوت المصوت: «إنما حدث لجريان نفسه وامتداده». [2] وأطلق ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) مصطلح (حروف المد واللين) على الألف والواو والياء عندما قال: «وهي حروف المد واللين، وقيل لها ذلك لاتساع مخارجها».[3] واستخدم الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) مصطلح (الحروف الهوائية) أثناء حديثه عن مخارج الحروف إذ قال: «والواو والياء والألف والهمزة هوائية، إذ هي من الهواء لا يتعلق بها شيء».[4] كما استخدم مصطلح (حروف المد) إذ قال: «الحركة في الحقيقة بعض حروف المد».[5] هذا النص يشير إشارة واضحة إلى أن الاستراباذي يعتبر أصوات المد القصيرة (الحركات) أبعاض أصوات المد الطويلة، أي أنها مد مثلها ولا فرق بينهما إلا في الكمية. قال: «فمعنى فتح الحرف الإتيان ببعض الألف عقيبها، وضمها الإتيان ببعض الواو عقيبها، وكسْرها الإتيان ببعض الياء بعدها».[6] هذا بخصوص أصوات المد.

أما بخصوص ظاهرة المد[7]، فقد استخدم أغلب القدماء مصطلح (المد)[8] للدلالة عليها، واستخدم ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) مصطلح (مطل الحركات)[9] للدلالة

---

(١) التفسير الكبير ٣١/١.

(٢) المصدر السابق ٤٨/١.

(٣) شرح المفصل ١٣١/١٠.

(٤) شرح الشافية ٢٥٤/٣.

(٥) المصدر السابق ١١٨/١.

(٦) المصدر السابق ١١٨/١.

(٧) المقصود هنا بظاهرة المد غير أصوات المد، إذ هي زيادة الإطالة في نطق أصوات المد.

(٨) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٤٦/٤؛ والمبرد: المقتضب ٢١٠/١، وابن السراج: الأصول ص٤١١؛ والسيوطي: الأشباه والنظائر ٥٠/٢-٥١.

(٩) الخصائص ١٢٣/٣ وانظر ٣١٨/٢.

على تحول أصوات المد القصيرة إلى درجة الطول، لأسباب صوتية بحتة أو لعادة نطقية معينة. قال: «باب في مَطْل الحركات: وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها. فتنشيء بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو». [1] ومثّل لذلك بقوله: «وحكى الفرّاء عنهم: أكلت لحما شاةٍ، أراد: لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفا».

ومن إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من الصياريف، والمطافيل، والجلاعيد... ومن مطل الضمّة قوله -فيما أنشدناه وغيره-:

وأنني حيثُ ما يُشْرِي الهوى بصري   من حيثُ ما سَلَكوا أدنو فأنظور

(يشري: يحرّك ويقلق. ورواه لنا يَسْرِي)».[2]-

كما استخدم مصطلح (مطل الحروف) للدلالة على مدّ أصوات المد الطويلة أصلاً. قال: «والحروف المطولة هي الحروف الثلاثة اللّينة المصوّتة. وهي الألف والياء والواو... إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها، ثلاثة، وهي أن تقع بعدها... الهمزة، أو الحرف المشدّد، أو أن يوقف عليها عند التذكر. فالهمزة نحو كساء، ورداء»[3] ومثّل للمشدد بقوله:«وذلك نحو شابّة، ودابّة».[4] ومثّل للتذكر بقوله: «وأما مدّها عند التذكر فنحو قولك: أخواك ضربا، إذا كنت متذكراً للمفعول به... أي ضربا زيداً ونحوه».[5] يبدو أن ابن جني قصد بمصطلح (المطل) المبالغة بالمد. كما أشار ابن جني إلى سبب المد أثناء حديثه عن أصوات المد، إذ

---

(١) المصدر السابق ١٢٣/٣.
(٢) المصدر السابق ١٢٥/٣-١٢٦.
(٣) المصدر السابق ١٢٧/٣.
(٤) المصدر السابق ١٢٨/٣.
(٥) المصدر السابق ١٣٠/٣.

قال: «... فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً».[1] كما أنه استخدم مصطلح (المد) أثناء حديثه عن زيادة المد قبل الهمزة إذ قال: «تمكن المد فيهن مع الهمزة».[2] يبدو أن مصطلح (أصوات المد) أكثر تعبيراً عن طبيعة هذه الأصوات الصوتية، لأن من صفاتها إمكان مد الصوت بها، بسبب خروج الهواء حراً طليقاً إلى خارج الفم من غير حبس أو تضييق. ولأن المصطلحات الأخرى كأصوات العلة أو اللين أو الحركات، تؤدي معاني أخرى، كبعض المعاني الصرفية المتعلقة بهذه الأصوات، أو لأنها استقرت للدلالة على نوع بعينه من أصوات المد. كما أن مصطلح (أصوات المد) أوسع من المصطلحات الأخرى لأننا نستطيع أن ندخل تحت هذا المصطلح طائفة الحركات انطلاقاً مما ذهب إليه بعض اللغويين العرب من أنها أبعاض أصوات المد. أما علماء التجويد فقد كان بحثهم ظاهرة المد وأصواتها فيه شيء من التفصيل أكثر من علماء العربية. فقد عرّفوا المد، وبيّنوا سببه وأقسامه، ومقاديره، وأحكامه. والذي يهمنا من دراستهم المصطلحات التي استخدموها للدلالة على ظاهرة المد. فقد عرّفه المرادي (ت ٧٤٩ هـ) بقوله: «المد هو تطويل صوت الحرف لإشباع مخرجه».[3]

وعرّفه عبدالدائم الأزهري (ت ٨٧٠ هـ) بقوله: «المد: عبارة عن إطالة الصوت بالحرف الممدود».[4] وعرّفه آخرون من علماء التجويد بقولهم: «المد عبارة عن زيادة المط في حروف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به، والقصر عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله».[5]

---

(١) سر صناعة الاعراب ١/١٩-٢٠.

(٢) الخصائص ٣/١٢٧.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٢ (نقلاً عن كتاب المفيد للمرادي و ١٠٤).

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٢ (نقلاً عن كتاب الطرازات المعلمة لعبدالدائم الأزهري و ٥٠).

(٥) انظر: ابن الجزري: النشر ١/٣١٢؛ والقسطلاني: اللآلي السنية و ٢٦.

وقال علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) عن المد: «ولا يخفى أن المد ليس حرفاً ولا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد».[1] معنى هذا أن المد لا يؤدي إلى تغيير المعاني إذا كان في آخر الكلمة.

ويعرّف ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ) المد بأنه: الصوت الجاري في حروف المد، سواء كان ذلك الصوت يمثل ذاتها أو ما يعرض لها من الزيادة.[2] أما من حيث المصطلح الذي أطلق على أصوات المد فقد فرّق مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) تفريقاً دقيقاً بين المصطلحات التي أطلقت على هذه الأصوات (الألف والواو والياء). فقد لاحظ مكي أن وظيفة هذه الأصوات ليس مد الصوت بها، بل إن هذا المد، (لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن)،[3] لكنه وجد اختلافاً في درجة هذا المد بين الألف من جهة، والواو والياء من جهة أخرى، فالألف أكثر التصاقاً بالمد منهما، لأنها أمكن في هواء الفم عند خروجها. في حين أن الواو والياء قد يخرجان عن المد إلى ما يشبه «الصحة» في حالة تغيّر حركة ما قبلهما عن جنسهما[4]، وقد أطلق عليهما مكي إذا صارا في هذه الحالة مصطلح (حرفي اللين) فقط، مسقطاً عنهما صفة «المد» وعلل هذه التسمية بأنهما (يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغيّر حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين). [5] كلام مكي دقيق حقاً؛ الفم ينفتح بالألف أكثر بكثير من انفتاحه في نطق الواو والياء، ولكنه في كل الحالات يسمح بمرور الهواء بحرية تامّة تمنع حدوث الاحتكاك.

---

(١) علي القاري: المنح الفكرية ص٤٥.

(٢) انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/٤٦٥.

(٣) انظر: الرعاية ص١٢٥.

(٤) انظر : الرعاية: ص١٢٥-١٢٦.

(٥) مكي: الرعاية ص١٢٦.

كما تبيّن لي أن مكي فصل بين مصطلح (مد) ومصطلح (علّة) فصلاً تاماً. إذ أنه عند تقسيمه الأصوات اللغوية إلى طوائف بسبب من اختلاف مخارجها أو اختلاف صفتاها، أو اختلاف مسلكها، تحدث تحت مصطلح «أصوات المد واللين» عن أصوات (الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة) [1]، ثم تحدث تحت مصطلح «حروف العلة» عن أربعة أصوات هي (الهمزة والألف والواو والياء)، ولم يشترط في صوتي الواو والياء ههنا خلوصهما للمد خلوصاً كاملاً كما فعل في الكلام على «أصوات المد واللين»، ثم فسّر جمعه لهذه الأصوات الأربعة (بأن التغيير والاعتلال والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلاّ في أحدها، تعتلُّ الياء والواو وقد تقلبان ألفاً مرّة وهمزة مرّة، نحو كال وقالَ وسقاءً ودُعاءً، وتنقلب الهمزة ياء مرّة وواواً مرة وألفاً مرّة، فتقول داس وبوس وبير).[2] وعلى هذا يكون مصطلح علة مصطلحاً صرفياً بحتاً يشير إلى كثرة الانقلاب والتغيّر في هذه الأصوات الأربعة، ولا يشير إلى فكرة المد أبداً.

وهو أمر يعني أن القدماء كانوا يفصلون بين المصطلحين فصلاً تاماً وعليه يسقط اعتراض المحدثين على هؤلاء القدماء من أنهم يدخلون صوت الهمزة الصامت مع أصوات العلة، ذلك أن هؤلاء المحدثين قد فهموا من هذا المصطلح معنى المد (Vowel)، وهو أمر يدلل على أنهم لم يفهموا فكرة «العلة» عند أولئك القدماء. [3] وعرض مكي القيسي في أثناء حديثه عن أصوات المد واللين والحركات، لفكرة اختلاف اللغويين في حروف المد واللين والحركات الثلاث أيهما مأخوذ من الآخر.

---

(١) المصدر السابق ص١٢٥.

(٢) المصدر السابق ص١٢٨.

(٣) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص٩٦.

فذهب إلى أن أكثر هؤلاء قد جنح إلى القول بأن الحركات الثلاث مأخوذة من الحروف الثلاثة، الضمة من الواو، والكسرة من الياء، والفتحة من الألف، ومنهم من ذهب إلى أن حروف المد واللين الثلاثة مأخوذة من الحركات الثلاث[١]. وهذا الرأي أيّده ابن جني وأخذ به.[٢]

وذهبت جماعة من هؤلاء إلى أنه ليست هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاثة ولا الحركات مأخوذة من الحروف، إذ لم يسبق أحد الصنفين الآخر، وهذا الرأي أيده مكي وأخذ به[٣]. أما بخصوص مصطلح ظاهرة المد، فقد استخدم علماء التجويد مصطلح (المد) للدلالة على ظاهرة المد، واستخدم بعضهم إلى جانب مصطلح المد مصطلح (المط)[٤] واستخدم آخرون مصطلح (المطل).[٥]

كما استخدموا مصطلحات أخرى إضافة إلى مصطلح (المد) أثناء تقسيمهم المد، للدلالة على ظاهرة المد منها.

أ- المد الأصلي أو الطبيعي.

ب- المد اللفظي أو الفرعي.

كما استخدموا مصطلحات أخرى لبيان ظاهرة المد أثناء حديثهم عن

---

(١) الرعاية ص١٠٣-١٠٦.

(٢) انظر: سر صناعة الاعراب ص١/٢٦.

(٣) انظر: الرعاية ص١٠٦.

(٤) قال ابن الطحان في كتابه مرشد القارئ: «والمط: هو المد نفسه لغة ثانية فيه». انظر غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٥٢٤، وقال ابن الجزري مثل ذلك. انظر التمهيد ص٦٨.

(٥) قال الموصلي في كتابه (كنز المعاني): «والمطل ها هنا المد» ص١٠٩. وقد استخدم مصطلح المطل من قبل سيبويه في الكتاب ٤/٤٤٧، وتبعه ابن جني في استخدامه في كتابه الخصائص ٣/١٢٦ وتبعهم أيضاً السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر ٢/٤٦.

أسباب المد، منها:

- المد المتصل.
- المدّ المنفصل.
- مدّ البدل.
- المدّ العارض.
- المدّ اللازم.
- المدّ اللازم الكلمي المثقل.
- المد اللازم الكلمي المخفف.
- المد اللازم المخفف الحرفي.
- المد اللازم المثقل الحرفي.
- المدّ المشبع.
- مدّ التمكين.[1]

وسنبيّن هذا إن شاء الله.

أ- المد الطبيعي:

هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به، ولا يتوقف على همزة أو سكون، نحو (قال، ويقول، وقيل). [2] وسماه آخرون القصر إذ قالوا: «والقصر: عبارة عن صيغة حروف المد واللين، وهو المد الطبيعي».[3]

---

(١) هذه المصطلحات ذكرها ابن الطحان في كتابه (مرشد القاري و ١٣٣)؛ انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٤.

(٢) انظر: ابن الجزري: النشر ٣١٣/١؛ والتمهيد ص٦٨.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٤ ؛ وانظر: ابن الجزري: التمهيد ص٦٨.

ب- المد اللفظي:

هو المدّ الزائد عن المد الأصلي، ويكون بسبب همزة أو سكون يتلوان صوت المد «فاللّفظي إمّا همزة وإمّا ساكن».[1]

- المد المتصل: هو ما اجتمع فيه صوت المدّ مع الهمزة في كلمة واحدة نحو (أولئك، أولياء، يشاء الله، والسوأى، ومن سوء).[2]

- المدّ المنفصل: ويقع على صوت مد متلوّ بهمزة منفصلة عنه في كلمة أخرى نحو (بما أُنزل إليك، يا أيتها، قالوا آمنّا، أمره إلى الله».[3]

- المد المشبع: هو إشباع المد في المد المتصل والمد المنفصل بما يعادل ست حركات. قال الشيخ المتولي عن ورش أنه «قرأ بمد المنفصل والمتصل مداً مشبعاً، وهو ست حركات».[4] وذلك مثل كلمة (أولئك) ومثل كلمة (هؤلاء).

- مدّ التمكين: هو ياءان أولاهما مشددة مكسورة والثانية ساكنة. وسمي مد تمكين لأنه يخرج متمكناً بسبب الشدة نحو: «حُيِّيْتُم» النساء آية/٨٦.[5] متحرك بأيّ حركة كانت في حال الوصل. ثم يسكن هذا الحرف عند الوقف.[6] وذلك مثل: (فليعبدوا ربَّ هذا البيت). قريش آية/٣، ومثل (وآمنهم من خوف). قريش آية/٤.

---

(١) ابن الجزري: النشر ٣١٢/١.

(٢) انظر: ابن الجزري: النشر ٣١٣/١؛ والتمهيد ص١٧٤؛ وأحمد بن محمد الشافعي: إتحاف فضلاء البشر ص٣٧-٣٨.

(٣) انظر: ابن الجزري: النشر ٣١٣/١-٣١٥، والتمهيد ص١٧٤.

(٤) الشيخ: محمد بن أحمد المتولي: فتح المعطي وغنية المقري ص١٢.

(٥) حسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٨٣.

(٦) انظر: ابن الجزري: النشر ٣١٣/١؛ والتمهيد ص٦٨. ومحمد أحمد معبد: الملخص المفيد ص٦١.

- المدّ اللازم: ويكون بسبب السكون، ويقع على حرف المد المتبوع بسكون لازم في كلمة لا ينفك عنها وصلاً ووقفاً.[1] وسمي لازماً للزوم سببه، وهو السكون حال الوصل والوقف، أو للزوم مده بمقدار ستة حركات عند جميع القرّاء، ويقال أيضاً، مد العدل، لأنه يعدل حركة تفصل بين الساكنين.[2] وهذا المصطلح أطلق على أقسام أخرى للمد اللازم بإضافة القسم الجديد.

- المد اللازم الكلمي المثقل: ويقع على حرف المد المتبوع بحرف مشدد في كلمة نحو (الضالين، الحاقّة).[3]

- المد اللازم الكلمي المخفف: يكون عندما يقع بعد حرف المدّ حرف ساكن غير مشدد في كلمة نحو قوله تعالى: (ءالآن) يونس آية/٩١.[4]

- المدّ اللازم المخفف الحرفي: يكون عندما يمد حرف المدّ في لفظ أحد أحرف أوائل السور المجموعة في كلمتي (نقص عسلكم) ولا يدغم الحرف الأخير بالحرف الذي بعده نحو قوله تعالى: (ص والقرآنِ) ص آية/١.[5]

- المد اللازم المثقل الحرفي: ويكون عندما يمدّ حرف المدّ في لفظ أحد أحرف أوائل السور المجموعة في كلمتي (نقص عسلكم) ويدغم الحرف الأخير بالذي يليه بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً نحو: «الم» تُقرأ: «ألف لامّيم».

---

(١) محمد أحمد معبد: الملخص المفيد ص٦١؛ وانظر: الشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص٦٥.
(٢) الشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص٦٥.
(٣) انظر: ابن الجزري: النشر ١/٣٢٤، وحسني شيخ عثمان: حق التلاوة، ص٧٩.
(٤) حسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٧٩.
(٥) المرجع السابق ص٨٠.

ألف: لا مدّ فيها.

لام: الألف مدّ لازم مثقل حرفي لأن الميم مدغمة بالميم بعدها.

ميم: الياء مدٌّ لازم مخفف حرفي لأن الحرف الذي بعدها غير مشدد.[1]

- المدّ العارض: هذا المد بسبب السكون ويقع على حرف مدّ متلو بحرف متحرك، بأيّ حركة كانت في حال الوصل. ثم يسكن هذا الحرف عند الوقف وذلك مثل قوله تعالى: «فليعبدوا ربَّ هذا البيت» قريش آية/٣. ومثل قوله (وأمنهم من خوف) قريش آية/ ٤. فيه سكون عارض للوقف. وأكد ابن جني هذه الزيادة في أصوات المدّ بقوله: «اعلم أن هذه الحروف أين وقعت، وكيف وجدت، ففيها امتداد ولين؛ نحو قام، وسير به، وحُوت، وكوز، وكتاب، وسعيد، وعجوز. إلا أنّ الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة. وهي أن تقع بعدها... الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذكر».[2]

وقد استخدم مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) مصطلح (المد العارض) أثناء حديثه عن زيادة المد عند الوقف، حين قال: «فأما الوقف على أواخر الكلم، التي قبل الآخر منها حرف مدّ ولين، نحو: (عليم وخبير، ويعلمون) وشبهه، فإنه يلزم من وقف بالسكون أو بالإشمام فيما يجوز فيه الإشمام، أن يمد بين الساكنين، مداً غير مشبع، لالتقائهما في الوقف ولا يلزم إشباع المدّ لأن الوقف والسكون عارضان».[3]

---

(١) انظر: حسني شيخ عثمان: حق التلاوة ص٨٠.

(٢) الخصائص ٣/١٢٦-١٢٧.

(٣) الكشف: ١/٦٢.

- مد البدل: هو الذي ابدلت همزته الثانية ألفاً مثل (آمنو) فإن أصله (أأمنوا) أبدلت الهمزة الثانية ألفاً من جنس حركة ما قبلها.[١] وقد أشار بعض علماء التجويد إلى هذا المصطلح بقولهم: «وأمّا مدّ البدل فإنه نحو آمن وآزر وآدم لأن المدّ بدل من الهمزة الثانية».[٢] وسمّاه ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) المد للهمز في قوله: «واختلفوا في المد للهمز»[*]، كما أنه استخدم مصطلح (المد) للدلالة على ظاهرة المد في أكثر من موضع في كتابه (السبعة في القراءات)، وخصص فصلاً بعنوان (المد والقصر) تحدث فيه عن مواضع المد المختلفة مبيناً اختلاف القراء فيها.[٣] كما أن مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) استخدم مصطلح (المد) للدلالة على ظاهرة المد في أكثر من موضع في كتبه[٤] واستخدمه أيضاً الداني (ت ٤٤٤ هـ) وخصص له باباً في كتابه (التيسير في القراءات السبع) بعنوان باب (ذكر المدّ والقصر)[*]، واستخدم لفظ (تمكين، وزيادة التمكين، ويقصرون، وأقصر مدّاً، ويطوّلون) هذه الألفاظ تدل على درجات المد لأنها جاءت مقترنة بلفظ (المد أو حرف المد أو حروف المد).[٦]

واستخدم عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) مصطلح (المد) للدلالة على ظاهرة المد أثناء تعليله ظاهرة المد إذ قال: «العلة في وجوب المد تختلف...».[٧]

---

(١) الهمزة الثانية لم تبدل ألفاً، فهذا من وهم القدماء بسبب تأثير الشكل الكتابي على نظرهم، والذي حدث هو حذف الهمزة الثانية وإطالة الفتحة القصيرة التي قبلها لتكون فتحة طويلة (أأمنوا «ء ـَ ء م ـُ ن ـُّ»، آمنوا «ء ـَـ م ـَ ن ـُ»).

(٢) انظر: علي بن عثمان البغدادي: سراج القارئ ص٤٨؛ والسيوطي: الإتقان ١/١٢٩.

(٣) انظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات ص١٣٤ وما بعدها.

(٤) انظر: الرعاية ص١٤٩ و ص١٥١ و ص٢٦٠؛ والكشف ١/٤٦ و ٦٠ و ٦٨.

(٥) التيسير: ص٣٠.

(٦) انظر: الداني: التيسير ص٣٠.

(٧) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٨ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٦٦).

واستخدم مصطلح (المد) للدلالة على ظاهرة المد محمد بن الحسين الموصلي (ت ٦٥٦ هـ) في كتابه (كنز المعاني) حيث خصص باباً في كتابه بعنوان (باب المد والقصر).[١]

كما أن ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) استخدم مصطلح (المد) وكتب في كتابه (التمهيد) باباً بعنوان (باب المد والقصر)[٢] تحدث فيه عن المد العرضي وأقسامه، كما أنه خصص له باباً في كتابه (النشر) بعنوان (باب المد والقصر)[٣] تحدث فيه عن أقسام المد وأسبابه.

واستخدم القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) مصطلح (المد) وعرّفه وبيّن أسبابه وأقسامه في كتابه (اللآلي السنية).[٤]

واستخدم هذا المصطلح أيضاً طاش كبري زاده (ت ٩٦٨ هـ) في كتابه (شرح المقدمة الجزرية). [٥] كما استخدمه أيضاً علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) أثناء توضيحه لحقيقة المد عندما قال: «فلا يخفى أن المد ليس حرفاً ولا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد».[٦]

يبدو لنا مما تقدم أن هذه المصطلحات التي أطلقها علماء التجويد لتوضيح ظاهرة المد، كان الغرض منها تعليمياً، وذلك لبيان لفروق الدقيقة للتغيرات الصوتية التي تحدث لصوت المد. وكلها تدور في فلك المصطلح العام (المدّ) الذي يدل على تطويل زمن صوت المد لسبب من الأسباب.

---

(١) انظر: محمد بن الحسين الموصلي: كنز المعاني ص١٠٢.

(٢) انظر: التمهيد ص١٧٣.

(٣) انظر: النشر ٣١٣/١.

(٤) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٣.

(٥) انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥٢٣.

(٦) علي القاري: المنح الفكرية ص٤٥.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد درسوا ظاهرة المد وأصواتها دراسة حديثة تختلف نوعاً ما عن دراسة القدماء.

فعرّف بعضهم صوت المد: بأنه صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والفم، دون أن يتعرّض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً.[١] وعرّفه آخرون: بأنه عبارة عن تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتصالا من اللسان أو الشفتين. [٢] وذهب إبراهيم أنيس إلى أنه عند النطق بصوت (اللين)[٣] (يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل). [٤] ولقد عدّ خلو هذه الأصوات من الاحتكاك عنصراً جوهرياً فيها، وأساساً لتمييزها من الصوامت.

فالصوامت تختلف فيما بينها باختلاف موضع الإعاقة، فقد تحدث إعاقة مع إحداث احتكاك مسموع. وقد تحدث إعاقة بسد مخرج الهواء نهائياً حتى يتوقف خروجه ولو إلى وقت قصير.[٥]

وبهذا يمكن القول أن ظاهرة الإعاقة تعد معياراً جيداً في تصنيف الصوامت وبيان اختلاف بعضها عن بعض، غير أن ذلك لا ينطبق على أصوات المد لخلوّها من ظاهرة الاحتكاك، فالهواء يمر في أثناء أدائها إلى خارج الفم مروراً حراً من

---

(١) انظر: عبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة ص١٥٦-١٥٧؛ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١١٤-١١٥.

(٢) انظر: أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص١١٤.

(٣) لا يعني مصطلح (اللين) ما عناه الصرفيون بحرف اللين، فالمقصود هنا صوت المد.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٦.

(٥) انظر: محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة ص٤٢-٤٣؛ وعبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة ص١٥٨.

غير أن يَحدُث احتكاك أو إعاقة، فإن اختلافها فيما بينها يرجع إلى وضع اللسان في أثناء ذلك، إذ أن اختلاف هذا الوضع من وضع إلى آخر يؤدي إلى تغيّر حجرة الرنين، فتختلف من أجل ذلك أصوات المد الصادرة عنها تبعاً لتلك التغيرات وقد وضح (دانيال جونز) أوضاع اللسان أثناء عملية النطق بأصوات المد، ووضع مقاييس لذلك.(١)

كما نظر المحدثون إلى دور الشفتين في تنوع أصوات المد فعدّوه -إلى جانب معيار وضع اللسان في داخل الفم في أثناء أداء أصوات المد- معياراً ثانوياً في تنوع هذه الأصوات. إذ أن الشفتين تتخذان أوضاعاً معينة أثناء أداء كل صوت من أصوات المد.(٢) فالمحدثون نظروا إلى دور اللسان والشفتين في إطار هذه الأصوات، بينما أهمل بعض القدماء الإشارة إلى هذا الجانب.

هذا من ناحية تكوّن أصوات المدّ، أمّا من ناحية المصطلحات التي أطلقها المحدثون على أصوات المد أثناء دراستهم، فقد أطلق عليهم إبراهيم أنيس مصطلح (أصوات اللين) إذ قال: «وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك ما سموه بألف المدّ، وواو المد، وما عدا هذا فأصوات ساكنة».(٣) وأطلق مصطلح (أشباه أصوات اللين)(٤) على

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص٣١-٣٢.

(٢) للمزيد، انظر: المطلبي. فقد وضح هذا الجانب ونقل ما قاله المحدثون حوله في كتابه (في الأصوات اللغوية ص ٣٤-٣٧)، وانظر: عبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة ص١٥٩-١٦٧.

(٣) الأصوات اللغوية ص٢٨-٣٧.

(٤) الدكتور إبراهيم أنيس: لا يطلق مصطلح (أنصاف أصوات اللين) على الضمة الطويلة والكسرة الطويلة، لكنه يطلقه على (الواو والياء الصامتين) لأنهما من الناحية النطقية شبيهان بالضمة والكسرة الطويلتين، إلا أنهما من الناحية الفونولوجية المقطعية يحتلان مكان الصوامت في المقطع الصوتي، أي أوله وآخره. وفي ضوء هذا نفهم الفرق في كلام أنيس بين ألف المد وياء المد وواو المد فهذه حركات طويلة، وبين أشباه أصوات اللين (الواو والياء الصامتين).

صوتي (الــواو واليـــاء) وعلل هذه التسمية بقوله: هناك صوتان بين الأصوات اللغوية يستحقان دائماً أن يعالجا علاجاً خاصاً. لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين؛ ومع هذا فقد دلّت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف، وهذان الصوتان هما... الياء والواو في مثل (بيت، يوم). ففي تكوّن (الياء) نلحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع النطق بصوت اللين (i)، غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (i)؛ مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف. فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً. أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها فهي أقرب شبهاً بصوت اللين (i)، لهذا اصطلح المحدثون على تسمية (الياء) يشبه صوت اللين.

وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة (u)؛ فيسمع للواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف جعلها أشبه بالأصوات الساكنة. أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدّها شبه صوت اللين (u)... فللياء والواو طبيعة مزدوجة».[١] وأطلق آخرون من المحدثين مصطلح (الحركات)[٢] للدلالة على أصوات المدّ[٣]، وأطلق عبدالرحمن أيوب مصطلح (أنصاف الحركات) على صوتي الواو والياء في بعض أحوالهما.[٤] وذلك إذا جاء

---

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢-٤٣.

(٢) انظر: محمود حجازي: المدخل إلى علم اللغة ص٤٢، وعبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة ص١٥٦، وكمال بشر: الأصوات ص١٣٧، وبرجشتراسر: التطور النحوي ص٤٦-٥٢.

(٣) أوّل من أطلق مصطلح (الحركات) للدلالة على أصوات المد أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)؛ انظر: المحكم للداني ص٤.

(٤) أصوات اللغة ص١٧٤.

بعد الواو والياء صوت مدّ، أو كان قبل الواو والياء مباشرة صوت مد مغاير، ويكون بوجه عام صوت الفتحة[١] ذلك لأنه لا يمكن لأي من هذين الصوتين أن ينطق هنا من غير أن يحدث احتكاك يؤدي به إلى التخلص من حالة المد المحض. وأطلق عليهما في هذه الحالة أيضاً كمال بشر مصطلح (أنصاف صوامت) وذلك عندما قال: «ولهذا يطلق عليهما العلماء في هاتين الحالتين «أنصاف الحركات Semi Vowels. وليس هناك أبداً ما يمنع من تسميتها أنصاف صوامت، ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته في الدراسة اللغوية، وهو أيضاً ما تعارف عليه الدارسون »[٢] وقال في موضع آخر موضحاً مصطلح (أنصاف الحركات) يطلق هذا المصطلح على تلك التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات، ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى. ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية، ولقصرها وقلة وضوحها في السمع إذا قيست بالحركات الصرفة، عُدَّت هذه الأصوات أصواتاً صامتة. لا حركات؛ على الرغم مما فيها من شبه واضح بالحركات. (وعندنا في العربية من هذا النوع صوتان هما الواو والياء في ولد، يترك، حوض، بيت).

والحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصرف تقترب من الحركات في صفاتها. ولكنها في التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة، ومن هنا كانت تسميتها بأنصاف حركات، ويجوز تسميتها بأنصاف صوامت. ولكن المصطلح الأول هو المشهور ».[٣]

---

(١) انظر: كمال بشر: الأصوات ص٨٥.

(٢) المرجع السابق ص٨٦.

(٣) كمال بشر: الأصوات ص١٢٢-١٢٣.

وأطلق كمال بشر مصطلح (أشباه الحركات) على أصوات (م،ن، ل،ر)، وأطلقه آخرون على صوتي (الواو والياء).[1] هنا دلالة المصطلح تختلف. وأطلق عليهما آخرون مصطلح (أنصاف المد).[2] كما أطلق آخرون من المحدثين مصطلح (الأصوات الصائتة) على أصوات المد.[3]. وأطلق براجشتراسر مصطلح (المد) على مدّ الحركات وعلى الصوت المشدد الصامت. قال: «وللمد موضع ثان في تركيب الأصوات، غير مدّ الحركات، هو التشديد، فإن الحروف المشددة، وخصوصاً المتمادة.[4] منها، من أهم خصائصها أن امتداد نطقها، أطول من امتداد نطق الحروف غير المشددة. فالتشديد مدّ للحروف الصامتة، نظير لمد الحروف الصائتة أي الحركات».[5] واستخدام هذا المصطلح للدلالة على الأصوات الصامتة المشددة لم أجده عند أحد ممن اطلعت على كتبهم غير براجشتراسر.

يبدو لي أن المحدثين لم يشيروا إلى ظاهرة (المد) مباشرة بالدراسة؛ بل ما ذكروه يتعلق بأصوات المد من حيث الاختلاف في تسمياتها، وصفاتها، وتناوبها. واختلافها في نوع التصويت، ودرجة الطول. ولم يذكروا الغرض من ظاهرة المد. حتى القدماء لم يوضّحوا غرض المد، وما ذكروه يتعلق بأصوات المد لا بظاهرة المد، فقد أشاروا إلى حرية مرور الهواء إلى خارج الفم من غير أن يحدث احتكاكاً أثناء النطق بها، ثم أشاروا إلى شيء من عمل اللسان في تصويتها، ثم وصفوا الهيئات التي تتخذها الشفتان في أثناء ذلك[6]، وذهبوا إلى أنها أصوات مجهورة تمتاز بقوتها على الاستمرار في التصويت، وإمكان مدّ الصوت بها.

---

(١) الأصوات ص١٣٢-١٣٥.

(٢) المطلبي: في الأصوات اللغوية ص٣٢٦.

(٣) براجشتراسر: التطور النحوي ص٤٦-٥٣.

(٤) يقصد الرخوة.

(٥) براجشتراسر: التطور النحوي ص٥٣.

(٦) وهي أول إشارة وصلتنا من أبي الأسود الدؤلي. انظر: المحكم للداني ص٤.

ثم أشاروا إلى وظيفتها اللغوية، فبيّنوا أنها تأتي ليوصل بواسطها إلى التكلم بالصوامت.[١] إذ لا يمكن لهذه الصوامت أن يتصل بعضها ببعض في سرد الكلام من غير أن تفصل بينها أصوات المد. ذكروا هذه الوظائف العامة لأصوات المد، ولم يذكروا الغرض من ظاهرة المد في الكلام. ويبدو أن الغرض من المد، هو الانسجام الصوتي بين صوت المد والصوت الذي يأتي قبله أو يأتي بعده. وذلك لأن المد ليس حرفاً ولا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد. كما قال علي القاري.[٢]

الإمالة:

هذا المصطلح استخدمه القدماء والمحدثون للدلالة على ميل الفتحة نحو الكسرة. وقد بيّن العلماء معناه اللغوي إذ قالوا: «الإمالة: من الميل، وهو العدول إلى الشيء، والإقبال عليه.[٣] ومال عن الطريق يميل ميلاً: تركه وحاد عنه.[٤]

وعرّفها علماء العربية: بأنها تقريب الفتحة، طويلة كانت أم قصيرة، إلى الكسرة طويلة كانت أم قصيرة، وخير ما يمثل هذا التعريف قول ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ): «بأنها عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة وبحسب بعده تكون خفتها».[٥] وأيضاً قول ابن الحاجب (ت

---

(١) يقول سيبويه: «قال الخليل: الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به). انظر: الكتاب ٣١٥/٢، طبعة بولاق.

(٢) انظر: المنح الفكرية ص٤٥.

(٣) انظر: ابن منظور: اللسان، مادة (ميل) ٦٣٦/١١.

(٤) انظر: الفيومي: المصباح المنير، مادة (مال) ٥٨٨/٢.

(٥) شرح المفصل ٥٤/٩.

٦٤٦ هـ): «الإمالة: أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة»[١]، وإمالة الفتحة نحو الكسرة وسيلة من وسائل تيسير النطق وبذل أقل مجهود عضلي، إذ الغرض من الإمالة تحقيق الإنسجام الصوتي. يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ): «فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: (عابِدٌ... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا: (صَدَّر)، فجعلوها بين الزاي والصاد... فكما يُريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يُقرِّب الحرف على قدْر ذلك.»[٢] ومن جاء بعد سيبويه ذكر المعنى نفسه.[٣] قال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) وهو يوضح حقيقة الإمالة:«إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت»[٤]، وجعلها ضرب من ضروب الإدغام الأصغر، وهي عنده (لتقريب الصوت من الصوت، وذلك نحو عالِم...؛ ألا تراك قرّبت فتحة العين من عالِم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألِف نحو الياء).[٥] وسمى هذه الألف ألف الإمالة ووصفها بأنها (التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالِم وخاتِم عِالِم وخِاتِم)[٦]، وفرق بينها وبين ألف أخرى سماها ألف التفخيم [٧]، وتنص عبارته علـى أن الألف في التفخيم هي التي مالت نحو

---

(١) الاستراباذي: شرح الشافية ٤/٣.

(٢) الكتاب ١١٧/٤.

(٣) انظر: المبرد: المقتضب ٤٢/٣، وابن يعيش: شرح المفصل ٥٤/٩، والاستراباذي: شرح الشافية ٥/٣، والمرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية (ابن مالك ١٠٨٦/٥، وخالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح ٤٤٦/٢، والسيوطي: همع الهوامع ٢٠٣/٢.

(٤) سر صناعة الاعراب ٥٨/١، وانظر اللمع ص٣١١.

(٥) الخصائص ١٤٣/٢.

(٦) سر صناعة الاعراب ٥٥/١.

(٧) انظر: المصدر السابق ٥٦/١.

الواو، أما في الإمالة فإن الفتحة قبلها هي التي مالت نحو الكسرة.[1] (وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سلاُم عليكم وقاُم زيد. وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو. كما كتبوا: إحداهما وسوأهن (إحديهما وسويهن) بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة).[2] فالإمالة في الأصل عنده نوع من الانسجام الصوتي بين الحركات يؤدي إلى تغيير في الألف «لأن الألف لا يكون ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً».[3] والألف المحض لا يكون إلا بعد الفتح المحض، ويميل إلى جانب الياء بقدر إمالة الفتحة إلى جانب الكسرة ضرورة».[4]

أما عبارة سيبويه فإنها تؤكد على عكس هذا، وإن كانت النتيجة واحدة، إذ يرى أن الإمالة إنما تكون في الألف بأن ينحى بها نحو الياء ولأجل الألف المنحو بها هذا النحو تغير الحركة قبلها (فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عابِد وعالِم... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها...)[5]، فالألف عند سيبويه قد أميلت لأجل الكسرة التي بعدها، أما الحركة التي قبلها فإنها تمال بسبب إمالة الألف (واعلم أن الألف إذا دخلتها الإمالة دخل الإمالة ما قبلها).[6] والذي أراه أن الإمالة فيما ذهب إليه سيبويه أصوب، لأن الحركة قبل الألف إنما كانت بسببه ولمناسبته فتُغيّر إذن بتغيره.

---

(١) لا توجد فتحة قبل الألف، وإنما الألف هي فتحة مشبعة، ومدها لتصبح فتحة طويلة- والقول بوجود فتحة قبل الألف قول غير سليم.

(٢) سر صناعة الاعراب ٥٦/١.

(٣) ابن جني: المحتسب ٢١٩/١.

(٤) الاستراباذي: شرح الشافية ٤/٣.

(٥) الكتاب ١١٧/٤.

(٦) المصدر السابق ١٢٦/٤.

وأشـار الزمـخـشـري (ت ٥٣٨ هـ) إلى ظاهرة الإمالة أثناء حديثه عن المشترك إذ قال: «فمن أصناف المشترك الإمالة، يشترك فيها الاسم والفعل وهي أن تنحو بالألف نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء ليتجانس الصوت».[1] وتناول ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) ظاهرة (الإمالة) بالدرس والتحليل[2]، وعرّفها بقوله: «الإمالة: هي أن تنحو بالألف نحو الياء وبالفتحة التي قبلها نحو الكسرة» [3]، ودرس الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) ظاهرة الإمالة وعرّفها وبيّن أنواعها إذ قال: (الإمالة على ثلاثة أنواع:

١- إمالة فتحة قبل الألف إلى الكسرة؛ فيميل الألف نحو الياء.

٢- وإمالة فتحة قبل الهاء إلى الكسرة، كما في رحمة.

٣- وإمالة فتحة قبل الراء إليها، نحو الكبر.

فإمالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة».[4]

وفسّر خالد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) الإمالة وبيّن سببها، بأنها كانت من أجل (تناسب الأصوات وصيرورتها من نمط واحد، وبيان ذلك أنك، إذا قلت عابد كان لفظك بالفتحة والألف تصعداً واستعلاء، فإذا عدت إلى الكسرة كان انحداراً وتسفلاً فيكون في الصوت بعض اختلاف، فإذا أملت الألف قرب من الياء، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة فتقارب الكسرة الواقعة بعد الألف وتصير الأصوات من نمط واحد).[5] وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ): «المقصود بالإمالة: تناسب

---

(١) المفصل ص٣٣٥، وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٩/٥٣-٥٤.

(٢) انظر: شرح جمل الزجاجي ٢/٦١٣.

(٣) شرح جمل الزجاجي ٢/٦١٣.

(٤) شرح الشافية ٣/٤.

(٥) شرح التصريح ٢/٣٤٦.

الصـوت وذلك أن الألف واليـاء وإن تقـاربا في وصف قـد تبـاينا من حـيث أن الألف من حروف الحلق والياء من حروف الفم فقاربوا بينهما بأن نحوا بالألف نحو الياء ولا يمكن أن ينحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة فيحصل بذلك التناسب». [1] وهذا أمر يوضح أن الإمالة إنما جاءت لضرب من المماثلة بين أصوات المدّ.

وقد ذكر القدماء أن الإمالة ظاهرة ترتبط في بعض اللهجات العربية، ولا نريد أن نذكر كل ما قاله القدماء حولها. فقد تناولوها بالشرح والتفصيل: فذكروا أسبابها، وأنواعها، وموانعها... وغير ذلك.[2]

والذي يهمنا أن هذا المصطلح شاع عند القدماء لوصف هذه الظاهرة. أي الصور النطقية للفتحة الطويلة (الألف).

أما علماء التجويد فقد استخدموا مصطلح (الإمالة) تعبيراً عن الصور النطقية للفتحة الطويلة (الألف) لكن عنايتهم بدراسة هذا المصطلح كانت محدودة، لم تتعد توضيح طبيعة إلامالة ودرجاتها دون الخوض في أسبابها وتفصيلاتها. قال مكي القيسي (ت ٤٣٨ هـ) وهو يتحدث عن حروف الإمالة ومعنى الإمالة: «أن تُميل الفتحة نحو الكسرة، وتُميل الألف نحو الياء».[3] وقال في موضع آخر: «ومعنى الإمالة في الألف: أن تَنْحوَ بها نحو الياء، ولا تقدر على ذلك حتى تنحو بالفتحة التي قبلها نحو الكسرة».[4] وقسّم الداني (ت ٤٤٤ هـ)

---

(١) همع الهوامع ٢/٢٠٠.

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٢٥؛ وابن يعيش: شرح المفصل ٩/٥٤؛ وابن عصفور: شرح الجمل ٢/٦١٣؛ والاسترابادي: شرح الشافية ٣/٤.

(٣) الرعاية ص١٢٩.

(٤) المصدر السابق ص١٣٠.

في كتابه (الموضح) الإمالة إلى متوسطة وشديدة.[١] وتحدّث ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ) في كتابه (مرشد القارئ) عن مصطلح الإمالة إذ قال: «والإمالة: عبارة عن ضد الفتح، وهي نوعان، إمالة صغرى، وإمالة كبرى؛ فالإمالة الصغرى حدّها أن يُنطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر قليلاً، والعبارة المشهورة في هذا بين اللفظين، ومعنى بين اللفظين بين الفتح الذي حددنا[٢] وبيّن الإمالة الكبرى.

والإمالة الكبرى حدّها أن يُنطَق بالألف مركبة على فتحة تُصرف إلى الكسرة كثيراً، ونهاية ذلك أن لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء».[٣] وقال في كتابه (مخارج الحروف): «والألف الممالة نوعان: صوت مبطوح صرف، ... وصوت بين الصوتين: الفتح، والبَطح».[٤]

واستخدم الجعبري (ت ٧٣٢ هـ)[٥] مصطلح الإمالة عندما قال: «وهي تنقسم إلى إمالة كبرى ويقال لها إمالة محضة، وهي الإمالة التي لو زيدت لصارت الألف ياء محضة، والفتحة كسرة محضة. وإلى إمالة صغرى، ويقال لها بين بين، أي بين الفتح الخالص وبين الإمالة الكبرى، وهي الإمالة التي لو نقصت لصارت

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٧٢.

(٢) حدّد ابن الطحان الفتح بقوله: «الفتح: عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة إلى مذاق الكسر، وتحديده أن يُؤتى به على مقدار انفتاح الفم مثاله (كان) يركب صوت الألف على فتحة الكاف، وهي فتحة خالصة لا حظّ للكسر فيها، معترضة على مخرج الكاف اعتراضاً، وتحقيقه أن ينفتح له الفم في النطق بكان ونظيره، كانفتاح الفم في قال ونظيره». انظر غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٧٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٧٣. (نقلاً عن كتاب مرشد القارئ لابن الطحان و ١٣٤-١٣٥).

(٤) ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها ص١٠٠.

(٥) الجعبري (برهان الدين إبراهيم بن عمر ت٧٣٢ هـ) له نظم (تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٣/١٠٠٢). وله (الهبات الهنيات في المصنفات الجعبريات). مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٣٠١٢٤).

الألف ألفاً محضة، والفتحة فتحة محضة».[1] واستخدم ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) مصطلح (الإمالة) أثناء حديثه عن حروف الإمالة.[2]

واستخدم بعض علماء التجويد في كتبهم عبارة (البطح والاضجاع) بمعنى الإمالة الكبرى.[3] وقد أدرك علماء التجويد أن الإمالة تقريب بين الأصوات مثل الإدغام، وإن كان الإدغام ظاهرة صوتية سببها التركيب الصوتي، فهو أعم من الإمالة، لأن الإمالة ظاهرة صوتية خاصة في بعض اللهجات العربية، فهي ليست لغة جميع العرب.

والمحدثون من علماء التجويد استخدموا مصطلح (الإمالة) أيضاً للتعبير عن ظاهرة الألف التي بين الألف والياء، لا هي ألف خالصة ولا ياء خالصة، وإنما هي ألف قربت من لفظ الياء لعلل أوجبت ذلك فهي متولدة من الألف المحضة والياء المحضة. كما أنهم قسّموا الإمالة إلى كبرى وصغرى.[4]

لم يهتم المحدثون من علماء التجويد بظاهرة الإمالة كثيراً، وإنما كانوا في معظم حديثهم متابعين للقدماء فيه، ولم يزيدوا على كلام السابقين شيئاً.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد استخدموا مصطلح (الإمالة). وعرّفوا صوت الإمالة: بأنه صوت مدّ (يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار، ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة، ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج، إلا أنه دون

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٣٧٥ (نقلاً عن كتاب جهد المقل للمرعشي و ٤١).

(٢) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٠٥.

(٣) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١٣٩-٦٨٨، وابن الجزري: التمهيد ص٧٢.

(٤) انظر: الشيخ أحمد أبو زيتحار: السبيل ص٢٦، والسيد عبدالغفار الزيات، مصباح المريد ص٢٦، والشيخ حبيب الكندي: مغنم الصبيان ص١١.

الانفراج الذي يكون مع الكسرة).[1] وقد أفاض بعضهم في الحديث عن ظاهرة الإمالة فاستنتج صورها من كتب القدماء، وبيّن موانعها، وذكر القبائل التي تميّل والقبائل التي لا تميّل.[2] وعلّق بعضهم على هذه الظاهرة النطقية بقوله: «هذا القلق في الصوت الذي نسمعه في الإمالة على ألسن القبائل العربية، والتردد بين ظهوره أحياناً في قبيلة وخفائه في أخرى، وظهوره في بعض القبيلة وخفائه في بعض، واختفائه في حاضرة الحجاز، وظهوره في بعض صوره عند بعضهم، وكثرته في قبائل البداوة وخفائه في بعض صوره عندهم، يجعلنا نميل إلى أن الصوت كان يمر بمرحلة اضطراب وقلق، هي ارهاصات تطور صوتي فيه تخليط بين الألف التي هي من أصل ياء والتي جاءت زائدة ابتداء، والتي هي منقلبة عن واو، فهو إذن صوت كان يمر بمرحلة انتقال[3]، ويرى إبراهيم أنيس أن الإمالة فيما كان من الياء كانت مرحلة الانتقال إلى الألف فـ(باع) عنده كانت (بَيْع ثم إمالة ثم فتح... ونستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التي عرف عنها الفتح قد قطعت مرحلة أخرى في تطور لهجاتها...).[4] والإمالة عندهم نوع من الانسجام الصوتي قال إبراهيم أنيس وهو يتحدث عن الإمالة: «فليس هذا إلا نوعاً من الانسجام بين أصوات اللين... ولا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح وبالعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض بأن تصبح متشابهة لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة». [5] وأشار برجشتراسر إلى ظاهرة الإمالة، وعلّق على دراسة القدماء لها

---

(١) محمد الأنطاكي: المحيط ٤٢/١.

(٢) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص١٦٢ وما بعدها؛ وغانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٧٠ وما بعدها؛ وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٢٠١ وما بعدها.

(٣) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٢٠٤.

(٤) في اللهجات ص٦٦-٦٧.

(٥) في اللهجات ص٦٧؛ وانظر الأصوات اللغوية ص٣٩ وما بعدها، فقد تحدث فيها عن الإمالة عند القدماء والقراء وبين رأيه فيها.

من نحويين وقرّاء إذ قال: «والمقرئون وفّوا الإمالة كل حقها، مقتصرين على ما وجد منها في قراءات القرآن الكريم. والنحويون لم يوفقوا إلى ضبط حالاتها، وتقييد قواعدها تماماً...».[1] ثم تحدث عن جنسيها.[2] وقد أهمل أغلب المحدثين الإشارة إلى ظاهرة الإمالة، لأنها ظاهرة استخدمتها بعض القبائل العربية، فهي ليست لغة العرب جميعهم.

الروم والإشمام:

هذان المصطلحان من المصطلحات الخاصة بالحركات (الصوائت) أشار إليهما العلماء قديماً.

والروم: [3] هو عبارة عن النطق ببعض الحركات، حتى يذهب معظم صوتها، فتسمع لها صويتاً خفياً يدركه الأعمى بحاسة سمعه دون الأصم.[4] وعرّفه اللغويون العرب بأنه (حركة مختلسة مخفاة بضرب من التخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تسمع).[5] وقال آخرون: «هو الإتيان بالحركة مع إضعاف صوتها، فتكون حالة وسط بين الحركة والسكون».[6]

والإشمام: (هو إيماء بالشفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف فلا يقرع السمع، ولذلك لا يعرفه إلا البصير، ويستعمل فيما يعالج بالشفتين من

---

(١) التطور النحوي ص٥٩.

(٢) المرجع السابق ص٥٩-٦٠.

(٣) قال بعض المحدثين (الروم: صوت مد قصير جداً، له ما لصوت المد، لأنهم يسمع). انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص١٧٣.

(٤) ابن الجزري: التمهيد ص٧٣.

(٥) انظر الزبيدي: تاج العروس ٣٢٠/٨.

(٦) انظر: السيوطي: الهمع ٢٠٧/٢؛ والأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٠٩/٤.

الحركات، وهو الرفع والضم لا غير).[1] وهو يُرى بالعين لا غير. أو هو ضم الشفتين بعد الإسكان في المرفوع والمضموم، للإشارة للحركة من غير صوت».[2] واستخدم القدماء من علماء العربية مصطلح (الإشمام). قال سيبويه في باب الوقف في آخر الكلم: «... فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن...».[3] وقد استخدم سيبويه مصطلح الإشمام في أكثر من موضع من كتابه.[4] كما أنه استخدم مصطلح (الروم) إذ قال: «... وبأن تروم الحركة التحريك»[5]، كما أن ابن جني استخدم مصطلح (الإشمام) وبيّن معنى الإشمام في أكثر من موضع من كتبه.[6] فقد بيّن أن الإشمام إنما هو للعين لا للأذن. وقد وضّحه بعد أن ذكر قول الراجز:

متى أنام لا يؤرِّقُني الكرى
ليلاً ولا أسمعُ أجراس المِطي

(بإشمام القاف من يؤرقني، ومعلوم أن هذا الإشمام إنما هو للعين لا للأذن وليست هناك حركة البتة ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن... فنعوا من الحركة بأن يومئوا إليها بالآلة التي من عادتها أن تستعمل في النطق بها من غير أن يخرجوا إلى حس السمع شيئاً من الحركة مشبعة ولا مختلسة، أعني

---

(١) الداني: التحديد ص١٧٢. وانظر: مكي القيسي: الكشف ١٢٢/١

(٢) انظر: السيوطي: الهمع ٢٠٧/٢؛ والأشموني: شرح الأشموني ٢٠٩/٤.

(٣) انظر: الكتاب ١٦٨/٤.

(٤) انظر: الكتاب ١٦٩/٤، ١٧١، و ١٧٢، و ٣٤٢، و ٣٤٣.

(٥) المصدر السابق ١٦٨/٤.

(٦) انظر: الخصائص ٧٤/١ وسر صناعة الاعراب ٥٩/١ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٨. والمنصف ٢٤٩/١ و ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٥٥.

أعمالهم الشفتين للإشمام في المرفوع بغير صوت يسمع هناك).[1] يفهم من هذا أن الإشمام عنده هو أن يؤتى بالحرف ساكناً ويشار إلى حركته بإعمال الشفتين من غير إظهار صوت.

ومن الإشمام أيضاً ما جاء عن بعض العرب في فُعِل من الأجوف، حيث قيل: (خَيف وبَيع قَيل... وأما من أشم فإنه أراد البيان وقد كان في الفاء ضمة فأشم الكسرة فصارت الحركة في الفاء بين الضمة والكسرة بمنزلة الحركة في كافِر وجابِر لأنها بين الفتحة والكسرة).[2] وكان سيبويه من قبل قد قال: «وبعض العرب يقول: خيفَ، وبيعَ، وقيلَ، فيشم، إرادة أن يبيِّن أنها فُعِلَ».[3] الإشمام هنا يختلف عن الإشمام في باب الوقف، لأن المراد به هنا: الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر، ويسمى روماً.[4] وفسّره العلوي: «بأن يُؤتى بجزء من الضمة قليل سابق، وجزء من الكسرة كثير لاحق، ومن ثَمّ تمخضت الياء».[5] وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): «وتقول فيما لم يُسَمّ فاعله قيل وبيع بالكسر وقيل وبيع بالإشمام».[6] كما أنه أشار إلى هذا المصطلح في باب الوقف إذ قال: «والإشمام وهو ضم الشفتين بعد الإسكان»[7]، كما أنه أشار إلى مصطلح الروم عندما قال: «والرَّوم: وهو أن تروم التحريك»[8]، كما أن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) استخدم مصطلح (الإشمام) للتعبير عن إشمام السين صوت الزاي فقال أثناء

---

(١) ابن جني: الخصائص ٧٤/١.

(٢) ابن جني: المنصف ٢٤٩/١.

(٣) الكتاب ٣٤٢/٤.

(٤) صالحة غنيم: اللهجات في الكتاب لسيبويه ص١٦٥ حاشية رقم ٧.

(٥) نقلاً عن حاشية الخضري ١٦٩/١.

(٦) المفصل ص٢٧٧؛ وانظر ابن يعيش: شرح المفصل ٧٤/١٠.

(٧) المفصل ص٣٣٨.

(٨) المفصل ص٣٣٨.

شرحه كلام ابن الحاجب: «قوله: (وضورع بها) أي بالصاد الزاي متحركة أيضاً: أي إذا تحركت الصاد وبعدها دال أشِمَّ الصادُ صوتَ الزاي، ولا يجوز قلبها زاياً صريحة، لوقوع الحركة فاصلة بينهما، وأيضاً فإن الحرف يَقْوى بالحركة، فلم يقلب، فلم يبق إلا المضارعة للمجاورة، والإشمام فيها أقل منه في الساكنة».[1] استخدم هنا مصطلح الإشمام للتعبير عن خلط الصاد بالزاي.

وقد استخدم بعض علماء العربية من المتأخرين مصطلح (الإشمام) أثناء حديثهم عن حركة فاء المبني للمجهول من الأجوف[2]، كما أن بعضهم استخدم هذا المصطلح وعزاه إلى لهجة من اللهجات.[3]

أمّا علماء التجويد فقد استخدموا مصطلحي (الروم والإشمام) وعرّفوهما وبيّنوا مواضعهما وموانعهما وحالاتهما. وأول من استخدم مصطلح الإشمام من علماء التجويد ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) فقد أطلقه على خلط الصاد بالزاي في مثل (الصراط) قال: «غير أن حمزة كان يُشِمُّ الصاد فيلفظ بها بين الصاد والزاي». [4] كما أن مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) استخدم مصطلحي (الروم والإشمام) عندما قال: «اعلم أن الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيّن الحركة، كيف كانت في الوصل. وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام، لأن الروم يُسْمَعُ ويُرَى، والإشمام يُرَى، ولا يُسمع. فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشمَّ الحركة أتى بدليل

---

(١) شرح الشافية ٢٣٢/٣.

(٢) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٧٤/١٠؛ والاستراباذي: شرح الشافية ٢٧٠/٢-٢٧١؛ وشرح ابن عقيل ١١٧/٢؛ وشرح الأشموني ٦٢/٢.

(٣) انظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٦١/١.

(٤) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١٠٥-١٠٦.

ضعيف على ذلك». [١]كما أن الداني (ت ٤٤٤ هـ) استخدم مصطلحي (الروم والإشمام) وعرّفهما وفصّل القول فيهما إذ قال:« ... والروم أتمُّ من الإشمام، لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، فيسمع لها صويت خفي يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه، ويستعمل في الحركات الثلاث... وأما الإشمام فلرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالشفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف، فلا يقرع السمع، ولذلك لا يعرفه إلا البصير، ويستعمل فيما يعالج بالشفتين من الحركات، وهو الرفع والضم لا غير».[٢] الذي يبدو من النص السابق أن الروم يكون في الحركات الثلاث، وأن الإشمام لا يكون إلا في المرفوع. وأن عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) أخرج المفتوح من الروم إذ قال: «وإنما كان الروم في المكسور والمضموم إعراباً كان أو بناء دون المفتوح وإن كان الأصل استواءهما في الروم، لأن المفتوح أخف، وحركته أسرع ظهوراً، فلو رام الرائم الإتيان ببعضها وجزئها جاء كلها وجملتها».[٣]كما أن القرطبي استخدم مصطلح (الإشمام) وبيّن وجه انحصار الإشمام بالضمة دون الفتحة والكسرة[٤]، فقال: «واختص به المرفوع والمضموم دون المكسور والمجرور، والمفتوح والمنصوب لأن الضم من الشفتين، وإذا أومأ بشفته نحوه أمكن الإيماء، وأدركه الرائي وإن انقطع الصوت، لأن الرائي يدرك مخرج هذه الحركة وهو الشفتان، فأمكن أن يدركها، أما في المجرور والمكسور والمنصوب والمفتوح، فإنما امتنع لأن الكسر

(١) الكشف: ١/١٢٢.

(٢) التحديد ص١٧١، ١٧٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١٠ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٨٧).

(٤) عرّف ابن الطحان الإشمام وبيّن مواضعه عندما قال: «والإشمام عبارة عن ضم الشفتين، وهو بالأوائل والأواسط والأطراف، يكون دليلاً على الضمة... فيكون صوغه بأوائل الكلم مع الشروع في كسر الحرف المشم، ويكون صوغه بأوساطها عند سكونها الخالص في مدغماتها، ويكون صوغه بأطرافها عند سكونها الوقفي وأثر حصوله. ولا يقصد به أن يقرع سمعاً في جميعها). انظر: غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١١ (نقلاً عن كتاب مرشد القارىء لابن الطحان و١٣٥).

ليس من الشفة، وإنما من مخرج الياء، ومخرج الياء من شجر الفم، والنظر لا يدرك حركته، وكذلك الفتح من الألف، ولا آلة للألف يدركها النظر، لأن مخرجها من الحلق، والرائي لا يدركه ولا يدرك حركته، والصوت ينقطع دون الشروع في هذا الجزء من الحركة، فلم يبق للنظر ولا للسمع وصول إلى إدراكه، فامتنع الإشمام فيه لذلك».[1] وقد عرّف ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) مصطلحي (الروم والإشمام) بقوله: «وأما الرَّوْمُ فهو عبارة عن النطق ببعض الحركات، حتى يذهب معظم صوتها، فتسمع لها صويتاً خفياً، يدركه الأعمى بحاسة سمعه دون الأصم.

وأما الإشمام فهو عبارة عن ضم الشفتين بعد سكون الحرف من غير صوت، ويدرك ذلك الأصم دون الأعمى. ويعبّر عنه ويراد به خلط حركة بحركة، نحو (قِيْلَ) في قراءة من أشم، ويطلق أيضاً ويراد به خلط حرف بحرف في نحو (الصراط) و (أصدق).[2] وقد ذكر ابن الجزري أن الكوفيين يختلفون عن غيرهم في إطلاق مصطلح الإشمام والروم، عندما قال: (حكى عن الكوفيين أنهم يسمون الإشمام روماً، والروم إشماماً، قال مكي وقد روى الكسائي الإشمام في المخفوض، وأراه يريد به الروم، لأن الكوفيين يجعلون ما سميناه روماً إشماماً وما سميناه إشماماً روماً، وذكر نصر بن علي الشيرازي في كتابه الموضح أن الكوفيين ومن تابعهم ذهبوا إلى أن الإشمام هو الصوت الذي يسمع أنه عندهم بعض حركة، والروم هو الذي لا يسمع لأنه روم الحركة عن غير تفوه به، قال والأول هو المشهور عند أهل العربية).[3] هنا اختلاف في إطلاق المصطلح بين الكوفيين والبصريين.

---

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١١ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي ص١٨٧).

(٢) ابن الجزري: التمهيد ص٧٣.

(٣) انظر: مكي: الكشف ١/١٢٢، وابن الجزري: النشر ٢/١٢١.

تبين لنا من النصوص السابقة أن الروم والإشمام في الأغلب يعرض للحركات. (الصوائت) ولا يعرض للحروف (الصوامت)، إلا في حالات قليلة.

أما المحدثون من علماء التجويد فقد أشار بعضهم إلى ظاهرة (الروم والإشمام)[1] وعرّفها بقوله: «الإشمام: عبارة عن إطباق الشفتين عقب تسكين الحرف المضموم أو المرفوع إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة بدون صوت فلا يدركه الأعمى.

والروم: عبارة عن إسماع حركة المحرك عند الوقف عليه بصوت خفي يسمعه القريب المصغي».[2] هذا ما ذكروه حول (الروم والإشمام) دون زيادة

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد أهمل أغلبهم الإشارة إلى ظاهرة (الروم والإشمام) ومن أشار إليها منهم، ذكر ما قاله القدماء عنها دون أن يأتي بشيء يستحق الذكر.[3]

لم تبيّن لنا مصادر الدراسة الصوتية القديمة ولا المراجع الحديثة التي أشارت إلى ظاهرة الإشمام كيفية نطق الكسرة المُشمّة ضماً، ولا الضمة المُشمّة كسراً، ولا يزال الأمر بحاجة إلى دراسة وتحليل.

الاختلاس والإخفاء:

هذان المصطلحان يشيران إلى تقصير يلحق الحركات، لكنه غير محدد

(١) انظر: الشيخ محمد الحسيني: تحفة الراغبين ص١١؛ والشيخ خالد الأزهري الجواشي الأزهرية ص٥٣ والشيخ زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ص٤٢-٤٣؛ والشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص٧٥.

(٢) الشيخ محمد الحسيني: تحفة الراغبين ص١١.

(٣) انظر: المطلبي: في الأصوات اللغوية ص١٧٢-١٧٣؛ وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية ص٢٣٥؛ وباكزة حلمي: الثنائية والميزان الصرفي ص٦٨؛ وغانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٥٠٩؛ وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٠.

بمقدار واضح، ويبدو أنهما أعم دلالة على ذلك من الروم، وإن كانا من جنسه. وقد ذكرهما القدماء في كتبهم أثناء حديثهم عن الإدغام في الحرفين[1]، فقد ذكر سيبويه (الإخفاء) في أكثر من موضع من كتابه، وبيّن أن المخفيّ بزنة المظهر عندما قال: «وإذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواءً، حرف ساكن، لم يجزْ أن يُسَكَّن، ولكنك إن شئت أخفيت، وكان بزنته متحركاً... وممّا يدلّك على أنه يُخفى ويكون بزنة المتحرك قول الشاعر:

وإنّي بِما قد كَلَّفتني عَشيرتي ... من الذَّبِّ عن أعْراضِها لَحَقيقُ[2]

فأخفى الباء عند الميم في «بما» لاشتراكهما في المخرج؛ إذ لا يمكن الإدغام إلا بانكسار البيت؛ فجعل الإخفاء بدلاً من الإدغام. وقال المبرد (ت ٢٨٥): «ولا تدغم الشين في الجيم البتّة... افرش جبلة. تظهر وتخفى ولا تدغم. والإخفاء في وزن المتحرك؛ إلا أنه خفض صوت. وإنّما يحكمها المشافهة؛ نحو قولك: أراك متعقّفاً، إنما هو كالاختلاس». [3] وقد استخدم ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) مصطلح (الإخفاء والاختلاس) ووضح معناه أكثر من سابقيه، وبيّن أن الاختلاس يكون في الحركة الطويلة (حرف اللين والمد) ويكون في الحركة القصيرة، وقد ذكر لذلك شواهد منها قوله تعالى: «والليل إذا يَسْرِ» الفجر آية/٤.، وقوله سبحانه: «ذلك ما كنّا نبغ» الكهف آية/٦٤. وقوله جل شأنه: «الكبيرُ المتعال» الرعد آية/ ٩، ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:[4]

سيفي وما كُنّا بنجد وما ... قَرْقَرَ قَمَرُ الوادِ بالشاهق

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠-٤٤١؛ والمبرد: المقتضب ١/٢٠٩-٢١١؛ وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٦٥-٦٦؛ والخصائص ١/٧٤، ٢/١٤٦-٢٩٤-٢٩٥؛ وابن يعيش: شرح المفصل ١٤٧.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٨.

(٣) المقتضب ١/٢١١.

(٤) أي: أبي الربيس التغلبي. انظر الخصائص ٢/٢٩٤ حاشية رقم ٦.

فأنت ترى أن الياء قد اختلست في كل هذا واضعفت حتى لم يبق منها سوى الكسرة التي قبلها،[١] ولذا عبّر عن ذلك بالحذف.[٢]

ومن اختلاس الواو وإضعافها قول الأسود بن يعفر:

فالحقتُ أخراهمْ طريقَ ألاهُمُ ۝ كما قيل نجم قد خوى متتابع

يريد: أولاهم، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «يمحُ الله الباطلَ» الشورى آية/٢٤؛ وقوله سبحانه:«سَنَدْعُ الزّبانية» العلق آية ١٨. قال (كُتِبَت في المصحف بلا واو للوقف عليها كذلك».[٣] فلو أردت الوقف على (يمحُ أو سندعُ) لوقفت عليها بغير واوٍ على ما ذُكر. هذا بخصوص اختلاس الحركات الطويلة عند ابن جني.

أما اختلاس الحركات القصيرة فهو حَذفها أو اضعافها حتى تقترب من السكون. قال ابن جني: «ومن ذلك إضعاف الحركة لتقرب بذلك من السكون نحو حِييَ وأحْيِيَ وأُعيِي، فهو وإن كان مُخفىً بوزنه محرّكاً...».[٤] وعلل الاختلاس في الحركة بأنه ضرب من التخفيف عن ألسنتهم (وخففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاساً وأخفوها فلم يمكنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها؛ ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو: مَالكَ لا تأمنّا على يوسف. مختلساً لا محققاً، وكذلك قوله عز وجل: «أليْسَ ذلك بقادرٍ على أن يُحْيِيَ المَوتى»، مخفىً لا مستوفى... والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة، لا حذفها البتة».[٥]

---

(١) هنا تعني تقصير الحركة الطويلة (الياء) بمعنى حذف جزء منها.

(٢) انظر: ابن جني الخصائص ٢/٢٩٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/٢٩٤-٢٩٥.

(٤) المصدر السابق ٢/١٤٦.

(٥) المصدر السابق ١/٧٣.

وقال أيضاً: «فأما الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بَيْنَ بَيْنَ وغيرها من الحروف التي يراد اختلاس حركتها تخفيفاً، فليست حركة مشمَّة شيئاً من غيرها من الحركتين، وإنما أضعف اعتمادها، وأخفيت لضرب من التخفيف».[1] وذكر ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) مصطلحي الإخفاء والاختلاس أثناء حديثه عن الإدغام - ونقل كلام ابن مجاهد، إذ يقول فيه: «يترجمون عنه بإدغام وليس بإدغام إنما هو إخفاء والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت...».[2]

أما علماء التجويد فقد أولوا هذه الظاهرة عنايتهم وفصّلوا فيها القول؛ فقد قال ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وهو يتحدث عن مذاهب القرّاء في الحركات: «واختلفوا في كسر الهمزة واختلاس حركتها وإشباعها في قوله (إلى بارِئِكُم) فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف. واختُلِفَ عن أبي عمرو... وقال سيبويه: كان أبو عمرو يختلس الحركة من (بارِئِكُم) و (يَأْمُرُكُمْ) وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فَيُرَى من سمعه أنه قد أسكن، ولم يكن يُسكن...».[3] وقد عرّفوا الاختلاس بأنه «عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع به أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن».[4]

وقال الداني (ت ٤٤٤ هـ): «وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعاً، يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة، إلا أنها لم تمطط، ولا ترسل بها،

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب ٦٤/١ وانظر: ص٦٥-٦٦.

(٢) شرح المفصل ١٤٧/١٠، وانظر أيضاً: ١٢٣/١٠ و ١٤٠.

(٣) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١٥٥ وانظر ص٢٠٩.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١٢ (نقلاً عن كتاب مرشد القارئ لابن الطحان و ١٢٥).

فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها».[1] وذكر الداني أيضاً مصطلح الاختلاس أثناء حديثه عن اخفاء الحركات فقال: «فأما إخفاء الحركات فهو اختلاسها والإسراع باللفظ بها من غير تسكين ولا تشديد، وهو عند النحويين بزنة متحرك، يعنون أن الصوت يضعف لا أنه يسكن رأساً، وذلك في قوله تعالى: «قالوا يا أبانا مالكَ لا تأمَنَّا» يوسف آية/١١. في قول الجماعة.[2]

والمخفي عند الداني شيئان: حرف وحركة. فإخفاء الحرف نقصان صوته، وإخفاء الحركة نقصان تمطيطها.[3] واستخدم بعض علماء التجويد مصطلح (الاختلاس) بمعنى غير المعنى الذي ذكرناه سابقاً، وهو الإتيان ببعض الحركة. قال السعيدي (ت في حدود ٤١٠ هـ)[4] في باب الواو إذا انفتحت وما قبلها مضموم: «ينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات وما أشبهها مختلسة غير مشبعة، ولا يزاد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس إلى الإشباع، فإنها إذا أشبعت الضمة قبلها صارت في اللفظ واوين، الأولى ساكنة، والثانية مفتوحة، كقوله: هُوْوَ الذي...».[5]

فلا يراد بالاختلاس هنا إنقاص الحركة حقها من المد، وإنما يقصد به إعطاؤها حقها مع التحفظ من الإشباع والزيادة في المد، لأنه موضع تميل الضمة فيه إلى الطول، فيتولد منها حينئذ حرف من جنسها وهو الواو، وفي ذلك إخلال بالتلاوة.

---

(١) التحديد ص٩٧، ٩٨.

(٢) التحديد ص٩٧. ٩٨. وانظر: كتاب التيسير في القراءات للداني أيضاً ص٧٣.

(٣) انظر: التحديد ٩٧، ١٠٢.

(٤) السعيدي: هو أبو الحسن علي بن جعفر الرازي (ت في حدود ٤١٠ هـ)، له كتاب اختلاف القراء في اللام والنون، مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني الرقم (٤٥٤ مشرقيات) وكتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي/ مخطوط في مكتبة وهبي أفندي الرقم (٤٠/٢). انظر ترجمته عند الذهبي: معرفة القراء ٣٧٠/١.

(٥) غانم الحمد: الدراسات الصوتية: ص٥١٧ (نقلاً عن كتاب التنبيه للسعيدي و٤٨).

وقال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «ويفرق بين المشبع والمختلس في اللفظ ككسرة ما قبل الياء في (إني أخاف) و (يَدِيَ إليكَ)... فإن هذه الكسرات تُشبَعُ ما دامت الياء ساكنة، فإذا تحركت بالفتح عادت الحركة التي قبلها إلى الاختلاس، لأنك لو أشبعت كسرة ما قبلها مع الفتح فيها صارت في تقدير ياءين، وذلك مستكره». [1] وقال أيضاً: «فإذا سمعت حض أئمة القراءة وأصحاب الأداء على اختلاس الحركة في موضع ما، فإنما ذلك لأن الحركة تظهر على ذلك الحرف، وفي ذلك المكان، وينطاع بها اللسان أكثر من انطياعه بها على حرف آخر وفي موضع آخر، فيكون الإشباع إليها أسرع».[2]

واستخدم آخرون الاختلاس بمعنى الإتيان ببعض الحركة. فقال أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) وهو يتحدث عن الإخفاء: «وهو بين الأمرين، كالاختلاس بين الحركة والسكون، وكالإشمام بين الحركة والروم».[3] واستخدم مصطلح الاختلاس بهذا المعنى أيضاً أبو بكر أحمد بن الجزري (ت ٨٢٩ هـ) وهو يوازن بين الحركة المختلسة والحركة المرامة إذ قال: «والاختلاس والروم يشتركان في التبعيض، وبينهما عموم وخصوص، فالروم أخص، من كونه لا يكون في الفتح والنصب، ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت من الحركة أقل من المحذوف، والاختلاس أعم، من كونه يتناول الحركات الثلاث ولا يختص بالآخر. والثابت من الحركة أكثر من المحذوف، وذلك أن تأتي بثلثيها كان الذي تحذفه أقل مما تأتي به، وهذا لا تحكمه إلا المشافهة».[4] ومن هنا فإنّ علماء التجويد القدماء فصّلوا القول في الاختلاس أكثر من علماء العربية القدماء.

---

(١) المرجع السابق ص٥٧١ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٨٤).

(٢) المرجع السابق ص٥١٧ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٨٣)، وانظر و١٨٦، و و١٥١.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١٣ (نقلاً عن كتاب الإيضاح لأحمد بن أبي عمر و ١١٤)؛ وانظر: ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها - حيث كتب فصلاً بعنوان (في مخارج الحروف التي يراد اختلاس حركتها تخفيفاً) ص٩٩.

(٤) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١٦-٥١٧ (نقلاً عن كتاب الحواشي المفهمة لأبي بكر أحمد بن الجزري و ٧٧).

أمّا المحدثون من علماء التجويد فقد تابعوا القدماء من علماء التجويد في استخدام هذا المصطلح، دون أي زيادة تذكر.[١]

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد أهمل أغلبهم ذكر هذه المصطلحات، وأشار إليها بعضهم دون أن يفصّل فيها القول إذ قال وهو يتحدث عن الحركات: «وهناك في بعض المواقع حركات قصيرة للغاية هي الروم والاختلاس والإشمام في العربية».[٢] ذكر هذا دون أن يوضح المقصود بهذه المصطلحات.. واستخدم بعضهم مصطلح الإشمام أثناء حديثه عن الحركة المركبة عندما قال: «الحركة المركبة: هي وحدة صائتية واحدة مركبة من حركتين متتابعتين في مقطع واحد لتؤديا وظيفة فونولوجية واحدة: ويتم إنتاج الحركة المركبة هذه بأن يبدأ اللسان بنطق حركة مفردة ثم ينزلق إلى حركة أخرى فيشم بذلك حركة بحركة أو يدمج حركتين، لتكونا وحدة واحدة مركبة».[٣] ولم أجد في كتب المحدثين التي اطلعت عليها سوى هذه الإشارات إلى هذه المصطلحات..

الوقف:

هو قطع النطق عند آخر الكلمة اختياراً؛ لجعلها آخر الكلام. وغالبه تلزمه تغييرات، إما في الحركة بحذف، أو بروم، أو إشمام، وإمّا في الكلمة بزيادة عليها؛ إما بتضعيف، وإما بهاء السكت. وإلى غير ذلك.

وهذه الظاهرة تناولها العلماء قديماً بالدراسة فبيّنوا أحوالها، واستخدموا المصطلحات الدالة عليها.[٤] وأول من أشار إلى هذه الظاهرة من

---

(١) انظر: الشيخ حبيب الكندي: كتاب مغنم الصبيان ص٧؛ وعلي محمد الصباغ، شرح رسالة قالون ص١٢.

(٢) صلاح الدين صالح حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص٢٠٣.

(٣) سمير ستيتية: الحركات ص٢٥، بحث غير منشور/ جامعة اليرموك.

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب ١٦٦/٤ وما بعدها، والزجاجي: الجمل في النحو ص٣٠٩، والزمخشري: المفصل ص٣٣٨، وابن يعيش: شرح المفصل ٦٧/٩، والاستراباذي، شرح الشافية ٢٧١/٢.

القدمــــاء سيبويـــه (ت ١٨٠ هـ) أثناء حديثه عن الحركة الإعرابية في الوقف على آخر كلمة. فذكر أن للوقف في هذه الحالة أربعة أضرب هي:

١- الوقف بالإشمام.

٢- الوقف بغير إشمام (ويعنى به الإسكان التام).

٣- الوقف مع روم الحركة.

٤- الوقف بالتضعيف.

قال سيبويه: «هذا باب الوقف في آخر الكَلِم المتحرك في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف، فأمّا المرفوع والمضموم فإنّه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف».[1]

ويبدأ سيبويه في تفسير ما يريد بكل من هذه المصطلحات الأربعة، فيروي أن من العرب من يلتزم الإشمام، يريد بذلك أن يفرق بين ما يلزمه التحريك في الوصل، وما يلزمه الإسكان على كل حال، ومنهم من لا يفعل ذلك لأنه جعل ما يسكن في الوقف بمنزلة ما يسكن على كل حال.

«وأمّا الذّين رامُوا الحركة فقد دعاهم إلى ذلك الحِرْصُ على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سَكَن على كلّ حال. ذلك هو هدف الذين اشمّوا، إلا أن الذين راموا الحركة أشد توكيداً لهدفهم من هؤلاء، وأمّا الذّين ضاعفوا فهم أشدّ توكيداً من الجميع».[2] وقد قصر سيبويه جواز هذه الأوجه الأربعة على حالة المضموم.

---

(١) سيبويه: الكتاب ١٦٨/٤.

(٢) المصدر السابق ١٦٨/٤.

ثم ذكر مصطلح (الوقف) أثناء حديثه عن الاسم المنون يلحقه الألف في الوقف. قال: «أمّا كلُّ اسم منوّن فإنه يلحقه في حالة النصب في الوقف الألف، كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف»[١]، واستخدمه أيضاً أثناء حديثه عن قلب تاء التأنيث في الوقف هاء. قال: «ومثل هذا في الاختلاف الحرفُ الذي فيه هاءُ التأنيث، فعلامة التأنيث إذا وصَلْتَه التاء، وإذا وقفت ألحقت الهاء»[٢]، وذكره أيضاً أثناء حديثه عن حذف الياءات من أواخر الأسماء في الوقف. قال: «وذلك قولك: هذا قاضْ، وهذا غازْ، وهذا عَمْ، تريد العمِّي. أذهبوها في الوقف كما ذهبت في الوصل».[٣] واستخدمه أيضاً أثناء حديثه عن تضعيف الصوت الأخير في الكلمة، وذلك عندما قال: «ومن العرب من يثقل الكلمة إذا وقف عليها ولا يثقلها في الوصل».[٤] كما أنه استخدمه في مواضع أخرى من كتابه.

يبدو من استخدام سيبويه مصطلح «الوقف» في أحوال هذه الظاهرة جميعها دليل على استقراره ووضوحه في عصره للدلالة على هذه الظاهرة، والغرض من الوقف: هو الراحة لأعضاء النطق أثناء الكلام حتى أن بعض العلماء سمى الوقف «استراحة».[٥]

ومن جاء بعد سيبويه من علماء العربية القدماء تابع سيبويه في دراسة ظاهرة الوقف حتى أن بعضهم نقل عباراته نفسها، كما أنه استخدم المصطلح

---

(١) الكتاب: ١٦٦/٤.

(٢) المصدر السابق: ١٦٦/٤.

(٣) المصدر السابق: ١٨٣/٤.

(٤) المصدر السابق ٢٩/١.

(٥) انظر: الاسترباذي: شرح الشافية ٢٧٤/٢؛ وخالد الأزهري: التصريح ٣٣٨/٢.

نفسه، ولا سيما الفراء (ت ٢٠٧ هـ) [١]، والزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) في كتابه (الجمل) فقد خصص باباً بعنوان «الوقف» تحدث فيه عن أوجه الوقف.[٢] وكذلك فعل الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في المفصل[٣]، وابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) في شرح المفصل[٤] والاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) في شرح الشافية.[٥] وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) في كتابه أوضح المسالك[٦]، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه همع الهوامع. [٧] ولم أنقل أقوال هؤلاء العلماء واكتفيت بالإشارة إلى أرقام الصفحات في الحاشية، لأنها كما ذكرت تكاد تكون أقوال سيبويه بنصها. كما أن المصطلح الذي استخدموه أثناء دراستهم هذه الظاهرة هو مصطلح سيبويه نفسه.

أما علماء التجويد والقراءات القرآنية فقد تناولوا ظاهرة الوقف بالدراسة وبينوا حالات الوقف وأحكامه كما فعل علماء العربية، والذي يهمنا من دراستهم المصطلح الذي استخدموه للتعبير عن ظاهرة الوقف.

والوقف: هو قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة.[٨] وغالبه تلزمه تغييرات إما في الحركة بحذف، وهو السكون، أو بروم أو إشمام. وإما في الكلمة بزيادة عليها، إما بتضعيف، وإما بهاء السكت. أو بنقص بحذف حرف العلة. أو بقلب آخر الكلمة إلى حرف صحيح. [٩] أو غير ذلك كما هو عند علماء العربية. والحرف الذي

---

(١) الفرّاء: معاني القرآن ١٤٤/٢.

(٢) الزجاجي: الجمل ص٣٠٩.

(٣) المفصل: المفصل ص٣٢٨.

(٤) شرح المفصل ٦٦/٩.

(٥) شرح الشافية ٢٧٤/٢.

(٦) أوضح المسالك ٢٨٦/٣.

(٧) همع الهوامع ٢٠٤/٢.

(٨) انظر: ابن الجزري: النشر ٢٤٠/١.

(٩) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١٨.

يوقف عليه لا يكون إلا ساكناً، لأن الوقف أول السكوت الذي ينقطع فيه عمل اللسان ويسكن، كما أن الذي يبتدأ به لا يكون إلا متحركاً، وقد استعمل العرب في الوقف الروم والإشمام والتضعيف والنقل إلى جانب السكون[1] والوقف بالتضعيف والنقل لا يأخذ به القرّاء.[2]

أما الرَّوْمُ والإشمامُ فقد بيّن علماء التجويد الغرض من استخدامهما في الوقف قال مكي القيسي: «اعلم أن الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة، كيف كانت في الوصل. وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام، لأن الروم يُسْمَعُ ويرى، والإشمام يُرى ولا يُسمع. فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك» [3]، والإشمام لا يكون خاصاً بالوقف، بل قد يكون في الوصل أيضاً: قال الداني (ت ٤٤٤ هـ): «وأما المشم من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقّه أن يخلص سكون الحرف، ثم يومىء بالعضو، وهما الشفتان...». [4] أما الوقف بالسكون -والسكون معناه سلب الحركة- فقد وضحه علماء التجويد. قال الداني: «اعلم أن من عادة القرّاء أن يقفوا على أواخر الكلم المتحركات في الوصل بالسكون لا غير لأنه الأصل»[5]، وقال عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «وكذلك السكون ينبغي ألا تستوفيه إشباعاً فيخرج إلى التشديد أو السكوت ومساواة حال قطع الكلام بوصله، ولا يزعجه وينفر فيصير حركة أو بعضها، بل يجعل الحركات والسكنات وزناً واحداً، وقدراً معلوماً، وكيلاً سواء».[6] وقال ابن

---

(١) انظر: ابن الباذش: الإقناع ٥٠٤/١.

(٢) انظر: المصدر السابق ٥١١/١.

(٣) مكي: الكشف ١٢٢/١.

(٤) التحديد ص٩٨.

(٥) التيسير ص٥٨، وانظر: ابن الجزري: التمهيد ص٢٠٠.

(٦) غانم الحمد: الدراسات الصوتية ص٥١٨-٥١٩ (نقلاً عن كتاب الموضح للقرطبي و ١٨٣).

البنّاء (ت ٤٧١ هـ) أثناء حديثه عن الوقف على الساكن: «ويحذر في الساكن من عيبين:

أحدهما: السرعة به حتى يصير متحركاً.

والثاني: التشديد له حتى يزيده ثقلاً».(١)

كما بيّن علماء التجويد الوقف على المشدد. قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ): «اعلم أن الوقف على الحرف المشدد فيه صعوبة على اللسان، لاجتماع ساكنين في الوقف غير منفصلين، كأنه حرف واحد، فلا بد من إظهار التشديد في الوقف في اللفظ وتمكين ذلك حتى يظهر في السمع التشديد».(٢) كما بيّنوا الوقف على المنوّن المنصوب، فإنه يوقف عليه بألف ممكّنة سواء كان ممدوداً أو غير ممدود نحو قوله تعالى: (عليماً حكيماً) النساء آية/١١، وقوله جل شأنه (فيذهب جفاء) الرعد آية/ ١٧. كما بيّنوا الوقوف على ما كان آخره تاء تأنيث، فإن الألف لا تلحقه حينئذ، لأن هذه التاء تنقلب في الوقف هاء ساكنة في كل الأحوال.(٣) نلحظ من النصوص السابقة أن علماء التجويد استخدموا مصطلح «الوقف». كما استخدمه علماء العربية القدماء من قبل للدلالة على ظاهرة قطع النطق عند إخراج آخر اللّفظ زمناً مع التنفس معه وذلك في أماكن الوقف جميعها.

وقد فرّق علماء التجويد بين مصطلح (الوقف والقطع والسكت).

- الوقف: عبارة عن قطع الصوت على كلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة.

---

(١) كتاب بيان العيوب، ص٣٢.

(٢) الرعاية ص٢٥٩.

(٣) انظر: الموصلي: كنز المعاني ص١٩٨ وما بعدها.

- السكت: عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس.
- القطع: هو أن يقطع القارئ قراءته رأساً ناوياً عدم مواصلة القراءة.[1]

والمحدثون من علماء التجويد تابعوا القدماء في دراسة ظاهرة الوقف، واستخدموا مصطلح «الوقف» أيضاً للدلالة عليها دون زيادة.[2]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فقد أهمل أغلبهم الإشارة إلى هذه الظاهرة، ومن أشار إليها منهم كان معقّباً على أقوال القدماء حول حالات الوقف. قال إبراهيم أنيس: «وما ظنه القدماء «هاء» متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقف على صوت اللين الطويل، أو كما يسمى عند القدماء ألف المد».[3] وقال أيضاً:« وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة، بل يحذف آخرها، ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة)، فيخيّل للسامع أنها تنتهي بالهاء».[4] أي هي ليست هاء، بل هي امتداد للصوت القصير. وقد أشار آخرون إلى ظاهرة الوقف أثناء حديثهم عن أحوال الحركة الإعرابية لدى النحاة والقرّاء في الوقف.[5] دون أن يأتوا بشيء جديد. وقالوا عن هاء الوقف (هو عبارة عن الهواء المار بالأوتار الصوتيسة، دون أي

---

(١) ابن الجزري: النشر ١/ ٢٤٠ وانظر: الشيخ زيدان العقرباوي: المرشد ص١١٧.

(٢) انظر: الشيخ علي صبره: ملخص العقد الفريد ص٢٤؛ والشيخ زيدان العقرباوي المرشد ص١١٦؛ والشيخ محمد الحسيني: تحفة الراغبين ص٧؛ ومحمد الصادق قمحاوي: البرهان ص٣٨.

(٣) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص١٣٦.

(٤) المرجع السابق ص١٣٦. (أما الوقوف بالسكون – أي بحذف حركة الآخر– فهذا من قبيل السرعة في الأداء).

(٥) انظر: عبدالصبور شاهين: الأصوات في قراءة أبي عمرو ص٣٦٨–٣٧٠.

عارض يعترض طريقه... وطبيعته الصوتية قريبة من طبيعة الحركات، برغم ما يخالطه من احتكاك مهموس ».[١]

الإعلال

هو من ظواهر التغيرات الصوتية، ويصيب أشباه الحركات وهي، (الواو والياء الصامتان) دون الألف، فهذه فتحة طويلة دائماً ولا تكون صامتاً (ساكناً).[٢] وهو أنواع مختلفة، وقد درس علماء العربية هذه الأنواع وصنفوها إلى ثلاثة أنواع، أطلقوا كل نوع منها مصطلحاً يميزه، حسب نوع التغيير الذي يصيب الصوت.

- قد يَسكُنُ صوت العلّة المتحرك، وتنقل حركته إلى الصوت الساكن قبله، في مثل (يَقُوْل ويبيع) أصلهما (يَقْوُل ويَبْيِعُ)؛ هنا حدث تغيير بإسكان صوت العلة بنقل حركته إلى الصوت الذي قبله. هذا النوع من التغيير أطلق عليه العلماء مصطلح (الإعلال بالإسكان).

- وقد ينقلب صوت العلة إلى صوت آخر في مثل (قال وخاف) أصلهما (قَوَل وخَوَف)، هنا حدث تغيير بقلب صوت العلة إلى صوت آخر وهو الألف. أطلق العلماء على هذا النوع من التغيير مصطلح (الإعلال بالقلب).

- وقد يحذف صوت العلة كله من الصيغة لعلة صوتية تستوجب ذلك في مثل (يعِد ويزن) أصلهما (يَوْعِد ويَوْزِن) هنا حدث تغيير بحذف صوت العلة وهو الواو من الصيغة. اطلق العلماء على هذا النوع من التغيير مصطلح (الإعلال بالحذف).

---

(١) عبدالصبور شاهين: القراءات القرآنية ص٨٦؛ وانظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٧٨.

(٢) القدماء لم يميّزوا بوضوح بين أشباه الحركات والحركات الطويلة الخالصة وعدّوها جميعاً حروف ساكنة لأنها تكتب برمز كتابي واحد، بخلاف الحركات القصيرة.

ومصطلح الإعلال عند بعض علماء العربية القدماء مختص بتغيير صوت العلة. ولا يشمل صوت الهمزة.

وقد صرّح بهذا الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) عندما قال: «أن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة: أي الألف والواو والياء، بالقلب أو الحذف، أو الإسكان. ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة: إعلال».[١] بل هو تخفيف ثم ذكر أن «لفظ القلب مختص في اصطلاحهم بإبدال حروف العلة والهمزة بعضهما مكان بعض، والمشهور في غير الأربعة لفظ الإبدال، وكذا يستعمل في الهمزة أيضاً».[٢]

ما قاله الاستراباذي بأن مصطلح الإعلال لا يشمل الهمزة، قول غير دقيق، لأنه في موضع آخر ضمها مع أصوات العلة تحت مصطلح القلب، وما دام القلب من أبواب الإعلال فالهمزة داخلة فيه.

لقد حظيت ظاهرة الإعلال في اللغة العربية بعناية كبيرة من العلماء قديماً وحديثاً، فقد أفرد لها العلماء أبواباً خاصة عالجوا فيها الألفاظ المعتلة منفردة عن الموضوعات الأخرى، فحددوا الظاهرة، وبيّنوا الأصوات التي تسبب الإعلال، وبيّنوا طرق الإعلال وأسبابه، وتحدثوا عن أنواع الإعلال ووضعوا مصطلحاً معيناً لكل نوع من أنواع الإعلال يدلّ عليه.

وكان أوّل من عالج هذه الظاهرة واستخدم مصطلح «الإعلال» للدلالة عليها الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) في أماكن متفرقة من كتابيه «العين» و «الجمل في النحو» [٣]، وذلك عندما قال: «الواو المعلولة تقع في الأسماء

(١) الاستراباذي: شرح الشافية ٣/٦٦-٦٧.

(٢) المصدر السابق ٣/٦٧.

(٣) كتاب (الجمل في النحو) حققه: فخر الدين قباوة، ونشره سنة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

والأفعال، فإذا وجدت الأسماء والأفعال وفيها واو أو ياء فلم تثبت إذا رددت الإسم والفعل إلى «فَعَلْتُ» فذلك الاسم والفعل معتل مثل: أقول وأعوذ، وتقول وتكيل. هذه أفعال معتلة. والدليل على ذلك أنّك إذا رددتها إلى «فَعَلْتُ» لم تثبت الواو والياء للعلة التي أخبرتك، ألا ترى أنّك إذا قلت: «فَعَلْتُ» من (يقول): قُلْتَ: «قُلْتُ» فينقص عن الأصل، لأن «فَعَلْتُ» في الفعل الصحيح أربعة أحرف، و«قُلْتُ» ثلاثة أحرف، والفعل الصحيح الذي لا يذهب عند «فَعَلْتُ» منه شيء ولا تنتقل حركته إلى حركة ولا سكون بعضها إلى موضع بعض مثلما يتحرك في قولك «يقول» فالياء متحركة والقاف متحركة والواو ساكنة، و«يقول» «يفعل» فقد انتقل سكون الواو إلى الفاء وتحركت العين وهي في موضع الواو من «يقول» ولو كان الفعل صحيحاً لم يتغير، كقولك: يضرب ويشتم، ويخرج ويدخل... لأنك إذا قلت: ضربت وشتمت. فـ(فعلت) لم يتغيّر منه شيء وهو قياسه».[1]

وقال أيضاً وهو يتحدث عن الإعلال: «ومن أمثلة ذلك قوله: «خاف» أصلها «خَوِفَ» وصارت الواو في «يخاف» ألفاً، لأنه على بناء «عمِلَ يَعْمَل» فألقوا الواو استثقالاً، وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف وأبقوا الصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا الصوت، فقال: «يَخَافُ» وأصله «يَخْوَفُ» فألقوا الواو، واعتمدوا الصوت على صرف الواو، وقالوا: «خاف» وحده «خَوِفَ»، فألقوا الواو بصرفها، وأبقوا الصوت، واعتمدوا الصوت على فتحة الخاء، فصار منها ألفاً ليّنة، وكذلك نحو ذلك فافهم».[2]

وبيّن الإعلال أثناء علاجه التغيرات التي طرأت على مادة «خَوِفَ» المعتلة، إذ قال: «ومنه التَخْوِيفُ والإخَافَةُ والتَخَوُّفُ».[3]

---

(١) الخليل بن أحمد: الجمل في النحو ص٢٩٤-٢٩٥.

(٢) الخليل بن أحمد: العين ٣١٢/٤.

(٣) المصدر السابق ٣١٢/٤.

واستخدم مصطلح «التحويل» للدلالة على ظاهرة الإعلال، وذلك عندما قال: «والعرب يحوّلون هذه الواو المضمومة وغير المضمومة إلى تاء في مواضع كثيرة، فقالوا في مصدر «وقّى يقي تقاة... وهكذا كثير».[(١)]

ودرس سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ظاهرة الإعلال في كتابه وخصص لها أبواباً، درس فيها أصوات العلة وخصائصها الصوتية، وما اعتل من الأسماء والأفعال، والعلاقة بين أصوات العلة وبينها وبين الهمزة، ومتى تحل هذه الأصوات محل بعضها في الكلمة المعتلة وأسباب ذلك، وفصّل الإعلال بالقلب، والإعلال بالسكون، والإعلال بالحذف، والإعلال الشاذ وغيرها.

والذي يهمنا من دراسته المصطلح الذي استخدمه أثناء الدراسة للتعبير عن ظاهرة الإعلال. وقد كان مصطلح «الإعلال أو الإعتلال» هو المصطلح الأساسي الذي استخدمه سيبويه أثناء دراسته التغيرات الصوتية التي تطرأ على الكملة التي أحد أصواتها صوت علة أو أكثر.

كما أنه استخدم مشتقات مادة «علل» للدلالة على ظاهرة الإعلال أيضاً، واستخدم أيضاً لفظ «القلب» ومشتقاته، ولفظ «الإبدال» ومشتقاته، ولفظ «الهمز» ومشتقاته، ولفظ «النقل والحذف والتسكين والتغيير والتخفيف وغيرها» للدلالة على ظاهرة الإعلال، كما سنرى.

قال سيبويه: «وإنما كان هذا الاعتلال في الياء والواو لكثرة ما ذكرت لك من استعمالهم ايّاهما، وكثرة دخولهما في الكلام»[(٢)]، وقال: «فلما اعتلّت هذه الأحرف جعلت الحركة التي في العين محوّلة على الفاء»[(٣)]، وقال: «جعلوا حركتها

---

(١) المصدر السابق ٣١٧/٤.

(٢) الكتاب: ٣٣٩/٤.

(٣) المصدر السابق ٣٣٩/٤.

الحركة التي كانتْ في المعتلُ الذي بعدها... لئلا يجري المعتلّ على حال الصحيح». [١] وقال: «هذا باب ما اعتل من أسماء الأفعال المعتلة على اعتلالها»[٢]، وقال: «فأمّا الإقامة والاستقامة فإنما اعتلّتا كما اعتلّت أفعالهما»[٣]، وقال: «اعلم أنّ الواو والياء لا تُعَلاّن واللام ياء أو اواوُ؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك صاروا إلى ما يستثقلون وإلى الالتباس والإجحاف. وإنما اعتلّتا للتخفيف».[٤] وقال: «هذا باب ما قيس من المعتل من بنات الياء والواو».[٥]

ويتبيّن من النصوص السابقة أن سيبويه استخدم مصطلح «الاعلال» ومشتقاته للدلالة على ظاهرة الإعلال التي تحدث نتيجة التغيرات الصوتية. كما أنه استخدم لفظ «القلب» ومشتقاته للدلالة على ظاهرة الإعلال.

قال: «هذا باب تقلب الواو فيه ياء»[٦]، وقال: «هذا باب تقلب فيه الياء واواً»[٧]، وقال أثناء حديثه عن الياء: «فإن أسكنتها وقبلها ضمةٌ قلبتها واواً كما قلبت الواو ياءً في ميزان».[٨]

ويغلب على مصطلح «القلب» الذي استخدمه سيبويه، أنه جاء عنواناً لأبواب الإعلال.

---

(١) المصدر السابق ٤/٣٣٩.

(٢) المصدر السابق ٤/٣٤٨.

(٣) المصدر السابق ٤/٣٥٤.

(٤) المصدر السابق ٤/٣٧٦.

(٥) المصدر السابق ٤/٤٠٦.

(٦) المصدر السابق ٤/٣٦٠.

(٧) المصدر السابق ٤/٣٧٥.

(٨) المصدر السابق ٤/٣٣٨.

كما أنه استخدم لفظ «البدل» ومشتقاته للدلالة على ظاهرة الإعلال. قال: «ومع ذلك أن هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل فأرادوا أن يضعوا مكانها حرفاً أجلد منها» (١)، وقال: «فأبدلوا الهمزة لضعف الواو عوضاً لما يدخلها من الحذف والبدل» (٢)، وقال: «وإذا ألتقت الواوان أولاً أبدلت الأولى همزة... لأنهما أثقل من الواو والضمة».(٣) وقال: «لكنهم أبدلوا الألف لشبهها بالياء».(٤)

واستعمال مصطلح الإبدال هنا للدلالة على عملية الاعتلال هو نتيجة كون الإعلال جزءاً من الإبدال بمفهومه العام في الأصوات الصحيحة جميعها والمعتلة، كما رأينا أثناء بحثنا لمصطلح «الإبدال».(٥)

واستخدم مصطلح «الهمز» للدلالة على ظاهرة الإعلال، وذلك أثناء حديثه عن أصوات العلة عندما تبدل همزة.

قال سيبويه: «وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمةٌ كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو: قؤول ومؤونة. وأما الذين لم يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله، كما يقولون قوولٌ فلا يهمزون»(٦)، وقال: «اعلم أنّ فاعلاً منها مهموز العين. وذلك أنهم يكرهون أن يجيء على الأصل مجيءَ ما لا يعتلُّ «فَعَلَ» منه، ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف، وكرهوا الإسكان والحذف فيه فيلتبس بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذْ كانتا معتلتين وكانتا بعد الألفات، كما أبدلوا الهمزة من ياء قضاءٍ وسقاءٍ حيث كانتا معتلّتين وكانتا بعد الألف. وذلك قولهم: خائفٌ

---

(١) المصدر السابق ٣٣١/٤.
(٢) المصدر السابق ٣٣١/٤.
(٣) المصدر السابق ٣٣٣/٤.
(٤) المصدر السابق ٣٩٣/٤.
(٥) انظر: الإبدال ص٧٤.
(٦) سيبويه: الكتاب ٣٣١/٤.

وبائعٌ». [١] وقال: «واعلم أنّ ياء فعائل أبداً مهموزة، لا تكون إلا كذلك». [٢] واستخدم مصطلح «الحذف» للدلالة على ظاهرة الإعلال. أثناء حديثه عن صوت الياء إذا التقت بياء «يَفْعَلُ». وذلك عندما قال: «وزعموا أنّ بعض العرب يقول: يئسَ يئسُ، فاعلم؛ فحذفوا الياء من يفْعل لاستثقال الياءات ههنا مع الكسرات فحُذف كما حذف الواو». [٣] علل سيبويه هذا الحذف بالاستثقال، وذلك أن مضارع «يئس» أصله «يَيْئِسُ» ولكنهم حذفوها لوقوعها وهي ساكنة بين ياء وكسرة، لاستثقال البناء.

وقال: «وكذلك تَفاعَلْت لأنّك لو أسكنت الواو والياء حذفت الحرفين». [٤] واستخدم مصطلح «القلب» للدلالة على ظاهرة الإعلال أيضاً وذلك عندما قال: «هذا باب ما إذا التقت فيه الهمزة والياء، قَلبت الهمزة ياء والياء ألفاً، وذلك قولك: مَطِيَّةٌ ومَطايا، ورَكيّة وركايا، وهَديّةٌ وهَدايا، فإنما هذه فَعَائِلُ، كصَحيفة وصحائف» [٥]، وهذا القلب يدل على الإعلال وقد بيّنه سيبويه بقوله: «وإنما دعاهم إلى ذلك أنّ الياء قد تُقلب إذا كانت وَحْدها في مثل مَفاعِل فتُبدَلُ ألِفاً. وذلك نحو: مَدارَى وصَحارَى، والهمزة قد تقلب وحدها ويلزمها الاعتلال، فلما التقى حرفان معتلان... ألزموا الياء بدل الألف، إذْ كانت تبدل ولا معتلٌ قبلها، وأرادوا أن لا تكون الهمزة على الأصل في مطايا، إذ كان ما بعدها معتلاً وكانت من حروف الاعتلال، كما اعتلت الفاء في قُلت وبعدتُ إذا اعتلّ ما بعدها. فالهمزة أجدرُ؛ لأنها من حروف الاعتلال». [٦]

---

(١) المصدر السابق ٣٤٨/٤.
(٢) المصدر السابق ٣٧٧/٤.
(٣) الكتاب ٥٤/٤.
(٤) المصدر السابق ٣٤٦/٤.
(٥) سيبويه: الكتاب ٣٩٠/٤.
(٦) المصدر السابق ٣٩٠/٤.

واستخدم مصطلح «الاسكان» للدلالة على ظاهرة الإعلال أيضاً. وذلك عندما قال: «ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف، وكرهوا الإسكان والحذف فيه فيلتبس بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذ كانتا معتلتين وكانتا بعد الألفات».[1] واستخدم مصطلح «التحوّل» للدلالة على ظاهرة الإعلال أيضاً. وذلك أثناء قوله «فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل ساكناً في الأصل ولم يكن ألفاً ولا واواً ولا ياء، فإنكَ تُسكن المعتلَّ وتحوِّل حركته على الساكن. وذلك مطرد في كلامهم».[2]

واستخدم مصطلح «الموضع» و «الجري» و «التحول» للدلالة على ظاهرة الإعلال وذلك في قوله: «هذا باب ما الهمزة فيه في موضع اللام من بنات الياء، والواو وذلك في نحو: سَاء يَسوء وناءَ يَنوءُ؛ وداءَ يَداءُ وجاء يجيءُ وفاءَ يفيءُ، وشاءَ يشاءُ... فهذه الحروف تجري مجرى: قال يقول، وباعَ يَبيعُ، وخافَ يخافُ، وهابَ يهابُ. إلا أنَّك تحوّل اللام ياءً إذا همزت العين، وذلك قولك: جاءٍ كما ترى همزت العين التي هفمزت في بائع واللام مهموزة، فالتقت همزتان، ولم تكن لتجعل اللام بَيْنَ بَيْن من قبل أنهما في كلمة واحدة، وأنهما لا يفترقان، فصار بمنزلة ما يلزمه الإدغام لأنه في كلمة واحدة وأن التضعيف لا يفارقه».[3]

هذه هي المصطلحات التي استخدمها سيبويه للدلالة على ظاهرة الإعلال. وقد استخرجناها من كتابه الذي درس فيه أبواب الإعلال دراسة شاملة ومفصلة ودقيقة، حيث استخدم أكثر من مصطلح لتوضيح ظاهرة الإعلال ومن جاء بعده من علماء العربية، ردد الأبواب نفسها وبالتعابير والمصطلحات نفسها.

---

(١) المصدر السابق ٣٤٨/٤.

(٢) المصدر السابق ٣٤٥/٤.

(٣) سيبويه: الكتاب ٣٧٦/٤.

وقد أشار ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) إلى ظاهرة الإعلال، في مواضع متفرقة من كتابه (إصلاح المنطق)، فقد نقل عن الكسائي (١٨٩ هـ) إمام مدرسة الكوفة، في باب ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة، إذ قال: «يقال غِرْتُ فُلاناً أغِيرُه تقديرها بِعْتُ أبيعُ، وقوم يقولون غَرْتُه أغُوره أي نفعته... وغارني الرجل يغيرني ويغورني إن أعطاك الدية والاسم الغيرة وجمعها غِيَرٌ».[1] ونقل عن أبي عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) قوله في الإعلال قال: «وقال أبو عبيدة: يقال أن فلاناً سريع الأوْبَة وقوم يحوّلون الواو ياء كقولك سريع الأوْبَة»[2]، وقال: «فاح المسك يَفيحُ ويَفوحُ».[3] ذكر هذا ولم يعلل.

وقد أولى أبو عثمان المازني (ت ٢٤٧ هـ) ظاهرة الإعلال عناية فائقة في كتابه (التصريف)[4] متتبعاً في ذلك منهج سيبويه، ومستخدماً مصطلحاته. قال في إعلال (مَفعِلٌ) و (مَفْعُلٌ) من قال وباع، ويعتلُّ (مَفْعِلٌ) و (مَفْعُلٌ) منهما فتقول في (مَفْعِل) من الواو (مَقْبِلٌ) و (مَفْعُل) مقولٌ، ومثل ذلك (المشورة والمثوبة والمعونة). قال ابن الجني:«إنما اعتل هذان البناءان ولم يُفرق بينهما وبين الفعل بالتصحيح، لأن الميم في أوائلهما تختص بالأسماء فوقع الفصل بذلك».[5] وقال أيضاً: «باب ما قِيس من المعتل ولم يجيء مثاله إلا من الصحيح»[6]، وقال «باب الواو والياء اللتين هما لامان وذلك نحو: رميت وغزوت». [7] وقال في باب الياء والواو اللتين هما فاءات، «اعلم أنّ كل ما كان موضع الفاء منه واواً وكان فعلاً

(١) ابن السكيت: إصلاح المنطق ص١٣٥.

(٢) المصدر السابق ص١٣٦.

(٣) المصدر السابق ص١٣٧.

(٤) انظر: المنصف ١/١٨٤، وما بعدها وانظر: ٢/حتى ص٣٢٣.

(٥) المنصف ١/٣٢٣.

(٦) ابن جني: المنصف ٢/٢٤٢.

(٧) ابن جني: المنصف ٢/١١١.

وكان على «فَعَلَ» فإنه يلزم «يَفْعِل». ويحذف في الأفعال المضارعة منه الواو التي هي فاء، ويكون المصدر على «فِعْلَة» محذوف الفاء، وتلقى حركة الفاء على العين، فتصير العين مكسورة، وذلك قولك: وَعَدَ ووَزَنَ ووَثَبَ، تقول في «يَفْعِل» منه «يَعِد ويَزِنُ ويَثِبُ وعِدَة، ووِزْنَة، وثِبَة، وكان الأصل فيه: يَوْعِد ويَوْزِن ووعَدَة ووِزْنة، ولكنهم اتقوا وقوع الواو بين ياء وكسرة فحذفوها استخفافاً، وجعلوا سائر المضارع تابعاً لـ «يَفْعِل» فحذفوه لئلا يختلف المضارع في البناء، وجعلوا المصدر معتلاً، فحذفوا فاءه، فقالوا (عِدَة وزِنة)، لأنهم استثقلوا (وعْدة ووِزْنَة) فألزموهما الحذف، ولأن المصدر قد جرى مجرى الفعل، فكما استثقلوا الواو إذا كانت بين ياء وكسرة والواو الساكنة، كانوا للواو، إذا كانت الكسرة فيها أشد استثقالاً فحوّلوا كسرتها على ما بعدها وألزموها الحذف، لأنهم لو أثبتوها بعد أن سلبوها حركتها لاحتاجوا إلى ألف وصل لئلا يبتدأ بساكن.

فلو جاؤوا بألف الوصل وهي مكسورة لزمهم أن يبدلوا الواو ياء، لأن قبلها كسرة والواو ساكنة إذا كان قبلها كسرة أبدلوا منها ياء، فكانوا يقولون: إيعَداً».[1]

ونلحظ من هذا النص أن المازني كان يتابع سيبويه في كل ما ذكره عن ظاهرة الإعلال، حتى أنه استخدم بعض مصطلحاته للدلالة على ظاهرة الإعلال منها: (معتلاً، فحذفوها، الحذف، فحوّلوا، يبدلوا، أبدلوا).

وأشار ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ) إلى ظاهرة الإعلال، واستخدم بعض المصطلحات الدالة عليها في كتابه (أدب الكاتب) قال في (باب ما يقال بالياء والواو): «جمع صائم: صوّم وصيّم، ونائم: نوّم ونيّم، وخائف: خوّف وخيّف، وقال الفراء: من قاله بالواو فعلى أصله، ومن قاله بالياء فعلى خائف ونائم بنوا جمعه على واحده».[2]

---

(١) ابن جني: المنصف ١/١٨٤؛ وانظر: ١/٢١١.

(٢) ابن قتيبة: أدب الكتاب ص٤٦٠.

يريد أنهم لما أعلّو المفرد بقلب الواو همـزة في خائف وصائم. أعلوا الجمع بقلب الواو ياء لأنهما الأصل في وقوع الإعلال عليهما.

وقال في (باب الأمر بالمعتل من الفعل): «تقول: قُلْ وبِعْ وخَفْ، ذهبت الواو والياء والألف لاجتماع الساكنين، فإذا ثنيت قلت: قُولاَ وبِيعَا، وخافا، وكذلك في الجمع: قُولُوا وبِيعوا وخَافُوا تظهر ما ذهب في الواحد لتحرك الحرف الآخر، تقول للمرأة: قُولي، وبِيعي وخَافي، فلا تسقط حرف المد لتحرك الحرف الذي يليه. فإذا أمرت بالمهموز من الأفعال مثل: «أَمَرَ يَأْمُرُ» و «أَكَلَ يَأْكُلُ» و «سَأَلَ يَسْأَلُ» و «جاءَ يَجِيءُ» فالمستعمل في أمر يأمر أن تقول «مُرْ فلاناً بكذا» فإذا اتصل بواو أو فاء قبله قلت: «وَأْمُرْ فلاناً» فَأْمُرْه، قال الله سبحانه وتعالى: «وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذوا بأحْسَنِها» الأعراف آية/ ١٤٥.

ويجوز: «أُومُرْ فلاناً» بلا واو ولا فاء قبله، وليس بمستعمل، والمستعمل في «كُلْ» الحذف في كل حال، اتصل بواو أو فاء أو لم يتصل، ولم يسمع غير ذلك... فأما... سأل يسأل، فإن شئت ابتدأت فقلت: إسْأَلْ فلاناً عن كذا، وإن شئت قلت: سَلْ فلاناً، وهذا أحب إليّ».[1] أما المبرد (ت ٢٨٥ هـ) فقد تابع سيبويه، أثناء حديثه عن ظاهرة الإعلال، فتحدث عن أصوات العلة وهي (الواو والياء والألف) وأن الأصل في ذلك عنده (الواو والياء) والألف منقلبة عنهما، وتحدث عن الفرق بين أصوات العلة وأصوات اللين والمد، وتحدث عن الهمزة، وقال أنها ليست من أصوات العلة أصلاً.

وعالج الصيغ المعتلة في الأفعال والأسماء، وتحدث عن قوانين قلب الواو والياء والألف همزة في نحو: عجائز وصحائف ورسائل. وقلب الواو والياء همزة في جمع: سيد ولين، وتحدث عن إعلال قضية وقضايا وخطيئة وخطايا

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٩.

وشهية وشهاوى وهراوة وهراوى، وتحدث عن قلب الياء والواو همزة بعد ألف زائدة طرفاً وعن قلب الواو والياء همزة في نحو: قائل وبائع، وتحدث عن إبدال الواو همزة وجوباً عند اجتماع الواوين في أول الكلمة، وقلب الهمزة ياء في نحو: جاءٍ وساءٍ والخلاف فيه وقلب الواو والياء ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما، وغير ذلك، وقد نهج في كل ذلك نهج سيبويه، حتى أنه استخدم مصطلحاته الدالة على ظاهرة الإعلال. قال: «هذا باب ما اعتلت عينه مما لامه همزة».[1] وقال: «هذا باب جمع الأسماء المعتلة عيناتها».[2] وقال في باب ذوات الياء التي عيناتها ولاماتها ياءات «فما كان من هذا الباب فإنّ موضع العين منه صحيح؛ لأن اللام معتلّة، فلا تجمع على الحرف علّتان، فيلزمه حذف بعد حذف، واعتلال».[3] وقال: «واعلم أنّ اللام إذا كانت ياءً أو واواً، وقبلها ألف زائدة وهي طرف أنّها تنقلب همزة للفتحة والألف اللتين قبلها. وذلك قولك: هذا سقّاءٌ يا فتى، وغَزّاءٌ فاعلـم».[4] وقال: «وأصل انقلاب الياء، والواو في (فَعَل) واحد، اسماً كان أو فعلاً، لأن القالب لهما الفتحة قبلهما... والأفعال في (أفْعَل) وما أشبهها تقلب، وتلقى الحركة على ما قبلها، ولا يكون ذلك في الأسماء لأنّ (أفْعَل) وما أشبهه مما يسكن فاؤه إنما يبنى على (فَعَلَ)، فيعتلّ بعلّته».[5] وقال: «فإذا التقت واو في أوّل الكلام إلى جانبها واو، والأولى مضمومة فإن شئت همزت الأولى لضمّها».[6] وقال أيضاً: «وأمّا الياء فلا يلحقها من الهمز ما يلحق الواو لخروجها من العلة،

---

(١) المبرد: المقتضب ١/١١٥.
(٢) المصدر السابق ١/١١٨.
(٣) المصدر السابق ١/١٤٨.
(٤) المصدر السابق ١/١٨٩.
(٥) المبرد: المقتضب ١/١١١.
(٦) المصدر السابق ١/٩٥.

وصحّتها فيما تعتلّ فيه الواو من باب وعدت».[1] وقال أيضاً: «وإن التقت في أوّل الكلمة واوان ليست إحداهما للمدّ لم يكن بُدٌّ من همز الأولى... وذلك قولك في تصغير واصِل: أُوَيْصِل. وكان أصلها: وُوَيْصِل؛ لأن في واصل واواً وألف فاعِل تبدل في التصغير واواً. تقول في ضارب: ضُوَيرب».[2] وقال: «أما ما كان على «فَعْلى» من ذوات الياء فإنّ ياءَهُ تُقلب واواً إذا كان اسماً وتُترك ياءً على هيئتها إذا كان نعتاً».[3] وقال: «وإن بنيت المصدر على (فِعْلَة) لزمه حذف الواو؛ وكان ذلك للكسرة في الواو، وأنّه مصدر فِعْل معتلّ محذوف. وذلك قولك: وعدته عِدَةً، ووزنته زِنَةً».[4]

نلحظ من النصوص السابقة أن المبرد استخدم لفظ (اعتلت والمعتلة وعلتان ويعتل وعلته واعتلال، وتقلب وانقلاب وتنقلب وتبدل، وحذف، وهمز، وهمزت) للدلالة على ظاهرة الإعلال بالمفهوم الذي استقر عند سيبويه من قبل.

وأشار ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) إلى ظاهرة الإعلال في مواضع متفرقة من كتابه (الأصول في النحو)، واستخدم المصطلحات الدالة عليها. قال: «... تكرر هذه الحروف المعتلة واجتماع بعضها معَ بعض».[5]وقال: «الياءُ مكررة: إذا اجتمعت الياءان فلا تخلوان من أن تكونا متحركتين أو احداهما متحركة، والأخرى ساكنة، فإن كانتا متحركتين وهما عينٌ ولامٌ أعلت اللام دون العين، ولم يجُزْ أن تعلا جميعاً».[6] وقال: «إن حروف العلة أربعة: الواو والياء والهمزة

(١) المصدر السابق ١/٩٥؛ وانظر: ١/١٢٢.

(٢) المصدر السابق ١/٩٤-٩٥.

(٣) المصدر السابق ١/١٧٠.

(٤) المصدر السابق ١/٨٨-٨٩.

(٥) ابن السراج: الأصول في النحو ص٣١١.

(٦) المصدر السابق ص٣١١-٣١٢.

والألــف». [1] وقال أثناء حديثه عن الواو المتحركة: «فإن كانت مضمومة فمن العرب من يبدلها همزة... قالوا: في «وجوهٍ» أُجُوةٌ».[2] وقال أثناء حديثه عن الياء المتحركة: «فإنْ كان قبلها ساكنٌ وهي طرفٌ فهي على حالها، إلاّ أن يكون الساكن الذي قبلها ألفاً، فإنّها تبدل همزة، وذلك نحو: قضاء وسقاءٍ... فإن كان قبل الياء المتحركة التي هي طرفٌ حرفٌ متحركٌ ابدلت الياء لحركة ما قبلها إنْ كانت في «فعِلٍ»، وإن كان المتحركُ قبلها مفتوحاً أبدلت ألفاً نحو: قَضَى، و رَمى».[3] وقال: «باب ما إذا التقت فيه الهمزة والياء قلبت الهمزة ياءً والياءُ ألفاً»[4]، وقال: «فإن اجتمعتْ واوٌ مع واوٍ أوّلاً هُمِزَت الأولى، إلا أن تكون الثانية مدّة».[5] وقال:«وإن وقع بعد الواو المتحركة واوٌ ساكنة نحو: «فُعُولٍ» تركتْ على الأصل، ويهمزونَ إن شاءوا»[6]، وقال: «الألف تبدلُ من الياء والواوِ إذا كانتا متحركتين وقبلهما فتحة كاللام لافرق بينهما، وذلك نحو: قال وباع وخاف».[7]

ونلحظ من النصوص السابقة أن ابن السراج استخدم لفظ (اعلّت، ومعتلة، والعلة، وتعلاّ، وتبدل، وأبدلت، ويبدلها، وقلبت، وهمزت، ويهمزون) للدلالة على ظاهرة الإعلال.

وأشار الزجّاجي (ت ٣٤٠هـ) إلى ظاهرة الإعلال في كتابه (الجمل في النحو) وذلك عندما قال: «وكلُّ واوٍ أو ياءٍ تَحركَت وقبلَها فَتْحَةٌ قُلِبَتْ «ألفاً» بأيٍّ

---

(١) المصدر السابق ص٣١١.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٧.

(٣) الأصول في النحو ص٣٠٤.

(٤) المصدر السابق ص٣٠١.

(٥) المصدر السابق ص٣١٢.

(٦) المصدر السابق ص٣١١.

(٧) المصدر السابق ص٢٥١.

حركة تحركت، نحو: «قال، وبَاعَ، وطال، وكال، ونام» وما أشبه ذلك».[1] وقال: «إذا اجتمعت الياءُ والواوُ، وسَبَقتِ الأولى منهما بالسكون، قُلبَت الواوُ ياءً، وأُدْغِمَت الأولى في الثانية، فقيل «سَيِّدٌ، وميتٌ»، و «هَيِّنٌ ولَيِّنٌ» هذا مما سَبَقَتْ فيه الياء ساكنة، وأصله «مَيْوِتٌ، وَسَيْوِدٌ»، فَقُلِبَتِ الواوُ ياءً، وأُدغِمَت الأولى في الثانية فقيل (سيِّدٌ ومَيِّتٌ) وكذلك ما أشبهه»[2]، وقال: «كلُّ واوٍ أو ياءٍ وقعت بعد ألف زائدة أبدِلت همزة، وذلك نحو قولك: «قائمٌ، وبائِعٌ، وكائِلٌ، وصائغٌ» وما أشبه ذلك».[3]

وقال: «ومن العرب من يجري المُعْتلُّ من الجنس مُجْرى الصحيح... ولا يَحذِفُهُ، وذلك في الياء والواو خاصة دون الألف». [4]، وقال: «كل واوٍ انكسرت في أوَّل الكلمة خاصَّة، فهَمْزُها جائز، نحو: «وِشاحٍ وإشاحٍ، ووعاءٍ وإعاءٍ» وما أشبه ذلك».[5]

ويبدو مما سبق أن الزجاجي أشار إلى ظاهرة الإعلال واستخدم لفظ (قلبت، وابدلت، ومعتل ويحذفه، وهمزها) للدلالة على ظاهرة الإعلال.

ودرس ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ظاهرة الإعلال في كتابه (المنصف في شرح التصريف للمازني)، وأشار إليها في كتابه (سر صناعة الإعراب) في (باب الهمزة) وأفرد لها في كتابه (الخصائص) باباً بعنوان (باب في تخصيص العلل).[6]

---

(١) الجمل: ص٤٠٣.

(٢) المصدر السابق ص٤٠٣، ٤٠٤.

(٣) المصدر السابق ص٤٠٤.

(٤) الجمل ص٤٠٦.

(٥) المصدر السابق ص٤٠٤، ٤٠٥.

(٦) انظر: الخصائص ١/١٤٥.

قال ابن جني في أثناء دراسته ظاهرة الإعلال: «وينبغي أن يعلم أنه ليس معنى قولنا: إنه كان الأصل في قام وباع: قَومَ وبَيَعَ وفي أخافَ وأقامَ: أخْوَفَ وأقوم وفي استعان واستقام استعْوَن واستقْوَم، إننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمان بـ«قَوَمَ» و «بَيِعَ» ونحوهما مما هو متغير ثم أنّهم أضربوا عن ذلك فيما بعد.

وإنّما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على ما يوجبه القياس بالحمل على أمثاله لقيل: قَوَمَ وبَيِعَ واستَقْوَمَ... ألا ترى أن استقام بوزن استخرج، فقياسه أن يكون استقوم، إلا أن الواو قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها في الأصل، أعني قَوَمَ، ويدل على ذلك أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله.[1] وقال أيضاً: «وقد قال قوم: وَجِل يَاجَلُ، فجعلوها ألفاً لانفتاح ما قبلها، وكرهوا الواو مع الياء».[2]

واستخدم ابن جني أكثر من مصطلح للدلالة على ظاهرة الإعلال منها «القلب» استخدمه أثناء حديثه عن همزة عين فاعل، في مثل (قائم وبائع) إذ علّل هذا القلب بأن العين كانت قد اعتلت في الفعل (قام وباع) فانقلبت ألفاً في الماضي، فلما جئنا إلى اسم الفاعل التقت ألفان «وهذه صورتهما (قا ا م) فلم يجز حذف أحدهما فيعود إلى لفظ (قام) فحركت الثانية التي هي عين كما حركت راء ضارب، فانقلبت همزة، لأن الألف إذا حركت صارت همزة».[3] وقال: «إن الواو والياء متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين نحو قام، وباع، وغزا... الخ.».[4] واستخدم لفظ «الحذف» للدلالة على ظاهرة الإعلال، إذ قال: «وقد حذفت

(١) المنصف ١/٢٠٢؛ والخصائص ١/٢٥٨.

(٢) المصدر السابق ١/٢٠٢.

(٣) المنصف ١/٢٨٠-٢٨١.

(٤) ابن جني: الخصائص ١/١٤٧.

العين حرف عِلّة، وجعلت ألف فاعل عِوَضاً منها. وذلك (رجل خافٌ)، و (رجل مالٌ، ورجلٌ هاعٌ لاعٌ)».[1] واستخدم لفظ «أبدلوا» للدلالة على ظاهرة الإعلال، وذلك أثناء حديثه عن قلب الياء بعد الضم واواً، إذ قال: «(مُوسِرٌ ومُوقِنٌ) أصلُهما (مُيْسِرٌ ومُيْقِن)، فكرهوا الياء بعد الضمة، فأبدلوها واواً».[2] وقال: «والواو في ضُوَيْرِب إنما هي بدل من الألف في ضارب».[3]

واستخدم لفظ «الهمز» للدلالة على ظاهرة الإعلال أيضاً، إذ قال: «وإذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بُدٌّ».[4]

وقد استقصى ابن جني ظاهرة الإعلال في كتابه (المنصف على شرح التصريف للمازني)، وقد صرح بذلك، عندما قال: «وقد استقصيت هذا وغيره من لطائف التصريف في كتابي المصنَّف لتفسير تصريف أبي عثمان رحمه الله».[5]

يبدو ممّا مضى أن ابن جني استخدم أكثر من مصطلح للدلالة على ظاهرة الإعلال؛ منها لفظ (المعتلات، و فانقلبت، وحذف، وحذفت، وأبدلوا، وبدل، وهمز).

وخصص الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) جزءاً من كتابه (المفصل) للحديث عن ظاهرة الإعلال سماه (من أصناف المشترك الإعتلال) بيّن فيه أصوات الإعلال (الألف والواو والياء) ثم بيّن وقوع الواو والياء، فاءين ثم وقوعهما عينين ثم وقوعهما لامين، ثم تحدث عن الألف وبيّن أحكامها ومواضعها واستخدم مصطلح

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٩١.

(٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٢١-٢٢.

(٣) المصدر السابق ١/٢٢.

(٤) المصدر السابق ١/١١١.

(٥) المصدر السابق ١/١٠٩.

«القلب» أكثر من غيره من المصطلحات للدلالة على ظاهرة الإعلال، قال: «ومن العرب من يقلب الواو والياء في مضارع افتعل ألفاً فيقول: ياتعد وياتسر».[١] وقال أثناء حديثه عن الواو والياء لامين: «إما قلباً لهما إلى الألف إن كانت حركة ما قبلهما فتحة نحو (غزا ورمى وعصا ورحى».[٢] وقال أيضاً: «وما كان فعلى من الياء قلبت ياؤه واواً... كالتقوى».[٣] وقال: «إذا وقعت بعد ألف الجمع الذي بعده حرفان همزة عارضة في الجمع وياء قلبوا الياء ألفاً والهمزة ياء، وذلك قولهم (مطايا وركايا) والأصل (مطائي وركائي)[٤]، وقال: «وكل واو وقعت رابعة فصاعداً ولم ينضم ما قبلها قلبت ياء نحو أغزيت وغازيت»[٥]، واستخدم لفظ «الإعلال» عندما قال: «(القول في الياء والواو عينين). لا تخلوان من أن تعلا أو تحذفا أو تسلما فالإعلال في قال وخاف وباع... وما هو منها أُعِلّت هذه الأشياء وإن لم تقم فيها علّة الاعتلال إتباعاً لما قامت العلة فيه».[٦] وقال أيضاً: «وإعلال اسم الفاعل من نحو (قال وباع أن تقلب عينه همزة كقولك قائل وبائع)».[٧]

واستخدم لفظ «الحذف» للدلالة على الإعلال، وذلك عندما قال: «وإعلال اسم الفاعل من نحو قال وباع... وربما حذفت كقولهم شاك ومنهم من يقلب فيقول شاكيء، وفي جائي قولان أحدهما أنه مقلوب كالشاكيء والهمزة لام الفعل... والثاني أن الأصل جائيء فقُلبت الثانية ياء»[٨]، أي أن الإعلال هنا يقع بالحذف كما يقع بالقلب. واستخدم لفظ «الهمز» للدلالة على الإعلال أيضاً، وذلك عندما

---

(١) المفصل: ص٣٧٥.
(٢) المصدر السابق ص٣٨٣.
(٣) المصدر السابق ص٣٩٠.
(٤) المصدر السابق ص٣٩١.
(٥) المصدر السابق ص٣٩١.
(٦) المصدر السابق ص٣٧٦.
(٧) المصدر السابق ص٣٧٨.
(٨) المصدر السابق ص٣٧٨.

قال: «وتقول في جمع (مقامة ومعونة ومعيشة مقاوم ومعاون ومعايش مصرحاً بالواو والياء ولا تهمز».[1]

استخدم الزمخشري هذه الألفاظ للدلالة على ظاهرة الإعلال، كما استخدمها من سبقه من علماء العربية للدلالة على الظاهرة نفسها.

ودرس ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) شارح المفصل ظاهرة الإعلال دراسة مفصلة بيّن فيها الظاهرة من كل جوانبها، واستخدم مصطلحات سابقيه للدلالة عليها.

وقد عرّف الإعلال بقوله: «معنى الإعلال التغيير والعلة تغيّر المعلول عمّا هو عليه وسميت هذه الحروف حروف علة لكثرة تغيرها».[2]، ومن المصطلحات التي استخدمها للدلالة على هذه الظاهرة لفظ «القلب» إذ قال وهو يتحدث عما (عينّه ياء أو واو): «لما يلزم فيه من قلب الواو ياء فهذه الأفعال كلها معتلة تقلب الواو والياء فيها ألفين وذلك لتحركها وانفتاح ما قبلها».[3] واستخدم لفظ «تبدل» عندما قال: «إذا بنيت افتعل مما فاؤه همزة نحو (أمر وأكل وأمن) قلت (إيتمر وإيتكل وإيتمن) فتبدل من الهمزة التي هي فاء ياء لسكونها ووقوع همزة الوصل مكسورة قبلها على حد قلبها في بير وذيب». [4] واستخدم لفظ «الحذف» عندما قال: «واعلم أن إعلال نحو عدة وزنة إنما هو بنقل كسرة الفاء التي هي الواو إلى العين فلما سكنت الواو لم يمكن الابتداء بالساكن ألزموها الحذف لأنهم لو جاءوا بهمزة الوصل... فكانوا يقولون (إيعد) بياء بين كسرتين وذلك مستثقل فصاروا إلى الحذف».[5] واستخدم لفظ «الاعتلال» إذ قال: «لا يخلو

(١) المصدر السابق ص٣٨٢.

(٢) شرح المفصل ٥٤/١٠.

(٣) المصدر السابق ٦٥/١٠.

(٤) المصدر السابق ٦٣/١٠، ٦٤.

(٥) المصدر السابق ٦١/١٠.

حرف العلة إذا كان ثانياً عيناً مـن أحوال ثلاثة، إما الإعتلال وهو تغيير لفظه... وإما أن تحذفه وإما أن يسلم ولا يتغير والأول أكثر... لكثرة استعمالهم إياه وكثرة دخوله في الكلام فآثروا إعلاله تخفيفاً».[1]

واستخدم لفظ «الهمز» عندما قال: «اسم الفاعل يعتل باعتلال فعله تقول (في قام قائم وفي باع بائع) فتهمز العين».[2] نلحظ من النصوص السابقة أن ابن يعيش استخدم أكثر من لفظ للدلالة على ظاهرة الإعلال التي تصيب أصوات العلة.

ودرس الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) ظاهرة الإعلال واستخدم المصطلحات الدالة عليها كسابقيه منها قوله: «اعلم أن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة: أي الألف والواو والياء، بالقلب أو الحذف، أو الإسكان. ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة إعلال.... بل يقال: إنه تخفيف للهمزة».[3] وقد وضّح الاستراباذي أنواع الإعلال أكثر من سابقيه، كما أنه وضّح المصطلحات الدالة على كل نوع.

ونفهم من كلامه وكلام سابقيه أن مفهوم:

- مصطلح الإعلال بالتسكين: يدل على نقل حركة الصوت المعتل إلى الصوت الساكن قبله. وذلك في مثل: «يقْوُمُ ← يقُوْم، يَبْيِعُ ← يَبِيْع).

هنا حدثت عملية نقل للحركة القصيرة التي تسبق صوت العلة إلى الصوت الصحيح الساكن قبله طلباً للخفة.

---

(١) المصدر السابق ٦٤/١٠.

(٢) المصدر السابق ٧٧/١٠.

(٣) شرح الشافية ٦٦/٣، ٦٧ وما بعدها حتى ص١٩٧.

يقول سيبويه في هذا: «هذه الحروف حيث اعتلت جعلت حركتهن على ما قبلهن، كما جعلت من الواو والياء حركة ما قبلها، لئلا تكون في الإعتلال على حالها إذا لم تعتل، ألا ترى أنك تقول.. خِفْتُ و هِبْتُ فَعَلْتُ فألقوا حركتها على الياء وأذهبوا حركة الفاء فجعلوا حركتها الحركة التي كانت في المعتل الذي بعدها».[1]

- ومصطلح الإعلال بالقلب: يدل على إبدال صوت من أصوات العلة بصوت آخر من نوعه حسب تأثير الحركات، وذلك طلباً للخفة والتجانس في أصوات الكلمة.

يقول الخليل بن أحمد في هذا: «قالوا خَافَ، وحدّه: خَوِف فألقوا الواو بصرفها، وأبقوا الصوت، واعتمدوا الصوت على فتحة الخاء فصار منها ألفاً ليّنة، وكذلك نحو ذلك فاعلم».[2]

(فخَوِفَ) عندما تصبح (خاف) تكون هكذا (خـَـو ـِ ف) فتصبح (خـَـَ ف).

- ومصطلح الإعلال بالحذف: يدل على سقوط صوت العلة كله من الصفية لعلة صوتية بين أصوات العلة والحركات القصيرة والسكون، وهو الاشتثقال وذلك في مثل فعل الأمر (عِد) من (وَعَد).

وقد تحدث عن هذا المفهوم الخليل بن أحمد[3] وسيبويه[4]، وابن جني[5]، وغيرهم من علماء العربية القدماء.[6]

---

(١) الكتاب ٤/٣٢٩؛ وانظر: المبرد: المقتضب ١/١٣٣؛ وابن جني: المنصف ٢/١١١.

(٢) العين ٤/٣١٢؛ وانظر: سيبويه: الكتاب ٤/٢٤٢؛ وابن جني: المنصف ١/٢٥١.

(٣) الجمل في النحو ص٢٩٤.

(٤) الكتاب: ٤/٢٤٠.

(٥) المنصف ١/٢٣٣-٢٤٢.

(٦) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/٦٨-٦٩؛ والاستراباذي: شرح الشافية ٣/١٠٩ وما بعدها؛ وابن هشام: أوضح المسالك ٣/٣٤٢؛ والسيوطي: الأشباه والنظائر ١/٤٠.

وملخص ما قاله علماء العربية القدماء في الإعلال. أن الإعلال هو ما تتعرض له أصوات العلة من تغييرات. بحلول بعضها محل بعض، وهو ما يسمونه (الإعلال بالقلب). أو بسقوط صوت العلة بكامله، ويسمونه (الإعلال بالحذف). أو بسقوط بعض عناصر صوت العلة، وهو ما يسمونه (الإعلال بالنقل) أو (التسكين).

أمّا المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فقد عالجوا ظاهرة الإعلال بطريقة تختلف عن طريقة القدماء، إلا أنهم استخدموا مصطلح الإعلال نفسه للدلالة عليها.

وقد نقد عبدالصبور شاهين القدماء في دراستهم أصوات العلة (الألف، والواو، والياء، والهمزة) بقوله: «إن موقف القدماء من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة، فكانت لديهم ثلاثة أحرف ترسم بثلاثة رموز هي: (الألف، والواو، والياء)، مع ملاحظة أن رمزي الواو والياء يعبران في نظرهم عن أربعة أصوات، هي (ياء المد، وياء العلة، وواو المد، وواو العلة).

والواقع أن الواو والياء المعتلتين، لا تكونان إلا حين تتراكب الحركات، فتنشأ الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الإنتقالي، الذي هو الواو أو الياء، فالحركة المزدوجة (a + i) -مثلاً- تنتج الياء، والحركة المزدوجة (a + u) تنتج الواو أيضاً. وهذان هما صوتا العلة ومثالهما: بيت، وقوم.[1] كلام شاهين غير دقيق. فنحن هنا لسنا بإزاء حركة مزدوجة. فمن شروط الحركة المزدوجة أن تمثل وحدة صوتية فونولجية وظيفية واحدة تحتل موقع الحركة في المقطع الصوتي. وهذا لا يوجد في العربية. فكلمة (بيت) bayt في العربية تمثل مقطعاً واحداً (مع تسكين التاء) وتتكون من صامت، فحركة قصيرة فصامت فصامت (ب ـَ ي ت).

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية ص١٧٠.

وعليه تكون الياء العلة هنا صامتاً مسبوقاً بحركة وليست حركة مزدوجة. وللتمييز بين الواو والياء (المعتلّتين) والكسرة الطويلة والضمة الطويلة (المدّتين) نقول إن الأولين يحتلان مواقع الصوامت في المقطع الصوتي، وعليه تسبقهما أو تليهما حركة قصيرة أو طويلة. ولذا أطلق عليهما (أشباه الحركات) لأنهما من الناحية النطقية الشكلية أقرب إلى الحركات إلا أنهما من الناحية الوظيفية يعملان عمل الصوامت.

ويتابع عبدالصبور شاهين حديثه فيقول: «فأمّا أصوات المد في مثل: قام، يقوم، يقيم -فليست أصوات علة، على الرغم من اتحاد رمزي الواو والياء، والتباسهما- كتابة - برمزي صوتي العلة السابقين، بل كل ذلك حركات طويلة، يمكن تجزئتها إلى حركات قصار، على ما لاحظه بعض الأئمة القدماء كابن جني».[1]

إذن أصوات العلة عندهم (الواو والياء) الصامتان (شبها الحركة) فقط. أما الألف فهي فتحة طويلة[2]، وأما الهمزة فهي صوت صحيح[2]، وقد بيّنوا هذا عندما قالوا: «نجد

أن القدماء قد جعلوا الهمزة مع هذه الأحرف الثلاثة في باب واحد، وعذرهم في ذلك أن رمز الألف هو في أصل اللغة رمز الهمزة، ولم يحدث التمييز بين الصوتين في الرمز إلا في منتصف القرن الثاني تقريباً، حين اختار الخليل بن أحمد للهمزة رمز العين الصغيرة... ولكن القدماء لم يستطيعوا الفكاك من ارتباط الهمزة بالألف، فإذا هم يجعلون الهمزة: تارة حرف علة، وتارة شبيهة بالعلة، مع أنها صوت صامت، ومن ثم اضطرب علاجهم لكل مسائل الهمزة، في

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية ص١٧٠.

(٢) انظر: داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص٤٧-٧٧-٧٨.

علاقاتها بأصوات المدّ والعلة، كما اضطرب علاجهم لمسائل الهمزة في علاقاتها بأحرف العلة، نتيجة الاشتراك في الرموز».[1]

وقد حدد المحدثون مخرج (الواو والياء) وصفتهما وأطلقوا عليهما مصطلح «أنصاف الحركات»[2]، أو «أشباه الحركات»[3]، أو «أنصاف صوامت».[4] أطلقوا هذه المصطلحات على هذين الصوتين لأنهما يقعان في مواقع الصوامت وتسبقهما أو تلحقهما حركة من الحركات قصيرة أو طويلة (فهما من الناحية النطقية الشكلية أقرب إلى الحركات؛ إلا أنهما من الناحية الوظيفية يعملان عمل الصوامت). ولبيان الفرق نوضّح مخرجيهما.

مخرج الواو: عندما ننطق بالواو تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى، وتضم الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك الليّن ويتذبذب الوتران الصوتيان. فالواو إذن صوت صامت (أو نصف حركة) من أقصى اللسان مجهور وذلك نحو الواو في (ولد)، ويمكن وصفه بأنه شفوي كذلك، إذ الشفتان تنضمان عند النطق به.

هذا وصف المحدثين لمخرج صوت (الواو).[5]

أما القدماء فقد وضعوا للواو مخرجين، الأول عندما تكون صوت مد والثاني عندما تكون صوتاً صامتاً، يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «المخرج الأول «الجوف» وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور

---

(١) عبدالصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية ص١٧١؛ وانظر: داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص٤٧، وصلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص١٧١.

(٢) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٣٢.

(٣) انظر: كمال بشر ص١٣٣؛ وصلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص١٦٨.

(٤) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٣٣.

(٥) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٣٢؛ ومحمود السعران: علم اللغة ص١٨٠.

ما قبلها. وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين».[1] ثم تحدث بعد ذلك عن مخرج الواو باعتبارها صامتاً فقال: «المخرج السادس عشر للواو غير المدية والباء والميم. -مما بين الشفتين- فينطبقان على الباء والميم... يقال لها الشفهية والشفوية، نسبة إلى الموضع الذي تخرج منه وهو الشفتان».[2]

مخرج الياء: عندما ننطق بالياء تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنطق حركة الكسرة، ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع حركة أخرى أشد بروزاً، وهذا الانتقال السريع من الكسرة هو الذي يكوّن الصامت المعروف بالياء، ومخرج هذا الصوت هو أن وسط اللسان يرفع عالياً تجاه الحنك الصلب وتكسر الشفتان، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان.

فالياء شبه حركة مجهور مكسور (غير مضموم) حنكي وسيط، وذلك نحو الياء في (يترك). هذا وصف المحدثين لصوت الياء.[3]

أما القدماء فقد وضعوا للياء مخرجين، الأول عندما تكون صوت مد ولين وهو الجوف. [4] والثاني عندما تكون صوتاً صامتاً فجعلوا مخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك.[5]

إذن لا فرق بين وصف القدماء ووصف المحدثين لمخرج الياء سوى شكل الشفتين، حيث أن القدماء لم يشيروا عند وصفهم مخرج الياء إلى كسر الشفتين.

---

(١) النشر ١/١٩٩.

(٢) المصدر السابق ١/٢٠١.

(٣) انظر: كمال بشر: الأصوات ص١٣٣، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٨٠-١٨١؛ وصلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص١٧٠.

(٤) انظر: ابن الجزري: النشر ١/١٩٩.

(٥) انظر: ابن الجزري: النشر ١/٢٠٠.

وقفت عند هذين الصوتين وبيّنت مخرجيهما عند القدماء والمحدثين لعدم استقرارهما، ولكثرة التغيّر الذي يصيبهما من حذف وقلب وإبدال. ولإطلاق المحدثين أكثر من مصطلح عليهما، فقد أطلق بعضهم مصطلح (أشباه أصوات اللين). [1] وبعضهم (أنصاف الحركات)[2] أو (أشباه الحركات)[3] وأطلق عليهما آخرون مصطلح (أنصاف صوامت) أو (صوامت ضعيفة)[4]، وأطلق آخرون مصطلح (حروف العلة)[5]. أو (صوتي العلة)[6] وسماها آخرون (الصوائت المركبة).[7] والحقيقة أن الدراسات الصوتية الحديثة -رغم اختلافها في إطلاق المصطلح على صوتي العلة الواو والياء- عالجت ظاهرة الإعلال علاجاً جديداً من خلال توضيحها حقيقة أصوات (الألف والواو والياء والهمزة)، فالألف عند المحدثين فتحة طويلة، والهمزة صوت صامت، و (الواو والياء) إما أن يرمزا في الكتابة إلى ضمة وكسرة طويلتين (صائتين طويلين)، وإما أن يرمزا إلى صامتين (شبهي حركة). وقد درس المحدثون هذه الأصوات من الناحية المسلكية دراسة مستفيضة.[8] نذكر منها على سبيل التمثيل لتوضيح منهجهم:

---

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢.

(٢) عبدالصبور شاهين: القراءات القرآنية ص٤١؛ وانظر: كمال بشر: الأصوات ص١٣٢.

(٣) عبدالصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية ص١٦٨.

(٤) انظر: هنري فليش: العربية الفصحى ص٤١؛ وعبدالصبور شاهين: القراءات القرآنية ص٤٣.

(٥) محمد الأنطاكي: المحيط ١/١٠٥؛ وانظر: مالمبرج: علم الأصوات ص٨٠.

(٦) مالمبرج: علم الأصوات ص٨٠.

(٧) محمود السعران: علم اللغة ص١٨٥.

(٨) انظر: عبدالصبور شاهين: القراءات القرآنية من ص٣٧ حتى ٤٨؛ والمنهج الصوتي للبنية العربية من ص٨٢ حتى ص٩٤ ومن ص١٦٧ حتى ص٢٠٢؛ وداود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص من ٣٣ إلى ص٤٨. ومن ص٧٧ حتى ص٨٦ وصلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات من ص١٦٨ حتى ص٢٠٢.

لقد درس المحدثون طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية، فهي صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة انغلاق الوترين انغلاقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الإنغلاق، ومن ثم ينقطع النفس، ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران، فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوساً حال الإنغلاق التام، هذا الصوت هو الهمزة، فهي إذن: صوت حنجري، انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، وهي بذلك تُعد من الصوامت.

فإذا أردنا التعرف على طبيعة أصوات المد (الحركات الطويلة)، وجدنا أنها أصوات انطلاقية، تخرج من منطقة الفم، بعيداً عن الحنجرة والحلق، واللهاة. ثم هي أصوات مجهورة، بل هي أعلى الأصوات إسماعاً، على حين نجد الهمزة من أخفض الأصوات إسماعاً.

فهناك إذن ما يشبه التعارض الكامل بين طبيعة الهمزة من جانب وطبيعة الحركات من جانب آخر، يتمثل في الفروق التالية وهي:

١- المخرجان متباعدان.

٢- الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس والحركات مجهورة.

٣- الهمزة انفجارية، والحركات انطلاقية.

وإذا أردنا التفرقة بين الهمزة وأصوات العلة (الواو والياء) لأضفنا إلى الفروق الثلاثة السابقة فرقاً رابعاً:

- أن الهمزة صوت صامت مستقل، وصوت العلة صوت حركي انتقالي.

وبذلك تبيّن أنه لا علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة وبين أصوات المد والعلة، وكلُّ ما يعرف عن هذه المسألة يوحي بالتباعد الذي ينفي إمكان الإبدال.[١]

وإذن، فالقول بوقوع الإبدال بين الهمزة من جانب، وأصوات المد والعلة من جانب آخر، قول لا تؤيده الحقيقة الصوتية، لبعد ما بين الجانبين. وعلّق شاهين على ما ورد في كتب الصرف من (إبدال الواو والياء همزة) في أربعة قواعد هي:

١- أن تتطرف الواو أو الياء بعد ألف زائدة، مثل: كساء وبناء.

٢- أن تقع إحداهما عيناً لاسم فاعل فعلٍ أعلت فيه، مثل: قائل وبائع. فالفعل فيهما: قَوَل وبَيَع.

٣- أن تقع إحداهما بعد ألف مفاعل، وقد كانت مدة زائدة في المفرد، مثل عجائز، وصحائف. فإن المفرد هو: عجوز، وصحيفة، والواو والياء فيهما زائدتان، أي ليستا من بنية الكلمة، لأنهما من: عجز - صحف، ولذلك قلبتا في الجمع همزة.

٤- أن تقع إحداهما ثاني حرفين لينين، بينهما ألف مفاعل، سواء أكان الليّنان ياءين، مثل: نيايف، أو واوين، مثل: أواول.

بقوله: «النظرة الأولى لهذه القواعد تُرينا أن الواو والياء قد جاءت كل منهما في سياق صوتي واحد، رغم اختلاف القواعد، فالواو والياء قد وقعا بعد فتحة طويلة، زائدة، في المواضع الأربعة، وعلى ذلك فإن سبب وجود الهمزة في أمثلتها واحد، وما تعدد القواعد سوى عملية تصنيف للأمثلة فيما نرى»[٢]، ثم قال: «فمن الممكن إذن القول بأن الواو أو الياء إذا وقعت إحداهما بعد فتحة طويلة، زائدة، سقطت وحلت محلها الهمزة. وفي أمثلة القاعدة الأولى يمكن

---

(١) انظر: عبدالصبور شاهين: القراءات القرآنية ص٤٨.

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية ص١٧٦-١٧٧.

تفسير الهمزة بخاصة الوقف العربي، الذي لايكون على حركة في مثل: كساو Kisaa-u. فحذفت الضمة المولدة للواو، بازدواجها مع الفتحة الطويلة، وأقفل المقطع بصوت صامت، هو الهمزة، التي تستعمل هنا قفلاً مقطعياً، تجنباً للوقف على مقطع مفتوح. وأما في أمثلة القواعد الثلاث الباقية فإن المقطع الأخير في (قا/ول - با/يع - عجا/وز - صحا/يف - نيا/يف) - يبدأ بحركة مزدوجة تالية لحركة طويلة، وهذا ضعف في البناء المقطعي، فسقط الإنزلاق وحلّت محله الهمزة النبرية، كوسيلة صوتية لتصحيح المقاطع، لا على سبيل الإبدال، لعدم وجود العلاقة المبيحة له »[1].

تعليقات شاهين هنا مضطربة مليئة بالخطأ في ضوء النظر الصوتي.

- فما معنى حذف الضمة المولّدة للواو؟ الواو هنا علّة/صامت/شبه حركة، ولا شيء يمنع من أن نغلق بها مقطعاً كقولنا (جوّ) في الوقف (ج ـَ وو) والوقوف بها ليس وقوفاً على مقطع مفتوح. فالمقطع المفتوح هو الذي ينتهي بحركة (قصيرة كانت أم طويلة). والواو هنا ليست حركة، ولكن يمكن القول إنها وإن كانت صامتاً هنا من الناحية الوظيفية، إلا أنها شبه حركة من الناحية النطقية.

ثم إن العربية لا تتجنب الوقوف على مقطع مفتوح. مثلاً: (طوى = ط ـَ/ وـَـَ) مقطعان الثاني منهما مفتوح.

- ثم إنه لا توجد حركة مزدوجة إطلاقاً في صحايف، وقاول، وبايع، وبقية الأمثلة. لأن من شروط الحركة المزدوجة أن تمثل وحدة صوتية فونولجية وظيفية واحدة تحتل موقع الحركة في المقطع الصوتي. وهذا موجود في الإنجليزية، إلا أنه لا يوجد في العربية. فكلمة (بايع ← ب ـَـَ ي ـِ ع) تتكون

---

(١) المرجع السابق ص١٧٧.

من صامت/حركة طويلة/صامت/حركة قصيرة/صامت. وهي مكونة من مقطعين؛ المقطع الأول ينتهي بحركة طويلة (با) والمقطع الثاني يبدأ بصامت (يع). وعليه يكون صوت العلة صامتاً، مسبوقاً بحركة. وليس كما يقول شاهين حركة مزدوجة.

ودرس داود عبده ظاهرة الإعلال، وعرض تفسيرات القدماء لهذه الظاهرة بقوله:

«لننظر أولاً إلى ظاهرة «الإعلال» في كلمات مثل قال وباع. يقول النحويون إن قوَل تصبح قال، وبيَع تصبح باع بإبدال الواو والياء فيهما ألفاً. ولكن النحويين لا يخبروننا عما يحدث للفتحة السابقة للياء والواو والتفحة اللاحقة لهما في أمثال الكلمات السابقة. فكلمة قوَلَ مثلاً، تتألف من ستة أصوات لغوية هي (قاف وفتحة وواو وفتحة ولام وفتحة)، بهذا الترتيب، كما يتضح من كتابتها كتابتاً صوتية (ق َـ و َـ ل َـ). وكذلك تتألف كلمة بَيَعَ ... فإذا كانت الألف في مثل قال وباع منقلبة عن شبه العلة (الواو في الكلمة الأولى والياء في الكلمة الثانية) فلا بد أن نستنتج أن الفتحة السابقة لشبه العلة والفتحة التالية لهما قد سقطتا».(١)

ثم قال: «إن تحليل النحاة هذا يصطدم بعدد من المشكلات:

أولاهما: أن ليس هناك تفسير مقبول لسقوط الفتحتين.

وثانيهما: أن الواو والياء (وهما تشتركان في عدد من الخصائص الصوتية) ليستا من جنس الألف لكي تنقلبا ألفاً.

(١) دراسات في علم أصوات العربية ص٢٢.

وثالثها: أن الواو (في مثل وصل أو قوْل) لا تختلف عن الضمة وهي علة قصيرة، إلا في مقدار المسافة بين اللسان وأقصى الحنك عند النطق بهما (حيث تكون هذه المسافة أقل في حالة النطق بالواو)، وبالتالي فإن من المنتظر حين تنقلب تكون هذه العلة قصيرة. ومن المعلوم أن الألف ليست علّة قصيرة، بل هي علة طويلة تقابلها العلة القصيرة المعروفة بالفتحة.

وما قيل عن الواو ينطبق أيضاً على الياء، فهي في حين تنقلب إلى علة، فإن هذه العلة لا يمكن أن تكون ألفاً، لأنها ليست من جنس الياء أولاً، وليست علة قصيرة ثانياً. أي أن الواو عندما تنقلب إلى علة فإن المتوقع أن تكون ضمة، وأن الياء عندما تنقلب إلى علة فإن المتوقع أن تكون كسرة».[1]

هذا تحليل النحاة للظاهرة.

بعد أن بيّن داود عبده الخلل في تحليل القدماء لظاهرة الإعلال حللها بقوله: «إن ما طرأ على كلمة قَوَلَ حين أصبحت قال وبَيَعَ حين أصبحت باع يمكن تفسيره كما يلي:

أولاً: تحذف شبه العلة إذا وقعت بين علتين قصيرتين متماثلتين (أي بين فتحتين أو ضمتين أو كسرتين).

ثانياً: ينتج عن العلتين القصيرتين -وقد أصبحتا متواليتين بعد سقوط الواو والياء- علة طويلة من جنسهما. فإذا كانت العلتان القصيرتان فتحتين نتج عنهما فتحة طويلة (يرمز إليها في نظام الكتابة العربية بحرف الألف)، وإذا كانتا ضمتين نتج عنهما ضمة طويلة، وإذا كانتا كسرتين نتج عنهما كسرة طويلة.

---

(١) دراسات في علم أصوات العربية ص٣٤.

وهكذا تكون الفتحة الطويلة (الألف) في قال وباع ناتجة عن الفتحتين المتواليتين بعد سقطو شبه العلة في قوَل وبيَع، لا عن شبه العلة ذاتها.

ق َـ و َـ ل َـ ← ق َـ َـ ل َـ (= قال)

ب َـ ي َـ ع َـ ← ب َـ َـ ع َـ (= باع)».[1]

في ضوء ما سبق يمكننا أن نمضي في تفسير الكلمات التي أصابها إعلال.

هذا جانب من دراسة المحدثين لما أسماه القدماء بالإعلال. وقد استخدم بعض المحدثين نفس مصطلح القدماء «الإعلال»[2] للدلالة على التغيّر الذي يطرأ على الواو والياء، كما أنهم استخدموا مصطلحات أنواع الإعلال الثلاثة التي أطلقها القدماء وهي (الإعلال بالقلب، والإعلال بالحذف، والإعلال بالنقل أو التسكين).[3]

وقد درس بعض المحدثين ظاهرة الإعلال في بابي المماثلة (Assimilation) والمخالفة (Dissimilation). [4] مع بقية الظواهر الأخرى التي تدخل في عداد التغيرات الصوتية كالإدغام والإبدال والقلب المكاني.

- والمماثلة: هي أن يتجاور صوتان لغويان (صامت أو حركة) فيتبع أحدهما الآخر فيتغير في المخرج أو الصفة ليتحقق الانسجام الصوتي بينهما، وذلك بالقلب أو الحذف أو التخفيف.

---

(١) دراسات في علم أصوات العربية ص٣٤.

(٢) انظر: مالمبرج: علم الأصوات ص٨٠؛ ومحمد الأنطاكي: المحيط ١/١٠٥؛ وصلاح الدين حسنين: المدخل إلى علم الأصوات ص١٧٣-١٧٧؛ وعبدالصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية ص١٦٧؛ وداود عبده: دراسات في علم أصوات العربية ص٣٢-٣٤.

(٣) انظر: محمد الأنطاكي: المحيط ١/١٠٥؛ وعبدالصبور شاهين: المنهج الصوتي ص١٩٦-٢٠١.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٨٣؛ وأحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص٣٢٠؛ وبراجشتراسر: التطور النحوي ص٣٣.

- وأما المخالفة: فهي ضد المماثلة من حيث أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين وذلك بالحذف أو القلب أو التخفيف أيضاً.[١]

صفات لأصوات المد

الحية والميتة:

نظر بعض علماء العربية إلى أصوات (الألف والواو والياء) فوصفوها بأنها (حيّة وميتة). وهم يريدون بالحية (المتحركة)، وبالميتة (الساكنة)، وعلى هذا الأساس استخدموا مصطلح (حية، وميتة). فوصف سيبويه الألف بأنها ميتة لأنها لا يفارقها السكون، عندما قال: «وإنما جسروا على حذف الألف[٢] لأنها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب» [٣]، ووصف الواو في كلمة (جدوَل) بأنها (حيّة) إذ قال: «واعلم أن أشياء لكون الواو ثالثة وتكون زيادة، فيجوز فيها ما جاز في أسود. وذلك نحو جدول وقسور تقول: جُدَيْوِلٌ، وقُسَيْوِرٌ، كما قُلْت: أُسَيْوِدُ... وذلك لأن هذه الواو حيّة».[٤] وقال عن حروف المد: «وإنما كانت هذه الأحرف الثلاثة الزوائد: الياء والواو والألف، وما بعدها بمنزلة زيادة واحدة لسكونها وضعفها، فجعلت وما بعدها بمنزلة حرف واحد، إذ كانت ميتة خفيّة».[٥]

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٩-٢١٥؛ وعبده الراجحي: التطبيق الصرفي ص١٥٣-١٥٤؛ وعاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث ص٢٤٥-٢٤٨.

(٢) انظر سيبويه إذ قال: «وإنما حُذِفَت الإلف لأنها حرف ميت، فجعلتها كالف مبارك». الكتاب ٣/٤٢٣.

(٣) الكتاب ٣/٣٥٦ و ٤٢٣.

(٤) المصدر السابق ٣/٤٦٩؛ وانظر: ٣/٢٥٥.

(٥) المصدر السابق ٢/٢٦٢.

وقال سيبويه أيضاً: «وسألته[1] عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة، لأي شيء هُمِزْنَ في الجمع، ولم يكُنّ بمنزلة مَعَاوِنَ، ومعايِشَ إذا قلت: صحائفُ ورسَائل وعجَائِز؟ فقال: لأني إذا جمعت مَعاوِنَ ونحوها، فإنما أجمعُ ما أصله الحركة فهو بمنزلة ما حرّكتُ كجدْوَلٍ. وهذه الحروف لمّا لم يكن أصلها التحريك وكانت ميّتة لا تدخلها الحركة على حال، وقد وقعت بعد ألف، لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرّك... فهذه الأحرف الميتة التي ليس أصلها الحركة أجدر أن تغيّر إذا همزت ما أصله الحركة».[2] يتضح مما تقدم أن سيبويه يستخدم مصطلح (الحروف الحيّة) للدلالة على الواو والياء إذا تحركتا، ومصطلح (الحروف الميتة) على الألف والياء والواو الساكنة. ويفهم من النص الأخير أن الخليل بن أحمد استخدم مصطلح (الحروف الميتة). ولم نجد هذا المصطلح في كتابه. وكان علماءالعربية من قبل قد وصفوا حروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء، بأنها أصوات ساكنة، وأنها مسبوقة بحركات من جنسها، فالألف قبلها فتحة، والواو قبلها ضمة، والياء قبلها كسرة.[3] والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف، أو سلب الحركة وعدمها من النطق.[4]

أمّا علماء التجويد فقد استخدم بعضهم مصطلح (حيّة وميتة) في تقسيم السكون. وكان ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ) أوّل من قسّم السكون هذا التقسيم من علماء التجويد مما اطلعت عليه، ولم يتابعه في ذلك إلا القسطلاني (ت٩٢٣هـ).

---

(١) يريد أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي. قال السيرافي (أخبار النحويين البصريين ص٤٠): «وكل ما قال سيبويه: وسألته، أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل».

(٢) الكتاب ٤/٣٥٦.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٢/٢٢٠ و ٢٢١ و ٤/٤٤٢ و ٤٤٧؛ والمبرد: المقتضب ١/٢١٠-٢١١؛ والأزهري: تهذيب اللغة ١/٥١؛ وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٣١.

(٤) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٩/٦٧؛ والسيوطي: الأشباه والنظائر ١/١٧٦.

قال ابن الطحان: «وأما حد السكون فالسكون نوعان؛ حيٌّ وميِّت. فالحي هو الذي يتهيأ له العضو ويأخذه فيسمع قرعه به، مثل: حُكْم وغَيْر، فأنت تجد الكاف والياء ظاهرتي الجسم والقرع، لإعمال العضو فيهما كما يعمل في المحرك مثل حَكَم ومَيِلَ. والمتحرك حي. فكذلك السكون الذي يوجد فيه أخذ العضو إياه حي أيضاً.

والسكون الميت لا يكون إلا في حروف المد واللين الثلاثة، في الألف الثابتة السكون، وفي الواو بعد الضم، وفي الياء بعد الكسرة. فأما الألف فشهرتها بعدم حكمها من أن ينقطع لها في الفم جزء تتحيز إليه ظاهرة. وأما الواو والياء فإنهما ما وقعتا بعد حركتهما فإن سكونهما ميِّت، وذلك أنه غير جار على عضو ولا حاصل في حيِّز، إنما يصير الفم لصوتيهما كالأنبوب. وهما إذا انفتح ما قبلهما كسائر الحروف، وسكونهما حي (لسكونهما).[1]

إلا أن السكون الحي يتفاضل بمقتضى طبع الحرف من القوة وتمكنه منها، كما أنه في الوقف أندى منه في الوصل، كما أنه في الوقف أتم حياة منه في الوصل.

فحدُّ السكون الحي هو أن تكمل ضديته لنقيضه، وهو الحركة، فواجب على القارىء أن يعتمد عليه اعتماداً يظهر صيغته، ويبرز حليته. فإن وصله بغيره بيّنه بما يحقق له من صفاته القائمة بذاته من غير قطع مسرف ولا فصل متعسف سوى ما تحكم به طبيعته من احتباس العضو لإظهار قرعه. فإن وقف عليه بيّنه أيضاً بما يجب له من صفاته القائمة بذاته المعينة على حياته، الشاهدة للقارىء بالإحسان والإجادة والإتقان في تفريقه بين المهموس والمجهور، وبين المهموس الرخو وبين المهموس الشديد، وبين المجهور الرخو وبين المجهور الشديد

---

(١) كذا في الأصل.

وبين الشديد الأصلي وبين الشديد الفرعي، وبين صوتي النون مشددة ومخففة مع التعيين وإظهار للطنين، وفي الياء والواو الحيتين توقيف من الأداء، كذلك السكون الميت حدّه مقيد بالأداء من شرع القراء».[1]

في هذا النص عبارة ابن الطحان (والسكون الميت لا يكون إلا في حروف المد واللين) غير سليمة لا تنطبق على أصوات اللين (الواو والياء) لأنهما قد يتحركان مثل (وَلَد يَلِد) وتنطبق على أصوات المد (الألف والواو والياء).

«يتضح من النص السابق أن أوجه التقابل بين السكون الحي والسكون الميت ليس قائماً على أساس قابلية السكون الحي للحركة، وعدم قابلية السكون الميت لها، كما هو المتبادر إلى الذهن، وإنما هو قائم على أساس طبيعة مخرج الصوت في أثناء مرور النفس به. فجميع الأصوات الجامدة سكونها حي، لعمل أعضاء آلة النطق في مخارجها، إما بسد مجرى النفس بالكليّة ثم إطلاقه، وذلك في الأصوات الشديدة، وإما بتضييق مجرى النفس عند مخرج الصوت، وذلك في الأصوات الرخوة. أما حروف المد فسكونها ميّت لأن أعضاء آلة النطق لا تعترض مجرى النفَس عند إنتاجها بسد ولا تضييق، وإنما تكون (كالأنبوب)، كما يقول ابن الطحان».[2]

ولخص القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) فكرة تقسيم السكون إلى حي وميّت، وذلك عندما قال: «وأما السكون فنوعان: حي وميت. فالثاني الألف واختاها، لأنهن لا حيّز ولا مقطع لهن محقق، فإن انفتح ما قبل الواو والياء فسكونهما حي، لأخذ اللسان الياء، والشفتين الواو، كسائر الحروف، فكما تجد الجيم التي هي أخت

(١) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٧٧، ٣٧٨. (نقلاً عن كتاب مرشد القارىء لابن الطحان و١٣٦).

(٢) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٧٨-٣٧٩.

الياء في مخرجها قد أخذها اللسان، في قولك: رميت[١]، كذلك تجد الواو قد أخذتها الشفتان في قولك: عفوت».[٢]

ومن خلال البحث في مصادر علماء اللغة العربية القدماء تبيّن أن أحداً منهم لم يستخدم مصطلح (الحي والميت)[٣] سوى سيبويه اذ استخدم مصطلح (الحروف الحية) للدلالة على الواو والياء إذا تحركتا، ومصطلح (الحروف الميتة) على الألف والياء والواو الساكنة.

كما تبيّن لي من البحث في مصادر علماء التجويد أن أحداً منهم لم يستخدم مصطلح (الحي والميت) سوى ابن الطحان والقسطلاني، حيث قسّما السكون إلى (حي وميت). فاستخدما مصطلح (الحي) للدلالة على سكون الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما، وكذلك على سائر الأصوات الصامتة الأخرى إذا كانت ساكنة. ومصطلح (الميت) للدلالة على أصوات المد واللين الثلاثة.

يبدو لنا مما تقدم أن علماء التجويد أخذوا فكرة تقسيم السكون إلى (حي وميت) عن سيبويه، وإن كان بينهم وبين سيبويه اختلافاً يسيراً في دلالة مصطلح (الحي) إذ يستخدم سيبويه مصطلح (الحية) للدلالة على الواو والياء إذا

---

(١) هذه العبارة فيها اضطراب، ولعل تصحيفاً أخل بها، أو سقط منها شيء، ومع ذلك فالمعنى واضح، لا يخفى أنه يريد: أخذ اللسان الياء في قولك: رميت.

(٢) القسطلاني: لطائف الإشارات ١/١٨٧.

(٣) وجدت إشارة عند علي بن مسعود الفرغاني (من رجال القرن السادس الهجري) في كتابه (المستوفي في النحو) يقسم السكون إلى:

١- سكون ساكن: وقد وصف به سكون الصوامت، أو سكون صوتي الواو والياء في حالة اللين.

٢- سكون مصموت: ووصف به سكون أصوات المد الطويلة المحضة وذلك لأن من خصائص هذه الأصوات أنها لا تعتقب بصوت مدٍّ قصير البتّة. انظر ٥٥٧، وهذا يعني أن الفرغاني قد وصل إلى أن هذا السكون الذي في أصوات المدّ ليس أمراً حقيقياً، ولذا أطلق عليه مصطلح (مصموت)، وكأن الأمر كان توفيقاً بين الفكرة العامة عن سكون أصوات المد، وعما يحس به هو من أن هذا السكون الذي هو عدم اعتقاب أصوات المد بالحركة ليس من ذلك القبيل من السكون الذي في الصوامت.

تحركتا، بينما يستخدم علماء التجويد مصطلح (الحي) للدلالة على سكون الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما وكذلك على سائر الأصوات الصامتة الأخرى إذا كانت ساكنة.[١]

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية، فلم يستخدموا مصطلح (الحية والميتة)، وأخذوا على علماء العربية قولهم إن أصوات المد ساكنة وأنها مسبوقة بحركات تجانسها، على أساس أن أصوات المد هي من الناحية الصوتية حركات طويلة فلا يمكن أن توصف بأنها ساكنة ولا أن تكون مسبوقة بحركات من جنسها. وفسروا ذلك بقولهم أن علماء العربية انخدعوا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل حروف المد وسكوناً فوقها لاعتبارات كتابية لا صوتية محضة.[٢]

وقال بعض المحدثين موضحاً هذه القضية: «إذا نظرنا إلى هذه القضية من وجهة نظر الكتابة وجدنا ما يسوغ رسم علامات الحركات قبل حروف المد مع وضع علامة السكون عليها في مثل (بَاعْ - نَبِيْع - نَقُوْل)، وذلك لأن رموز الألف والياء والواو تمثل في الكتابة ستة أصوات، فرمز الألف يمثل الهمزة في مثل (أَخَذَ) وحرف المد في مثل (قَالَ)، ورمز الواو يمثل حرف المد في مثل (نَقُوْلُ) والواو الجامدة في مثل (حَوْض)، ورمز الياء يمثل حرف المد في مثل (نَبِيْعُ) والياء الجامدة في مثل (بَيْت)، فرسم تلك العلامات أعني الحركات قبل حروف المد والسكون فوقها بمثابة علامات تمييزية لتحديد دلالة تلك الرموز».[٣]

---

(١) انظر النصوص السابقة من هذا الموضوع.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٣٩؛ وكمال بشر: دراسات في علم اللغة ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٣) غانم الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٨١.

ثم ذكر أن من علماء التجويد من فرّق بين سكون أصوات المد وبيّن سكون غيرها من الأصوات، وسَمّى سكون أصوات المد سكوناً ميتاً، وسمّى سكون غيرها من الأصوات سكوناً حياً.

ثم قال: ويفهم من كلام ابن الطحان السابق أنه يقصد بوصف أصوات المد بأنها ساكنة أكثر من كون السكون سلب الحركة، فهو يريد بالسكون الميت اتساع مخارجها للصوت حتى يصير الفم لأصواتها كالأنبوب.[١]

الذي تبيّن لي أن مصطلحي (حية وميتة) لم يستخدمهما من علماء العربية القدماء سوى سيبويه، ولم يستخدمهما من علماء التجويد سوى ابن الطحان والقسطلاني.

أما المحدثون فلم يستخدموا هذين المصطلحين. وأخذوا على القدماء قولهم أنّ أصوات المد ساكنة وأنها مسبوقة بحركات تجانسها، لأن أصوات المد هي حركات طويلة فلا توصف بأنها ساكنة.

والله ولي التوفيق

---

(١) انظر: غانم الحمد: المرجع السابق ص٣٨١.

الخاتمة

بعد هذا العرض للمصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي، في ضوء التفكير الصوتي الحديث. ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

١- لم تكن الدراسة الصوتية عند علماء العربية تحت ظل كتاب خاص ينتظمها، وإنما جاءت مبثوثة في مقدمات المعاجم اللغوية، وفي موضوعات كتب النحو المختلفة. كما جاءت إشارات إليها في كُتب القراءات القرآنية.

وظل الأمر على ذلك إلى أن جاء ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الذي أفرد للدراسة الصوتية مؤلفاً خاصاً أسماه (سر صناعة الإعراب) جمع فيه الدراسات الصوتية التي نشأت ضئيلة عند الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما من علماء العربية، وأضاف إليها زيادات وتفصيلات دقيقة، وفسّرها تفسيرات واضحة.

٢- إنّ تشبيه ابن جني للحلق بالناي (المزمار)، وتشبيهه مدارج الأصوات ومخارجها بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع؛ يدل دلالة واضحة على قوة ملاحظته، ويشير إلى حاجة دارسي الأصوات إلى الاتجاهات العملية التطبيقية، المعتمدة على الامتحان الآلي، كما يصنع علماء الأصوات المحدثون في تجاربهم الصوتية، واعتمادهم على الأجهزة والآلات الدقيقة.

٣- توقف القدماء ومن تابعهم في دراساتهم الصوتية عند الموضوعات الأولية في الدراسة الصوتية -مثل دراسة مخارج الأصوات، وصفاتها، وخصائصها، - دون أن يتجاوزوها إلى موضوعات أخرى مثل:

أ- دراسة تطور الأصوات في اللهجات العربية القديمة.

ب- دراسة الجهاز النطقي الإنساني من حيث ما يعرض فيه من نقص يؤدي إلى عجز بعض الأشخاص عن نطق بعض الأصوات.

جـ- عوامل تطوّر الأصوات اللغوية في البيئات أو الأزمان المختلفة.

٤- نتائج القدماء في وصف الأصوات والتمييز بينها كانت أغلبها نتائج دقيقة بالنسبة إلي معطيات العصر الذي كانوا يعيشون فيه.

فقد اعتمدوا في دراساتهم على حواسهم، وملاحظاتهم الذاتية، دون أن يكون بين أيديهم إمكانات الدرس الصوتي الحديث.

٥- أغلب المصطلحات الصوتية في تراثنا جاءت في كتاب سيبويه، ومن جاء بعده اعتمد عليه إلى حد كبير، إلا أن ابن جني أضاف إليها بعض المصطلحات، وزادها توضيحاً وتفسيراً.

٦- انفرد الخليل بمصطلحات لم يستخدمها أحد بعده، كما أن غيره استخدم مصطلحات لم ترد عند الخليل.

٧- تعدد بعض المصطلحات عند القدماء للتعبير عن الفكرة الصوتية الواحدة، مثال ذلك استخدامهم أكثر من مصطلح للتعبير عن ظاهرة الإعلال.

٨- نهج القدماء غالباً في عرض المصطلح على ذكر المضمون أولاً ثم يتلونه بالمصطلح فالوصف، وذلك في مثل حديثهم عن المنحرف والمطبق، وغير ذلك.

٩- ظهور بعض المصطلحات في النطق والكتابة مثل مصطلحات التغيرات الصوتية كالإدغام، والإعلال، والإبدال... الخ. في حين ظهور بعض المصطلحات في النطق دون الكتابة، كالإمالة والإشمام، والرَّوْم... الخ.

١٠- موقف المحدثين من مصطلحات القدماء تمثل في:

أ- استخدام المصطلح بلفظه ومعناه كما كانا متداولين عند القدماء.

ب- استخدام لفظ المصطلح مع إضافة مفاهيم جديدة أكثر دقة من مفاهيم القدماء.

جـ- استخدام مصطلحات ومفاهيم جديدة تختلف عن مصطلحات ومفاهيم القدماء، إذ رفضوا بعضها في استخدامهم الجديد.

١١- المصطلحات عند القدماء ثلاثة أقسام:

أ- قسم خاص بأعضاء النطق ومخارج الأصوات.

ب- وقسم خاص بصفة الصوت حالة الإفراد مثل صوت مجهور أو مهموس.. الخ.

جـ- وقسم خاص بصفة الصوت حالة مجاورته لأصوات أخرى أثناء التركيب مثل إدغام، إبدال، إقلاب... الخ.

١٢- حددت في البحث المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي، ودرست دلالتها الفنية دراسة وصفية تفسيرية نقدية في ضوء ما توصل إليه علم الأصوات الحديث.

١٣- قمت بتأصيل البحث الصوتي العربي الحديث مفهوماً ومصطلحاً ومنهجاً من خلال الربط بين جهود القدماء في هذا المجال والدراسة الصوتية الحديثة.

١٤- بيّنت اهتمام القدماء بدراسة (الصوائت) الحركات، واستخدامهم للمصطلحات الدالة عليها.

١٥- قمت برصد التطوّر التاريخي لدراسة الظواهر الصوتية ووصفها وتفسيرها في التراث العربي ابتداء من رائدها الخليل بن أحمد.

١٦- بيّنت غموض بعض مصطلحات القدماء واضطراب تفسيراتها عندهم.

١٧- مصطلحات بعض القدماء يشوبها روح الفلسفة والمنطق.

١٨- توصل القدماء إلى أن طريقة التحكم في مجرى الهواء هامة في انتاج الصوت. وقسّموا الأصوات على أساسها إلى شديدة ورخوة ومتوسطة.

١٩- أهمل القدماء دراسة المقاطع وأشكالها وأجزائها، كما أهملوا دراسة النبر والتنغيم، بخلاف المحدثين.

٢٠- أبرزت في هذا البحث جهود علماء التجويد التي لا تقل في أهميتها عن جهود علماء العربية، والتي ظلت شبه منسية من قبل الدارسين، مما حرم الدرس الصوتي من مصدر غني وأصيل.

٢١- بيّنت انفراد علماء التجويد باستخدام مصطلحات لم يسبقهم إليها أحد من قبل مثل استخدامهم لمصطلحي (جوامد وذوائب) بدل مصطلحي (سواكن وحركات).

٢٢- المصطلح الصوتي عند المحدثين غير مستقر، فهو متطور متجدد دائماً، وذلك بسبب عدم توحد المصطلح في الدراسات العربية المعاصرة، وبسبب تطور معطيات الدرس الصوتي الحديث.

٢٣- الدراسة الصوتية في العصر الحديث أصبحت علماً مستقلاً له مرجعيته الشاملة، وله مفاهيم صوتية جديدة أكثر دقة من مفاهيم القدماء.

٢٤- إن ما خلّفه لنا القدماء من مصطلحات صوتية جدير بأن يدرس ويوضح مضمونه للجيل الحديث.

المصادر والمراجع

أنيس، إبراهيم:

١- **الأصوات اللغوية، ط٥**: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢- **في اللهجات العربية، ط٤**: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

٣- **المعجم الوسيط**: دار الفكر، د.ت.

الأخفش، سعيد بن مسعدة:

١- **معاني القرآن، ط١**: تحقيق د.فائز الحمد، المطبعة العصرية بالكويت، ١٩٧٩م.

٢- **كتاب العروض**: تحقيق أحمد محمد عبد الدايم، المكتبة الفيصلية، ١٩٨٥م.

الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد: **جمهرة اللغة، ط١** : مطبعة دائرة المعارف، حيدر أباد الدكن، ١٣٤٤هـ.

الأزهري، محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة** تحقيق عبد السلام هارون وأصحابه، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٧م.

الأزهري، خالد بن عبدالله:

١- **شرح التصريح على التوضيح**: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٢- **الحواشي الأزهري في حل ألفاظ المقدمة الجزرية**: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، د.ت.

الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.

الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ط٦ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

الأنصاري، زكريا محمد: **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة**. مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، د.ت.

الأنطاكي، محمد:

١- **المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها**، ط٣ دار الشرق العرب، بيروت، د.ت.

٢- **الوجيز في فقه اللغة**، ط٣ مكتبة دار الشرق، بيروت، ١٩٦٩م.

أيوب - عبد الرحمن:

١- **الأصوات اللغوية**، ط٢. مطبعة الكيلاني، ١٩٦٨م.

٢- **الكلام إنتاجه وتحليله**، جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

ابن الباذش، (أبو جعفر) أحمد: **الإقناع في القراءات السبع**: تحقيق د.عبد المجيد قطامش، منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مطبعة دار الفكر بدمشق، ١٤٠٣هـ.

برجستراسر: **التطور النحوي للغة العربية**: تعليق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م.

بشر، د.كمال: **علم اللغة العام - الأصوات**،ط٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.

بشر، د.كمال وأصحابه: **معجم علم اللغة الحديث** ط١ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٣م.

البغدادي، علي بن عثمان: **سراج القارىء**، ط٣ تحقيق علي محمد الصباغ، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٠م.

الجاربردي، أحمد بن حسن بن يوسف: **شرح الشافية**: طبعة حجرية قديمة ١٣٠٥هـ.

ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي:

١- **التمهيد في علم التجويد** ط١: تحقيق غانم الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

٢- **متن الجزرية**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، بمصر ١٩٥٦م.

٣- **النشر في القراءات العشر**: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

الجندي، أحمد علم الدين: **اللهجات العربية في التراث**: نشر الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، ١٩٧٨م.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان:

١- **الخصائص، ط٤**: تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

٢- **سر صناعة الإعراب**: تحقيق مصطفى السقا وأصحابه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٤م.

٣- **اللمع في العربية**: تحقيق حامد المؤمن، ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

٤- **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: تحقيق علي النجدي ناصف وأصحابه، لجنة إحياء التراث الأسلامي بمصر، ١٩٦٩م.

٥- **المنصف، ط١**: تحقيق إبراهيم مصطفى وصاحبه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م.

حجازي، محمود فهمي: **مدخل إلى علم اللغة، ط٢**: دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٨٧م.

حداد، حنا جميل: **معجم شواهد النحو الشعرية**، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٤م.

الحداد، محمد بن علي بن خلف:

١- **كتاب فتح المجيد**، ط٢: دار إحياء الكتب العربية بمصر .د.ت.

٢- **تحفة الراغبين في تجويد الكتاب المبين**، ط١، مطبعة المعاهد بمصر، ١٣٤٤هـ.

٣- **سعادة الدارين**، ط١، مطبعة المعاهد بمصر، ١٣٤٣هـ.

٤- **كتاب الآيات البيّنات**، ط١، مطبعة المعاهد بمصر، ١٣٤٤هـ.

الحديثي، خديجة: **ابنية الصرف في كتاب سيبويه**، ط١ مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٥م.

حسّان، تمام:

١- **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط٢: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

٢- **مناهج البحث في اللغة**: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.

حسنين، صلاح الدين صالح: **المدخل الى علم الأصوات**، ط١: دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٨١م.

الحسيني، الشيخ حسن بن خلف: **الرحيق المختوم**، ط١، مطبعة المعاهد بمصر، د. ت.

الحمد، غانم قدوري: **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**: إحياء التراث الاسلامي، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٦٥م.

الحملاوي، أحمد بن محمد: **شذا العرف في فنّ الصرف**، ط١٦ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٥م.

الحموز، عبد الفتاح: **ظاهرة القلب المكاني في العربية**، ط١: دار عمّاد - الأردن، ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

أبو حيان، أثير الدين: **تذكرة النحاة**، ط١: تحقيق. د.عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

ابن خالوية، الحسن بن أحمد: **الحجة في القراءات**: تحقيق د.عبد العال سالم مكرم، دار الشرق، بيروت، ١٩٧١م.

الخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

الخولي، محمد: **الأصوات اللغوية**: مكتبة الخريجي، الرياض، ١٩٨٧م.

الداني، عثمان بن سعيد:

١- **التيسير في القراءات السبع**، ط٢ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.

٢- **المحكم في نقط المصاحف**: تحقيق د.عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٦٠م.

٣- **التحديد في الإتقان والتجويد**، دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، جامعة بغداد، مكتبة دار الأنبار، ١٩٨٨م.

دي سوسير: **فصول في علم اللغة العام**: ترجمة أحمد نعيم الكراعين، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢م.

الذهبي، محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء**: ط٦، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

الراجحي، د.عبده:

١- **التطبيق الصرفي**: دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.

٢- **فقه اللغة في الكتب العربية**: دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢م.

٣- **النحو العربي والدرس الحديث**: دار النهضة العربية، بيروت

--

الرازي، أحمد بن حمدان: **الزينة في الكلمات الاسلامية العربية**، ط١ تعليق حسين بن فيض الله الهمذاني، مطابع دار الكاتب العربي بمصر، ١٩٥٧م.

الرازي: التفسير الكبير مطبعة البهية المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م

رمضان، د. محيي الدين: في صوتيات العربية: مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، (د. ت).

الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١ المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ

الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق:

١- **كتاب الجمل في النحو**، ط١: تحقيق د.علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٢- **كتاب الجمل في النحو**، ط٢: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.

الزمخشري، محمود بن عمر: **المفصل**، ط٢ دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.

الزيات، السيد عبد الغفار: **مصباح المريد في شرح رسالة فتح المجيد**، ط٤ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.

ابو زيتحار، أحمد محمد: **السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل**، ط٢ مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، ١٩٧٠م.

سالم، عبدالرؤوف محمد: **هدي البرية**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، ١٩٥٥م.

السامرائي، د. إبراهيم: **التطور اللغوي التاريخي**، ط٢ دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

ابن السراج، محمد بن سهل: **الاصول في النحو**، ط١: تحقيق د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م

السعران، د.محمود: **علم اللغة مقدمة للقارىء العربي** دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، د.ت. وانظر طبعة دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر: **مفتاح العلوم**: دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

ابن السكيت، يعقوب بن اسحق: **إصلاح المنطق**، ط٢: شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وصاحبه، دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

السمنودي، إبراهيم علي شحاتة: **تلخيص لآلي البيان في تجويد القرآن**، ط٢، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، ١٩٥٤م.

السنهوري، جعفر بن إبراهيم: **كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد** دون معلومات نشر.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**: تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٥م وطبعة بولاق بمصر، ١٣١٦هـ

السيرافي، الحسن بن عبدالله:

١- **شرح كتاب سيبويه**: تحقيق د.رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر ١٩٨٦م.

٢- **كتاب ما ذكره الكوفيون في الإدغام**: تحقيق د.صبيح التميمي، دار البيان العربي، جده، ١٩٨٥م.

ابن سينا، الحسين بن عبدالله:

١- **رسالة اسباب حدوث الحروف**، ط١ تحقيق محمد حسان الطيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣م.

٢- **كتاب الشفاء**: مراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق د.جورج قنواتي وصاحبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٣- **القانون في الطب**: طبعة جديدة بالأوفسيت عن طبعة بولاق، دار صادر، بيروت، د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر:

١- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط٢: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢- **الاتقان في علوم القرآن** ط١: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة ١٩٦٧م.

٣- **الأشباه والنظائر في النحو**: تحقيق د.عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

٤- **المزهر في علوم اللغة وانواعها**: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وأصحابه، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٥- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.

الشافعي، أحمد بن محمد: اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: تعليق محمد الصباغ، دار الندوة، بيروت، د.ت.

شاهين، د. عبد الصبور:

١- **اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي**، ط١ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٧م.

٢- **في التطور اللغوي**، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٣- **القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د. ت.

٣- **المنهج الصوتي للبنية العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م.

شقرية: محمد محمد: **كتاب زينة الإنسان في علم تجويد القرآن**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولادة بمصر، د.ت.

شوملي: قسطندي: **مدخل إلى علم اللغة الحديث**، ط١، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٢م.

الصالح، د.صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، ط٦: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦م.

الصبّان، محمد بن علي: **حاشية الصبّان على شرح الاشموني** دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

صبره، علي أحمد: **كتاب ملخص العقد الفريد**: الإدارة العمومية للمعاهد الدينية العلمية الاسلامية بمصر، د.ت.

الصفا، إخوان: **رسائل إخوان الصفا (القرن الرابع)**، دار صادر- بيروت، د. ت.

الضباع، علي محمد:

١- **شرح رسالة قالون**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة، د. ت.

٢- **شرح الشاطبية المسمى إرشاد المريد إلى مقصود القصيد**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦١م.

٣- **هداية المريد إلى رواية ابي سعيد**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، ١٩٦٠م.

ابن الطحان، أبو الاصبغ الاشبيلي: **مخارج الحروف وصفاتها**، ح١: تحقيق د.محمد يعقوب تركستاني، مركز الصحف الالكتروني بيروت ١٩٨٤م.

الطنطاوي، محمد أحمد إبراهيم: **إيضاح تحفة الأطفال**، ط٥ مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٩٥٤م.

الطيب، عبد الجواد: **من لغات العرب - لغة هذيل**:(دون معلومات النشر، د. ت.)

العاني، د.سلمان: **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جده، السعودية، ١٩٨٣م.

عبده، داود:

١- **ابحاث في اللغة العربية**: مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م.

٢- **دراسات في علم أصوات العربية**: مؤسسة الصباح للنشروالتوزيع، الكويت، ١٩٧٧م.

٣- **دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة**، ط١، شركة أي سي إس، ١٩٩٠م/لندن.

عبد التواب، رمضان: **المدخل إلى علم اللغة**، ط١: مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.

عبد العزيز، محمد حسن: **مدخل إلى علم اللغة**: كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

العجاج: **ديوان العجاج**: تحقيق د.عزة حسن، دار الشرق، بيروت، ١٩٧١م.

عثمان، حسني شيخ: **حق التلاوة**، ط١ : مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان، ١٩٧٤م.

ابن عصفور: **الممتع في التصريف**، ط٣: تحقيق د.فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

العطية، خليل إبراهيم: **في البحث الصوتي عند العرب**، دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٣م.

العقرباوي، الشخ زيدان: **المرشد في علم التجويد**، ط١ : دار الفرقان، الاردن، عمان، ١٩٩٢م.

ابن عقيل، عبد الله بن عقيل: **شرح ابن عقيل**، ط١٤ : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٦٥م.

ابن العماد، عبد الحي بن احمد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت. د. ت.

عمر، أحمد مختار:

١- **البحث اللغوي عند العرب** ، ط٢: عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢- **دراسة الصوت اللغوي**، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.

غنيم، صالحة راشد: **اللهجات في الكتاب لسيبويه أصوات وبنية**، ط١: دار المدني للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٥.

الفارابي، محمد بن محمد: **كتاب الموسيقى الكبير**: تحقيق وشرح غطاس عبدالملك، دار الكتاب العربي، القاهرة د. ت.

الفرّاء، يحيى بن زياد: **معاني القرآن** تحقيق عبدالفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، ١٩٧٢م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد:

١- **كتاب العين**: تحقيق د. مهدي المخزومي وصاحبه، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ومطابع الرسالة، الكويت ١٩٨٠. وانظر الجزء الأول، تحقيق عبدالله درويش، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧م.

٢- **كتاب الجمل في النحو**، ط١. تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

فلايش، هنري، **العربية الفصحى**، تعريب عبدالصبور شاهين، ط٢. دار الشرق، بيروت ١٩٨٣م.

فندريس، جوزيف: **اللغة**: تعريب عبدالحميد الدواخلي وصاحبه، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٠م.

الفيروز آبادي، محمد يعقوب: **القاموس المحيط ط٢**: دار الجيل، بيروت د. ت.

الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ط٣: المطبعة الأميرية، بمصر ١٩١٢.

القاري: علي بن سلطان: **المنح الفكرية على متن الجزرية**: المطبعة ١٣٢٢هـ

القاضي، عبدالفتاح: **شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع، ط٢**، المكتبة الإسلامية التجارية بطنطا، ١٩٦١م.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: **ادب الكاتب، ط٣**: تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣م.

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر:

لطائف الإشارات لفنون القراءات: تحقيق د. عبدالصبور شاهين، والشيخ عامر السيد عثمان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٢م.

قمحاوي، محمد الصادق: **البرهان**: مكتبة علي صبيح وأولاده بمصر، ١٩٨٢م.

القيسي، مكي بن أبي طالب:

١- **الكشف عن وجوه القراءات السبع** : تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤م.

٢- **الرعاية، ط٢**: تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمار - عمان الأردن، ١٩٨٤م.

٣- **التبصرة في القراءات، ط١**، تحقيق د. محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٥م.

كانتينو، جان: **دروس في علم أصوات العربية**: تعريب صالح القرماوي، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٦٦م.

الكندي وأصحابه: **علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب جـ١**: تحقيق ودراسة د. محمد مراياتي وأصحابه، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ت.

الكِندي، حبيب محمد: **مغنم الصبيان في تجويد الفرقان**، ط١، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.

اللغوي، عبدالواحد: **كتاب الإبدال**، ط١، تحقيق عز الدين التّنوخي، دون معلومات نشر، ١٩٦٠م.

ماريو پاي: **اسس علم اللغة**، ط٢: ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م.

مالبرج، بريتل: **علم الأصوات**: تعريب د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٨م.

المبرّد، محمد بن يزيد: **المقتضب**: تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د. ت.

ابن مجاهد: **كتاب السبعة في القراءات ط٢**: تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

المخزومي، د. مهدي: **مدرسة الكوفة** ط٢: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

مدكور، عاطف: **علم اللغة القديم الحديث**: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.

المرادي، ابن أم قاسم:

١- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك**، ط٢، تحقيق د. عبدالرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٧م.

٢- **شرح الواضحة**: تحقيق د. عبدالهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت، د. ت.

مصلوح، د، سعد: **دراسة السمع والكلام**، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م.

المطلبي، د. غالب فاضل: **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العرقية، دار الحرية للطباعة، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤م.

معبد، محمد أحمد: **الملخص المفيد في علم التجويد**: دار السلام، القاهرة، ١٩٨٤م

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**: دار صادر، بيروت، د. ت.

مندور، محمد عبدالله حسن: **شرح رسالة حمزة**، ط١، المكتبة المحمودية التجارية بمصر، ١٩٥٨م.

الموصلي، محمد بن أحمد بن الحسين: **كنز المعاني شرح حرز الأماني**، ط١، تصحيح متولي عبدالله الفقاعي وصاحبه، الاتحاد العام لجماعة القراء بمصر ١٩٥٥م.

الميداني، أحمد بن محمد: **نزهة الطرف في علة الصرف**، ط١: تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.

ميرغني، د. جعفر: **جرس اللسان**: من منشورات معهد الخرطوم الدولي، الخرطوم، ١٩٨٥م.

ابن النديم، محمد بن إسحاق: **الفهرست**: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

النسفي، **تفسير مدارك التنزيل**، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

نصار، د. حسين: **المعجم العربي** ط١. ١٩٥٦م.

النعيمي، د. حسام: **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

الهلاوي، محمد عبدالعزيز: **كيف تجوّد القرآن وترتله ترتيلا**، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع - بولاق، القاهرة، ١٩٨٤م.

وافي، د. علي عبدالواحد: **علم اللغة**، ط٧. دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.

ابن يعيش، يعيش بن علي: **شرح المفصل**: دار صادر، بيروت، د. ت.

الدوريات

أنيس، د. إبراهيم:

١- **أصوات اللغة عند ابن سينا**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، البحوث والمحاضرات - مؤتمر الدورة التاسعة والعشرون، ١٩٦٢، ١٩٦١-١٩٦٣، الصفحة من ١٧٥ إلى ١٨٧.

٢- **جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهر، الجزء الخامس عشر، ١٩٦٢م، الصفحة من ٤١ إلى ٤٩.

٣- **حروف تشبه الحركات**. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء السادس عشر، ١٩٦٣م، الصفحة من ١٣ إلى ١٧.

٤- بحث "**ملك ملاك ملائك ملائكة**"، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الحادي والثلاثون، ١٩٧٣م.

بتي، أوديت: بحث في **فونولوجيا اللغة العربية**"، مجلة الفكر العربي، ليبيا - طرابلس، العددان الثامن والتاسع، ١٩٧٩م، الصفة من ١٧١ إلى ١٩٠.

البكوش، الطيب: **النظريات الصوتية في كتاب سيبويه**"، حوليات الجامعة التونسية - كلية الآداب، العدد الحادي عشر، ١٩٧٤، الصفحة من

١٤٢ إلى ١٥٢.

ابن البنّاء، الحسن بن أحمد بن عبدالله، (ت ٤٧١ هـ): **كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرّاء**، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الحادي والثلاثون، الجزء الأول، مطابع القبس الكويتية، ١٩٨٧م.

حسنين، فؤاد:

مبحث الهمزة، مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول بالقاهرة، المجلد الثامن العدد الأول، ١٩٤٦، الصفحة من ١٢٩ إلى ١٣٧.

حلمي، د. باكزة رفيق: **الثنائية والميزان الصرفي**: مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد (٢)، ١٩٧٨م، ص ٥٧-٧٨.

شادة. أ، **علم الأصوات عند سيبويه وعندنا**، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية، ١٩٣١، العدد الخامس ص٣-١٤.

محمود، د. عبدالله ربيع: **أصوات العربية والقرآن الكريم**. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية - الرياض، العدد العاشر، ١٩٨٠م، الصفحة من ٢٢٧ إلى ٢٨٠.

النجار، عبد الحليم: **الهمزة من حيث تكوينها ومخرجها ومن حيث رسمها وموقعها**، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، المجلد الحادي والعشرون، الجزء الأول عام ١٩٥٩م، الصفحة من ١ إلى ١٢.

الرسائل الجامعية والأبحاث

بوخلخال، عبدالله: **التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري**. رسالة دكتوراه، كلية الآداب -جامعة القاهرة، ١٩٨٨م.

ستيتية، د. سمير شريف:

١- **هيئات النطق ووظائفها في اللغة**. بحث غير منشور.

٢- **الحركات**. بحث غير منشور.

أبو النصر، فاطمة محمد: **الظاهرة الصوتية في قراءة ورش**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ١٩٩٢م.

النعيم، علي عبدالله: **الوتران الصوتيان وتحليل وظائفهما النطقية في دراسة أصوات العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ١٩٨٩م.

موسى، عبدالمعطي نمر: **الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ١٩٨٦م.

المخطوطات

ابن شيخ أحمد سلطان بن محمود. **شرح مراح الأرواح** (مخطوط: أحتفظُ بنسخة أصلية في مكتبتي الخاصة).

الپالوي، حامد بن الحاج عبدالفتاح: **زبدة العرفان في وجوه القران** (مخطوط أحتفظ بنسخة أصلية في مكتبتي الخاصة).

الداني، أبو عمر بن سعيد الداني: **مذاهب القرّاء السبعة** (مخطوط أحتفظ بنسخة أصلية في مكتبتي الخاصة).

طبعها وأخرجها
محمد غانم
الأردن - إربد - ٢٤١٠٦٥